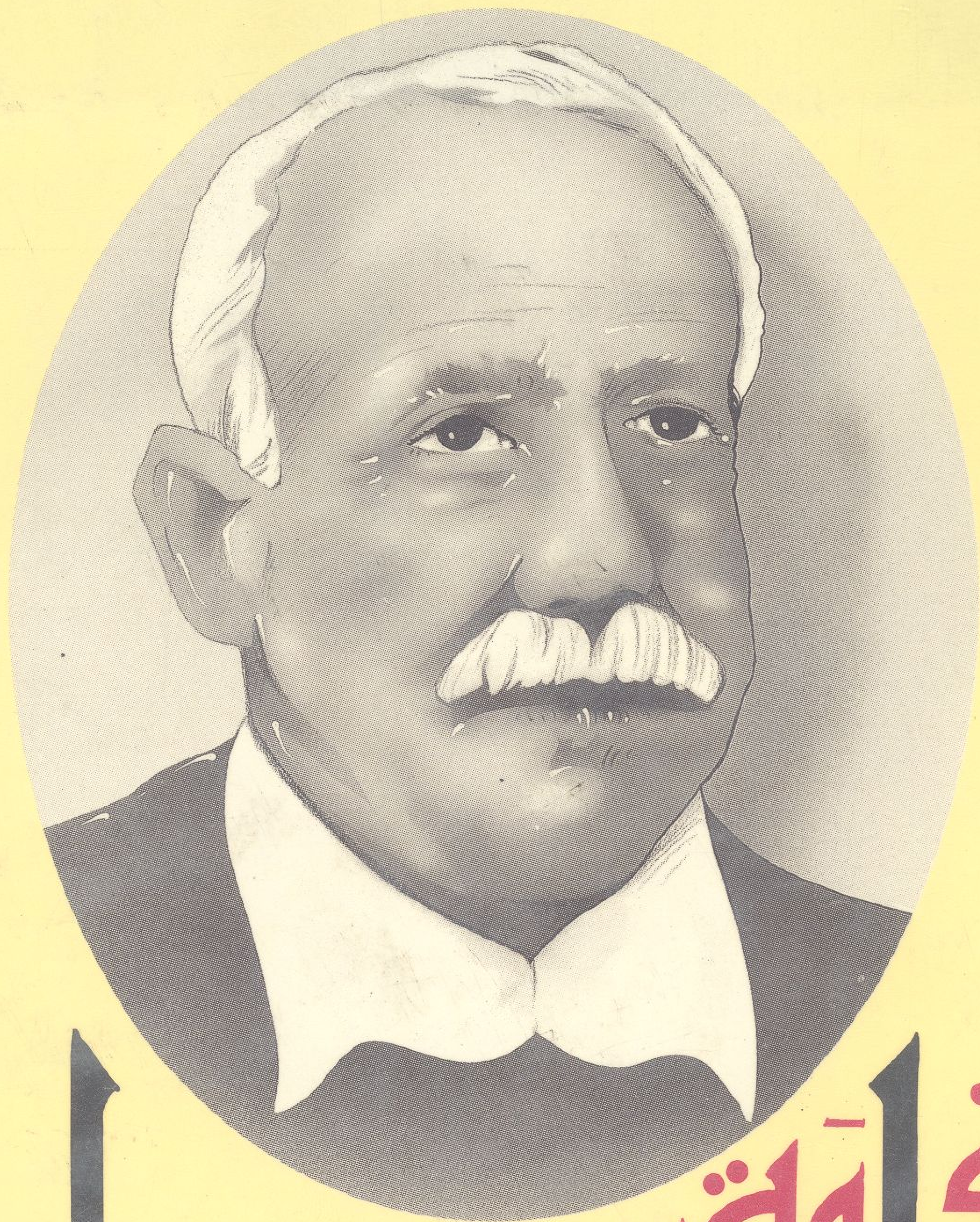
أحمد شوقي



صفوة المؤلفات الكاملة

لطفي

قمبيز — مصرع كليوباترا

عنترة — مجنون ليلى



هٰذه السِّلسلة

«الصَّفْوَة» سِلْسِلَةٌ جَديدَةٌ مِنْ سَلاسِلِ الشَّرِكَةِ المِصْرِيَّةِ العالَمِيَّةِ لِلنَّشْرِ - لونجمان، تُضافُ إلى المَكْتَبَةِ العَرَبِيَّةِ، وَتَرْمي إلى نَشْرِ صَفْوَةِ أعْمالِ أعْلامِ المُؤَلِّفينَ في مُخْتَلِفِ العُصورِ.

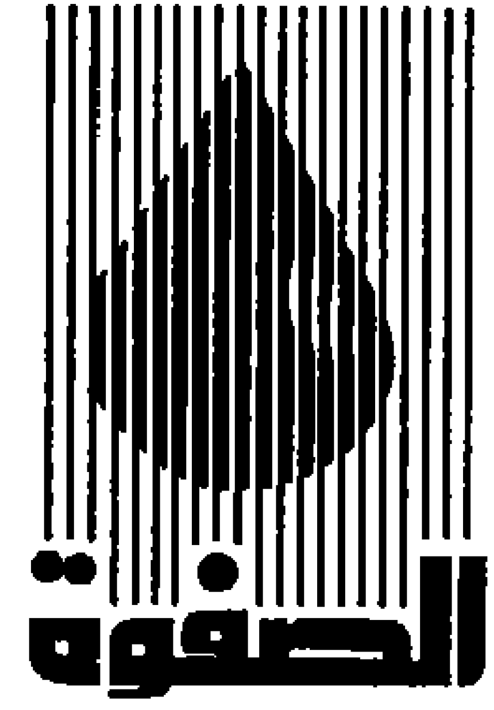
فمِنْ بَيْنِ أعْمالِ أيِّ مُؤَلِّفٍ عَلَمٍ، مُكْثِرًا أكانَ أمْ مُقِلًّا، ثَمَّةَ أعْمالٌ تَتَمَيَّزُ وتَذيعُ، وَتَتَعَدَّدُ طَبَعاتُها، وَتَحْظى بِنَصيبٍ مِنَ الشُّهْرَةِ والذُّيوعِ يَفوقُ غَيْرَها مِنْ أعْمالِهِ، ولا مِرْيَةَ في أنَّ هٰذِهِ الأعْمالَ سَتَظَلُّ أبَدًا حَيَّةً في وِجْدانِ القارِئِ .

هٰذِهِ الأعْمالُ سَوْفَ تُتاحُ لِلْقُرّاءِ في سِلْسِلَةِ «الصَّفْوَةِ» في صورَةٍ جَديدَةٍ مِنْ حَيْثُ مَنْظَرُها ومَخْبَرُها. وها هي ذي مَسرحِيّاتُ: قمبيز، مَصرَع كليوباترا، عَنْتَرَة، مَجنون ليلى، للشاعرِ الكبيرِ أحمد شوقي، نُقدِّمُها في حُلَّةٍ قَشيبةٍ آيَةِ المَنْظَرِ الجَديدِ.

أمّا المَخْبَرُ فَآيَتُهُ النَّصُّ الَّذي قامَ مُحَرِّرو إدارةِ النَّشْرِ العَرَبِيِّ بِالشَّرِكَةِ، بِتَحْريرِهِ وَتَصْحيحِهِ وتَحْقيقِهِ تَحْقيقًا دَقيقًا، وَتَعْليقِ ما يَلْزَمُ مِنْ حَواشٍ بِالتَّعْقيباتِ وشُروحِ ما قَدْ يَغْمُضُ مِنْ مُفْرَداتٍ، وَكَذٰلِكَ ضَبْطِ الأشْعارِ ضَبْطًا نَحْوِيًّا وَعَروضِيًّا، وَضَبْطِ مَواطِنِ اللَّبْسِ في المَتْنِ والحَواشي، فَضْلًا عَنِ التَّرْجَمَةِ لِلشَّخْصِيّاتِ الَّتي رُئِيَ التَّرْجَمَةُ لَها.

صفوة
المؤلفات الكاملة

قمبيز • مصرع كليوباترا
عنترة • مجنون ليلى



أحمد شوقي

قمبيز • مصرع كليوباترا
عنترة • مجنون ليلى

تدقيق وضبط
إدارة النشر العربي

قدّم لها بدراسة
الدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد




مكتبة لبنان ناشرون

الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي ، الجيزة – مصر

مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح – بيروت

وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

رقم الكمبيوتر 01 C 199106

رقم الإيداع ٥٦٠٨ / ٩٢ — الطبعة الأولى ١٩٩٣

الترقيم الدولي ISBN 977 - 16 - 0104 - 0

طبع في دار نوبار للطباعة – القاهرة



المحتويات

الصفحة

كَلِمَةُ النّاشِر

قمّةٌ أدبيّةٌ سامقة ؛ وعبقريّةٌ شعريّةٌ فذّة : جوانبُها رَحْبة ، نِتاجُها وفير ، أفكارُها غزيرة ، أسلوبُها رَصين ، ألفاظُها دقيقة ، خيالُها مُبدِع خلّاق .

دانتْ لصاحبها إمارةُ الشّعر ، فأتتْهُ الشُّعراء تكرّمه في دار الأوپرا في ٢٩ إبريل سنة ١٩٢٧ ، وهنّأه شاعرُ النّيل ، حافظ إبراهيم ، قائلاً ، من بين ما قاله :

أميرَ القَوافي قد أَتيْتُ مُبايعاً وهَذي وُفودُ الشّرق قد بايعتْ معي

هذا هو أميرُ الشُّعراء ، أحمد شوقي ، الّذي اتّسعتْ عنده دائرةُ أغراض الشّعر ؛ فاهتمّ بشعر الوصف والطّبيعة ، والشّعر الوجدانيّ ، وشعر الغزَل ، وشعر الفُكاهة . ومدَّ شعرَهُ إلى آفاق التّاريخ والإسلام ؛ وخصّ الصّغارَ والنّشْءَ بنصيبٍ متميّز من الشّعر أخرجه في إطارين : الأوّل حكاياتٌ رمزيّة نَظَمَها على لسان الحيوان ، والثّاني مقطوعاتٌ شعريّة .

ولجأ في سني عمره الأخيرة إلى المسرح ، فأرسى فيه دعائمَ الشّعر المسرحيّ . ومن بين المسرحيّات الشّعريّة الّتي أبدعها نَصْطفي لهذا المُجلّد من سلسلة « الصّفْوة » أربعاً ، هي بالتّرتيب التّاريخي لوقوع أحداثها :

« قَمبيز » – « مَصْرَع كليوپاترا » – « عَنْتَرة » – « مَجْنون لَيلى » .

وقد وضع الأستاذُ الدُّكتور علي عبد المنعم عبد الحميد دراسةً ممتعةً صَدّرْنا بِها المجلّد ؛ وفيها ألقى الضّوءَ على شخصيّةِ أحمد شوقي ، وخصائصِ شِعره ؛ وأفردَ لهذه المسرحيّات الأربع حديثاً خاصا أبرزَ سماتِ كلٍّ ومصادِرَها .

وقام محرّرو إدارة النّشر العربيّ بالشّركة بتدقيق النُّصوص الشّعريّة ، وضَبْطِ مفرداتها ، وشَرْحِ ما غَمَضَ منها .

لقد خلّف أحمد شوقي تُراثاً شعريا ضخماً أثار قضايا أدبيّةً عديدة ، وبالرّغم من اختلاف نتائجِ هذه القضايا فإنّ هذا التُّراثَ الشّعريّ سيظلُّ حيا ، وسيبقى خالداً .

وجدي رزق غالي

مديـر النشـر العربـي

الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان

مدخل لدراسة أحمد شوقي

بقلم الدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد

نشأته وحياته : ١٨٦٩-١٩٣٢

لم ينشأ شوقي[١] كما نشأ الكثيرون من أترابه الشُّعراء والكتّاب نشأة خشنة جافّة ؛ وإنما نشأ نشأة مترفةً ناعمةً ، لا يعرف البؤس إليها طريقًا ، ولا شظفُ العيش إليها سبيلاً ؛ فعلى الرغم من أن والده – واسمه عليّ – كان مبذراً متلافًا ، بدَّد الثروة التي آلت إليه بالوراثة – فإن جدته لأمه ، وهي يونانيّة كانت تعمل وصيفة في قصر إسماعيل ، كفَلَتْه ؛ فأتاحت له هذه الكفالةُ حياة رخية ، ينعم فيها بأطايب العيش ، ولذائذ الحياة .

وشوقي تجري في عروقه دماءٌ كثيرة ، فقد ولد في القاهرة عام ١٨٦٩ لأب وأم تنحدر إليهما عناصرُ مختلفة : فقد كان الدم العربيّ والكرديّ والتركيّ يجري في عروق أبيه ، إذ كان جده – أحمد شوقي ، الذي سُمي شاعرنا باسمه – ينتمي إلى الأكراد والعرب ، وكانت جدته لأبيه شركسيّة . أما أمه فقد كان يجري في عروقها الدم التركيّ واليونانيّ : فأبوها – أحمد حليم النَّجده لي [٢] – تركي من بطانة إبراهيم بن محمد علي ، وظل في أبنائه حتى أصبح وكيلاً للخاصة الخديوية في عهد إسماعيل ، وكانت أمها – تِمْراز ، جدته لأمه – يونانية من سَبْي إبراهيم في بلاد المورة .

هذه العناصر التي التقت في تكوين شخصية شوقي قلّما اجتمعت لشاعر غيره من شعراء العربية ، ولا شك في أن هذه الدماء المتعددة المختلفة التي سيطتْ في دمائه – بما لكلٍّ منها من خصائصَ متميزة – جعلت نفسيته خِصبة أبلغَ ما يكون الخِصْب ، غنيةً أوسع ما يكون الغنى ، فلم تكد تتَّصل بالحياة ، وتصادف من تجاربها وحوادثها ، حتى ازدادت خصباً إلى خصب ، وثراءً إلى ثراء ؛ مما أتاح لها أن تعبق وتفوح بالشَّذا العطر .

فلم يعرف الشعر العربيُّ شاعراً بلغ من خصوبة الإنتاج ما بلغه شوقي ؛ إذ يقول المولعون بالإحصاء [٣] : إن نِتاجه الشعريَّ بلغ في ديوان الشوقيات أحدَ عشرَ ألفَ بيتٍ من الشعر وثلاثمائة وعشرين بيتًا ، وأرجوزة دول العرب وعظماء الإسلام – في نشرة مستقلّة – تَعُدُّ ألفًا وثلاثمائة وخمسة وتسعين بيتًا . وفي عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢ نشر الدكتور محمد صبري السربوني الشوقيات المجهولة في جزءين ضمَّنهما ما يقرب من أربعةِ آلاف وسبعمائة بيت من الشعر ، وهو مع ذلك لم ينشر كلَّ ما اهتدى إليه .

فإذا جمعنا ذلك كان حاصلُه يقرب من سبعةَ عشرَ ألف بيت وخمسمائة ، وهو رقم يتجاوز الرقم الذي أمكن الوصول إليه لأي شاعر عربي ، فالمقدَّر لأبيات ابن الرومي الذي اتُّخِذ مثالاً للخصب في

---

(١) سنستخدم الاسم بهذا الرسم على سبيل الحكاية أيا كان موقعه الإعرابي . (٢) نسبة إلى قرية نجده إحدى قرى الأناضول .

(٣) محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات . تونس ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١ . ص ١٣ و١٤ .

النّتاج الشعري العربي من ستةَ عشرَ إلى سبعةَ عشرَ ألفاً .

أما إذا ضممنا إلى المجموع الذي أسلفناه عدد أبيات المسرح الشعري عند شوقي – وهو ستةُ آلاف بيت ومائةٌ وتسعةٌ وسبعون بيتاً – فإن الحاصل يدنو من الأربعةِ والعشرين ألفاً ، مع إغفالنا لما عثر عليه الدكتور السربوني ولم ينشره ، ولما لم يعثر عليه . ومن ثم يكون شوقي أكثر شعراء العربية خصباً: الأقدمين والمحدثين على السواء .

وقد اختلف شوقي حين أتمَّ الرابعة من عمره إلى كتّاب الشيخ صالح بحي الحنفي بالقاهرة ، ثم التحق بمدرسة المبتديان ، ثم بالمدرسة التجهيزية ، حيث أتم دراسته الثانوية ، وحصل على البكالوريا وسِنُّه لم تتجاوز الخامسة عَشرةَ .

وفي عام ١٨٨٥ ألحقه أبوه بمدرسة الحقوق ، وتخرَّج في قسم الترجمة منها عام ١٨٨٧ ، وأرسله الخديوي توفيق في بعثة إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب ، فلبث أربع سنوات حصل بعدها على الإجازة التي كان ينشدها ، ثم أتيحت له الفرصة ليجوب فرنسا ، ويذرعها طولاً وعرضاً ، ويزور بلاد الإنجليز ، ويُلمّ بالجزائر .

وقد هيأت له إقامته في فرنسا أن يتصل بالحضارة الأوربية اتّصالا مباشراً ، وأن يغترف من معارفها ، وأن ينهل من ينابيعها ، ويشغف بمسرحها شغفاً بالغاً .

وكان شوقي قد استكمل أداة الشعر الذي تفجَّر ينبوعه على لسانه وهو صغير ، في رعاية الشيخ حسين المرصفي صاحب كتاب « الوسيلة الأدبية » ، والشيخ محمد البسيوني البيتاني – أستاذه في مدرسة الحقوق – الذي كان ينظم القصائد الطِّوال في مدح الخديوي توفيق ، فوجّه تلميذه هذه الوجهة ، وحدّث توفيقاً عن نبوغه كي يرعاه .

وقد أكبَّ شوقي على قراءة الشّعر العربي القديم في عصور ازدهاره ، وصحب كبارَ شعرائه ، أمثالِ : أبي تمام ، والمتنبي ، وأبي نواس ، وابن زيدون ، والبهاءِ زهير .. وعارض عيون آثارهم .

ولا شك في أن قراءة قصيدة قراءةً واعيةً لا تقلُّ معاناة عن تجربة إنشائها ؛ لأن القارئ – حينئذ– يعايش صاحبها ، ويغوص في تجربته ، ويتعرَّف على طرائقه في انتقاء ألفاظه ، وبناء جُمله ، وتأليف صوره ، ويختزن في ذاكرته و وِجدانه ما يروقه ؛ كي ينتج أدباً مطبوعاً بطابعه ، متميزاً بذاته .

وقد وهب الله شوقي حافظة لاقطة واعية ؛ فوعى خير ما عند الأسلاف ، وامتاح من اللغة العربية ثروةً طائلة من المفردات ، حتى إنه كان يحفظ أبواباً كاملة من المعاجم . ولسنا نعرف في العصر الحديث مَنْ تحولت إليه الملكة العربية بجميع خصائصها الصّوتية والموسيقية على نحو ما نجد عند شوقي ؛ فقد تشرّب روح العربية ، وامتلك أزمّتها اللغويّة ، يصرِّفها كما شاء له الشعر والفن .

وقد أعانته على ذلك بديهةٌ مِطواعة سيّالة ، فلم يكن يجلس إلى مكتبه للتّفكير وكدّ الذّهن حتى ينشئ قصيدة ؛ وإنما كانت تَنْثال عليه الخواطر انثيالاً ، وكأنها تَفيض من كل صَوْب .. يُغمغِمُ بالشعر ماشياً أو جالساً بين أصحابه ، حاضراً بينهم بجسمه ، غائباً عنهم بروحه وفكره ، لا يعرف جليسُه أنه ينظم إلا إذا سمع منه غَمْغَمةً تُشبه النّغم الصّادر من غَوْر بعيد ، ثم رأى ناظرَيْه وقد برقا ،

وتواترت فيهما حركات المحجرَيْن ، ثم بَصُر به وقد رفع يده إلى جبينه ، وأمرَّها عليه إمراراً خفيفاً ، هنيهةً بعد هنيهةٍ – كما يقول الشّاعر خليل مطران [١] – وتلك سِمَةُ الشُّعراء المُلهمين .

عاد شوقي من بِعثته الدّراسية إلى عمله الذي كان قد التحق به قبل سفره في قسم الترجمة بقصر الخديوي ، وما لبث أن أصبح رئيساً لهذا القسم ، وأثيراً لدى الخديوي عبّاس ، وشاعرَه الخاصّ . وسعِدَ شوقي بهذه الحُظوة ، ونَعِم ببلوغ هذا اللقب الذي كان أمنيته ، لِما كان يراه من سلطان الحاشية ، وما يُناط بها من أمل ورجاء ، ولذلك راح يعتزُّ به :

شاعرُ الأمير ، وَما ‏ ‏ ‏ بِالْقليل ذا اللَّقَبْ

ولعلَّ شوقي كان يظن أن قصرَ أميره سيكون قصر سيف الدولة الحمدانيّ في حَلَب ، وأنه سيكون المتنبّي شاعر العروبة من خلاله ؛ ولكن أميره عبّاساً لم يكن غير إنسانٍ قَعَدتْ به هِمَّته ، وهَبَطت به عزيمته ، فلم يبالِ شيئاً غير ملذاته ، وتنمية ثروته ، وسَوْق الهدايا إلى الخليفة العُثْماني ابتغاءَ مرضاته ، وتملُّق المستعمر الإنجليزي طمعاً في استدامة السلطان .

واستحال شوقي رجلاً من رجال الحاشية ، وشاعراً خاصًّا لعباس ، يدور مع سياسته وأهوائها كلَّ مدار ، ويمدحه كلما دعا إلى ذلك داعٍ ، وحين لا يدعو إليه داعٍ .

ولكن إذا كانت نظرتُنا اليوم إلى مصادر الجذب التي كانت تشدُّ شعر شوقي إليها كالخديوي والسُّلطان العثماني في دار الخلافة قد تغيرت – فإن نظرة الشعب حينذاك كانت موصولةً ببعض ما ارتبط به شوقي من غايات من ناحية ، وكانت تتجاوز المعاني المباشِرة في المديح إلى ما يَسْري خلفها من تعبيرٍ عن همومه ، وتصوير لآماله وتطلُّعاته ، وتجسيدٍ للمُثُل العليا والخصائص النَّفسية المثالية التي يجب أن يكون عليها القادةُ والزعماء .

لقد اعتذر شوقي بإحدى قصائده للخديوي عباس عن عدم صُحبته في تأدية فريضة الحج ، وإذا أسقطنا بِضْعة أبياتٍ منها تتحدَّث في العلاقة المباشرة بين الشاعر والخديوي خَلَصَتِ القصيدة إلى جملة من المعاني التي تمسُّ حياة الشعوب ، وتُثير حماسها ، وتَشحَذ همتها .

يخاطبُ شوقي الخديوي ، ويطلبُ منه أن يناجيَ الرّسول الكريم ﷺ حين يقف على قبره :

فَقُلْ لِرسولِ الله : يا خيرَ مُرسَلٍ ‏ ‏ ‏ أَبُثُّكَ ما تَدْري مِنَ الحَسَراتِ
شُعوبُكَ في شَرْقِ البلادِ وغَرْبِها ‏ ‏ ‏ كَأصحابِ كَهْفٍ في عميقِ سُباتِ
بِأَيْديهِمُ نُورانِ : ذِكْرٌ وسُنَّةٌ ‏ ‏ ‏ فَما با لُهُم في حالِكِ الظُّلماتِ ؟
وَذَلِكَ ماضي مَجْدِهم وفَخارِهمْ ‏ ‏ ‏ فما ضَرَّهُمْ لو يَعْمَلونَ لآتِ ؟

فالحادثة تَتَخلّفُ ، والشِّعر الذي يخصُّها يتخلّف ، ويبقى في هذا المدح معنًى من المعاني الرَّفيعة التي نَتطلّع إليها ، وشيءٌ من الجمال الفنّي الخالص نُعنى به ونتذوَّقُه .

(١) خليل مطران : كيفَ ينظم شعراؤنا ، سلسلة بحوث كتبها في المجلة المصرية من الجزء الحادي عشر في ٢١ مارس ١٩٠٦ إلى الجزء الثامن عشر الصادر في يونيو ١٩٠٩ .

ولاشك في أن شوقي كان يحسُّ ثقل وَطأةِ قيود القصر على فنّه الشّعري ، وأنها تحول بينه وبين الانطلاق والتّجديد الذي كان يَصبو إليه ؛ فاتّجه إلى أبوابٍ لا تُخضعه لطائلة السّلطان ، وافتتح في شِعرنا الحديث الحكاية الرّمزيةَ على لسان الحيوان ، ومدَّ شعرَه إلى آفاقِ التّاريخ والإسلام .

وقد ذاعت شهرةُ شوقي في الشعر ، وبَعُد صيته ؛ مِمّا أتاح له أن يمثّل مصر في مؤتمر جنيف للمستشرقين عام ١٨٩٤ ، ويُلقِيَ فيه قصيدتَه « كبار الحوادث في وادي النيل » التي مطلعها :

هَمَتِ الفُلْكُ ، وَاحتَواها الماءُ وَحَداها بِمَنْ تُقِلُّ الرَّجاءُ

وهي تُعَدُّ من المطوّلات الشّعرية ؛ إذ بلغتْ عِدّةُ أبياتها واحداً وتسعين ومائتي بيتٍ ، استوحى فيها تاريخَ مصرَ ، وسجّلَ أحداثَها البارزة .

ثم ما لبثتِ الأيامُ أن انتزعت شوقي من هذه الحياة النّاعمة المترفة انتزاعاً ، وطوّحت به في غربةٍ قاسية عنيفة ؛ فقد شبّتِ الحرب العالمية الأولى ، وكان الخديوي عباس في تركيا ، فمنعه الإنجليز من العودة ، وأقاموا مكانَه السّلطان حسين كامل ، وتتبّعوا حاشيتَه نفياً وتشريداً ، وكان من بينها شاعرُنا الذي آثر أن تكون برشلونة الأندلس منفاه .

وخرج الشّاعر من مصرَ محزونَ الفؤاد ، ضيّق الصدر ، وعكف في منفاه على قراءة الأدب العربيِّ قراءةً فاحصةً ، ودراسة اللغة العربية دراسةً متعمّقة . وأضرم المنفى في نفسه حنيناً طاغياً إلى الوطن ، وأشعلتِ الغربةُ أشواقَه ، وأهاجت ذكرياتِه ؛ فكان أن غَنِمَ الشّعر العربي أندلسياتِه الرّائعةَ .

ولما وضعت الحرب أوزارها عام ١٩١٩ عاد شوقي من منفاه ، فوجد أرضَ مصر تمور بالثّورة الوطنية ، ورأى الشباب يستهين برصاص المستعمر الغاصب ، ويَخْضِب أرضها بدمائه الطاهرة في سبيل الحياة الحرة الكريمة ، و وجد شوقي نفسَه حرًّا طليقاً من قيود القصر ؛ فواجه مسئولياتِه الفنية والوطنية والقومية ، وراح يتغنّى بشعره عواطفَ قومه ، ويشيد بآمالهم وأحلامهم . وهو لا يتغنّى عواطف المصريين وحدهم ، وإنّما يمتدُّ غناؤه فيشملُ الوطن العربيَّ بأسره ، ويصوغ ما يمتلىء به الوِجْدان العربيُّ العامُّ :

كانَ شِعري الغِناءَ في فَرحِ الشَّر قِ ، وكانَ العزاءَ في أحْزانِه
قَدْ قَضى اللهُ أن يُؤَلِّفَنا الجُـر حُ ، وَأنْ نَلتَقي عَلى أشْجانِه

وبذلك أسهم شوقي في تكوين الوِجْدان العربيِّ العام ، الذي احتشدَ ذات يوم من أيّام عام ١٩٢٧ لِيُبايعه بإمارة الشّعر في الأقطار العربية كلّها ؛ تمجيداً لشاعريته ، وإشادةً بعبقريته وتفرّده ، وليعلنَ حافظ إبراهيم هذه المبايعةَ :

أميرَ القَوافي ، قَدْ أَتَيتُ مُبايعاً وهَذي وفودُ الشّرقِ قَدْ بايَعتْ مَعي

أطوار شعره :

وانطلاقاً من ذلك يمكنُ أن نُميزَ في شعر شوقي بين طورين :

الطور الأول — ويضمُّ شعرَه قبل المنفى وفي أثنائه . وقد تفتّحت فيه شاعريته مبشّرةً بعطاء سَخيٍّ وفير ، وتجديدٍ بَهيٍّ نضير ؛ ولكنَّ شاعرنا وُلد بباب الخديوي إسماعيل ، ونشأ وتربّى وسافر في بعثة إلى

فرنسا نِعْمةً من ابنه الخديوي توفيق ، ثم وجد نفسه وَجْهاً من وجوه القصر ، ولساناً من ألسنة السُّلطة في عهد عباس ، ينطق بما تريد ، ويضع فنَّه في خدمتها ، ويدور في فلكها ، ويتملَّق المشاعرَ العامة متى وجد إلى ذلك سبيلاً .

ولا شك في أن رَبَّة الشِّعر قد اكتأبتْ لذلك اكتئاباً شديداً ، وابتأسَتْ به ابتئاساً بالغاً ، ولا شك – أيضا – في أن شاعرنا قد أحسّ وهو يَحْجِلُ في قفص القصر بِوطأة القُيود التي تخنق فنَّه ، وأن عليه أن يجد المنفذَ ليتخلص من هذه الأغلال التي تَشُلُّ فاعليَّته ؛ فعكف على تجويد صناعته الشِّعرية ، واكتسب الفنُّ الشعريُّ من ذلك جمالاً ونُضرة ، وعذوبةً وانسياباً موسيقيًّا . كما اتجه إلى الحكاية على لسان الحيوان – وقد بدأ الصِّياغة في هذا الجنس الأدبي منذ كان طالباً في فرنسا – لِيتَّخذ منه وسيلةً فنية ، و واسطة تعبيرية ، يبثُّ من خلالها نوازِعه الأخلاقيَّة والاجتماعيَّة والوطنيَّة ، ويُندِّد بمواطن الضعف البشريِّ في القادة والزعماء كما في حكاية القرد والحمار ، ويوقظ الإحساس بين مواطنيه بمآسي الاستعمار وفظائعه ، ويثير سخطهم عليه ، كما في حكاية الدَّجاج والدِّيك الهنديِّ .

كما غنم الشعر العربي في هذا الطور الأندلسياتِ التي تغنَّى بها شوقي في منفاه ، حيث تحوَّل شعره تحولاً صريحاً نحو وطنه وشعبه وعروبته ، وراح يصوِّر قُروحَه النَّفسية في غربته ، ويوازن بين فردوسه المفقود وفردوس العرب الضائع في الأندلس .

فشوقي في هذا الطور قد استحدث جنساً جديداً في شعرنا العربي ، وطوَّر في أغراضه ، وعَمِل على صَقْل العبارة الشِّعرية وتطويعها للتعبير عن كثير من المجالات الجديدة في الحياة ؛ لكنَّ هذا كلَّه ظلَّ داخل الكيان الشِّعري العامِّ الموصولِ بالتُّراث . وهو جُهدٌ لا يتأتَّى لناقدٍ إنكارُه ، ولا يُجْحَدُ فضلُ شوقي فيه .

الطور الثَّاني – ويضمُّ شعرَ شوقي بعد عودته من منفاه . ولا شك في أن النفي الذي كان جحيماً لشوقي لا يُطاق – كان نعمةً سابغةً على الشعر العربي ؛ فقد أحسَّ شوقي أن القصر الذي كان سببَ نعمته هو – أيضا – سببُ بلائه ونقمته ؛ فعاد وقد انْفَصمتِ العلاقةُ بينه وبين القصر ، وتحرَّر من الولاء له ، وتحوَّل ، كما يقول طه حسين : « تحولاً خطيراً حقًّا ، لا نكادُ نعرف له نظيراً عند غيره من الشُّعراء الذين سبقوه إلى أدبنا العربيِّ – تحوَّل من ناحيتين خطيرتين : فأمَّا إحداهما فهي أن شعره التَّقليديَ قد تحرر من التَّقيُّد بظروف السياسة . والثانية هي أنه فجأة استكشفَ نفسه ، وإذا هو شاعرٌ قد خُلِق ليكون مجدِّداً ؛ فأقبل على التَّجديد في السنينَ الأخيرةِ من حياته ، فأدخل في اللغة العربية ، وفي الشعر العربي خاصة فنًّا جديداً لم يَسْبقه إليه أحدٌ ، وهو فنُّ الشعر التمثيليِّ . »[١]

عاد شوقي من منفاه فوجد أن هناك تغيُّراتٍ عميقةً قد حدثت في المناخ السياسي والاجتماعي في مصر وفي الأقطار العربية ، فكان لِزاماً عليه – في ظلِّ حريته التي استردَّها ، وفي ضوء هذه المتغيِّرات – أن يواجه مسئولياته .. ومن يومئذ أصبح شوقي شاعرَ الشَّعب المصري ، ومدَّ أجنحته – وكانت أجنحةً قوية – إلى سماء وطنِه العربي ، محلِّقاً في سماوات أمته العربية ؛ إذ تجمَّعتْ في صدره مشاعرها الوطنية وأحاسيسُها القومية .

---

(١) طه حسين : حافظ وشوقي . القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧٢ . ص ٣٥ .

وعلى هذا النَّحو عاش شوقي للعرب ، فلم يثُرْ شعبٌ عربيٌّ على مستعمريه إلا وكان شوقي معه ، يُجسِّد ألمه ، ويبعث ضياء الأمل القويّ في نفوس أبنائه .

وهذا ما لاحظه الدكتور محمد غنيمي هلال ، فقال : « إنَّ أحداً ممَّن عاصروه من الشُّعراء لم يضِقْ كضيقه بمأساة الشَّعب ، وهَضْم ِحقوق المواطنين . إن الوعي الاجتماعيّ في قضاياه المثلى بالوطن وقضاياه الكبرى لم يعرفه الشعب العربيُّ قبل شوقي في شعره المشبوب وعُمقه البعيد . » (١)

هذا من نحوٍ ، ومن نَحوٍ آخر وَجدَتْ بذور التَّجديد التي كانت أملاً يراود شوقي منذ كان طالباً في باريس – وَجَدتِ التُّربة صالحة فنَمتْ وأزهرت وآتت أكلها هذا الشِّعرَ المسرحيَّ ، الذي سَدَّ ثغرة كان يُعاب بها شعرُنا العربي .

وتقبَّلتِ البيئة الاجتماعية والأدبية شعره المسرحيَّ تقبُّلاً حسناً ؛ لأن شوقي استطاع أن يُلائمَ ملاءمة دقيقةً بارعةً بين شعرنا الغنائيِّ وهذا اللون الوافِد ، بحيثُ نرى فيه نفسَ المتاع الفنيِّ الذي أَلِفْناه من حرارة العاطفة ، وجمال التعبير ، ودِقَّة الصياغة ، وروعةِ الموسيقى ، كما سنرى فيما بعد .

مذهبه الشعري :

يتمثَّل مذهبه الشِّعريُّ فيما أعلنه في مقدمة ديوانه بقوله : « طلبتُ العلم في أوربا ؛ فرأيتُ فيها نورَ السبيل من أول يوم ، وعلمتُ أني مسئول عن تلك الهِبَة التي يُؤتيها الله ولا يؤتيها سواه ، وإني لا أؤدِّي شكرَها حتى أشاطرَ الناس خيراتِها التي لا تُحدّ ولا تنفد ، وإذا كنتُ أعتقد أن الأوهام إذا تمكنَتْ من أمة كانت لباغي إبادتها كالأفعوان ، لا يُطاق لِقاؤه ، ويُؤخَذ بِأطراف البَنان . » (٢)

فشوقي يحسُّ إحساساً عميقاً بما ينبغي أن يؤدِّيه اتصالُنا بالحضارة الأوربية ، وثقافتها المتنوعة من تجديد في حياتنا الأدبية ، وأن الله وقد منحه هِبةَ الشعر ، وهيّأ له الاغترافَ من مناهل الثقافة الأوربية – أناط به مسئوليةَ التَّجديد ؛ ولكن لِكيْ يواجهَ هذه المسئولية الفنية ، وينهضَ بأعبائها – عليه أن يحسن التَّأتِّيَ لها ، وأن يناوِشَ الجمود المتمكِّن في حياتنا بِصفة عامة ، وفي حياتنا الأدبية بِصفة خاصة ، بِطُرقٍ غير سافرة ، حتى يزيلَه عن مقعده ، ويبلغَ من الأهداف ما يريد .

فشوقي – إذاً – يُدرك مسئوليته الفنيةَ في تجديد حياتنا الأدبية ، ويدركُ – أيضا – أن البيئةَ الأدبية والاجتماعية غيرُ مهيَّأة لِتقبُّل هذا التجديد دفعة واحدة ، خاصَّةً وأنَّ له تجربةً سابقة مع هذه البيئة حين أصدر فيما بين عامي ١٨٩٧–١٩٠٠ رواياتِه النثرية (عذراء الهند – ورقة الآس – لادِياس – شيطان بنتاءور) فلم تُحسِنِ استقبالها ؛ وإنما ازورَّت عنها ازوراراً شديداً ، ونالتْهُ بكثير من العَنَتِ والتَّجريح . ومن ثَمَّ كان تجديده موصولاً بالتُّراث الشعريِّ .

وما إن أصاب الحياةَ الأدبية والاجتماعية شيءٌ من التغير بفعل الحرب والثورات وأصبحت مهيأة لتقبُّل بعض ألوانٍ من التجديد حتى أقدمَ شوقي على استحداث أجناسٍ فنية جديدة على أدبنا العربي ؛ لأن شوقي خُلق ليكون مجدِّداً على حدِّ تعبير طه حسين . ومع ذلك لم يَخرج عن العمود الشِّعري الذي تعارف عليه النُّقاد العربُ منذ قديم ، فظلَّ محتفِظاً للقصيدة بتقاليدها العبَّاسية من وحدة الوزن

(١) محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن . ط ٥ بيروت دار الثقافة ودار العودة ، د . ت . ص ٢١٥ .
(٢) أحمد شوقي : الشوقيات . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٦ .

والقافية ، ومن جزالة الأسلوب ورَصانته ، وبُعْدٍ عن التّكلف المقيت لألوان البديع . كما اعتمد في تصويره على الصُّور المركّبة حيناً ، والممتدّة حيناً آخر ، والجزئية أحياناً ؛ ولكنه عرَف كيف يستفيد من كنوز التّشبيهات والاستعارات القديمةِ ، ويُضفي عليها من ذاتِ نفسه ومن ثقافتِه ما يُكسبُها جِدّةً وطرافة ، وخصوبةً وحيوية ، وعرف كيف يَعتَصِرُ من الألفاظ والأساليب خيرَ ما فيها من ألحان ، يُسعفه في ذلك حسٌّ لغويٌّ مرهَف ، وفِطرةٌ موسيقية تقيسُ ذَبْذباتِ الحروف والحركاتِ ، وتآلفَ النغم في الألفاظ والكلمات .

ولا نغلو إذا قلنا : إن شعر شوقي – بصورةٍ عامة – يؤلّفُ أرقَّ وأروعَ ألحانٍ عرفتْها العربيةُ في عصرنا الحديث .

صورته الجسمية والنفسية :

يحسن بنا قبل أن نَدلِف إلى عالم شوقي المسرحيّ أن نستأني قليلاً عند ملامحه الجسمية والنّفسية ؛ كي تكتمل لنا صورتُه بأبعادها المختلفة :

حين نقرأ الصّورة التي رسمها له الشيخُ عبد العزيز البشري – ونقلها شوقي ضيف – نراه رجلاً ممتلئ الجسم ، أميلَ إلى القِصَر منه إلى الطول ، مستديرَ الرأس ، مرتفعَ الجبهة ، كثّ الحاجِبَيْنِ ، مُخْتَلجَ العينَيْن « كأنّما أرادتْ ربّة الشعر أن تميزه في خَلْقه كما ميزتْه في أصوله وبيئته ؛ فأصابَتْ عينَيْهِ منذ ولادته باختلالٍ عصبيٍّ ، جعلهما كالزِّئبق الرَّجراج ، تتألقان وتتنقلان ، وقلّما تَرتكِزان أو تستقِرّان على بسيطٍ من الأرض ، بل دائما تصعدانِ في رُقعة السّماء ، ولا يكاد يلتفت بهما ذات اليمين حتى تَردّانِه إلى ذات الشّمال ، وكأنهما مشدودتان إلى عالَمٍ خفيٍّ زاخر بالرُّؤى والأحلام .»[١]

وهو « قطعةٌ من الحبّ والرحمة ، مفرطٌ في حب نفسه ، شديدُ الوَلع بها . مفرط في حبّ بنيه ، شديد الوَلع بهم . وإنه – بعد ذلك – لشديدُ الرِّقّةِ للناس جميعاً . أضعفه الحبُّ ، وفَلّ من عَزْمه ؛ فلا يستطيع أن يَشْهدَ مشهداً مؤلماً ، ولا يستطيع أن يسمعَ قصة حزينة ، ولو عرَض لِسَمعه أو لبصره شيءٌ من هذا لَوَلّى منه فِراراً ، ومُلِئ منه رعباً .»[٢]

وكان شوقي في أول حياته مقبلاً على مُتع الحياة ، مسرفاً على نفسه ما شاء له الشبابُ والجاه والمال ، يتشبّه بأبي نواس حتى اتّخذ لنفسه داراً سمّاها « كَرْمَة ابن هانئ » ، وإلى جانب ذلك كان عميقَ الإيمان بالله ، قويَّ الأمل في رحمته ومغفرته وصَفْحِه عمّا اقترفَ من ذنوب ، وارتكب من آثام . يقول :

إنْ جَلَّ ذَنْبي عن الغُفرانِ لي أمَلٌ ... في اللهِ يَجعلُني في خَيْرِ مُعتَصَمِ

ولعله في هذا يرنو إلى قول أبي نواس :

يا كبيرَ الذّنب ، عَفْوُ ... اللهِ مِنْ ذَنْبِكَ أكبَرْ

---

(١) شوقي ضيف : فصول في الشعر ونقده . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ . ص ٣٣١ .

(٢) عبد العزيز البشري : في المرآة . القاهرة ، ١٩٢٧ . ص ٤٨ .

ولذلك نراه في أخريات أيامه يَصدِفُ عن هذه اللذات جميعها ، ولا يبقى له إلا الاستمتاعُ بالغناء .

وكان شوقي شديدَ الحياء ، ينفِرُ من الدُّخول في زَحمة النّاس ، ولا ينطلق لسانُه بالحديث في المجالس العامة ؛ مما جعله مستمعاً في هذه المجالس أكثرَ منه محدِّثاً متحاوِراً ؛ بل كان يغلبُ عليه الصّمت حتى يُخيَّلَ إلى جُلّاسِه أنه ليس معهم ، أو كأنّه يتحدث إلى عالم الأشباح ، أو يتحدَّث إلى نفسه ، ومن ثَمَّ كان لا يستطيع مواجَهة الجماهير ، ويَكِلُ إنشادَ قصائِده إلى سواه ؛ لأن لسانَه لا يُسعفه بجودة النُّطق وحُسْن الإلقاء .

وكان على جانبٍ كبير من الرقة والوداعة ، لا يَستفِزُّه الغضب ، ولا يميل إلى العُنف ، ولا يُكثر من الشكوى إن نزل بساحته خَطْب ، أو ألمت به نازلة ؛ بل يصبر ويتجلّد ، حتى يُرِيَ الشّامتين أنه لريْبِ الدهر لا يتضعضَعُ كما قال شاعرنا العربيُّ القديم . ولعل أوجَعَ ما شكا منه حِرمانُه من وطنه في حين أنه للأغراب حِمًى مُستباح :

أَ حَـرامٌ على بَلابِلِـهِ الـدَّوْ حُ حَلالٌ لِلطَّيرِ مِنْ كلِّ جِنْسِ ؟

وشُكرُه للسَّفينة التي أقلّتْه منَ الوطن إلى منفاه ؛ لأنها أراحَتْهُ مِنْ رؤية وجوه المنافقين الكالحة ، الذين تنكَّروا له ، وأسفرَتْ أعمالُهم ومواقفهم عن ضمائرَ ميتةٍ بشعة ، ونفوسٍ موتورة حاقدة :

شَكَرْتُ الفلكَ يومَ حَوْيتِ رحـ ـلي ، فيا لَمفارِقٍ شكرَ الغُرابا !

فأنتِ أرحتِنـي مـن كلِّ أنـفٍ كأنفِ الميْتِ فـي النَّزْعِ انْتصابـا

ومَنْظـرِ كـلِّ خـوّانٍ يَرانـــي بِوَجـهٍ كَالبَغِـيِّ رَمـى النِّقابـا

وكان شوقي عظيمَ الاعتداد بشعره ، يرى أنه بَذَّ المتنبي وفاقَه في بعض أغراض شِعره :

وَلِي دُرَرُ الأَخْلاقِ في المَدْحِ وَالهَوى وِلِلْمُتَنَبِّـــي دُرَّةٌ وحَصَـــــاةُ

كما أنه كان قويَّ الشُّعور بعظمة الشّاعر وتفرُّده ، واكتمالِ صفات الإنسانية فيه ، فهو أرفعُ الناس قدراً ، وأعلاهم منزلةً :

جاذَبَتْني ثَوْبي العَصِيَّ وقا لَتْ : أنتمُ النّاسُ أَيُّها الشُّعراءُ !

ومن ثم كان يضيق ذَرْعاً بالنقد الذي يُظهِر عيوبَ شعره ، ويَنْفِرُ منه نفوراً شديداً ، في حين تَهَشُّ نفسُه للإطراء ، ويبتهجُ قلبُه للثّناء .

ظلَّ شوقي يعزف على قيثارة الشِّعر حتى سقطتْ من يده في ليلة الرابعَ عشرَ من شهر أكتوبر عام ١٩٣٢ ، فلبّى نداءَ ربه ، مخلِّفا تُراثَه الفنّيَّ الخالد هِبَةً باقيةً للأمة العربية على مرِّ الزمن .

مسلمات :

قَبل إبحارنا في خِضَمِّ مسرحيات شوقي هذه المنشورة – ينبغي لنا أن نُقرر أموراً :

أولها – أنَّ هناك أوّليّاتٍ لهذا الشعر المسرحيِّ سبقت ما أذاعه شوقي في النّاس ، ولعل أنضجَ هذه الأوّليات فنّيًّا هو تمثيلية « مروءة و وفاء » للشيخ إبراهيم اليازجيِّ ، فقد كان شاعراً مُجيداً من شعراء

الإحياء ؛ ولكن التّاريخ الأدبيّ لم يتوقفْ كثيراً عند هذه الأوليات ، ولم يَعُدَّها تأصيلاً لهذا المسرح الشعريّ في أدبنا العربي ؛ وإنما عدَّها إرهاصاً يَشي بما بَعده ، وقَطْراً يُبشّر بالغيث العميم . ولعلَّ هذا هو ما يعنيه أستاذُنا الدكتور طه حسين حين قرر أن شوقي قد ابتدع في شعرنا العربي هذا الفنَّ التمثيلي الذي لم يُسبق إليه .

ولا شكَّ في أن شوقي وقد أتيح له أن يُعايشَ المسرح الأوربيَّ عن كَثَبٍ ، وأن ينهلَ من تلك الثّقافة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً – لا شك في أنه قد راودَتْهُ فكرةُ أن ينشئ شعراً مسرحيًّا ، يَسُدُّ به الثُّغرة التي كان يُعاب بها شعرنا العربي ، ومن ثم كانت مسرحيتُه التي كتبها في أثناء بعثته (علي بك الكبير أو فيما هو دولة المماليك في مصر) ولكنه كتمها ولم يُذِعها بين الناس ؛ لأن المناخ الأدبيّ والاجتماعي لم يكن مهيأً لأن يتقبَّل هذا الجديد الذي لم يألفْه في يُسر ، وخاصة أن له مع هذا المناخ تجربةً سابقة كما أسلفنا .

والأمر الثاني يتولَّد عن هذا الأوّلِ ، وينتجُ عنه ؛ وهو أن بعض الباحثين راحوا يُجهدون أنفسهم ، ويَستنفِدون طاقتهم في البحث عن مدى احتذاء شوقي لشعراء المسرح الأوربيِّين وخاصة شكسبير ، وعقدوا موازناتٍ بين « مجنون ليلى » و « روميو وجولييت » ، وبين « مصرع كليوباترا » عند الشّاعرَيْن، ولم يكن هذا في باب الأدبَ المقارَن ، فذلك أمرٌ واجب مرغوب ؛ وإنما كان من باب سَلْبِ الفضل عن أربابه .

والواقع أن الإبداع الفنّي ليس معناه اختراعَ شيءٍ من الفراغ ، أو إيجادَه من العدم ؛ وإنما هو يتمُّ في داخل نطاقٍ معيَّنٍ ، فلا بد من مِثال يَبْني عليه المنشِئ ، وعناصرَ يُضيف إليها المبدِع ؛ لتخرجَ الفكرةُ في النِّهاية في معرِض جديد جديرٍ بإعجاب الناس وتقديرهم . فإذا رأيتَ أديباً عظيماً فاعلمْ أنه وَعى خيرَ ما عند الأسلاف ؛ فالرِّجال العظماء لا يهبطون من السماء كما تهبِط الملائكة ، ولا يَنجُمون من الأرض كما يَنجُم النبات ؛ وإنما يأخذون عن أصلهم ما يَسيغونه ويتمثَّلونه تمثُّلاً دقيقاً ، ويُضيفون إليه من ذكائهم وشخصيتهم ما يُخرجه خَلْقاً جديداً ، مُحكمَ النسج ، متألِّق العبارة .

فالشاعر المبدِع مهما أجهَد نفسَه في خَلْقِ كيان أدبي متفرِّد فلن يكون هذا الكيان غيرَ انبثاقٍ من مجموع قراءاته وخبراته ، وطول معاناته وتأمُّله فيما أنتجه كبارُ الأدباء والمفكرين الذين سبقوه .

وقد استطاع شوقي – في براعة واقتدار – أن يعرِّب الشّعر التّمثيلي تعريباً كاملاً ، ويلائم ملاءمة دقيقةً مُبْصرة بين أصوله ومناهجه الغربية وظروف الجمهور العربي وتُراثه . ومن ثم لم يلتزم مذهباً معيَّناً من مذاهب الغربيِّين ؛ وإنما أخذ من كلِّ مذهب ما ينسجم والمناخ الأدبيَّ العربيَّ ، ولم يقطع الصِّلة بين القديم الذي غذّاه وأنشأه ، وبين الجديد الذي يَصبو إليه ، وجعلَ مهمة الجديدِ أن يُعيدَ بثَّ الحياة في ذلك القديم ، ويمنحَه القوة والفاعليَّة .. فالقديمُ وحده جمودٌ وموتٌ ، والجديدُ وحده عجزٌ وحرمانٌ ، وأما الحياةُ النَّفسية الواعيةُ فهي نتيجةُ التَّفاعل والتَّمازج بين القديم والجديد .

وأما الأمر الثالثُ فهو أن الكتابة المسرحية هي أشقُّ ألوان الكتابة الأدبية ؛ لما تتطلّبه من حدَثٍ يعمل الكاتبُ على تنميته وتطويره ، ومن شخصياتٍ يرسمها في دقة تحدِّد معالمها ، وتوضِّح قسماتها ، ويستقلُّ كلٌّ منها بوجود ذاتيٍّ له ما يبرره ؛ ولكنه لا يبيح عَزْل كلِّ شخصية عن غيرها ؛ إذ لا بدَّ لهذه الشّخصياتِ أن تؤلِّف فيما بينها مجموعةً مختارة ، تمثِّل قُوًى متشابكة متناقضة ، وفي هذا

التّشابك والتّناقض الحيويّ تبدو وحدتُها العميقة في تسيير مجرى الأحداث . ومن تجليةٍ للصّراع الذي يمور في موقف الشّخصية الباطنيّ مع نفسها ، أو في علاقتها بالكائنات الأخرى ؛ إذ إنّ هذا الصراعَ هو المظهر المعنويّ للمسرحية ، أما مظهرها الماديّ فهو اللغة ، التي ينبغي أن تكون شفّافةً غيرَ كثيفة ، تضيء المعنى ولا تطمِسه ، لا غرابة في ألفاظها ، ولا تعقيد في تراكيبها ، ولا خطابة في لهجتها .

وأعسَرُ ألوانِ هذه الكتابة المسرحية هو الشّعر المسرحيّ ؛ لأنه ينبغي أن يمضي في دائرتين : دائرةِ الشعر ودائرةِ المسرح ؛ فلا بد للشاعر المسرحيّ أن يكون متفوّقًا في شعره ، خبيراً بِفنّيات المسرح وآليّاته. وكثيرٌ من المسرحيات الشّعرية سقطتْ لأنّ أصحابها لم يكونوا شعراءَ مبرّزين في فنهم الشّعري على الرّغم من دِرايتهم المسرحية ، والعكسُ من ذلك فقد سقطت مسرحيات كتبها شعراءُ مجيدون لكنْ لا خبرة لهم بفن المسرح وتَقْنِياته . ولا يعرفُ الشّعرُ العربيُّ شاعراً انعقد له لواءُ التّفوق الشّعري كما انعقد لشوقي مع خِبرته ودرايته بفنّ المسرح الذي شُغف به في أوربا شَغفاً بالغًا . ومسرحيّاتُه تمثّل قِمةَ نُضجه الشّعري ؛ ومن ثمّ كانت لها هذه الرّيادة التي خرج من عباءتها كلُّ شعرٍ مسرحيٍّ جاء بعدَها ، سواء في ذلك الشّعرُ الذي سار على نهجها ، واقتفى خطواتِها ، أو الشّعرُ الذي خرج عليها ، وطوّر فنه بما يتّسق وما جدّ في المناخ الأدبيّ من مُقْتضيات .

المصادر :

لعل أول ما ينبغي أن نبحثَ عنه في هذه المسرحياتِ الأربعِ المنشورة – هو المصادرُ التي امتاح منها شوقي المادةَ الأوّلية لهذه المسرحيات ، وهي مصدران : فقد امتاح شوقي المادة الأوّلية لمسرحيتي « مجنون ليلى » و « عنترة » من التّراث الشّعبي العربيّ ، في حين امتاح مادة مسرحيتي « مصرع كليوپاترا » و « قمبيز » من التّاريخ المصريّ القديم .

واقتباسُ المادة الأولية للمسرحية من الأحداثِ التاريخية أو من الحكايات المطروقة التي شاع خبرُها بين النّاس ، وتناقلتْها الأجيالُ – أمرٌ مفروغ منه بين المؤلّفين والقارئين والنّاظرين إلى حوادثها ومَشاهدها ، وشخوص أبطالها على مسرح التمثيل ؛ فلا ينتظرُ أحدٌ منهم أن يأتيه المؤلّف بتاريخٍ من عنده ، ولا يُحمد منه إذا جاء به مخترعاً اختراعاً ، ملفّقًا تلفيقاً ، منقطعَ السّند في جملته وتفصيله ؛ وإنما ينتظرون منه أن يعرِض عليهم شيئاً يعرفونه ، ولا يطالبونه بغير إتقانِ عرضه ، وإجادةِ ترتيبه ، وتهيئةِ المناظر والأقوال لإشباع ما عندهم من الشّوق والشّعور بالحادث المكتوبِ في صفحاته الصّامتة .

وأكبرُ الظن أن أقربَ المصادر التي استقى منها شوقي مادة مسرحية « مجنون ليلى » هو كتب الأدب ، مثل : كتاب « خزانة الأدب » للبغدادي ، و « مصارع العشاق » لأحمد بن حَجَلة المغربي، و « تزيين الأسواق » لداود الأنطاكي وكتاب « الأغاني » : فقد سَرَد الأصفهاني في كتابه جميع الأخبار التي ترامت إليه عن قيس وليلى ، مهما كان بينها من التّعارُض والتّناقض ، منذ القرن الأول – حين وقعتْ أحداثُ هذه القصة – حتى عصره هو في القرن الرابع . وإن كان الرجل قد أعفى نفسَه من إمكان الطّعن عليه في هذه الرّوايات المتناقضة ، وتبرأً من العهدة فيها ؛ إذ أن كثيراً من الأشعار التي يَنسبها إلى قيس قد ذكرَها آخرون لغيره ، كما أنّ حقيقة قيس وليلى ، وحقيقة قصة حبهما – هناك رواياتٌ تُثبت وجودَها وتؤكّده ، وأخرى تَنْفيه وتَجحده ؛ بل إننا – أحيانًا – نجد مصدر

الروايات المثبتة والنافية واحداً ، فقد سُئل الأصمعيُّ عن قيس فقال : لم يكن مجنوناً ، بل كانت به لوثةٌ أحدثها العِشق فيه . كان يَهوى امرأةً من قومه ، يقال لها : ليلى .. والأصمعيُّ نفسُه يقول في رواية أخرى : رجلان ما عُرِفا في الدنيا قَطُّ إلا باسم مجنون : مجنونِ بني عامر ، وابن القِرِّيَّة ، وإنما صنَعهما الرواة .(١)

ولا شك في أن شوقي حين وجد أمامه هذا الحَشْدَ المتعارض من الروايات انتقى منه ما يتلاءمُ بعضُه مع بعض ليسير في خطٍّ دراميٍّ واحد . وقد اعتورته في هذا الانتقاء صعوباتٌ شتّى ، وكان عليه أن ينفخ الرّوح في الأحداث ، وأن يبتدع من المواقف الاجتماعية ما تسمح به العاداتُ التي عاشت في كنَف الإسلام كما قال هو نفسه .(٢)

أما شخصيةُ عنترة فقد قدَّمها التُّراث الشعبي في صورة ممتعة حقًّا ، ولكن بعض الباحثين(٣) يَرَون أن شوقي لم يستثمر معطياتِ هذا التراث استثماراً جيداً ؛ فقد أغفلَ أو أهمل بعض المعطيات التي تُكسِب الشخصية بُعداً ، وتكسب الصراع عمقاً ؛ ولكنا نرى شوقي شاعراً فناناً ، تختلف رؤيته الفنية للتُّراث عن الرؤية الوثائقية ، فمِن حقّه أن يأخذ من سِمات الشخصية وأيّامها ما يأخذ ، ويَدَع ما يدع ، بشرط الوفاءِ بِمُقْتضيات الفن ومتطلَّباته . وقد آثر شوقي أن يصور الأيام الأخيرة في حياة الشّخصية ؛ لأنها أحفَلُها بالصِّراع ، حيث تكون تجربتها قد استَحْصَدَتْ ، وخبرتها قَدِ اسْتحكمَتْ ، فَقدَّم عنترة فارساً مغواراً ، وشاعراً مفلِقاً ، وعاشقاً متيَّماً ، ينتزع حريته من قبيلته انتزاعاً ، ويحقق أمنيته في الحب بسيفه ، ويَصُدُّ عن حرماته المناوئين والطامعين ، ولا تَضيره أقاويل الناس ما دام قد ظفر بطِلْبته :

لِيَقُـلِ السّامـرُ مـا قدْ شاءَ ، وليْهذِ النّـدي
وَلْتَقـم البيـدُ لِمـا نأتـي بـه وتقْعُـدِ
مـاذا يَهـمُّ بعدَ مـا قد صارَ كَنْزي في يَدِي

أمّا حين اقترب شوقي من التّاريخ الذي يُشغف به ، ويعدُّه أحد أبَوَيْنِ للشعر ، ثانيهما الطبيعة – فقدْ هالَهُ ما كتبه المؤرخون الرومان عن كليوباترا ، فقد كانت روما تنظر إليها على أنها عدوها اللدود، الذي اختطف حكامها العظماء : يوليوس قيصر ، ومارك أنطونيوس ، ومن ثم أشبَعها هؤلاء المؤرخون – في ذلك العصر – تجريحاً وتشهيراً ، وصوّروها في صورة مشوَّهة منفِّرة ، لا سموَّ في مقصد ، ولا نَبالةَ في محتِد ؛ وإنما هي أنثى تملكتها غريزتُها ؛ فأضحت أسيرةَ نوازعها ، لا تحفلُ بمجدٍ ، ولا تهتمُّ بِمُلك ، وأحاطوها بِجوٍّ ظنينٍ لا خير فيه ، ولا جدوى منه . فوجد شوقي نفسَه مرغماً على أن يدفَع عن هذه الملكة المصرية ما أصابها من ظلم ، وما وقع على تاريخها من حَيْفٍ ، خاصة وأن بعضَ أوراق التاريخ أخذت تتكشّفُ حيناً بعد حين فتردُّ للملكة بعضَ اعتبارها .

ولكنْ يبدو أن شوقي في غمرة تحمُّسه لإزالة ما عَلِقَ بالملكة من وَصْمَةٍ – رسم لها صورةً فيها كثيرٌ من السّذاجة والاضطراب كما يقول الدكتور محمد غنيمي هلال(٤) ، ولا نود أن نشقّ على

---

(١) شوقي ضيف : العصر الإسلامي . القاهرة ، دار المعارف . ص ٣٥٨ . وابنُ القِرِّيَّة يقال : هو أيوب بن زيد ، ت ٣٠٧ هـ .

(٢) طاهر الطناحي : شوقي وحافظ . كتاب الهلال ، العدد ١٩٤ مايو ١٩٦٧ ص ٤٣ ، ٤٤

(٣) أنس داود : الأسطورة في الشعر العربي الحديث . طرابلس ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ، د . ت . ص ٤٢٢ وما بعدها .

(٤) محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن . ط ٥ بيروت ، دار الثقافة ودار العودة ، د . ت . ص ٣٥٦ وما بعدها .

القارئ بكثرة الاستشهاد من المسرحية ، وحسبُنا أن نشير إلى الموقف الذي افتتح به شوقي المسرحية ، حيث صوَّر كليوباترا شخصيةً ذات ثقافة عالية ، وفكرٍ واعٍ مستنير ، تمتلكُ في قصرها مكتبةً زاخرة بأمهات الكتب ، تختلف إليها ، وتقضي بها أوقاتاً طيبةً ، وتنسى بين صفحات الكتب كلَّ آلامها ، وتتذوق معها كلَّ مسراتها . وجعلَها تسعى إلى المكتبة صباحَ انسحابِها من معركة أكتيوم كدأبها في كل يوم ، وجعلَها تعيش حين تناهى إليها صوتُ الشعب يهتف للنصر الذي حقَّقه الأسطول المصري في موقعة أكتيوم ، وينشد النشيد :

يَومُنا فـي أكتِيُومـا ذِكرُه في الأرْض سارْ

هذا النَّشيد الذي كان موضعَ تعليقاتِ أمناء المكتبة ، وسُخريتهم اللاذعة من جماهير الشعب ، ومن الحكّام الذين يُصوِّرون لها الهزيمة نصراً ، وذلك قبل أن تسعى إليهم الملكة :

أثَّـر البُهتـانُ فيـه وَانْطلـى الـزُّورُ عليـهِ
يا لَـهُ مِـنْ بَبَّغاءٍ عَقْلُـه فـي أذُنَيْـهِ !

كما يذكرون في تعليقاتهم أنَّ عودة الأسطول المصريِّ لم تكن عودةَ الظافر ، بل عودة المنهزم ، ويذكرون أن السُّفن حين أصبح الصَّباح زُيِّنتْ بالأعلام ، وكانت في المساء قد تسلَّلت إلى الشاطئ ، ولم يُسمَع لجندي هتافٌ ، ولا لمبشِّر نداء !

ويجعلُ شوقي الملكة تسأل عن سرِّ تجمُّع الجماهير :

لَيْت شِعْري ! ألخيرٍ تجمَّعوا أم لِشَرّ ؟

فهي تخشى أن يكون ذلك الصَّوتُ صوتَ الثائرين ؛ ولكنها تطمئن بعض الاطمئنان حين تعلم أنهم يحتفلون بنصرٍ مزعوم ، فذلك أقلُّ خطراً ، وأخفُّ ضرراً .

وغريبٌ أن تتجاهل الملكة ما دار من أحداث ، وتبيتَ ليلتها مغمضة العين ، وكان المتوقع أن تبيتها مؤرَّقة مسهدة ، تتوجَّس خيفة مما قد يُحاك حولها من دسائس ، وما قد يُدبَّر لها من مكائد ، وأن تبُثَّ عيونها لتعرف وقع هذه العودة في نفوس الجماهير ، وأن تتوقَّع أن هذه العودة تثير آلاف الأسئلة على أفواهها ، لا أن تنام مِلْءَ جفونها ، ثم تصبح فتغدو إلى المكتبة كعادتها ، تاركة الوصيفة شرميون تمنح نفسها من الحقوق ما لا يكون إلا حين يكون ربُّ القصر ضعيفَ الشَّخصية ، فاترَ الهمة . ثم يجعلها شوقي تبرِّر لخاصَّتها سبب انسحابها من المعركة الفاصلة التي يتوقَّف عليها مصيرُ الوطن ، وهو تبرير قد لا يُقنع الكثيرين ؛ لأنه لا يستند إلى حصافةِ رأيٍ ، ولا إلى تدبيرٍ وطنيٍّ سليم .

واستقى شوقي قمبيزَ من التاريخ المصري القديم ، من فترةٍ تضطربُ وقائعُها اضطراباً شديداً ، وتتلفَّعُ شخوصُها بقدرٍ غير قليل من الغموض والإبهام ؛ إذ لم يُتح لهذا التاريخ القديم من التَّمحيص العلمي الدقيق ما يجلو وقائعَه ، ويكشف غوامضَه ؛ ولكن الشاعر بِحِسِّه المرهف استطاع أن يَسْتَكْنِه الوقائع ، ويغوص في أعماق الشَّخصيات ، وينتقي منها ما يخدم خَطَّه الدَّراميَّ ، ويحقِّق غايته ؛ ومن ثم توسَّعَ في الأخذ عن هذه الصَّحائف التاريخية ، ولجأ إلى رواية بعض الكهنة المصريين عن أسباب غزو قمبيز لمصر ، وهي روايةٌ تكاد تكون لوناً من الخيال الشَّعبي وأساطيره ، تلك التي تقولُ : إن سبب الغزو رفضُ

بنتِ فرعون الزواج من قمبيز ، وخداعُه بتزويجه من بنت الفرعون المقتول .. متجاوزاً بذلك السببَ التاريخي ، وهو الصِّراع بين الفرس واليونان ، وحرصُ كل منهما على الاستيلاء على مصر لما في ذلك من دَعْمٍ وتقوية لها وإضعافٍ للأخرى .

وهنا قضيةٌ تطرح نفسَها ، وتفرضُ مناقشتها ، وهي : الفرقُ بين المؤرِّخ والشّاعر أو الفرقُ بين الرؤية الفنِّية للتاريخ والرؤية الوثائقيِّة له ، وهو ذاتُ الفرق بين الرؤية الفنِّية للواقع والرُّؤية الفوتوغرافية له .

الأولى تُنبئ عن وجهة نظر ، وعن تدخُّلِ ذات الشاعر في اختيار الوقائع والأشخاص ، وإبراز الدِّلالات سواء في التاريخ أو في الواقع ، في حين تنبئ الثّانية عن التّقيُّد بما ترى ، تنقُله فحسب منظوماً أو منثوراً ، وهي بذلك لا تزيد عن الكتب والحفريّات التّاريخية ، وعن المصوِّرة الفوتوغرافية التي تنقل ما أمامها دونَما انتخابٍ أو وجهة نظر . فالمؤرِّخ مشدودٌ بالبينات والوثائق لا يستطيعُ تجاوزَها ، ولا تَخَطِّي حدودها ، لكن الشّاعر يتناول قضايا كليَّةً عامة ، ويتَّخذ التاريخَ وسيلةً وذريعةً .

وليس معنى ذلك أن الشّاعر حين يستوحي التاريخ له الحقُّ في أن يخرج عن حقائقه ويتناساها ؛ ولكن له الحقّ في أن يتحرّى الجوانب التي تخدم رؤيته ، وأن يُعمِل الخيال في ابتداع الشّخصيات غير الأساسية وكذلك الأحداث ، يمتزجُ كل ذلك بشيء من التّاريخ ، يقوم على الفهم العامّ لروح العصر الذي يستقي منه مادته ، ولطبيعة ناسِه ؛ فالمسرحيةُ التّاريخية تقوم على استيحاء التاريخ ، والتزامِ الصِّدق في التّعبير عن طبيعة الزّمان والمكان ، دون تشويه للحقائق الكبرى ، والأحداث الهامة .

إن الفنَّ انتقاءٌ واختيارٌ ، وللفنّان الحقُّ في أن ينتقيَ من الوقائع التاريخية والشّخصيات ما يستطيع توظيفَه في عملٍ فنيٍّ له دلالةٌ معاصِرة .

وكذلك موقفُه من الحكايات الشّعبية : إنه داخلَ إطارها الكليِّ يحوِّر ويبدِّلُ في الشّخوص والأحداث لِيبَثَّ دلالةً معاصرة – فهو – أساساً – لا يعرض التاريخ ، ولا يعرض الحكاياتِ الشعبية ؛ ولِكن يعرِض دلالة معاصرة متوسِّلاً بهما . فالشّاعر يلجأ إلى التُّراث لا ليلتقطِ أحداثاً بِرُمَّتها ، ولا يكون له فضلٌ في تقديمها غير الصِّياغة والتّنسيق ؛ بل ليعيد النظر إلى التُّراث ، إلى الواقع الإنسانيِّ لأمته ، ورصيدها الحضاريِّ من خلال هذا التُّراث ؛ بحيث يكتشف عناصر الاستمرار في شخصيتها ، وعوامل التّأخُّر في حياتها ؛ ولذلك يصطنع من الشّخصيات والأحداث ما يكون في مستوى الرُّموز التي تشِفُّ عن أكثر من معنى في تناغُمٍ وتواصُلٍ ، يصلُ بالعمل الفني إلى وحدته المتكاملة ، وإلى تأثيره في نفوس مُتلقّيه .

وما نظن أن شوقي حين قصدَ إلى التُّراث – شعبيا أو تاريخيا يستوحيه مسرحياتِه – هدَفَ إلى مجرد إحياءِ ذلك التراث وتقديمه للأبصار ؛ وإنما قصد إلى غَرْبلةٍ بذور الموت من بذور الحياة في ذلك التُّراث ، وإتاحة الفرصة أمام بذورِ الحياة لكي تنمو وتزهر .

فهل وفِّقَ شوقي في توظيفِ ما امتاحه من التراث في بناء مسرحياته بناءً متكاملاً ، يجعلُ منها وثيقةً نفسيةً للعقلية المصرية والعقلية العربية ، والحياةِ المصرية والحياة العربيةِ في ذلك الحين ، كاشفاً عن العناصر المؤقَّتة والعناصر الخالدة في تكوينها ، أو يجعل منها مرآةً تتخايَلُ فيها صورةٌ من عصرنا وهمومه فيما يرى شوقي ؟

إن ذلك يفضي بنا إلى الحديث عن الوظيفة في هذه المسرحيات الشوقية .

الفكرة والوظيفة :

إن كلَّ مسرحية لا بدَّ لها أن تحمِل فكرة ، تودُّ أن تؤدِّيها للمتلقّين . فالمؤلف حين ينتقي أحداثَ مسرحيته ، ويَجْدِل بعضها مع بعض ، ويُقيم التفاعل بينها وبين الشّخصيات المختارة في دقة وإحكام – إنما يعمد إلى تقديمها في نسيج خاصٍّ ، ويوظِّفها لتبلِّغ المتلقِّيَ رسالة ، يمتصُّها من خلال مسيرة الأحداث ، وتتبُّع الحوار بين الشّخصيات ، دون أن تُفرَضَ عليه فرضاً ، أو يُحمَلَ عليها حملاً .. فما الرِّسالةُ التي يريد شوقي أن يُبلِّغها من خلال هذه المسرحيات الأربع ؟

إن القضيةَ الأساسية في هذه المسرحيات جميعِها هي قضية الحب ، سواء كان حبا فرديا يتسامى عن الغرائز ، ويتعالى عن الدّنايا ، أو حبا وطنيا جارفًا ، أو حبا قوميا عارماً . وسنتناول ذلك بشيءٍ من التّفصيل الذي يَسمح به مجالُ هذه الدراسة :

ففي مسرحية « مجنون ليلى » مجّد شوقي هذا الحبَّ العفيف العنيف الذي جمع بين قيس وليلى، وتعاطفَ معه ، وجعلَ الجميع يتعاطفون معه ، ويبذلون جهداً في سبيل أن يصلَ إلى غايته الطبيعية ، فابن عوف أمير الصدقات – على الرّغم من منصبه الدّيني والرّسمي – يشفَعُ لقيس عند ليلى وأهلها ، ويسعى إليهم خاطباً ، ويهمّ حين بلغ ديار بني عامر أن يخلَع نعليه ، ويُقبلَ نحو الخباء حافياً ؛ تقديراً لمضيفه ، وإجلالاً لمكانته ، كما فعل الحسين بنُ علي بن أبي طالب من قبل ، حين شفَع لقيسِ بنِ ذريح عند والد لبنى ، ويحاول المهديّ منعه ، ولكنه فعل . ومع ذلك فقد خاب مسعاه، وفشلتْ شفاعته !

وحين أفضى هذا الحبُّ إلى الموت – موتِ ليلى – جعل شوقي المعزِّين يتعاطفون مع هذا الحبِّ، كما جعل المهديَّ – والد ليلى – يتلظّى ألمًا وحسرة على ما صنعه بهذين العاشِقَيْنِ خضوعاً للتّقاليد البالية ، وجعل هذا الحبَّ ينتصر على الموت ، وإذا قيس يعلن في دور الاحتضار الأخير :

هَلْ أسى الموتُ جِراحَيْنا ، وَهلْ   قــرَّبَ الــدَّارَ وَلَــمَّ الشّتــاتْ ؟

. . . .

نَحنُ فــي الدُّنيــا وإنْ لم تَرنــا   لمْ تَمُتْ ليلى ، وَلا المجنونُ ماتْ

ولكنَّ هذا الحبَّ – مع شدته وعنفه – لم يثبتْ لضراوة التّقاليد البالية الجافية ، التي أحكمتْ أمرها إحكاماً شديداً ، فطوّقت أعناق الشّيوخ والشّباب من أهل البادية على السَّواء ، وألهبتْ ظهورهم بمعاييرها ، وساقتْهم سوقًا إلى ما يكرهون ، في حين أنها لا تملكُ سنداً من الشّريعة أو العقيدة .

لقد كانوا إذا ما خَلَوْا إلى أنفسهم ضاقوا بها أشدَّ الضيق ، وسَخِطوا عليها أبلغ السخط ، ونفروا منها أشدَّ ما يكون النُّفور ؛ ولكنهم لا يفصحون عما يُضمِرون ، ولا يُعلنون ما يُسرّون ؛ وإنما يستبدُّ بهم العجز أمام بأسها ، ويستولي عليهم الفزع أمام سُلطانها ، كما يقول المهديّ مخاطباً ليلى :

أخافُ الناسَ في أمري   وَأخْشى القَلْبَ في أمـرِكْ
وكمْ داريتُ يا ليلـــى   وكَمْ مهّدتُ مِنْ عُـذرِكْ

وشوقي لا يُريد بذلك أن يحيي الحدَث ، ولا أن يُعيد علينا حكايته ؛ وإنما يريدُ أن يُفعِمَ القلوبَ سخطاً على هذه التقاليد ، التي أوهنَ الإسلامُ قوتها ، ومع ذلك فما زال لها – في عصرنا – من العنف ما يستبدُّ بالناس ، وهو يريدهم أن يتمرَّدوا عليها ، فتتخرَّر رقابهم وقلوبهم من نيرها ، وتنشِئ حياتها كما تريد .

وإذا كانت ليلى قد استكانتْ للتَّقاليد البدويَّة وذلَّت فإن عبلة – وهي فتاةٌ بدويَّة أيضاً – تنتصرُ للحب ، وتكافح في سبيل فوزها بمن تحبُّ ، وتخرج على الأسرة والقبيلة ، وتجادلُ أباها وأخويْها مجادلةً عنيفة ساخرةً كذلك ؛ دفاعاً عن حبها ، حتى إنها لتبلغُ في سخريتها من أخوَيْها درجةً لاذعة حين تطلب إلى أبيها أن يُزوِّج أحدَهما صخراً الذي جاءهم خاطباً ، إن كانوا عليه حِراصاً ، وبه معجبين ، وفيه راغبين :

ذاكَ أمـرٌ الـرَّأيُ فيـه لِعَمْـرو ... وزُهَيـرٍ ، وليسَ لـي الرَّأيُ فيهِ

يا أبي ، اعْقِدْ عَلى زُهيرٍ لِصَخْرٍ ... أو فَزوِّجْهُ – يا أبي – مِنْ أخيهِ

مالك (في دهش) :

أَزَوِّجُ الرِّجالَ بِالرِّجالِ ؟ ... ذاكَ لعَمْري مُنْتهى الخَبالِ

زهير :

اِسْتهتَرَتْ أُخْتي فَما تُبالي

ولكنها تُعلن إليهم أنها مصرَّة على عنترة ، لا ترى غير ابن العمِّ إنساناً ، لا تحس في ذلك حرجاً ، ولا تجد فيه بأساً ، ولا تخشى لوماً .

وناجية – فتاة البادية كذلك – تُفصح عن حبها ، بل وتصطنع من الحيلة ما يبلِّغها الغاية من حبها ، وتتزوّج صخراً في مسرحية عنترة .

إن القارئ يَعتريه شيءٌ من الدَّهشة والاستغراب حين يوازن بين الموقفين : موقفِ ليلى وموقفِ عبلة ؛ فعبلةُ فتاة العصر الجاهليّ ، قبل أن يُشرق نور الإسلام ، فيبدِّد ظلماتِ الحياة الاجتماعية ، ويَرفع عن المرأة ما يعوق حركتها ، ويقيِّد خطوها ، ويتيح لها المشاركة الفعّالة في الحياة ، ويجعل لها حرية اختيار من تراه شريكَ حياتها – عبلةُ هذه تذود عن حبها ، وتنتصر لاختيارها ، في حين تستسلم ليلى – التي نشأت وعاشت في ظلال الدَّعوة الإسلامية – وتخضعُ لهذه السُّنَّة البدويَّة التي لا حجة لها من شَرْع ، ولا سندَ من عقيدة . وهي – ليلى – في قرارة نفسها لا تؤمن بها ، وتترك نفسها فريسةً لصراع مدمِّر رهيب ، تحسمه بِنُصرة التَّقاليد على الشرع والدين ، وتختار وَرْداً زوجاً لها ، مع علمها أن ذوقه لا يتَّسق وذوقَها ، وأن طبيعته لا تتواءم وطبيعتَها .

ولا يعزُب عن القارئ في هذا المقام موقفُ وَرْدٍ الذي لا ينسجم مع هذه التقاليد ، ولا يمتُّ إليها بسبب ؛ فهو يتعاطف مع المحبِّين بعد زواجه من ليلى ، ويُخلِّي بينها وبين قيس ، يتطارحان الهوى ، ويتباثّان الأشواق . فهذا التّسامح الذي أبداه وَرْدٌ لا يتَّفق مع ما قدمه شوقي عن مدى عنف التّقاليد وضراوتها ، وخضوعهم خضوعاً لا مفر منه لمقتضياتها .

وهذا ما يجعلنا نذهبُ إلى ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف [١] من أن هذه السُّنَّة البدوية عُقْدةٌ نفسية ، لفّقها الرُّواة ، وأحكموا نسجها حتى خيَّلوا لسامعيهم أنها حقيقيَّة ، مع أنها تقليدٌ لم تعرفه جاهليةٌ ولا إسلام ؛ وإنما دفع الرُّواةَ إلى تلفيقه ما أحسّوه عند هؤلاء العشاق من إحساسٍ بالحرمان الشَّديد ، وظمأ إلى رؤية معشوقاتهم لا يقف عند حدٍّ ، والتياع بالوَجْد لا يشبهه التياع ؛ فأرادوا أن يحيكوا لهذا الحب عقدةً ، فكانت هذه السُّنَّةَ البدويةَ .

وما نظنُّ أن شوقي كان عن هذا كلّه غافلاً ؛ ولكنها الرغبة في أن يثير في النفوس الإحساسَ بمرارة التّقاليد — التي لها مشابِه في حياتنا — ومدى قسوتها وظلمها ، ولا شكَّ في أن الإحساس بالظلم أولُ بوادر الثورة عليه ، والتخلّص منه .

والحبُّ في مسرحية مصرع كليوباترا يمجده شوقي ويرعاه ، ويجعله بديلاً عن النَّصر على لسان أنطونيو ، حين عاد مهزوماً مدحوراً ، قد تخلّى عنه جنودُه — من أجل حبهم أيضاً ، حبهم لوطنهم « .. خانوكَ حُبًا لِروما » — يقف أمام كليوباترا يطلب منها أن تزوّده بِقُبلة فوق جبينه ، تمسحُ عنه عار الهزيمة ، وتكون الغارَ الذي يكلل هامته :

كليوباتـــرا ، زَوِّدينـــي قُبْلـــةً مِـنْ ثَنايـاكِ العِـذابِ الشَّبِمـاتْ
وأضيئـــي بِسَناهـــا مُقْلَـــةً يَسدُلُ المـوتُ عليهـا الظُّلمــاتْ

. . .

رُدّي عَلى هامَتي الغارَ الذي سُلِبَتْ فَقُبْلَةٌ مِنْكِ تَعلوهـا هِـيَ الغـارُ

ولكن هذا الحبَّ في قلب كليوباترا تتّسع دائرتُه ، فإذا هو حب وطني جارف كما صوره شوقي ، فهي وإن كانت تُبادل أنطونيو الحب لا ترى بأساً في أن تخذلَه وتتخلّى عنه في موقعة أكتيوم ؛ لأن حبًا آخر قد تمكّن في قلبها ، وأخذ عليها أقطار نفسها ، هو حبُّها لمصر :

عَلِم اللهُ قد خَذَلْتُ حَبيبـي وأبا صِبْيَتي ، وعَوْني وذُخْري
وَالّذي ضَيَّعَ العروشَ وضحّى في سَبيلي بِألْفِ قُطـرٍ وقُطـرِ

ثم تحاول أن تُقنع المتلقّيَ أن هذا الموقف — موقف الانسحاب — :

موقفٌ يُعجِبُ العُلا ، كنتُ فيه بِنْتَ مصرٍ ، وكنتُ مَلْكة مصرِ

فالحسّ الوطني أو الحبُّ الوطني هو الذي حَمَلها على التّضحية بحبها الشخصيّ ؛ متصورة أنها بهذه السِّياسة تحقق سيادة مصر في البحر ، حين يَهْزِم أحد القائدين الرّومانيّين صاحبَه ، ويبقى الآخر ضعيفاً منهوكاً ؛ فتنفرد هي بالقوة والسُّلطان . هذا الحسُّ الوطني هو الذي حملها على الانتحار حين هُزِم أنطونيو ، ولم تضعفْ شوكةُ أكتافيوس . وأيقنتْ أنه يريدها أسيرةً يزيّن بها تاج روما ، ويُعلي بها فخارَه ، وهي تمشي ذليلةً في إساره :

يُريدُ لِيَعْرِضَني في غَـدٍ على شَعْبِ روما كأني سَلَـبْ
ويَفضحُ مصرَ وسُلطانَها وَتاجَ العُصورِ ، وعَرْشَ الحِقَبْ

(١) شوقي ضيف : العصر الإسلامي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ . ص ٣٥٩ وما بعدها .

فهي تُقدِم على الموت غير هيّابة ، لا ندماً على ما كانت فيه من عِزٍّ وسلطان ، ولا خوفًا من الأسْر فحسب ، بل – في الدرجة الأولى – إعزازاً لمصر ، وإجلالاً لمكانتها ، وتقديراً لحُرمتها ، فهي تبذل حياتها – كما كانت دائماً – لمصر :

يُطالِبُني بِهِ وَطَنٌ عَزيزٌ وَآباءٌ وَدائِعُهُمْ غَوالي

. . . . . .

أموتُ كما حَيِيتُ لِعَرْشِ مصرٍ وأبذلُ دونَه عَرْشَ الجَمالِ

وهذا الحسُّ الوطنيُّ – في المسرحية – لم يقتصر على الملكة ؛ فقد تجلّى في معظم شخوصها ، فأنوبيس – الكاهنُ الأعظم – نراه مهموماً بمصر ومحنتها ، وإن كان عاجزاً عن الفِعْل . يدخلُ عليه حابي وهو مشغولٌ بأفاعيه وقواريره ، ويعلن إليه أن الوطن ملدوغ ، وهو أولى بِطِبِّه ، ويطلب منه أن يُنحّي هذه الأفاعي وتلك القوارير ، ويفكرَ في أمر مصر الغالية ؛ ولكنَّ الكاهن ينكر عليه هذا ويَجْبَهُه بالعجز والتّراخي حين تخلّى الفتيانُ عن أنطونيو في المعركة الحاسمة ، وهم بذلك إنما يتخلّون عن عزِّ مصر وحريتها ، ثم يأتيه الآنَ يطلب منه الرّأيَ حين لا ينفع الرّأي ولا يُجدي :

وأينَ كنتَ يا فَتى وَأيْنَ فِتْيانُ الحِمى ؟

أ بَعْدَ أن حَلَّ على النّـ ـيل وَ واديهِ القَضا

أتيتَ تدْعوني كما تَدْعو العَجائزُ السَّما ؟

الرّأيُ لَيْسَ نافِعًا إذا أوانُهُ مَضى

لكن هذا الكاهنَ العاجزَ عن الفعل كان أكثرَ النّاسِ حبا لمصر ، وإيماناً بمستقبلها ، وحرصاً على كرامتها ؛ فهو الذي أوحى إلى الملكة فكرةَ الانتحار ، ودبَّر لها وسيلته ، وهو الذي يختم المسرحية مؤكداً – في حنكة الشّيوخ وجلال الخبرة – أن مصر لم تُهزم ، وأن روما قد فتحتْ لنفسها قبراً :

أَكْثِري أيتها الذّئابُ عُواءً وَادَّعي في البِلادِ عِزًّا وقَهْرًا

. . .

قَسَماً ما فَتَحْتُمو مِصْرَ لكِنْ قد فَتَحْتُمْ بِها لِرومة قَبْرَا

والحبُّ في قمبيز : يتعالى عن فرديّته ، وتتّسع دائرته كذلك فإذا هو حب وطني جارف ، فنتيتاس ابنةُ الفرعون الذي قتله أمازيس ، واغتصب عرشَه – كانت تهيم بتاسو أحدِ قوّاد أبيها ، الذي تحوّل عنها بعد مصرع أبيها إلى نفريت لبنة الفرعون الجديد ، وهي تتقدم راضيةً – سواء مضينا مع الذين يَرَون أن ذلك كان هروباً من واقع أليمٍ تعانيه ، أو مع الذين يَرَون أنه كان انبعاثاً لصحوة وطنية صادقة ، نتيجةً لرؤية ثاقبة لما ينتظر الوطن من أهوال الغزو إذا رُفِض طلب قمبيز ، ولما تُدركه ببصيرتها النّافذة من عنف الهزيمة التي يمكن أن تحيق بالوطن ؛ لأن وطنها كان يَعجُّ بالفيانقة الأغراب الذين استكثر منهم الفرعونُ الجديد ، بعد أن أقصى المصريِّين عن الجيش ؛ فأصابهم الإحباط والقُنوط ، وانغمسوا في التّرف ولذائذه ، مما أدّى بهم إلى الضُّمور والانحلال .

سواء مضينا مع هؤلاء أو هؤلاء فإن قرارها بالذّهاب إلى قمبيز زوجةً له بدلاً من نفريت كان

حركةً داخليّة من تلقاء نفسِها ، لم تفرضه عليها قوةٌ خارجية ، وكان تضحيةً في سبيل وطنها أن تتناسى اسمَها ، وتتنازل عن شخصيتها وكبريائها ، وتنتحلَ شخصية أخرى ، وتتخذَ اسمَ نفريت ابْنة الفرعون الجديد ، تاركة إياها تنعم مع تاسو حبيبها القديم !

جئتُ أفْدي وَطني مِنْ سَيْفِ قمبيزَ ونارِه
جئتُ أفدي وَطني مِنْ دنَسِ الفتْحِ وعارِه

ويبدو أن فرعون لم يكن واعياً تماماً بما يدور حوله ، فهو يستنكر قولها :

ماذا تقولين ؟ فيم جئتِ ؟ قمبيزُ ؟ الفتحُ ؟ مصر ؟ فارسْ ؟

ويتبلور حسها الوطني ، ويشمخ كبرياؤها ، حين تلتقي – في فارس – ذلك القائدَ اليونانيَّ الذي كان يعمل في البلاط المصريّ ، ولكنَّ نحيزتَه أبتْ له إلا أن يخون اليدَ التي أكرمته ، فولّى وجهه شَطر قمبيز ، يزيِّن له الاستيلاء على مصر ، ويدلُّه على أيسر السُّبل ، وأقصر الطرق لتحقيق مبتغاه . يعرف هذا القائد حقيقة نتيتاس ، ويُغريها بالتّعاون معه انتقاماً لأبيها من عدوه ، وثأراً من قاتله ، ويتوعَّدها بفضح أمرها إن هي أحجمت ؛ ولكنها ترفض في إباءٍ وشمم أن يدوس أرضَ وطنها عدوٌّ ، أو يدنِّسها غازٍ ، وأن يُغمد الفرسُ سيوفَهم في صدر أمتها التي غَذتْها ونَمتْها :

.. لكَ الويلُ مِنْ فتًى فإنّكَ مِنْ مَعنى المروءةِ خالي
أ أوطِئُ خيلَ الفرسِ مَهْدِي ومَلْعَبي وَتُرْبةَ آبائي ، ومنزلَ آلي
وَأغمِدُ سيفَ الفُرسِ في صَدْرِ أمةٍ نَمَتْني وتَنْمي أُسْرتي وَعيالي ؟
إذاً لا أوَى جَدّي السَّماءَ ولا أبي ولاجَلَّ عَمّي ، أو تَباركَ خالي

وحين يُواجهها قمبيز بحقيقتها التي دلّه عليها القائدُ الخائن فانيس ، ويهدِّدها بأنه سيغزو مصر انتقاماً لكرامته التي ديستْ – تحاول أن تثنيه عن عزمه ، وتردّه عما يريد ، فلما لم تجد منه أذناً مُصْغية ، ولا قلباً واعياً – تؤكد له أن الله حافظٌ لمصر من أعدائها على مرِّ الزمن :

قمبيزُ ، ما شِئتَ فاصنَعْ ، إنّي أراكَ مُصِرَّا تُغيرُ أنتَ وتَغْزو ، ويَحفظُ اللهُ مِصْرا

وهو نفس المعنى الذي يُردِّده شوقي على لسان شُخوصه في أكثرَ من موقف : فهو قولُ الفرعون أبسماتيك الذي تولّى العرش بعد موت أبيه أمازيس ، والذي قُهرت مصرُ في عهده ، وقَبض عليه قمبيز وهو يحاول تعبئة الشّعب المصريِّ ضد الغزو ، ويُعيِّره قمبيز بأنه يرتدي ثِيابَ الذُّل بعد أن كان يَرْفل في ثياب العزّ ، ويهدِّده بأنه سيدمِّر كلَّ شيء في مصر ، ويُحيل هياكلها رماداً ، ويرغم أنوف أبنائها .. عندئذ يجيبه الفرعون شامخاً :

رُوَيْدكَ يا بْنَ كِسْرى ، قِفْ ، تَمهَّلْ فَعادةُ مصرَ تَقْهرُ قاهِريها

وهو نفسُ المعنى الذي جاء على لسان أنوبيس الكاهنِ في ختام مصرع كليوباترا كما سبق .

هذا الحبُّ الوطنيُّ الكبير ، أو هذا الوَلَه الصوفيُّ – إن شئت – هو الذي يجعل نتيتاس تنظر إلى تاسو حين تلقاه مقبوضاً عليه نظرةً آسيةً ، فيها شيءٌ من السُّخرية ؛ لكنها ما تلبثُ أن تستحيل نظرةَ

إكبارٍ وإعجاب حين تعلم أن تهمته هي تطوافُه في القرى والكفور يعبئ المصريِّين للدفاع عن وطنهم، واسترداد حريتهم . وتدرك أن هذا أصبح الآنَ واجبَها ، فتنطلق إلى صعيد مصر ، تحشد الحشود ، وتعبئ الجنود لِدَحر المعتدين ، واستنقاذ بلادها منهم :

والآنَ إلى طيبة والصَّعيدْ   لِحَشْرِ الدُّعاةِ ، وحَشْدِ الجنودْ
وقَهْرِ العَدُوِّ وَإرْغامِـهِ   وقَذْفِ المغيرِ وراءَ الحُدودْ

ولم يُغفل شوقي دور الكهنة في حب الوطن ، وإن كان في هذه المسرحية أقلَّ بروزاً منه في مسرحية « مصرع كليوباترا » . لقد ذبح قمبيز عجلَ أبيس — الذي كان المصريون يُقدِّسونه — امتهاناً لكرامة مصرَ وتقاليدها ، وحرصاً منه على إذلالها ؛ فلم يَضعفِ الكهنة ولم يذلّوا ، وإنما رأوا أن العجل قد اتّخذ إلى المجد سُلّماً ، وأنه قد سما إلى الخلود ، وأنه قد انتقم من قمبيز إذ اعتراه الجنون بسبب فَعْلته ، فقتل نفسَه :

بوركْتَ يا أبيسْ   يا صاحبَ المجدِ
يا موضعَ التقديسْ   ومنزلَ الحَمْدِ
سِرُّكَ في منفيسْ   وأنتَ في الخُلْدِ

....

أبيسُ سِرْ للسَّماءْ   وانْزِل مع الخالدين
وخَلِّ تلك الدِّماءْ   تُحاسِبُ المعتدين
أنتَ سَماءُ الجَلالْ   حِمى الدّارِ الأمين

وإذا كان شوقي قد عُني بتصوير الحسِّ الوطني في مسرحيتي « مصرع كليوباترا » و « قمبيز » عناية بالغة ، وأضفى على هذا الحس الوطني من ذاته ؛ ليوقظ الشّعبَ المغلوبَ على أمره ؛ كي يقتلعَ السُّلطة من قاهريه ، ويذودَ عن خيراته مغتصبيها ، ولا يظلَّ ببّغاء يردّد ما يصبّونه في أذنيه دون أن يستخدم عقله ؛ إذا كان شوقي قد أملى عليه حسه الوطني هذا الإسقاط المعاصر باتّخاذه أحداث التاريخ واسطةً تعبيرية — فإن حسَّه أو انتماءه القوميَّ قد بدا واضحاً في مسرحية « عنترة » ، حيث أسقط من خلالها رؤيته للشُّعوب العربية ، وقد مزّقتها الفرقة ، وألهبت ظهورها سياط المستعمرين ، وغدا ولاءُ حكامها كلٌّ لفريق ، يحكم في ظلاله أبناءَ وطنه ، ويُقدِّمهم قرباناً لسلطانه . ينتفش أمام مواطنيه ويَقهرهم ، ويسومهم الخسف والهوان ، ويَذِلُّ أمام سادته المستعمرين ويتضاءل .

نرى هذا الإحساس القومي يتجسَّد في حديث عبلة إلى والدة سِرْحان ، الذي كان يسعى مع جماعةٍ من قبيلته لتقديم الرُّشا إلى كسرى ، فاستفزَّ عنترة ، فعدا عليه وقتلَه ، وفرَّق جماعته ، واحتازَ ماله . وتصوِّر في حديثها هذا الواقعَ العربيَّ المهين ، الذي يبدو فيه حاكم العرب آنذاك :

ذَليلٌ بِبابِ أنوشروانَ   وعِنْدَ الخيامِ العَزيزُ البَطَلْ

ويبدو العربُ في حديثها أمةً لا قِوامَ لها تستند إليه ، ولا دولةَ لها في الوجود يُحسب حسابُها ؛

وإنما يُقضى الأمرُ في غيابهم :

فَنِصْفٌ قِطاعٌ رعَتْها الذِّئابُ ونصفٌ على البيدِ فَوْضى هَمَلْ

وتتطلّع إلى فتى رشيدٍ يَقْدُم قومَه ، يؤلّف القلوب ، ويجمع شتات القبائل ، ويسوسهم تحت لواءٍ عربيٍّ صميم . وتأسى لما يَرْسُف فيه العرب من ذل التبعيّة ، وما يلاقونه من ضَيم الحاكمين ، فتصرخ :

الفـرسُ والـرّومُ استَرَقّـــوا قومَنـــا واستَعْبَـــدوا
أ لا بَطلٌ نَلتقي حَولَهُ كإسْرالَ حَوْلَ لِواءِ الرُّسُـلْ ؟
يفُكُّ مِنَ الرِّقِّ أعناقَنا كما فكَّ موسى رِقابَ الأُوَلْ

ويتساءل القوم : مَنْ هذا الفتى الذي يصنع صنيع الأنبياء ، ويحررُ رقاب العرب من ذلِّ القيود ؟ فتصرخ فيهم : « أتنسون عنترةَ العَبْقريَّ ؟» ويختلف القوم حوله : فبعضُهم يراه غراباً أسود ، ولبئس أميرُ القوم الغرابُ إذا ما حَجَل ! ولكن بعضَ أبناء البادية المستنيرين يَرَون ذلك حقا واجباً ، عليهم أن ينهضوا به ، ويدافعوا عنه . نلمح ذلك في حديث ضِرْغام – وهو فارسٌ مغوارٌ ، ومنافسٌ قويٌّ لعنترة في حب عبلة ، وقد جاء مالِكًا – والدَ عبلة – خاطباً ، وإذا مالكٌ يطلب منه رأس العبد عنترة مهراً لعبلة، فتثور ثائرةُ ضرغام ، ويتمنّى لو استطاع تأديب هذا الشيخ الخَرِف ، الذي يَهرِفُ بما لا يعرف : ويقول: إن عنترة هو الذّائد عن حمى العرب ، والمدافع عن حقوقهم ، والمرتجى لجمع شملهم ، ولمِّ شَعثهم تحت لواء واحدٍ فكيف يقتله ؟ بل كيف يفكّر في ذلك :

أ أحسُدُ مَنْ لا يَعصِمُ البيدَ غيرُه إذا زَحفَتْ من أرض كسرى الجحافِلُ ؟
أ أحسُدُ مَنْ يُرجَى لِتَأليفِ قَومِهِ إذا افْتَرَقَـتْ تحـتَ الملـوكِ القَبائـــلُ ؟

ولكن مالكاً – شأنه شأن غيره من سادات القبائل – يرفض هذا التّفكير رفضاً قاطعاً ، ويُؤثر أن يسومهم الذلَّ والهوانَ كسرى وقيصر على أن يؤلّفهم هذا العبْد :

يُؤلِّفُنا عبـدٌ ؟ أمـا ثَـمَّ سيِّـدٌ عنِ العبْدِ يُغْنينا ؟ أما ثَمَّ عاهِلُ ؟
إذًا فَلْيَسُمْنا الخسفَ كسرى وقومُهُ وقيصـرُ والـرّومُ الجفـاةُ الأراذِلُ
أ يَمْنَعُنا عَبْدٌ ؟ إذًا نَحْنُ عُـزّلٌ فَأَيْنَ عَوالينـا وأيـنَ المَناصِـــلُ ؟

وحين يُغير المناذِرَةُ – تحت لواء الفرس – على ديار عَبْسٍ ، ويَصُدُّ عنترة غارتهم ، ويخضد شوكتهم ، ويفتك بِرُسْتُم قائدِهم ، ويَتنادَون بطلب رأس عنترة كِفاءً لرأس رستم .. حينذاك يتجلّى الانتماءُ القوميُّ في أقوى صوره على لسان عبلة ، وهي تخاطب المناذرة بقولها : « أولادَ لَخْمٍ » إفصاحاً عن أصلهم العربيِّ ، واستمالةً لهم كي يُصغوا إليها ، ثم تُنبئهم عن الأصل الواحد الذي يجمعهم ، والدَّم الواحد الذي يَسري في عروقهم ؛ فلا ينبغي لأخ أن يسفِكَ دم أخيه ، ولا يَجْمُل بالأخ أن يُيْتم أبناء أخيه ، أو يرمل زوجته :

ما نحنُ إلا أبْناءُ جِنْسٍ نحنُ بنو الشّمسِ والصّحارى
لا تَحْفِلوا رُسْتُماً ، دَعوهُ خَلّـوه للفـرس يشـأروهُ
ولا يُقاتِلْ أخَـا أخـوهُ مِنكمْ ، وَلا تخذُلوا الدِّيـارا
حُشِرتُمو تحت كلِّ رايَـهْ وأسْرَجوكم لكـلِّ غايـهْ
وَسُعْتُمو المُلكَ والولايْـه لكلِّ كسرى وكـلِّ دارا
قبيلةٌ تحت حُكْمِ كِسـرى وقيصرُ الرّوم دانَ أخْـرى
أصْبَحْتمو لِلْغريـبِ جِسْـرا يَرْكَبُـهُ كُلّمـا أغـارا

وهي – بهذا – تُفصح في أسَى وحُرقة عن الأزمة الطاحنة التي يعيشها العرب ؛ إذ يتّخذهم عدوهم مطايا ، يفتك بعضُهم ببعض ؛ حتى تخلص له الدِّيار ، ولا يبقى لغيره سلطان ؛ حتى إنها لتطلب إلى عنترة أن يُغمِد سيفه ، وأن يَعُدَّ بني لخم في الحيِّ ضيفَه ، فلا ينبغي لِمَنْ بنى مجد قومه بالأمس أن يهدمه اليوم .

أكبر الظن أنه قد اتضح أن شوقي لم يقصد من هذه المسرحيات إحياء التراث الشّعبيّ الذي استلهمه ، ولا الفترات التاريخية التي استوحاها ، وجَعْلَها ماثلة أمام عيون المتلقّين ، قُرّاءً كانوا أو مشاهدين ، تهيئ لهم لذة ومتاعاً ، تتمايل رءوسهم معه أسًى وإعجاباً ! وإنّما وظّف هذا الذي استلهمه واستوحاه لِيُؤدِّيَ إلى المتلقّي فكرةً ، يسوقها إليه سوقاً هيّناً رفيقاً ، يتخفّى وراء شخصيّاته التي صوّرها ، ويتركها من خلال مواقفها تُفصح عن الرِّسالة التي يريد أن يبلّغها إلى المتلقّين في يُسر وإسماح . فإذا هم يمتصّونها امتصاصاً ، ويتمثّلونها تمثُّلا ، فتهتزُّ لها نفوسهم ، وتمتلئُ بها قلوبهم ، وإذا هي تورق في هذه النفوس وتُزهر ، وتؤتي أُكُلَها فِعْلاً إراديا خلاقاً ، يرفع عن كاهل الشُّعوب ما تعانيه من ظلم ، وما يمزق صفوفَها من حيرة واضطراب .

لقد قضى شوقي – في ضوء هذه المسرحيات – حقَّ وطنه وحق قومه ، على الرّغم مما يأخذه عليها بعضُ الباحثين من مآخذ ، وما يُلصقونه بها من معايب ، لا يتّسع المجال لعرضها ومناقشتها ، فذلك مجال دراسةٍ مطوَّلة مستفيضة ؛ لكننا سنقف عند نقطتين لا محيد عن التّعرض لهما ، وهما : الغنائية في مسرحيات شوقي هذه ، واللغة التي صاغ بها حواره .

الغنائية في المسرحيات :

فأما الغنائية فيحسنُ بنا قبل أن نأخذ في حديثها أن نشير إلى نُقطتَيْنِ : أولاهما – أننا لا نمضي مع القائلين بأن الشّعر الغنائي في مسرحيات شوقي هو سرُّ بقائها واستمرارها ، ولا مع القائلين بأن مسرحيّاتِ شوقي لو جُرِّدت مما تضمّنته من شعر غنائي لما بقي منها شيءٌ ذو بال [1] . وثانيتهما – أن نتّفق على مفهوم للشّعر الغنائي ، يجلو قسماتِه ، ويكشف عن مقوّماته ؛ كي نكون على بينة من الأمر . ودون أن نخوض في خِضَمِّ التّعريفات التي أوردها النّقاد له نُسارع إلى القول بأن الشّعر

(١) يمثل الفريق الأول : شوقي ضيف ، شوقي شاعر العصر الحديث . القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٣ . ص ١٩٩ . ويمثل الفريق الثاني : كمال محمد إسماعيل : الشعر المسرحي في الأدب العربي المعاصر . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص٣٠ وما بعدها .

الغنائي - في مفهومنا - هو « التّعبير الذّاتيُّ عن تجربةِ الشّاعرِ .» وتجربةُ الشاعر هذه يمتزج فيها الفكرُ بالوجدان امتزاجاً قويا ، بحيث يتعذّر علينا أن نلمح أيا منهما دون الآخر .

فالذّاتية - إذاً - منبع الشّعر الغنائيّ ، ومُنطلقُه إلى الآفاق الإنسانية الرّحيبة ، بحيث تتحوّل التّجربة الذّاتية إلى تجربة إنسانية عامّةٍ ، يشتركُ في الإحساس بها جميعُ الأحياء العاقلة .

لكنَّ السؤال : كيف يُصبح الشّعر الغنائيُّ من لُحمة النّسيج المسرحي وسُداه ، وهو فنٌّ موضوعيٌّ محضٌ ، كلّما اختفت فيه الذاتية كان أدنى إلى تحقيق النّجح وأتمّ ؟

إن بعض نقاد عصرنا الحاضر يحاول إذابة هذه الفوارق القائمة بين الشّعر الغنائيّ والمسرحيّ ، فـ « بندتو كروتشيه »[١] يُرجع كلَّ قيمة لشعر المسرحيات إلى ناحية غنائيّةٍ في دلالة المقطوعات الشّعرية المنفردة على المعاني الغنائية الخاصة في كلّ مسرحية . والغنائيةُ في مسرحيات شوقي هذه ليست غريبةً عنها ، ولا لصيقةً بها ؛ وإنما هي من صميم بِنْيةِ العمل المسرحيّ ؛ ذلك أن شوقي بنى مسرحياته هذه على حَدَثٍ من أهمّ ينابيع الشّعر الغنائيّ ، وهو الحب .. الحبُّ في هناءته وعُذوبته ، وفي ألمه وعَذابه ، فَبيْنَ تباريح الهوى وآلام الجوى يتفجّر الشعر الغنائيُّ تفجُّراً يَفيض ولا يَغيض :

فمسرحيةُ « مجنون ليلى » بُنيت على حب قيس لليلى ، هذا الحبّ القويّ العفيف العنيف الذي وقفت ضراوةُ العادات دون أن يُؤتي ثمرته المرتقبة ، وحيث إن الألم المبرّح هو المنبعُ الأزليّ للشعر الغنائي فإن قيساً لم يجد سبيلاً غير أن يبوح بهواه ، ويبثّ لوعته وأساه ، ويناجيَ ليلاه مناجاةً شجيّة ، يصور فيها وَجْده الذي ليس بعدَه وَجْد ، وعذابَه الذي لا يشبهه عذاب ، والتياعَه الذي لا يُدانيه التياع . كما أن حرمانه من ليلى بزواجها من وَرْدٍ ضاعف من غنائية الحدث ، ثم موت ليلى الذي صنَعَ المأساة صنع - أيضاً - الغناءَ ؛ إذ إنه لم يهزّ نفسَ قيسٍ وحدها ، بل هز كل النفوس مِنْ حوله ، وجعلها تَرثي لمأساته ، حتى قرينه الجنّي « الأمويّ » الذي كان القوةَ الدّافعة للحب - يحاول أن يسرّيَ عنه ، ويعينه على التّغلب على مأساته ، والخروج من أزمته ، فيخاطبه :

حَنانَيْك قَيْسُ ، أَقِلَّ العِتابْ ولا تَسْكُبَنَّ دُمـوعَ النَّـدمْ

. . .

تَغنَّ بِلَيلى ، وبُـحْ بِالـغرامْ وبُثَّ الصَّبابةَ ، وَاشْكُ السَّقَمْ

كذلك مسرحيةُ « عنترة » ، تتقاطر أحداثُها من نَبْع الحبِّ الفياض ، المتلفّع بثوب الإحساس بالذّاتية ، والشّعور بالتفرُّد . فعنترةُ فارس مغوار ، يَشعر بذاته شعوراً قويا ، ويحسّ بكيانه إحساساً بالغاً ، ولا يرى نفسَه - على الرّغم من سواد جِلْده - دونَ الأحرار من قومه ؛ بل هو يَرى نفسَه متفوقاً عليهم . وهو يحب عبلة حبا جما ، ولكنّ القُوى الخارجية المتمثّلة في سادات القبيلة تعوقه عن بلوغ هدفه . ومن هنا تتحرّك الأحداث وتتصاعد ، ويُدافع الفارس عن حبه ، ويُداور قومَه حتى يضطرهم اضطراراً إلى الاعتراف به ، فيتحقّق الحب ، ويبلغ غايته . وليس من سبيل إلى التّعبير عن هذا الحدث غير الشّعر الغنائيّ ؛ بل إننا حين نُنعِم النّظر النّقديّ في هذه المسرحية نجد أن المدح قد وَجَد طريقه إليها ، دون أن يكون مُقْتعلاً أو مُقْحماً عليها ، فحين داستْ خيول المناذِرة أرضَ عبس ، ولطمت

(١) نقلا عن : محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث . بيروت ، دار الثقافة ودار العودة ، د . ت . ص ٦٤٥ .

كبرياءها ، تطلبُ رأس عنترة ، وأسرع داحسٌ يُنبئه النّبأ ، راح يصفُهم له :

عنترة : أمِنَ البَوادي ؟

داحس :

بَلْ مناذِرةٌ عَلى ... قَسماتِهِـمْ أثـرُ النَّعيـمِ صِبـاحُ
في ظلِّ دجْلَةَ والفُراتِ تَرعْرَعوا ... وغَدَوا على وَشْي الرِّياض وَراحوا
أولادُ لخمٍ ، والذينَ رَمى بِهِمْ ... أرضَ العـراقِ تطلُّـعٌ وَطِمـاحُ

أما في مسرحيَّتَيْ « قمبيز » و « مصرع كليوباترا » فكان الحدَث - أيضاً - هو الحبّ : فنتيتاس تحبُّ تاسو الذي سرعان ما يتحوَّل بحبه عنها ، عندما يُصرع أبوها الفرعونُ ، إلى نفريت ابنة الفرعون الجديد ؛ فتحسُّ لَذْعَ الخيبة ومرارة الإخفاق ، ولكنها ما تلبث أن تجدَ في حبها لوطنها ما يخفّف طعم المرارة ، فتسعى إلى قمبيز زوجة بغير اسمها ، ويكتشف فعلتها ، ويغزو مصرَ انتقاماً وثأراً ، وتشعر نتيتاس أن تضحيتَها كانت مأساةً لشعبها و وطنها .. ومن هذه الأحداث يتولّدُ الشعر الغنائيُّ في بنية النّص المسرحيّ تولّدا تلقائيا ، لا افتعال فيه ، ولا استكراه له ، وإن كانت هذه المسرحيةُ أقلَّ هذه المسرحيات غنائيَّة .

أما « مصرع كليوباترا » فتدور أحداثُها كذلك حول الحب ، الذي غزا قلبي كليوباترا وأنطونيو ، وبسط عليهما رُواقه ، فهما متحابّان يكادان يَفْنيان في لذة الحب وهناءته ؛ ولكن كلا منهما يحب وطنه ، ويُخلص له الحب - كما يبدو في السِّياقِ - ويدفع هذا الحبُّ كليوباترا أن تتخلّى عن حبيبها، وتنسحبَ من المعركة ، وينهزم أنطونيو ويفرّ وحيداً . وحينئذ لا يجدان غير الحب يتواجهان به ؛ وبذا يغدو الحدث حدَثًا غنائيا ، يتولّد منه الشّعر الغنائي في عَفْوِيَّة وتلقائيَّة .

وحين ننظر إلى الشخصيات التي صورّها شوقي في هذه المسرحيات ، وهي تقوم بِالفِعْل الذي هو جَوْهر المسرحية ومدارها ؛ لأنه يُشكِّل الموقف الفنيَّ فيها - نجد أن معظم هذه الشخصيات شخصياتٌ غنائيَّة :

فأولى مسرحياته نَشْراً ، وأحفلُها بالشّعر الغنائي ، وهي مسرحية « مصرع كليوباترا » حَشَد فيها شوقي جَمْعاً من الشّخصيات الثّانويّة ، التي تُعين على تكشُّف أبعادٍ وسماتٍ في الشّخصيات الأساسية لا تتكشّف بدونها ، وهي كلُّها شخصياتٌ غنائية ، أمثال :

إياس المغنّي الذي يُغنّي لأنطونيو أغنية « الحب الحياة » :

أنا أنطونيو ، وأنطونيو أنا ... ما لِروحَيْنا عن الحبِّ غِنى

وبولا الشّاعر الذي يصف الخمر ، ويتغنّى بها :

بِنْتُ الدِّنانْ ... أُمُّ الزّمانْ
خبَّأهـــا ... في قَبْـوِهِ
ساقي مِنا

وكذلك شخصياتُ حابي المولَع بِحبِّ هيلانة ولعَه بحب الوطن ، وزينون أمين المكتبة وما يعانيه من حبٍّ مكتوم لكليوباترا ، وما يذوقه في هذا الكِتمان من حُرْقة ولوعة ، حتى أنوبيس الكاهن الذي يختم المسرحية بمقطوعة غنائيَّة ، يتجلَّى فيها حبُّه لمصر ، وحرصه عليها ، ويراها قاهرةَ المعتدين ، ومقبرةَ الغزاة .

أما الشَّخصياتُ الأساسية في هذه المسرحية – وهي : أنطونيو وكليوباترا – فقد تحوَّلتا إلى شخصيَّتين غنائيَّتَيْن حين واجه كلٌّ منهما الهزيمة ، وذاق مرارة الفشل والخذلان ؛ فطفقتْ كليوباترا تتغنَّى بحبها لوطنها ، وتعلن أنه كان المحرِّكَ الأساسيَّ لسياستها ، وأنَّ ما أقدمتْ عليه من فِعْلٍ كان – فيما ترى – لمصلحة وطنها ، وهي حين تبرِّر فِعْلَها تشعر بالغَبنِ الواقع عليها مِمَّن حولها ، ولا تنتظر إنصافًا مِمَّن يأتي بعدها ، وتُنشد في ذلك قصيدةً مطوَّلة :

أُراني لم يُحسِنْ إليَّ مُعاصِري ... وَلَمْ أجِدِ الإنْصافَ عِنْد لِداتي
فكيْفَ إذا غَيَّبَ الموتُ ذادَتي ... وبدِّد أنْصاري ، وفضَّ حُماتي ؟
كأنِّي بَعْدي بِالأحاديثِ سُلِّطتْ ... عَلى سيرَتي ، أو وُكِّلتْ بِحَياتي

وحين تلتقي أنطونيوسَ لحظة احتضاره ، ويُسلم الروح بين يَدَيْها ، تأخذُ في رثائه في غنائية حزينةٍ آسية :

قَدْ تَداعى مِحْوَرُ الأَرْضِ وميزانُ الشُّعوبْ

ثم تأخذ في رِثاء نفسها ، فقد نام أنطونيو ، وأخلدَ إلى الرَّاحة والسُّكون ، بينما هي عاجزة عن الفِعْلِ ، واهنةُ القُوى ، مكدودةُ الخاطر . وحين يَشيع الموتُ في جنبات المسرح ، ويخيِّم على جوِّه نحسٌ رهبةً منه وفزعًا ، فتُناجي نفسَها ، وتطلب مِنْ مُغنِّيها أن ينشدها نشيدَ الموت . وقبل أن تُقدم على الفِعل الذي يتسنَّم بنا ذِروَةَ المأساة ، ويُنهيها في الوقت ذاته ، تقفُ واجمةً أمام تمثالِ إيزيس وتُنشدها قصيدةً مطوَّلة ، تعلن صَحْوَها من لعب الحياة ، وأنها حين صَحَتْ لم تجد مِنْ حولها جاهًا ولا سلطانًا .

وكذلك أنطونيو يناجي روما ويستغفرها ، كما يناجي كليوباترا بين يديها .

وبعضُ هذه القصائد التي أشرنا إليها ، وإن كانت غنائيتُها متولِّدةً من الحدث والشخصية إلا أنه يصعب أداؤها على المسرح ، في حين أنها تُمتع القارئ وتلذّه ، وتحرك وجدانه ، وتثير فكره ، ومع ذلك فهي لا تعيب النَّص المسرحيَّ ؛ لأنها أقربُ ما تكون إلى نجوى الذّات التي هي من صميم الموقف .

أما في مسرحيتي « مجنون ليلى » و « عنترة » فقد كانت الشخصيَّتان الأساسيَّتان فيهما غنائيَّتين : فقيسٌ وعنترةُ كلاهما شاعرٌ ، تحتفظ له كتب الأدب بالكثير من الشعر ، وأحدُهما – عنترة – شعرُه مسطورٌ في البيت المعمور ، وقد استعار شوقي ملامحهما من المصادر الأدبية ، واحتفظ لكلٍّ منهما بصورته ، وجعل المسرحيةَ تحمل اسمه :

فقيس شاعر مرهف الحسّ ، يكتوي بنار الحب ، ويتلظّى بِجَواه ، ولا يزيده الحرمان إلا إمعاناً في التّغنّي بهواه ، والإفصاحِ عن أساه ، ولذا نجده منذُ بدء المسرحية شاعراً يتغنّى بالحب والهوى الذي طاب له في هَدْأة الليل وسكونه :

سَجا اللّيلُ حتى هاجَ لي الشعرَ والهَوى   وما البيدُ إلا اللّيلُ والشّعر وَالحُبُّ

وحين يلتقي ليلاه يتطارحان الغرام في غنائية عَذْبةٍ رقيقة ، تشفُّ عن معاناتهما ، ولا تحسُّ منها ضيقًا ، ولا تجد منها نفوراً ، فقد تحوّلت إلى كِسَرٍ دقيقةٍ في نسيج الحوار ، لا ينبو عنها ، ولا تَنبو عنه .

وتتصاعدُ الأحداث في المسرحية ، ويتطوّر الصّراع ويعنُف ، ويتعقّد الموقف ، وتحسم ليلى صراعها الباطنيّ الذي يُؤرِّقها ، وصراعَها الخارجيَّ مع القُوى المحيطة بها المتمثلة في التّقاليد والعادات ، ولكنّ ذلك يَزيدها ألمًا وعذاباً فلا تجد وسيلةً للتعبير عن مشاعرها الذاتية غير الشّعر الغنائيّ .

وتبلغ المأساةُ قمتها بموت ليلى ، وقيسٌ يُغنّي للتّوباد وهو يجهل الخبر ، وإن كان يشمُّ رائحته في عَرْف القبور ، فلما عَرف لم يكن من سبيل للتّعبير عن مشاعره وأحاسيسه غير الشّعر الغنائيّ .

أما عنترةُ فإن اتّفق مع قيسٍ في الشاعرية إلا أنه يختلف عنه اختلافًا بيّنًا من ناحية أخرى ، فهو فارسٌ مغوارٌ ، له من شهامة الفُروسية وكِفايتها القتاليّة أوفى نصيب ، وهو – بعد ذلك – شاعرٌ يمتلك القدرة الشّعرية التي تتيح له التّعبير عن عواطفه . وهو عاشقٌ – أيضاً – يُكابد تباريح الهوى ، ويُقاسي عذاب الحرمان ؛ ولكنه بفروسيته قادرٌ على أن يذود عن حبه المناوئين والمتآمرين ، وقادرٌ على أن يبلغ بحبه الغاية التي يصبو إليها ؛ ومن ثَمّ يرتدي شعرُه الغنائيُّ في المسرحية زيَّ الفروسية ، وهو يبدأ المسرحيةَ بِغنائية رقيقةٍ ، يبثُّ عبلةَ فيها حبّه ، ويحدِّثها عن علاقته بأبيها :

سَلي الصُّبحَ عنّي كيفَ يا عَبْلَ أصْبِحُ   وأينَ يَراني نجمُه حين يلمَحُ ؟

وحين تقدِّم له عبلةُ بِضْعَ بَلحات يناجيها في وَلَهٍ وَهُيام :

حَسْبِي النَّوى عَبْلَ ، ما في التَّمْرِ لي أربٌ   مُنـايَ كـلُّ نَـواةٍ خالَطـتْ فـاكِ

ويمتزجُ الحب بالفروسية امتزاجًا باهراً حين تطلب إليه عبلة أن يضع سيفَه ، ويُلقي سهمَه ، وأن يحفظ على المناذرة حياتهم ؛ فَهم قومُه ، فإذا هو يُلبّي رغبتها ويناجيها في غَزَلٍ فُروسيٍّ رقيق – إن صحّ هذا التعبير :

لم أنْسَ ذِكْرَكِ والجراحُ تسيلُ مِنْ   دِرْعي ، وتصبغُ أشْقَري بِالعَنْدَمِ

وما أعذبَه شاعراً مغنّيًا حين يعتبُ على عبلته أنها لا تدلّله ؛ لأنها قد تكون عاشقةً لفروسيته وشهامته لا لِذاته :

لَوْ لَمْ تَهيمي عَبْلَتي   بِحَملاتـي المنكَـرَة
وَلَيْسَ بـي أنـا وَلا   بِسحْنَتـي المحتقَـرَة
لَقُلْـتِ إذ دَعَوتنـي   يا قَمـري ، يا سُكَّـرة

وتجيبه في حنوٍّ بالغ ، ورقّة حبيبة :

هذا السَّوادُ يا بْنَ عمّي مثلُ صِبْغَةِ السَّحَره
كالمِسْكِ وَالكُحلِ هُما في مفرقي وَالبصَره

إنك لا تشعرُ بتكلُّفِ الغنائية ، ولا بأنها مستكرَهة قلِقة في مكانها ، ولكنَّك تجدها خيطاً في نسيج المسرحية لا يستقيم بدونه .

أما مسرحيةُ قمبيز فهي أقل هذه المسرحيات احتفالاً بالغنائية – كما أسلفنا – ومع ذلك فإن ما فيها من شِعْرٍ غنائيٍّ هو من صميم البِنْيَةِ المسرحية ، لا يعوق حركتها ، ولا يصيبها بالتَّطويل والإملال. ذلك أن الشَّخصية المحوريَّة فيها وهي شخصية نتيتاس صورها شوقي مُحِبَّة رقيقة ، تُصاب في حبها بالخيبة ، وتلذعها سياط الغيرة ؛ فينشأ في نفسها صراعٌ مرير عنيف بين الحبِّ والكُره ، تحسِمه بالإقدام على التَّضحية في سبيل وطنها ، وتعرض ذلك في شعرٍ غنائيٍّ ، هو من صميم الحوار وليس مُقْحماً عليه ، تختمه بقولها :

وَما لي لا أعْطي الحَياةَ إذا دَعَتْ بِلادِي ؟ حَياتي للبلادِ ومالي

فإذا ما اشتبكتْ خيوط الأحداث وَاحْتبكتْ ، ونَما الصِّراع وتعقَّد ، واستبان لها أن تضحيتها كانت نقمةً على وطنها ، وبلغتِ المأساة ذروتها بغزوِ قمبيز لمصر ، وتبدَّلتْ شخصية تاسو – الحبيب الخائن – وأصبح الذَّائد عن الوطن – نراها وقد استوقفها منظرُ الجنود يقودونه إلى حتْفِهِ كما أمر قمبيز ، تقول في شعر غنائي أسيف ، هو من بِنْية النَّص المسرحي :

مـاذا رَأيـتُ ؟ وَمـاذا سَمِعْتُ ؟ مَنْ يَدْفَعونا ؟
مَنْ ذا إلى النَّارِ ساقوا ؟ مَـنْ أوْرَدوهُ الأتونـا ؟

وتُبدي إعجابَها بوفائه لوطنه ، وتُحيِّي فيه العزة والكرامة :

هَذِه ميتةُ عِزٍّ امْضِ تاسُ بِسَلامِ

ثم تَتراجع ، وتُعلن تصميمها على المضيِّ إلى طيبة والصَّعيد لحشد الجنود كي يردّوا المعتدين .

كذلك نجد في النَّص غناءً لِقُباذ – أحدِ أعضاء وفد فارس الذين جاءوا لخطبة ابنة الفرعون لقمبيز، يصفُ فيه مصر :

.. أمـةٌ إذا هي قيسَتْ بالشُّعوب عُجابُ
هُمُ الشُّهبُ وَالنَّاسُ الجنادِلُ والحَصى وَتِبْـرُ الثَّـرى ، والعالَمون تُـرابُ

. وهو شعرٌ غنائيٌّ يرتبط بالنَّص ارتباطاً متيناً ، ويتداخلُ في الحوار تداخلاً وثيقاً ؛ إذ الموقفُ حركةٌ متداخلة ، وصفُ مصر جزءٌ أساسيٌّ منه .

ولولا أن نطيلَ لاستعرضنا كلَّ المواقفِ التي جاء فيها الشِّعر الغنائي حِواراً مسرحيا دقيقاً ؛ لأن هذه المسرحية تعرضَتْ لهجومٍ شديد من النُّقاد ، حتى رأى بعضهم أن منهج شوقي فيها ضعيفٌ خافِتٌ ، وأن زِمام الموضوع قد أُفلت من يده ، وأن الطريق فيها قد ضاعت من قَدمه ، وأن الحشو فيها

قد كثُر وطال .. وأن خير ما تتّسم به هو النَّظْم الغنائيّ .»[١]

وجِماع القول : إن هذه المسرحيات تُعَدُّ تراجيديات غنائيَّة عدا مسرحية عنترة ، حيث لم يَسقطِ البطل سقطةً تراجيدية واحدة ؛ لأنه فارس مغوار يُقارع الموت ، ويصنع الحياة ، وإن كان شوقي قد استخدم فيها ببراعة واقتدار ما يسميه النقد الأدبي « التَّرويح الكوميدي » ليكون وسيلة لتفريغ شحنات التَّوتُّر العصبيّ والجسديّ عند المتلقين ، حينما تشتدُّ المعاناة ، ويبلغ التوتُّر مداه . نلمح ذلك في شخصية أنشو في « مصرع كليوباترا » ، وحكاية بِشْر عن الظَّبية والذئب في « مجنون ليلى » ، وسخرية الجن من آدم وبنيه ، وأقزام فرعون في « قمبيز » ، وسخرية عبلة من أخويها ومن صخر خاطبها في « عنترة » . وغير ذلك من المواضع التي يمكن التماسها في يُسر لمن يشاء ؛ فلندع ذلك لنفرغ لقضية اللغة في هذه المسرحيات .

اللغة في المسرحيات :

اللغةُ أو العنصر الكلاميُّ في المسرحية هو « المظهرُ الماديُّ لكلِّ مقوِّمات المسرحية وغايتها ، وبه تتحقَّق الصلة بين المسرح والجمهور ، عن طريق تراسُل المدرَكات الموضوعيَّة المصوَّرة ، التي تصدُر عن نفسية الشَّخصيات في الموقف ؛ فتكتسبُ الشَّخصية أبعادَها ، وتجسِّم الفكرة وتنقلُ الصُّور الحيويةَ مشبوبةً ...»[٢] وبهذا العنصر الكلاميِّ يزدادُ المدى النفسيُّ للشَّخصيات عمقاً ، والحدَثُ المسرحيُّ تقدُّماً .

ومن ثَمَّ ينبغي أن تكون لغة الشِّعر المسرحيِّ شفّافة غير كثيفة ، تضيء المعنى ولا تطمِسُه ، وتجلوه ولا تُبهِمه ، وتنقل المشاعرَ التي تتراءى على هامش الموقف في صُورٍ ، لا تنتقلُ بالمتلقّي إلى ماضٍ بعيدٍ عنه ؛ وإنما تتحرَّك به ومعه في الواقع الحيِّ الذي يضطربُ فيه ، على أن تكون هذه الصُّورُ موزَّعة توزيعاً متقناً في ثنايا بناء الصُّورة اللفظيَّة – نعني الحوار – بحيث تأخذُ بيد المتلقّي شيئاً فشيئاً إلى الأفق الفسيح الذي يُطِلّ عليه البناءُ . مثلها في ذلك مثل النَّوافذ الموزَّعة توزيعاً محكماً ، بحيث تُطِلُّ على أجملِ وأروعِ ما يحيط بالبناء من عُمقٍ وامتدادٍ ورحابة ، وتستوعبُ أغزرَ ما يصلها من ضياء .

ولا شكَّ في أن شوقي قد استطاع في مسرحيّاته أن يستنفد كلَّ طاقات اللغة الفنية : من موسيقى وبيان وتصويرٍ ممّا يُضيف إلى قوة الموقف الدّرامي قوةً جديدةً .

ولا سبيل إلى أن نضرب أمثلةً لهذا الحوار النّاجح الذي اصطنعه شوقي ، وإنما نَدلُّك على بعض مواطنه لتعودَ إليها ، من ذلك الحوارُ بين ابن ذَريح وليلى في حيرتها بين العاطفة والواجب . وافتتاحية مسرحية « مصرع كليوباترا » ، وما دار من حوار بعد الاستماع إلى نشيد النَّصر في موقعة أكتيوم ، وكذلك الحوار بين كليوباترا وأنطونيو لحظة احتضاره ، والحوار الذي دار بينها وبين أنوبيس حين سَعَتْ إليه مستنجدةً به . والحوار في موقف نتيتاس من فرعون مصر في الفصل الأول من قمبيز ، وحوارها مع قمبيز حين اعتزم غزوَ مصر . وحوار عبلة وعنترة حين جلسا إلى قصعة المجيع .. وغير ذلك من المواطن النّاجحة للحوار المسرحيِّ ، الذي يشهد ببراعة شوقي واقتداره في تذليل الشِّعر العربي بِلُغَته

---

(١) عباس محمود العقاد : قمبيز في الميزان . القاهرة ، المطبعة الجديدة ، د. ت . محمود حامد شوكت : المسرحية في شعر شوقي. القاهرة ، دار الفكر العربي ، ص ٨٩ . (٢) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص ٦٦٦ .

وموسيقاه ؛ حيث تمسَّك بوحدة البيت ، مع تنويع القافية داخل المشهد ، وتقسيم البيت الواحد على عدد من الشَّخصيات ، كما حاول أن يوجد لوناً من التَّلاؤم بين المعنى والوزن ، فنجد الشخص يسترسلُ في وزنٍ معيَّن ما دام هو في نفس المعنى والحالة النفسية ، ولكنه حين ينتقل إلى معنى آخر وحالة نفسية مغايرة نراه ينتقل إلى نغَم مخالِف ؛ ليشعرنا بالنَّقلة النفسية داخل الشخصية ، وليجعلَنا نتأهَّب لتقبُّل طور جديد في المشهد المسرحيِّ .

كل ذلك لِيُؤدِّيَ الفعل المسرحيّ في تكوينٍ لفظيٍّ آسِر ، تستمتعُ به جماهيرُ المتلقّين ، وتدركُ بعضَ ما وراءه من قيم ومعانٍ خالدة .

ولا تَثْريب على المتلقِّي المتذوِّق في أن يكون له اعتراضٌ على كلمة هنا أو هناك ، تكاد تَصدم سمعَه بخشونتها ، أو يحسُّ بابتذالها لكثرة دورانها على الألسنة ؛ ولكنْ منَ الحقِّ عليه أن يَحمد للشاعر إحياءَه للكلمات من مَواتها ، وإعادتها إلى تيّار الحياة الدّافق ؛ فإذا هي تكتسب حياةً جديدةً . وكذلك يَحمد له انتشالَه للكلماتِ المألوفة التي اقتربتْ من العاميَّة فيمنحها الرَّونق والبهاء ، ويعيد إليها النَّضارة والصَّفاء ، وإذا هي تُؤدِّي في السياق ما لا تؤدِّيه كلمةٌ أخرى ؛ والحكم على الكلمة يُبنى على مدى توفيقها في تصوير إحساس الأديب ، وملاءمتها لما حولها من كلمات ، وتفاعُلها مع غيرها من الألفاظ ، لا على ما يكون لها من وقع مشرق ، أو جَرْس صوتيٍّ جميل .

وأصدق مقياس لدقة الأداء أن وَضْع كلمة مكان أخرى في بيت الشعر يغيِّر المعنى ؛ فليس أدقّ ولا أغنى من الكلمة التي استخدمها الشاعر ؛ لأنها اكتسبت معناها ودَلالتها الشُّعورية من علاقاتها بما قبلها وما بعدها من كلمات . ذلك أنه مهما كان الشيء الذي يسعى الأديب للتَّعبير عنه فإن كلمة واحدة تعبر عنه ، وفعلاً واحداً يوحي به ، وصفة واحدة تحدده .. ولهذا كان على الأديب أن يطيل البحث والتَّنقيب حتى يعثر على تلك الكلمة ، وذلك الفعل ، وتلك الصفة .

فعمليَّة الصِّياغة الأسلوبية ليست إلا كفاحاً متَّصلاً عن متطلَّبات المعنى والإحساس .

وهذا الإحياءُ لموات الكلمات ، والانتشالُ لمألوفها – مهمةُ الرُّواد في الأدب ، ولا يَجحد أحدٌ أن شوقي أحدُهم أو في مقدِّمتهم .

إن مسرحياتِ شوقي أثرٌ من غزارة موهبته ، واتِّساع ثقافته ، التي استطاعت أن تهضِمَ ما استفادتْه من الثَّقافات الأخرى ، وتمتصَّه ، وتفنيَه في ذاتها دون أن تَفْنى في ذاته ؛ فكانت أشبهَ بالنَّبات الحيِّ : يستعرضُ كنوزَ الأرض وجواهرها ، ثم يختار منها ما يَصلحُ له ، وما يَزكو عليه ؛ فإذا أخَذ منها أخذَ بمقدار ، وإذا أخذ بمقدارٍ حوَّل كلَّ ما يأخذه من هذه العناصرِ إلى عُصارةٍ تَسْري في أنسجته ، وتجري في تركيباته ؛ لِتُقوِّي كيانَه ولا تنقضه .

وهذا ما جعل مسرحياتِ شوقي تسافرُ من جيلٍ إلى جيلٍ ، دون أن تَفقِدَ عظمتَها ، أو تَغيض جِدَّتُها ، أو يذهبَ رونقُها ، أو يَخْثِرَ مذاقُها .

الدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد

ملاحق خاصة بدراسة أحمد شوقي

١- تواريخ هامة في حياة أحمد شوقي
(١٨٧٠-١٩٣٢)

* ١٨٧٠ في السادس عشر من شهر أكتوبر ولد أحمد شوقي ، كما هو مثبت في شهادة الليسانس التي حصل عليها من باريس في الحقوق .

* ١٨٨٥ أنهى الدراسة الثانوية ، ودخل مدرسة الحقوق لدراسة الحقوق والترجمة .

* ١٨٨٨ نشرت له جريدة « الوقائع المصرية » أول قصيدة في السابع من شهر أبريل ، وكانت في مدح الخديوي توفيق .

* ١٨٩٠ عينه الخديوي توفيق في قسم الترجمة بالقصر الخديوي ، وذلك بعد أن أتم الدراسة في مدرسة الحقوق .

* سافر إلى فرنسا على نفقة الخديوي توفيق ؛ لدراسة الحقوق ، واستمرت بعثته ثلاث سنوات قضاها بين مونبليه وباريس ، وزار كثيراً من مدن الجنوب الفرنسي وقراه ، كما زار إنجلترا والجزائر .

* ١٨٩٣ عاد من فرنسا في شهر نوفمبر ليلتحق بعمله في قسم الترجمة بالقصر الخديوي.

* ١٨٩٤ أوفدته الحكومة المصرية ممثلا لها في مؤتمر المستشرقين بسويسرا ، وفيه ألقى مطولته « كبار الحوادث في وادي النيل » ، ومن هناك سافر في رحلة لزيارة بلجيكا.

* تمتد هذه الفترة حتى عام ١٩١٤ ، حيث بلغ فيها شوقي مكانة عالية في قصر الخديوي ، ولدى الخلافة العثمانية ، وكثر شعره في مدح الخديوي والسلطان ، وفي الدعوة إلى الجامعة الإسلامية .

* ١٨٩٨ نشر الجزء الأول من « الشّوقيات » ، وكتب هو مقدمته .

* ١٩١٥ نفي إلى إسبانيا ، وقد أقام ببرشلونة ، وظل فيها حتى سنة ١٩١٩ ، وفي المنفى عكف على دراسة اللغة العربية وشعرها دراسة متعمقة ، وغنم فيها الشعر العربي أندلسياته .

* ١٩٢٤ عُيِّن عضواً بمجلس الشيوخ ، ورشحه لذلك سعد زغلول ، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته .

* ١٩٢٦ زاره شاعر الهند الكبير (طاغور) .

١٩٢٧ * جاءت وفود الأقطار العربية في التاسع والعشرين من شهر أبريل ، وبايعته بإمارة الشعر في احتفال كبير أقيم بدار الأوبرا المصرية بالقاهرة .

١٩٣٢ * في الرابع عشر من شهر أكتوبر سقطت قيثارة الشعر من يده ، ولبى نداء ربه عن اثنتين وستين سنة .

٢- آثاره

أولا – في الشعر :

* **الشوقيات** : صدر في أربعة أجزاء ، وكان قد كتب شوقي مقدمة الجزء الأول ، ثم حذفت وكتب المقدمة الدكتور محمد حسين هيكل ، أما الجزء الرابع الذي نشر بعد وفاته فقد كتب له مقدمة الأستاذ محمد سعيد العريان .
* **الحكايات** : وهي قصائد على ألسنة الحيوانات .
* **دول العرب وعظماء الإسلام** : أرجوزة شعرية ، تناول فيها تاريخ الإسلام ورجاله حتى آخر العهد الفاطمي . كتبها في أثناء نفيه في إسبانيا ، ولكنها نشرت بعد وفاته عام ١٩٣٣ .
* **ديوان الأطفال** : وفيه الشعر الذي كتبه للأطفال .
* **الشوقيات المجهولة** : صدر في جزءين ، قام بجمعه ونشره الدكتور محمد صبري السربوني ، ويحتوي القصائد التي لم تنشر في الشوقيات ، وقد نشر عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢ .

ثانيا – في المسرح :

أميرة الأندلس : مسرحية نثرية ، كتبها في أثناء نفيه في إسبانيا ، ثم أعاد كتابتها بعد ذلك ، ونشرت ١٩٣٢ .

البخيلة : مسرحية شعرية ، نشرت بعد وفاته بنصف قرن ، مرتين : الأولى – في مجلة الدوحة ، أعداد مارس ، أبريل ، مايو ١٩٨١ ؛ والثانية – عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، حققها سعد درويش ١٩٨٤.

* **الست هدى** : مسرحية شعرية
* **على بك الكبير أو دولة المماليك** : مسرحية شعرية كتبها في أثناء بعثته بفرنسا ، ثم أعاد كتابتها ونشرتها المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٣٢ .
* **عنترة** : مسرحية شعرية ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٣٢ .
* **مجنون ليلى** : مسرحية شعرية ، مطبعة مصر ، ١٩٤٩ .
* **مصرع كليوباترة** : مسرحية شعرية ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٥٤ .
* **قمبيز** : مسرحية شعرية ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٥٨ .

ثالثا – في الرواية :

* **شيطان بنتاءور أو لُبَد لقمان وهُدهد سليمان** : وهي محادثات قريبة من أسلوب الحكي في المقامات .

* **عذراء الهند أو تمدن الفراعنة** : رواية نثرية .

* **لادياس أو آخر الفراعنة** : رواية نثرية .

* **ورقة الآس أو النضيرة بنت الضّيزن** : رواية تاريخية .

وقد طبعت الروايات الأولى والثالثة والرابعة بمقدمة للأستاذ محمد سعيد العريان ، أما الثانية فتعد مفقودة .

* **دل وتيمان** : رواية نثرية تاريخية ، تعد تتمة لرواية لادياس ، وهذه لم تطبع .

رابعا – في النثر :

أسواق الذهب : وهو في موضوعات عامة مختلفة ، يلتزم فيه شوقي السجع ، أشبه ما يكون بكتابي : أطواق الذهب – للزمخشري ، وأطباق الذهب – للأصفهاني .

٣- دراسات متعلقة بأدب أحمد شوقي

أحمد الحوفي : وطنية شوقي . القاهرة ، نهضة مصر ، ١٩٦٠ .

أحمد عبد الوهاب أبو العز : اثنا عشر عاما في صحبة أمير الشعراء . القاهرة ، المكتبة التجارية، ١٩٣٢ .

أحمد محفوظ : حياة شوقي . القاهرة ، مكتب الجامعات للنشر ، د. ت .

أحمد هيكل : تطور الأدب الحديث . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٨ .

إدوارد حنين : شوقي على المسرح . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٦ .

أنس داود : الأسطورة في الأدب الحديث . طرابلس ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، د. ت.

حسن السندوبي : الشعراء الثلاثة (شوقي ، مطران ، حافظ) . القاهرة ، المكتبة التجارية ، ١٩٢٢ .

حسين شوقي : أبي شوقي . القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٤٧ .

شوقي ضيف : شوقي شاعر العصر الحديث . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ .

شوقي ضيف : فصول في الشعر ونقده . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ .

شكيب أرسلان : شوقي أو صداقة أربعين عاما . القاهرة ، الحلبي ، ١٩٣٦ .

الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٤ .

طاهر الطناحي : شوقي وحافظ . القاهرة ، كتاب الهلال ، العدد ١٩٤ .

طه حسين : حافظ وشوقي . القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٣٣ .

طه وادي : أحمد شوقي والأدب العربي الحديث . القاهرة ، روزاليوسف ، ١٩٧٣ .

طه وادي : شعر شوقي الغنائي والمسرحي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥ .

عباس حسن : المتنبي وشوقي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦ .

عباس محمود العقاد : الديوان في الأدب والنقد (بالاشتراك مع إبراهيم عبد القادر المازني). القاهرة ، مكتبة السعادة ، ١٩٢١ .

عباس محمود العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي . القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٣٧.

عباس محمود العقاد : قمبيز في الميزان . القاهرة ، المجلة الجديدة ، د . ت .

عبد الحكيم حسان : أنطونيو وكليوباترة بين شكسبير وشوقي . القاهرة ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٢.

عبد العزيز البشري : في المرآة . القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٢٧ .

عمر الدسوقي : المسرحية في الأدب العربي الحديث . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥١.

عمر فروخ : أحمد شوقي أمير الشعراء في العصر الحديث . بيروت ، مطابع الاستقلال ، ١٩٥٠.

كمال محمد إسماعيل : الشعر المسرحي في الأدب المعاصر . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦١ .

محمد حسن عبد الله : كليوباترة في الأدب والتاريخ . المكتبة الثقافية ، العدد ٢٦٧ ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٢ .

محمد مندور : مسرحيات شوقي . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٥ .

محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات . تونس ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١ .

محمود حامد شوكت : المسرحية في شعر شوقي . القاهرة ، المقتطف والمقطم ، ١٩٤٧ .

محمود حامد شوكت : الفن القصصي في الأدب المصري الحديث . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٦ .

تمهيد

تمهيد

زمن الرواية :

القرن السادس قبل الميلاد.

مكان الرواية :

مصر	**منفيس** : عاصمة مصر	
	صالحجر : مقر البلاط	
فارس	**سوس** : عاصمة الفرس	

أشخاص الرواية :

أمازيس : فرعون مصر
بسامتيك : ابن أمازيس و ولي العهد
نفريت : ابنة أمازيس
نتيتاس : ابنة فرعون أبرياس المقتول
قمبيز : ملك الفرس
تاسو : حارس فرعون
تتي : وصيفة الملكة نتيتاس
فاليس : كان قائداً في الجيش المصري ثم التحق بالجيش الفارسي
رجال الوفد الفارسي
رجال البلاط الفرعوني

قوّاد – **جُنْد** : من الفرس

ساحر – **راقصات** – **أقزام** – **نُوب** – **حُجّاب** – **خَدَم** : مصريون

الفصل الأول

المنظر الأول

(بالقرب من غرفة فرعون أمازيس الخاصة : تاسو حارس فرعون ، الأميرة نفريت ابنة الملك)

تاسو :
نفريتُ ؟

نفريت :
تاسو هَهُنا ؟

تاسو :
وَهَلْ أرى إلّا هُنا ؟
أحومُ حَوْلَ صَنَمي
وَحَوْلَ هَذي القَدَمِ

نفريت (وتنظر إلى رِجْلها) **:**
حَوْلَ رِجْلي أنا ؟

تاسو :
أجَلْ حَوْلَ هَذا الشُّهْدِ[1] والزُّبْدِ وَالنَّمير الصّافي[2]
ما بِكِ ، يا نفريتُ ؟ ما هَذا الأسَى ؟
ما بالُ عَيْنَيْكِ تُريدانِ الْبُكا ؟

نفريت :
تَسْأَلُني ما بي ، أ لَمْ تَعْلَمْ بِما
جَرى وَيَجْري مِنْ فَجائِعِ القَضا ؟

تاسو :
ماذا جَرى ؟ ماذا لَقيت مَلَكَتي
مِنَ القَضاءِ ؟ مُهْجَتي لَكِ الفِدا

نفريت :
كَيْفَ ؟ لَقَدْ كانَ حِسابي أنَّنا
بِخِطْبَةِ الفُرْسِ تَحَطَّمْنا مَعا

(١) الشُّهد : عسل النحل ما دام لم يُعصر من شمعه .

(٢) النَّمير : (من الماء) الطيب الناجع في الرِّيّ .

تاسو :
إذَنْ فَهَذا الغَمُّ مِنْ جَرّائِها ؟
وَأنتِ تَخْشَيْنَ الرَّحيلَ وَالنَّوى ؟

نفريت :
وَأَنْتَ ، يا تاسو ، أ لَمْ تَحْزَنْ ؟

تاسو :
أنا أحْزَنُ ، يا سُلْطانَةَ الفُرْسِ ، أنا ؟
لَقَدْ وَدِدْتُ لَوْ مَلَكْتِ كُلَّ ما
دَبَّ عَلى الأرْضِ وَطارَ في السَّما !

نفريت :
وَفُرْقَتي ، تاسو ، أ لَمْ تَحْزَنْ لَها ؟

تاسو :
وَلِمْ ؟ وَفي الفُرْسِ يَكونُ المُلْتَقى

نفريت :
في فارِسٍ ؟ في قَصْرِ زَوْجي نَلْتَقي ؟
يا عَجَبًا ! ماذا تَقولُ ، يا فَتى ؟

تاسو :
لِمْ لا ؟ أ لَيْسَ في القُصورِ سَعَةٌ ؟
نَحْنُ هُناكَ مِثْلُ ما نَحْنُ هُنا

نفريت :
هَذا الغَباءُ مِنْكَ تاسو عَجَبٌ
لَيْسَ المَكانانِ عَلى حَدٍّ سَوا
هُنا أبي إذا بَكَيْتُ رَقَّ لي
وَإنْ شَفَعْتُ لَكَ عِنْدَهُ عَفا

تاسو :
وَثَمَّ ؟

نفريت :
وَحْشٌ في إهابِ[3] بَشَرٍ
يَقْتُلُ مَنْ يَلْقى

(٣) الإهاب : الجلد .

تاسو :

أمُونُ نَجِّنا !

وَماذا اعْتَزَمْتِ ؟

نفريت :

اعْتَزَمْتُ البَقـاءَ

بِمِصْرَ وَفي ظِلِّ هَذي الحُجَرْ

وَبِالقُرْبِ مِنْكَ وَمِنْ والِدَيَّ

وَمِنْ إِخْوَتي وَذَوِيَّ الأُخَـرْ

وَبَيْنَ وَصيفاتِيَ المُشْفِقاتِ

وَمَنْ لاذَ[1] بي مِنْ بَناتِ الأُسَرْ

تاسو :

وَلَكِنْ تُرى كَيْفَ تَجْري الأُمورُ

إذَا عَلِمَتْ فارِسٌ بِالخَبَرْ

وَقيلَ لِقَمْبيزَ : فِرْعَوْنُ خالَفَ

وَابْنَةُ فِرْعَوْنَ لَمْ تَأْتَمِرْ[2] ؟

نفريت :

لِيَجْرِ بِما شاءَ تاسو القَضاءُ

لِيَجْرِ بِما شاءَ تاسو القَدَرْ

لِتُخْسَفْ بِقَوْمٍ عَلَيْها البِلادُ

لِيَسْتَأْخِرِ النِّيلُ أَوْ يَنْفَجِـرْ !

فَأَمَّا أَنـا فَسَأَبْقـى هُنـا

وَإِنْ غَضِبَتْ فارِسٌ وَالنَّمِـرْ

فَما الفُرْسُ لي بِالصِّحابِ الكِرامِ

وَلا لِيَ في مُلْكِهِمْ مِنْ وَطَرْ[3]

(تدخل الأميرة نتيتاس)

نفريت :

مَنِ المُفاجي نتيتا ؟

نتيتاس :

نفريتُ ، تاسو ، سَلامُ

نفريتُ أَصْغي لِقَوْلي

فَلِـي إِلَيْـكِ كَـلامُ

نفريت :

تَكَلَّمـي وَاقْتَصِدي

نتيتاس :

وَلَـمْ أَزَلْ مُقْتَصِـدَهْ

نفريت :

أَتَيْتِنـي شامِتَـةً ؟

نتيتاس :

لا بَلْ أَتَيْتُ مُسْعِدَهْ

آمونُ قَـدْ مَـدَّ إِلَيْـ

ـكِ وَإِلى الوادي يَدَهْ

وَقَدْ كَفى مِصْرَ البَلاءَ

والخُطُوبَ[4] المُرْعِدَهْ[5]

وَكَفَّ عَـنْ رُبوعِنا

نـارَ المَجـوسِ الموقَـدَهْ

نفريت :

وَكَيْفَ نتيتاسُ ؟ ماذا ؟ ما الخَبَرْ ؟

كَيْفَ جَرى غَيْرَ مَجارِيهِ القَدَرْ ؟

تاسو :

ما الأَمْرُ ، يا سَيِّدَتي ؟

نتيتاس :

وَأَيُّ شَأْنٍ فيهِ لَـكْ ؟

إِنَّ الَّذي عِنْدِيَ لا

يُقـالُ إِلّا لِلْمَلِـكْ

---

(١) لاذ : لجأ . (٢) لم تأتمر : لم تطع الأمر .

(٣) وطر : مأرب ، بُغية . (في الأصل : وتر)

(٤) الخطوب : جمع خَطْب ، وهو الأمر الشديد .

(٥) المرعدة : المنذرة بالشر .

نفريت :

عَجِّلـي إذَنْ * قابلي أبـي

أَسْرِعي الخُطى * إذْهَبي اذْهَبي

وَاسْأليــهِ مــا * شِئْتِ وَاطْلُبي

نتيتاس :

ما ذاكَ ؟ ماذا تَقوليــ

ــنَ ؟ فَكِّري ، يا نَفَرْتُ

ما جِئْتُ أطْلُبُ مالاً

وَلا لِهَـــذا حَضَـــرْتُ

وَلا بِشَأنِكِ يا بِنْـ

ــتَ آمَزيــسَ افْتَكَــرْتُ

نفريت :

فَفيمَ إذَنْ جِئْتِ ، يا نتيتاسُ ،

وَفي أيِّ شَأنٍ نَقَلْتِ القَدَمْ ؟

نتيتاس :

أَتَيْتُ لِمَصْلَحَـــةِ الآخَريـــنَ

وَجِئْتُ لِشَأنٍ جَليلِ العِظَمْ

أَتَيْتُ لأفْدي [1] بِنَفْسي البِلادَ

وَأَدْفَعَ عَنْ مِصْرَ شَرَّ العَجَمْ

فَإنَّكِ إنْ تَرْفُضي يَزْحَفــوا

كَزَحْفِ الذِّئابِ وَنَحْنُ الغَنَمْ

فَأَيْنَ أبوكِ ؟

نفريت.:

تُلاقينَهُ

هُنالِكَ في حُجُراتِ الصَّنَمْ

نتيتاس :

سَأَمْضي إلَيْهِ

نفريت (بتهكم) :

اِذْهَبــي

نتيتاس :

أَفْدي البِلادَ

نَعَمْ أنا أفْدي بِلادي نَعَمْ

(تخرج)

نفريت :

يا وَيْحَها [2] قَدْ ذَهَبَتْ

دَعْني تاسو وَاذْهَبِ

(يخرج تاسو)

(يدخل فرعون إلى غرفته الخاصة ، وهي حجرة صغيرة أرضيتها من الخشب الملوّن وفيها بضعةُ كراسي خفيفة الوزن، لطيفة الصنع ، وفي زواياها الأربع تماثيلُ للآلهة المصرية . فرعون أمازيس وابنته نفريت مقبلة عليه)

نفريت :

سَلامٌ يا ضُحى الشَّمْسِ

وَيَا غُــرَّةَ آبيـــسِ

وَيـــا حامِـــيَ سايـيـــسِ

وَيا حـــارِسَ منفيـــس

فرعون :

سَـــلامٌ شِبْـــهَ هاتـــورٍ

سَلامٌ شِبْــهَ إيزيـــسِ

نفريت :

أبي بَلْ نادِني يا بِنْـ

ــتَ فِرْعَـوْنَ أمازيـــسِ

فرعون :

تَعالَيْ أقْبِلــي يا بِنْـ

ــتَ فِرْعَوْنَ أمَازيـــسِ

وَفــي أيِّ جَليـــلٍ أوْ

صَغيرٍ ، يا تُرى جِئْتِ ؟

تَعالَيْ ، يا بُنَيّي ، قولي

سَلي فِرْعَوْنَ ما شِئْتِ

(١) ترك الشاعر نصب الفعل لاستقامة الوزن .

(٢) ويح : كلمة ترحُّم وتوجُّع .

نفريت :

أبي ، كُنْ لي فَقَدْ أظلَـ

ـمَتِ الدُّنيا بِعَيْنَيَّا

فرعون :

سأجلُو ظُلْمَةَ الدُّنْيا

وأمحوها بِكَفَيّا

« تغرورق عيناها بالدموع »

بنتاهُ

نفريت :

رَبَاهُ أبـي

فرعون :

ما لِلأميرَةِ باكِيَه ؟

هَلّا ادَّخَرْتِ لِمَصْرَعي

هَذي الدُّموعَ الغالِيَه

نفريت :

لا بَلْ تَعيشُ أبي وَتَبْـ

ـقَى في ظِلالِ العافِيَهْ

أبَتي تَهَيَّأ كُلُّ شَيْ

ءٍ لِلنَّوى المُتَرامِيَهْ (١)

فَغَداً تَضُمُّني القُصورُ

بَلِ القُبورُ الجافِيَهْ

في ألْفِ جارِيَةٍ لِقَمْبِيـ

ـزٍ هُناكَ وَجارِيَهْ

مِنْ كُلِّ مُرْسَلَةٍ (٢) هُنا

لِكَ كالبَهيمَةِ سالِيَهْ (٣)

فَبِأيِّ قَلْبٍ يا مَليكُ

تَزُفُّني لِلطّاغِيَهْ

أدْرِكْ فَتاتَكَ قَدْ ضَعُفْـ

ـتُ عَنِ احْتِمالِ الدّاهِيَهْ

(تدخل نتيتاس على فرعون أمازيس فتخرج نفريت)

فرعون :

مَنْ أرى ؟ إنّه لَحَظٌّ عَظيمٌ

نَتيتاسُ بِنْتُ الفَراعينِ عِنْدي

نتيتاس :

التَّحايا لِعَرْشِ مِصْرَ المُفَدّى

مِنْ أبي ساكِنِ السَّماءِ وَجَدّي

فرعون :

وَسَلامٌ الّذي عَلى عَرْشِ مِصرٍ

لا تُؤَدّينَهُ ؟

نتيتاس :

وَكَيْفَ أؤَدّي ؟

لَيْسَ بَيْنَ ابْنَةٍ وَساقي أبيها

غُصَّةُ (٤) المَوْتِ مِنْ سَلامٍ وَوُدِّ

إنَّ حِقْدي عَلَيْكَ دَيْنٌ وَبِرٌّ

رَبِّ لا يَذْهَبِ العُقوقُ بِحِقْدي

فرعون :

اِحْمِلي الحِقْدَ لي أوِ اطّرِحيهِ

وَتَمَنّيْ عَلَيَّ جاهي وَرِفْدي (٥)

اِسْألي تَسْألي أباكِ

نتيتاس :

مَعاذَ الـ

ـدَّمِ فِرْعَوْنُ لَيْسَ دُنْياكَ قَصْدي

فرعون :

فيمَ قَدْ جِئْتِني إذَنْ ؟

نتيتاس :

في حُقوقٍ

لِدِياري وَواجِبٍ نَحْوَ مَهْدي

---

(١) المترامية : المتزايدة . (٢) مرسلة : مطلقة من غير تقييد .
(٣) سالية : كارهة ومبغضة .

(٤) الغُصة : ما اعترض في الحلق من طعام وشراب .
(٥) الرِّفد : العطاء .

كُلَّ عامٍ صَبِيَّةٌ مِنْ بَناتِ الـشَّعْبِ
تُخْتارُ لِلْفِداءِ فتَفْدي
تَنْزِلُ النّيلَ غَيْرَ عائِفَةٍ (١) مـا
فيهِ لِلْمَوْتِ مِنْ حِياضٍ وَوِرْدِ (٢)
سَمَحَتْ بِالحَياةِ في غَيْرِ سَأْمٍ
وسَخَتْ بِالشَّبابِ في غَيْرِ زُهدِ
تَبْتَغي الخِصْبَ والرَّخاءَ وتَخْشا
لُ لِعَيْشٍ بِنِعْمَةِ النّيلِ رَغْـدِ
سَقَتِ النّاسَ بَعْدَها لَمْ تَقُلْ قَوْ
لَ الأنانِيِّ : يَهْلِكُ النّاسُ بَعْدي

فرعون :

قَدْ عَرَفْنا فَهَلْ تُريدينَ مِنّـا
أنْ تَكوني الّتي نَزُفُّ ونُهْدي ؟

نتيتاس :

تِلْكَ مَدْفوعَةٌ يُقَدِّمُها الكُـهّا
نُ لكِنَّنـي تَقَدَّمْتُ وَحْـدي
جِئْتُ أفْدي وَطَني مِـنْ
سَيْـفِ قمبيـزَ وَنـاره
جِئْتُ أفْدي وَطَني مِـنْ
دَنَـسِ الفَتْـحِ وَعـاره

فرعون :

ماذا تَقولينَ ؟ فيمَ جِئْتِ ؟
قمبيزُ ؟ الفَتْحُ ؟ مِصْرُ ؟ فارسْ ؟

نتيتاس :

نَفْريتُ تأبى المَسيرَ هَبْ لي
مَكانَها مِنْـكَ يا أمـازِسْ

فرعون :

أنْـتِ الّتـي تَذْهَبيـنَ ؟

نتيتاس :

لِمْ لا ؟

فرعون :

هَـذا هُـوَ النُّبْـلُ يا نتاتِـسْ
بَـخٍ بَـخٍ (٣) بِنتَ أخِـي

نتيتاس (في استنكار) :

أنْـتَ يا قاتِـلُ : عمِّـي ؟
لا .. أبـي يأبـى وَأُمّـي

فرعون :

لا تَدْفَعـي نَتيـتَ بـي
وَلا تَهيجـي غَضَبـي

نتيتاس (كالمستهزئة) :

تَقْتُلُني مِثْلَ أبي

(تظهر نفريت بالباب)

فرعون :

مَنْ ذا أرى ؟ نفريت ! هَيِّ ادْخُلي
لا تَقِـفُ الأقْمـارُ بِالْبـابِ

نفريت :

تَحِيَّـةُ الشَّمْـسِ لِسارعِ أبـي
تَحِيَّـةُ المَعْبـودِ آمـونِ

فرعون :

أتَيْتِ لِوَفْقِ الأمرِ نفريتُ أقْبِلي
تَعالَـيْ أنَبِّـكِ الجَليـلَ (٤) تَعالَـي

نفريت :

أبي لا جَليلَ اليَوْمَ إلّا مُصيبَتي

فرعون :

وَلَكِنَّهـا قَـدْ آذَنَـتْ بِـزَوالِ

نفريت :

وَكَيْفَ وَأنّى ؟

---

(١) العائفة : الكارهة .
(٢) الورد : الإشراف على الماء وغيره .
(٣) بخٍ بخٍ : كلمة تقال عند الرضا والإعجاب .
(٤) الجليل : العظيم الخطير .

فرعون :

أنظُــري مَــنْ بِمَجْلِســي

وَأَيٌّ رَسولٍ لِلسَّمــاءِ حِيالــي ؟

إلَهٌ لَعَمْري في قَميصِ أميرَةٍ

سَعَى لَكِ يَحْبو(١) عَوْنَهُ وَسَعَى لي

نفريت :

نتيتاس أخْتي ؟

نتيتاس (لنفسها) :

أخْتُها ؟ ما أضَلَّها !

مَتى كانَ بَيْتي مُجْرِمينَ وَآلي ؟

(نفريت لأبيها بعد أن سمعت نجواها)

أبي أ لِهَذا تَجْمَعُ اليَوْمَ بَيْنَنا ؟

وَما لابْنَةِ المَلْكِ القَديمِ وَما لي ؟

فرعون :

لَقَدْ بَعَثَتْها الشَّمْسُ مِنْ عَرْشِ مَجْدِها

شُعاعَ هُدًى مِنْ حَيْرَةٍ وَضَلالِ

تُزَفُّ إلى قَمبيزَ في مَوْضِعِ ابْنَتي

وَفي مَوْكِبٍ مِنْ وَفْدِهِ وَرِجالي

نفريت :

نتيتاس

فرعون :

قولي بِنْتَ فِرْعَوْنَ

نتيتاس :

أعْفِها ؟

نفريت :

وَلِمْ ؟

نتيتاس :

ذاكَ عَهْدٌ ، يا أميرَةُ خالِ

فَلا يَسْتَوي المَلْكُ القَشيبُ(٢) جَلالُهُ

وَآخَرُ مَخْلوعُ الجَلالَةِ بالِ

نفريت :

أ حَقٌّ نَتيتَا ما رَوى المَلْكُ ؟

نتيتاس :

ما رَوى أبوكِ صَدى صَوْتي وَرَجْعُ مَقالي

نفريت :

رُوَيْداً نَتيتَا راجِعي الرُّشْدَ(٣) إنَّما

تُضَحِّينَ ، يا أخْتي ، بِأنْفَسِ غَالِ

تُضَحِّينَ بِالدُّنيا الجَميلَةِ وَالصِّبا

وَهَذا الفَضاءِ السّافِرِ المُتَلالي

أ حَقٌّ عَقَدْتِ العَزْمَ ؟

نتيتاس :

بَعْدَ رَوِيَّةٍ

وَأقْنَعْتُ نَفْسي بَعْدَ طولِ نِضالِ

وَما لِيَ لا أعْطي الحَياةَ إذا دَعَتْ

بِلادي : حَياتي لِلْبِلادِ وَمالي

« ستــار »

---

(١) يحبو : يعطي .

(٢) القشيب : الجديد .

(٣) الرُّشد : الاستقامة على طريق الحق ، الهُدى .

المنظر الثاني

(حجرة عظيمة في قصر فرعون . وفد من الفرس ينتظر رسول الملك أمازيس . هنا وهناك في الحجرة نفر من حاشية فرعون)

رئيس الوفد :

لَقَدْ جُلْتُمو في بَلْدَةِ العِجْلِ جَوْلَــةً
وَما بَرِحَتْ بالزّائِريــنَ تُجــابُ (١)
فَكَيْفَ وَجَدْتُمْ قَــوْمَ فرعــونَ ؟

قباذ :

أُمَّــةً
إذا هِيَ قِيسَتْ بِالشُّعوبِ عُجابُ (٢)
لَهُمْ مِثْلُ ما لِلأُسْدِ بِالجِنْسِ عِــزَّةٌ
ضَواري(٣) الفَلا عِنْدَ الأسودِ كِلابُ
هُمُ الشُّهْبُ وَالنّاسُ الجَنادِلُ (٤) والحَصى
وتبرُ (٥) الثّرَى وَالعالَمون تُــرابُ
وَكُلُّ الّذي صاغوا مِنَ الفَنِّ آيــةٌ
وَكُلُّ الّذي قالوا هُدًى وَصَوابُ

الرئيس :

خَطَبْنا إِلَيْهِمْ أَمْسِ بِنْتَ مَليكِهِمْ
فَما كانَ إِلّا الاحْتِقارَ جَوابُ
وَأَشْفَقَ أَهْلوهــا وَقالــوا حَمامَــــةٌ
دَعاها إلى الوَكْرِ السَّحيقِ عُقابُ

(ثم يَعرض ببصره رجال القصر من المصريين)

تَأَمَّلْ (قباذُ) القَوْمَ وَانْظُرْ وُجوهَهُمْ
وُجوهٌ عَلَيْهــا لِلْهُمــومِ سَحــابُ
أَ لَسْتَ تَراهُمْ كُلَّما نَقَّلوا الخُطــى
لَهُمْ جِيئَةٌ مِنْ رِيبَــةٍ وَذَهــابُ ؟

قباذ :

وَلَكِنَّهُــمْ ما قَصَّروا عــنْ ضِيافَـــةٍ
طَعــامٌ وَنُزْلٌ طَيِّــبٌ وَشَــرابُ
وَخَمْرٌ فِنيقِيٌّ بِأَيْدي سُقاتِها
لَهــا نَفْحَةٌ مِسْكِيَّةٌ وَحَبــابُ (٦)
وَماذا عَلَيْنا أَنْ تَضيقَ وُجوهُهُمْ
إذا لَمْ تَضِقْ ساحٌ (٧) لَهُمْ وَرِحابُ (٨) ؟

(وعلى أثر ذلك يخاطب رجل آخر من الوفد صديقاً له في ناحية أخرى من الحجرة ، وكان عائداً هو أيضاً من المدينة)

الرّجل :

زفيروسُ ، مِنْ أَيْنَ ؟

زفيروس :

مِــنْ جَــوْ
لَــةٍ بِمنفيسَ

الأول :

كَيْفَ وَجَدْتَ البَلَدْ ؟
وَكَيْفَ احْتِقارُهُمو لِلْغَريبِ
إذا قامَ في شَأْنِهِ أَوْ قَعَدْ ؟
وكَيْفَ عُيونُهُمــو حَوْلَــهُ
إذا حَمَلَتْهُ احْتِمالَ الرَّمَدْ ؟

زفيروس :

وَجَدْتُ وُجوهاً عليها النَّعيمُ
وَدُنْيا عَلى جانِبَيْها الرَّغَدْ
وَسُوقاً تُفَضُّ وَسُوقاً تُقامُ
وَخَلْقاً يَروحُ وَخَلْقاً يَفِدْ

---

(١) تجاب : تُقطع سيراً .
(٢) عُجاب : تدعو إلى العجب الشديد .
(٣) الضواري : من السباع المولع بأكل اللحم .
(٤) الجنادل : الحجارة . (٥) التبر : الذهب .
(٦) الحَباب : الفقاقيع تظهر على وجه الشراب .
(٧) السّاح : جمع ساحة ، وهي الفضاء الذي يكون بين الدور .
(٨) الرحاب : جمع رحبة ، وهي الأرض الواسعة .

وَشَعْبًا عَلى خُطّةٍ في الحَياةِ
وَنَظمٍ بِهِ في الشُّعوبِ انْفَـرَدْ
وَلَمْ أَرَ مِثْـلَ صِناعاتِهِـمْ
سُمُوًّا وبُعْدًا علـى المُنْتَقِـدْ
وَلا مِثْلَ أَخْلاقِهِمْ مَبْلَغـا
مِنَ الفَضْلِ أَوْ مِنْ خِلالِ الرَّشَدْ
إِذا مَرَّ يافِعُهُمْ فـي الطَّريقِ
بِشَيْخٍ تَنحَّى لـه أو سجَـدْ

الأول :

تَبارَكَتِ النّارُ كِلْتَ المَديـحَ
لِمصرَ جُزافًا (١) وَلَمْ تَقْتَصِـدْ

زفيروس :

أَخي ما الَّذي أنْتَ ناعٍ (٢) عَلَيَّ
وَمَا قُلْتُ إِلا الَّذي أعْتَقِدْ ؟

الأول (مبتسماً) :

لَقَدْ سَحَرَتْ مِصرَ الفارِسِـيَّ
وَيا طالَما نَفَثَتْ في العُقَدْ (٣)
وَلكِنْ زفيروسُ كَيْفَ الجُنودُ ؟
وَكَيْفَ الحَديدُ ؟ وَكَيْفَ الزَّرَدْ (٤) ؟
وَهَلْ كُنْتَ تَلْقاهُمو في الطَّريقِ
وَتَنْظُرُ أَظْفارَهُـمْ واللِّبَـدْ (٥) ؟

زفيروس :

أَخي ما رَأَيْتُ بِمصرَ الجُنودَ
وَلَمْ يَأْخُذِ العَيْنَ مِنْهُمْ أَحَـدْ
سِوى فِتْيَةٍ من جُنودِ القُصورِ
وَضُبّاطِها في الثِّيـابِ الجُـدُدْ
يَروحونَ في الخُوَذِ اللّامِعاتِ
وَيَغْدونَ فـي الذَّهَـبِ المُتَّقِـدْ

الأول :

إِذَنْ هُوَ مُلْكٌ بِلا حائِـطٍ
رَقيقُ الأَواسي (٦) ضَعيفُ العَمَدْ (٧)
خَلا الوَكْرُ من صَرَخاتِ العُقا
بِ وَنامَتْ عَنِ الغابِ عَيْنُ الأَسَدْ
أُولئِكَ لا في حُماةِ الدِّيارِ
وَلا في العَديدِ وَلا في العُدَدْ
طَواويسُ في عَرَصاتِ (٨) القُصورِ
تَروقُ تَهاويلُها (٩) مَنْ شَهِـدْ
وَلا يُعْجِبَنَّكَ سِلْمٌ يَـرِفُّ
وَخَيْرٌ يَفيضُ وَمـالٌ لُبَـدْ (١٠)
وَآثارُ فَنٍّ تَروعُ العُقـولَ
وَأَجْسادُ مَوْتَى تَعيـشُ الأَبَـدْ
فَما أَنْتَ راءٍ سِوى جَنَّـةٍ
هِيَ الخُلْدُ أَوْ طَيْفُهُ في الخَلَدْ (١١)
يَهُبُّ عَلَيْها غَدًا عاصِـفٌ
مِنَ الفُرْسِ أَنَّى تَمَشّى حَصَـدْ

ثالث (متدخلاً) :

صَدَقْتَ أَخا الفُرسِ قُلْتَ الصَّوابَ
غَدًا يَعْصِفُ الفُرْسُ أَوْ بَعْدَ غَدْ

أحدهم لآخر:

أَ عَلِمتُمْ ماذا يُرَدَّدُ في القَصْـ
ـرِ ، وَماذا يُقالُ هَمْسًا وَ وَحْيا ؟

---

(١) جزافًا : أكثر دون أن يعلم المقدار . (٢) ناع : عائب .
(٣) نفثت في العقد : نفث : نفخ ، والعُقد : الخيوط التي يعقدها السحرة . (٤) الزرد : الدرع . (٥) اللِّبد : جمع لِبدة ، وهي : الشعر المتراكب بين كتفي الأسد .

(٦) الأواسي : جمع آسية ، وهي الدعامة . (٧) العَمَد : جمع عمود . (٨) العَرصات : جمع عَرْصة : ساحة الدار . (٩) التهاويل : جمع تهويل ، وهو زينة التصاوير والنقوش . (١٠) مال لُبد : مال كثير . (١١) الخلد : (بفتح الخاء واللام) : البال ، و (بضم الخاء وسكون اللام) الدوام والبقاء .

الثاني :

ما يقولونَ ؟ هاتِ قلْ

آخر :

كَيْفَ صِدْتَ السِّرَّ

في القَصْرِ ؟ كَيْفَ صِدْتَ النَّجِيّا [(١)] ؟

هاتِ قُلْ ما بِأَرْضِ مِصْرَ عَجِيبٌ

مِصْـــرُ دُنْيا وَسائِرُ الأَرْضِ دُنْيا

الأول :

هُمْ يَقولونَ إِنَّ بِنْتَ أَمازِيسَ

عَروسَ المَليكِ تَأْبَى المُضِيّـــا

الثاني :

هازِلٌ أَنْتَ ؟

الأول :

بَلْ سَمِعْتُ حَديثًا

إِنْ يَكُنْ مُفْتَرًى فَماذا عَلَيّا ؟

آخر :

إِنَّـــهُ يَهْـــذِي دَعْـوهُ

كاذِبٌ لا تَسْمَعوهُ

ما الَّذي زَخْرَفَ

الثالث :

أَلْقَى

كِذْبَةَ الأَجْيالِ فُـــوهُ

يَزْعُمُ المَلِكَةَ نَفْرِيـــ

ــتَ ابْنَةَ المَلْكِ أَمازِسْ

ترفُضُ السَّيْرَ مَعَ الوَفْـــ

ــدِ إِلى أَقْطارِ فارِسْ

آخر :

ما خَطْبُهُ ؟ ما يَدَّعي ؟

اِمْضِ بِنا لا تَسْمَعِ

يَقولُ فِرْعَوْنُ مِصـــرًا

لَمْ يَرْضَ قمبيزَ صِهْرا

الثاني :

مَنْ أَمازِيسُ ؟ ما الأَميرَةُ ؟ ما مِصْـــ

ـــرُ ؟ أَ في الأَرْضِ مَنْ بِقمبيزَ يَهزَا ؟

أَ هَذا خَبَرٌ يُـــرْوى ؟

غَبِيٌّ أَنْـــتَ وَاللّـــهِ

أَ تَحْتَ القُبَّةِ الزَّرْقا

ءِ مَنْ يَسْخَرُ بِالشّـــاهِ ؟

الأول :

اُعْزُبوا [(٢)] ما لَكُمْ وَلي

قَلِّلوا الشَّتْمَ وَالسَّخَـــرْ

ما الَّذي قَدْ أَتَيْتُـــهُ ؟

ناقِلُ الكُفْرِ مــا كَفَـــرْ

خَبَرٌ قيلَ قَدْ يَصِـــ

ـــحُّ وَقَدْ يَكْذِبُ الخَبَـــرْ

أحدهم :

يا صَحْبُ كَيْفَ تُرى تَقْضونَ لَيْلَكُمو ؟

وَكَيْفَ نومُكُمو في هَذِهِ الدّارِ ؟

آخر :

أَمّا أَنا فَإِذا اسْتَلْقَيْتُ طَوَّفَ بي

شَتّى [(٣)] الخَيالاتِ مِنْ سِحْرٍ وَسَحّارِ

وَأَنْتَ ؟

الأول :

يَغْشَى الكَـرى عَيْنـي فَيَصْرِفُـــهُ

عَنْها خَيالُ تَماسيحٍ وَأَنْـــوارِ

مِنَ التَّوابيتِ حَوْلي كُلُّ مُنْتَقِلٍ

بِغَيْرِ رِجْلٍ ولا ساقَيْنِ دَوّارِ

يُجيلُ مِنْ خَلْفِها الأَمْواتُ أَعْيُنَهُمْ

كَأَنَّها في الدُّجى أَحْداقُ أَنْمارِ [(٤)]

(١) النَّجِيُّ : السرّ .

(٢) اعزبوا : ابعدوا . (٣) شتى : جمع شتيت ، وهو المتفرق .
(٤) أحداق أنمار : أحداق جمع للجمع (حَدَق ، حِداق) والمفرد منها : حَدَقة . وأنمار جمع نمِر . والمراد أنها متقدة من شدة الغضب ؛ لأن النمر لا يُلقى إلا وهو غضبان .

وَ لا تَزالُ بِيَ الأَرْواحُ طائِفَةً

مُناجِياتٍ بِأَلْغــازٍ وَأَسْــرارِ

آخر :

أَمّا أَنا فَإذا ما جِئْتُ مُضْطَجَعي

عَوَّدْتُ نَفْسِيَ قَبْلَ النَّوْمِ بِالنّــارِ

فَلا يَطوفُ مِنَ الأَرْواحِ بي شَبَحٌ

مِنْ خَيِّرينَ وَإِنْ جَلَوا وَأَشْــرارِ

آخر :

هيّا اسْمَعوا ماذا رَأَيْتُ أَمْسِ

آخر :

ما ذاكَ ؟

الأول :

صَهْ

تَكَلَّـموا بِهَمْسِ

رَأَيْتُ عُصْفوراً بِرَأْسِ إِنْسِ

أَقْبَلَ حَتّى صارَ عِنْدَ رَأْسي

فَما مَلَكْتُ عِنْدَ ذاكَ حِسّي

آخر :

ثُمَّ ؟

الأول :

صَحَوْتُ فَوَجَدْتُ نَفْســي

مُنْطَرِحاً أَغُطُّ فَوْقَ كُرْسي

آخر :

وَأَنا

ثان :

أَنْتَ ما رَأَيْتَ ؟

الأول :

أَعْجَبَا

مِما رَأَى صاحِبُكُمْ وَأَغْرَبا ؟

رَأَيْتُ أبيسَ أَتَى مَضاجِعي

فَهَزَّها بِقَرْنِــهِ وَقَلَّبــا

ثُمَّ رَأَيْتُ

الثاني :

ما رَأَيْتَ ؟

الأول :

حِدَقًا

تَقَلَّبَتْ في اللَّيْلِ تَحْكي اللَّهَبا

آخر :

ثُمَّ ؟

الأول :

وَقالَ العِجْلُ أَنْتُمْ فارِسٌ ؟

قُلْتُ نَعَمْ ، فَقالَ لي لا مَرْحَبا

آخر في دهشة :

يا عَجَبًا العِجْــلُ قَــدْ

كَلَّمَــهُ يَــا عَجَبَـــا

(يدخل تاسو حارس فرعون)

تاسو :

أَيُّها الوَفْدُ سَــلامٌ لَكُمــو

بِنْتُ فِرْعَوْنَ سَتَأْتي بَعْدَ حينْ

تَتَلَقّاكُمْ بِما يَزْكو [1] بِكُمْ

مِنْ تَحايا وَتُجيبُ الخاطِبيـــنْ

رئيس الوفد :

أَيُّهـــا السَّيِّــدُ تاســـو

أُدْنُ مِنّـــا مَرْحَبـــا بِـــكْ

غِبْــتَ عَنّا زَمَنًــا حَتْـــــ

ـــتى اغْتَمَمْنــــا لِغِيابِـــكْ

لَمْ تَسَــلْ عَنّا وَلَــم تَبْـــ

ـعَثْ رَسولاً مِــنْ صِحابِــكْ

تاسو :

يا كَبيرَ الوَفْدِ هَذا الــــ

ـعَطْفُ قَــدْ أَثَّــرَ فِيّــا

(١) يزكو : يليق .

أَنْتَ لا تَجْهَلُ مِن أَنْـ
ظِمَــةِ الدِّيــوانِ شَيّــا
شَرَفُ الخِدْمَةِ لا يَجْـ
ـعَــلُ وَقْتــي بِيَدَيّــا

فارسيٌّ لآخر بصوت منخفض :

تاسو ؟ ومَنْ تاسو ؟

الآخر :

فَتًى
في القَصْرِ مَرْموقٌ (١) جَميلْ
نَدْمانُ فرعونٍ وَصا
حِبُــهُ وَحارِسُــهُ النَّبيــلْ
وَيَميلُ فرعونٌ إِلَيْـ
ـــهِ وبنتُه – أيضاً – تَميــلْ

حارسان يدخلان فيصيحُ أحدُهما :

الأول :

المَلْكُ فرعونُ سارَعْ

الثاني يردِّد :

المَلْــكُ فرعــونُ ســارَعْ

(يدخل الملك والأميرة نتيتاسُ وكبار الكهنة المصريين ، فيجلس الملك والأميرة ، ويقف تاسو وراءَ الملك ، فينهض رئيسُ الوفد ، ويقول)

رئيس الوفد إلى فرعون :

بركاتُ السَّماءِ فرعونَ مِصْرا
وَسَلامٌ مِنْ عاهِلِ الأَرْضِ كِسْرَى
رُسْلُ قمبيزَ نَحْنُ لَمْ نَألُ (٢) إحْسا
نَكَ يَوْماً ولا اهْتِمامَكَ شُكْرا
قَدْ خَطَبْنا إِلَيْكَ زَنْبَقَةَ الــوا
دي وَأَعْلى عَقائِلِ (٣) النِّيلِ قَدْرا
تَحْمِلُ الشّامَ إِنْ أَرَدْتَ صَداقًا
وَنَسوقُ العِراقَ إِنْ شِئْتَ مَهْرا
وَنُزَجّي (٤) الكُنُوزَ مِنْ قِيَمِ الياقو
تِ والدُّرِّ والزُّمُرُّدِ تَتْــرَى
إِنَّها فارِسٌ وَإِنّا لَنَرْجو
أَنْ سَتَرْضَى بِها حَليفاً وَصِهْرا

فرعون أمازيس إلى تاسو :

قُمْ أَجِبْ عَنّيَ الدَّهاقينَ (٥) تاسُو

تاسو :

سَيِّدي مَنْ أَكونُ ! مَوْلايَ : عُذْرا

نتيتاس :

أَبَتِ اعْفِهِ

ثم إلى تاسو :

مَكانَكَ تاسو
أنا بِالفَصْلِ في مَصيريَ أَحْرَى

نتيتاس إلى الوفد الفارسي :

مَرْحَبًا وَفْدَ فارِسٍ
رُسْلَ قمبيزَ مَرْحَبا
قَدْ تَأَخَّرْتُ عَنْكُمو
وَأَطَلْتُ التَّحَجُّبــا
وَنَهانـي مُطَبِّبـي
فَسَمِعْتُ المُطَبِّبــا
خَبِّأونــي لِوَعْكَــةٍ
وَمِنَ البَرْدِ يُخْتَبــا
لَمْ يَرَ النّاسُ صاحِبًا
كَالعَوافي (٦) مُحَبَّبــا

---

(١) مرموق : منظور إليه .
(٢) نألو : نقصِّر ونبطئ .
(٣) عقائل : جمع عقيلة ، وهي : السيدة المخدَّرة .
(٤) نزجي : نسوق وندفع . تَتْرى : متواترة والأصل : وَتْرى .
(٥) الدهاقين : جمع دُهقان: القوي على التصرف مع شدة خبرة.
(٦) العوافي : جمع عافية ، وهي البُرء من العلل ، والصحة .

رئيس الوفد :

أشكُري اللهَ يا بُنّتي
وَاذْكري فَضْلَ ما حَبا

كَـمْ سَألْنا فَجاءَنا
بِالّذي طمْأنَ النّبـا

أمازيس إلى تاسو بصوت منخفض :

ما لَها تاسُ أطْنَبَتْ
ولذا الشّيْخِ أطْنَبـا

تَرَكا خِطْبَةَ الـزّوا
جِ وَقاما لِيَخْطُبـا

نتيتاس بصوت منخفض وقد سمعتْ ما دار بينهما :

ما الّذي ساءَ والِدي
مِنْ كَلامي وَأغْضَبا ؟

ما لِفرعونَ ساخِطًا
ولِتاسـو مُقَطِّبـا ؟

فرعون بصوتٍ منخفض :

اِجْعَلي القَصْدَ يا بُنّتي
لَكِ في القَوْلِ مَذْهَبا

نتيتاس للوفد :

قَدْ دَعَوْتُمْ أبي لِما
يَرْفَعُ البِنْتَ والأبـا

إنّ فرعونَ كَوْكَـبٌ
صاهَرَ اليَوْمَ كَوْكَبا

اُذْكُروا لي مُقامَكُمْ
أ تُرى كانَ طَيِّبا ؟

أيُّها الوَفْـدُ قَلّمـا
صاهَرَتْ مِصْرُ أجْنَبا

مَرْحَبًا وَفْدَ فـارِسٍ

الملك بصوت منخفض :

شَبِعَ الوَفْدُ مَرْحَبـا

نتيتاس :

أنا إنْ عِشْتُ شِدْتُ لِلنْـ
ـنارِ بَيْتًا مُطَنّبـا (١)

فـي عُيونِ الوِهادِ مِـنْ
فارِسٍ أوْ عَلى الرُّبا

كُلّمـا لاحَ ضَـوْءُهُ
هَزّتِ الأرْضُ مَنْكِبا

رئيس الوفد :

هَلُمّي بارِكـي يا نـارْ
عَلى بِنْتِ الفَراعينِ

وَيا فارِسُ هاتوا الْغارْ (٢)
وَجيئوا بِالرّياحيـنِ

وَحَيّوا زَوْجَـةَ الجَبّـارْ
عَلى كُلِّ السّلاطينِ

(وينثر الفرسُ الرياحين على الأميرة نتيتاس وهم يتغنّوْن)

الكهنة المصريون يتغنّون :

آمـونَ قُـمْ شـارِكْ
فِرعونَ فـي العُرْسِ

تَعـالَ طُـفْ بـارِكْ
في مَلَكَةِ الفُـرْسِ

* * *

نَـحِّ الشّياطيـنَ
وَانْفِ العَفاريـتَ

وَاحْـرُسْ بِعَيْنَيْـكَ
مَوْكِبَ نفريـتَ

* * *

(١) البيت المطنّب : الذي له أطناب ، أي حبال ، يُشد بها .
(٢) الغار : شجر الرّند ، وهو شجر يصلح للتزيين ، كان الرومان يتخذون منه إكليلاً يتوجون به القائد المظفر أو الشاعر المفلِق .

آمون هَيَّ [١] اشتَـــرِكِ
في عُرْسِ بِنْتِ المَلِكِ
وَقُمْ إلَيْها كَلِّـــلِ [٢]
بِراحَتَيْكَ رَأسَهـــــــا
وَاشْهَدْ بِمِصْرَ واجْتَلِ [٣]
بِفـارِسٍ أعْراسَهـــــا

« ستــار »

المنظر الثالث

(بهو عظيم من القصر زين بالمصابيح البديعة الألوان المصنوعة من ورق البردي وأغصان الزيتون ، وصففت الأزهار والرياحين هنا وهناك . وفي ناحية من البهو جوقة العزف من حاملات القيثارة ، والعود ، والناي ، والدف . يموج المكان بأعضاء الوفد الفارسي في ملابسهم الفارسية الفاخرة وبرجال الحاشية وخدم القصر من الحرس والكهنة : كبارهم وصغارهم وفتيان النوبيين ، وقد وقف قهرمان القصر يصرّف الوصفاء والندل ويسخرهم في شؤون الوليمة . وقد مدت الموائد الفخمة وجعلت عليها ألوان الطعام المختلفة من خراف مشوية وباردة وبط صيد ، ومن سمك النيل ، ومن الحلوى بأنواعها ، وسلال الفاكهة . و وضعت هنا وهناك أباريق الذهب والفضة المملوءة من عتيق الخمر . يجلس على المائدة فرعون أمازيس وبجانبيه وأمامه كبار رجال الوفد الفارسي وعظماء رجال الكهنوت والدولة . وينتشر الآخرون على جنبات المائدة يتحادثون جماعات جماعات)

فارسي لصاحبه :

فَيْروزُ انْظُرْ تَرى الخِرافـــا
حُمْرًا لِطافًا عَلى الخُوانِ
ذا سَمَكُ النّيلِ في الأواني
كَأنَّهُ مِعْصَمُ الغَواني

(١) هيَّ : اسم فعل أمر بمعنى أسرع . (٢) كلل : ألبسْها الإكليل ، وهو التاج . (٣) اِجْتَلِ : أنظر .

وَأعَيْنٌ تِلْكَ في جُفونِ
أمْ ذَلِكَ البَطُّ في الجِفانِ [٤] ؟

فيروز :

ذَكَرْتَ كُلًّا وَلَمْ تُرَحِّبْ
بِخَمْرِ ساموسَ [٥] في الدِّنـــانِ
وَخَمْرِ فينيقيا المُصَفّـــى
كَأنَّـــهُ رِيقَـــةُ [٦] الحِســـانِ

فيروز :

وَخَمْرُ مصرٍ في قَصْرِ فرعونَ

ثالث :

تِلْـــكَ مَجْهولَـــةُ المَكـــانِ

الأول :

فيـــروزُ دَعْنـــي خَلِّنـــي
الْخَمْرُ لَيْسَـتْ دَيْدَنـــي [٧]
مِـــنْ خَمْـرِ آتينـا وَسـا
مُـــوسٍ ومِصــرَ اعْفِنـــي
الأكْلُ ، يا فَيْروزُ ، شُغْــ
ــلـي وَبِــهِ تَفَنُّنـــي
تَشْرَبُ وَالبَطْنُ خَلِـــي ؟
يا لَكَ مِـــنْ مُغَفَّـــلِ !
كُلْ هَيْءَ فَيْروزُ كُلِ [٨]
هَذا الخُوانُ قَدْ كَمَـــلْ
مِـــنْ كُلِّ جانِبٍ حَمَـــلْ
هَذا شُوِي ، هَذا قُلِي
وَالبَــطُّ فـــي الأطْبـــاقِ
بَطْبَـــطَ [٩] فـــي الرُّقـــاقِ

(٤) الجفان : جمع جَفْنَة ، وهي القصعة . (٥) ساموس : جزيرة يونانية في بحر إيجة ، اشتهرت بصناعة الخمور .
(٦) الريقة : القدر من الريق ، وهو اللعاب . (٧) ديدني : عادتي ودأبي . (٨) الهيْء : (بفتح الهاء وكسرها) الدعاء إلى الطعام أو الشراب . (٩) بَطْبَط : سبَح أو غاص .

مِنْ رَأسِهِ لِلأرْجُلِ

ثالث :

وَهَـــــذِهِ الإوَزُّ
رَجْراجَــةٌ تَهْتَـــــزُّ
قَدْ طُيِّبَتْ بِالتَّابِلِ

فيروز للأول :

أخي كِلانا قَدْ صَدَقْ
فما لنا لا نَتَّفِــــقْ
آكُلُ ما تأكُلُ مِنْ طَعامٍ
وَنَحْتَسِي مَعًا مِـنَ المُـدامِ

الثالث :

هذا لَعَمْري مُحْكَمُ الكَلامِ

فرعون إلى رئيس الوفد :

سَيِّدي لَوْ تَقـولُ لــي
كَيْفَ قَمْبيزُ وَالقَـدَحْ ؟

الرئيس :

إنَّ قمبيــزَ سَيِّــدي
مَلِــكٌ كُلُّـهُ مَــرَحْ
لَيْسَ تَخْلـو قُصـورُهُ
مِنْ سُرورٍ وَمِــنْ فَــرَحْ

فارس آخر :

لكِنْ له شُغْلٌ عن الـ
خَمْــرِ بِطــولِ غَزْوَتِــهْ

فرعون :

أينَ تُــرى يَشْرَبُهــا ؟

الفارسي :

يَشْرَبُهـا فـي خوذَتِــهْ
كَعَبْدِهِ ابْنِ أمَتِه

(ويخلع الفارسي خوذته ، ويصب فيها خمراً ويشرب .
بعض صغار رجال الوفد الفارسي يتحادثون فيما بينهم)

أحدهم :

لَيْتَ شِعْري فَلَسْتُ أدْري إلى أيِّ
بَلاءٍ قمبيزُ يَدْفَعُ فـارِسْ ؟
قَدْ فَتَحْنا الفَضاءَ شَرْقًا وَغَرْبًا
وَمَلَكْناهُ مِنْ عُبابٍ [1] وَيابِسْ
اِتَّسَعْنا مِنَ الفُتوحِ

آخر :

يَقينًا
غَيْرَ أنَّا لَمْ نَفْتَكِرْ بِالحارِسْ
خَلِّ « ماني » عَنْكَ السِّياسَةَ دَعْها
خَلِّ عَنْكَ الفُضولَ ، خَلِّ الوَساوِسْ
إنَّ شَرْقَ البِلادِ ضَيْعَةُ قمبيـ
ـزَ وَغَرْبَ البِلادِ حَقْلُ أمازِسْ
سائسٌ [2] العالَمينَ أسْعَدُ منـه
رَجُلٌ لِلْحِمارِ وَالبَغْلِ سائسْ

ثالث :

أُنْظُـرِ الحَفْـلَ « بَهـــارٌ »
اِسْتَخَفَّتْــهُ الكُــــؤوسْ

رابع :

وَفْـــدُ قمبيـــزَ وَهَـــذا
مَلِـكُ مِصْــرِ آمزيــسْ
ذَهَـــبُ الأرْضِ عَلَيْهِـــمْ
غَرِقَـتْ فيــهِ الطُّقــوسْ
ساسَــةُ الدُّنْيـــا وَكُـــلُّ
غَيْرِهُمْ فيهــا مَســوسْ

الثاني :

خَلِّنــا بِاللّــهِ مِــنْ ســا
سَ ، وَدَعْنا مِنْ يَسوسْ

---

(١) العباب : ارتفاع الموج واصطخابه ، والمراد هنا البحر .
(٢) السائس : المتولي رياسة القوم وقيادتهم .

لِمْ نَظَلُّ الدَّهْرَ مَرْءو
سِينَ وَالغَيْرُ الرَّئِيسْ ؟
لِمَ « ماني » ؟ لا أنا
رَذْلٌ [1] وَلا أَنْتَ خَسيسْ

الأول :

كُلُّ ما أعْجَبَ كِسْرَى
فَهْوَ في الفُرْسِ نَفيسْ
كُلَّ حينٍ حاكِمٌ يَمْـ
ـشي عَلَيْنا وَيَدوسْ
هَكَذا يَخْتَلِفُ الحَظُّ
سُعُودٌ ونُحُوسْ
إنَّ بَعْضَ النّاسِ أَذْنا
بٌ لِبَعْضٍ هُمْ رُؤوسْ
مَنْزِلُ الأُسْدِ الصَّحارَى
وَعَلى المَرْعَى التُيوسْ [2]

الأول :

لِمَ يا « ماني » يَسودُو
نَ وَنَبْقى لا نَسودُ
وَنُقادُ الدَّهْرَ وَالآ
خَرُ يا « ماني » يَقودُ ؟

آخر :

يا أخي نَحْنُ كِلانا
عاجِزُ الرَّأْيِ بَليدُ
هَذِهِ الدُّنْيا لِمَنْ
يُقْدِمُ فيها أَوْ يُريدُ
سُنَّةُ الكَوْنِ وَما
عَنْ سُنَّةِ الكَوْنِ مَحيدُ [3]

آخر :

أنَا يا « ماني » طَموحٌ
أنا لا أكْتُمُ عَنْكا
أنا في الدُّنْيا وَفي زِيـ
ـنَتِها أرْغَبُ مِنْكا
أنا أهْوى سَعَةَ العَيْـ
ـشِ وَلا أرْضاهُ ضَنْكا [4]

الأول :

اِرْضَ بِما كانَ وَما
يَكونُ أَوْ فانْفَلِقْ
وَهَيَّ نَشْرَبْ قَدَحَيـ
ـنِ أَوْ فَهَيَّ انْطَلِقْ

أحدهم :

القَدَحا ، القَدَحا
الخَمْرُ تَنْفي التَّرَحا [5]
قَصْرًا أرى أَمْ فَلَكا ؟
وَشَجَرًا أَمْ قُزَحا [6]
وغادةً تَسْقي أم الظَّبْـ
ـيَةَ أَمْ شَمْسَ الضُّحى ؟
وَخُوَذًا عَلى رُؤو
س فارسٍ أَمِ الرَّحى ؟
القَدَحا ، القَدَحا
هَاتوا الشُّعاعَ المُفْرِحا
هاتِ السَّنا [7] هاتِ القَبَسْ
هاتِ الشَّذا هاتِ النَّفَسْ
هاتِ سِراجَ المِهْرَجا
نِ هاتِ شمعةَ العُرُسْ

---

(١) الرَّذْل : السافل الحقير .
(٢) التيوس : جمع تَيْس ، وهو الذكر من المعز والظباء .
(٣) المحيد : المفرّ .

(٤) الضنك : الضيق من كل شيء . (٥) الترح : الحزن .
(٦) اكتفى الشاعر باستخدام كلمة « قزح » بدلا من « قوس قزح » ليستقيم الوزن .
(٧) السنا : الضوء الساطع .

هاتِ ابنةَ الشعاعِ والظِّ
لِّ ابنةَ العَذْبِ السِّلِسْ [١]

أحدهم لرئيس الوفد :

مَوْلايَ أَلقِ السَّمْـ
ـــعَ وَابْعَـثِ النَّظَـرْ
ماذا ترى ؟

الرئيس :

أرى
« بَهاراً » قَـدْ سَكِـرْ

الأول :

فَتَــاكَ غَنَّــــى
وَفَتـايَ قَـدْ شَعَـرْ

الرئيس :

ومـا الَّذي ضَـرَّ ؟

الأول :

صَدَقْـتَ ، لا ضَـرَرْ

الرئيس :

وَنَحْـنُ ما نَصْنَـعُ ؟

الأول :

شُـرْبٌ وَسَمَـــرْ

الرئيس :

وَنَحْـنُ أَيضًا بَـــ
ـــشَرٌ وَهُـمْ بشَـرْ
فَلْيَشْرَبوا مِـنْ هَـا
هُنـا إلـى السَّحَـرْ

أحد الشبان :

رَئِيسَ الوَفْدِ لا زِلْتَ
لِمـا يَرْفَـعُ تُخْتَـارُ
وَلا ساواكَ دُهْقانٌ [٢]
وَلا داناكَ إِسْـوارُ [٣]

وَغالَى بِكَ قمبيـــزُ
وَحَلَّتْ جِسْمَـكَ النَّـارُ

(يدخل وصيف من وصفاء القصر وبيده مومياء من الذهب يعرضها على الضيفان ، و وراءه رجل يقول ويكرر)

المُومِيَا طوفوا بِهـــا
وَاتَّعِظـــوا بِخَطْبِهـــا
لا تَسْأَلوا ما هِيَ ؟ مَنْ ؟
نَكَّرَهـا طـولُ الزَّمَـنْ
هَيَّا كُلوا هَيَّا اشْرَبوا
هَيَّا اسْمَعـوا هَيَّا اطْرَبـوا
تَمَتَّعـــوا بِالفانِيَـــهْ
قَبْـلَ الحَيـاةِ الثَّانِيَـــهْ
خُدوا [٤] المُدامَ الصَّافِيَهْ
قَبْلَ انْكِســارِ الآنِيَــهْ

فارسي لآخر:

خورشيدُ ، هَذا هُوَ البَلاءُ
كُـلُّ أحاديثِهِمْ فَنـاءُ

خورشيد :

رِوايَةُ المَوْتِ حَيْثُ راحوا
وَقِصَّةُ المَوْتِ حَيْثُ جاءوا

(يقترب تاسو من نتيتاس في ناحية أخرى من البهو ويقول)

تاسو :

نتيتاسُ ، أَ لا كَـــاسٌ
أَ لا شَكْوى أَ لا عَتْبُ ؟
أَ يُنْسى في سُوَيْعــاتٍ
وَيُطْـوى ذَلِكَ الحُـبُّ ؟

نتيتاس :

دَعِ الحُبَّ فَلَمْ يُخلَقْ
لَهُ مَـنْ لا لَهُ قَلْـبُ

---

(١) السلس : اللَّيِّن السهل . (٢) الدهقان : رئيس القرية أو الإقليم . (٣) الإسوار : قائد الفُرس . (٤) خدوا : أسرعوا .

تاسو :

وَما ذَنْبي ؟

نتيتاس :

لَقَدْ أَحْسَنْتَ

لَكِنْ لي أنــا الذَّنْــبُ

أنا أَحْبَبْتُ عابِثًا

سادِرَ [1] القَلْبِ جافِيــا

يَعْشَقُ الجاهَ والغِنَى

لا يُحِــبُّ الغَوانِيــــا

مستمرة :

أَنْتَ كالنِّعمةِ [2] من قَصْرٍ لِقَصْرْ

أنتَ كالنَّحْلَةِ مِنْ زَهْرٍ لِزَهْرْ

مستمرة :

باعَدَتِ الأَخْــلاقُ مــا بَيْنَنا

أَيْنَ أخو العَهْدِ مِنَ النّاكِثِ [3] ؟

لَعِبْتَ بي فيما مَضى عابِثًا

فَالعَبْ بِغَيْري اليَوْمَ كَالعابِثِ

أَقْسَمْتَ لي فَاذْهَبْ فَأَقْسِمْ لها

فَأَنْتَ أَهْلُ القَسَمِ الحانِــثِ

أَحْبَبْتَ بِنْتَ الحَيِّ حَتّى قَضى [4]

وَاليَوْمَ أَحْبَبْتَ ابْنَةَ الــوارِثِ

كَمْ مَجْلِسٍ كانَ لَنا ثالِثٌ

فيهِ وَقَدْ تَعْمى عَنِ الثّالِــثِ

تاسو :

ما هُوَ مَنْ ؟

نتيتاس :

الحُبُّ يا مُدَّعي

وَالحُبُّ حَرْبُ الظّالِمِ العائِثِ [5]

(يعرض عنها تاسو ويبتعد)

نتيتاس لنفسها :

مَضى الغادِرُ لَمْ يَشْعُرْ
بِما حَمَّلَني الغَــدْرُ
وَلا رَقَّ لَهُ نــابٌ
على جُرْحي وَلا ظُفْــرُ
تَكَلَّمْتُ فَلَمْ يَسْمَــعْ
وَأَنّى يَسْمَعُ الصَّخْــرُ ؟
لَقَدْ غامَرْتُ في تاسو
وتاسو في الهَوَى غُمْرٌ [6]
كَمِ اسْتَشْفَيْتُ بِالسِّحْرِ
فَما عافانِيَ السِّحْــرُ
وَكَمْ نادَيْتُ آبائــي
فمــا لَبّانِــيَ النَّصْــرُ
وَكَمْ جِئْتُ إلى الصَّبْرِ
فما آوانِــيَ الصَّبْــرُ
جَزاءُ المُعرِضِ التَّيّا [7]
هِ مِنْكِ الصَّدُّ والكِبْــرُ [8]
هَبيهِ نَأَتِ الــدّارُ
بِــهِ أَوْ نَــزَحَ القَبْــرُ
هَبِي مَعْرِفَةَ الغــادِ
رِ لَمْ يَأْتِ بِهــا الدَّهْرُ
أَقِلّي شُغُلَ الفِكْــرِ
فَقَدْ أَتْعَبَــكِ الفِكْــرُ
هَبيهِ مَرَّتِ السِّــنُّ
عَلَيْهِ وَمَشــى العُمْــرُ
فَلَمْ يَبْقَ لَهُ نَهْــيٌ
علــى الغيــدِ [9] وَلا أَمْــرُ

---

(١) السادر : التائه . (٢) النعمة : (بكسر النون) الرزق والمال .
(٣) الناكث : الناقض العهد . (٤) قضى : مات .
(٥) العائث : المفسد .

(٦) الغُمر : الذي لم يجرب الأمور . (٧) التياه : المتكبِّر .
(٨) الكِبْر : العَظَمة والتَّجبُّر .
(٩) الغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة ذات الحسن الكامل .

وَلَمْ يَبْقَ لَهُ في البَا
لِ تِمْثـالٌ وَلا ذِكْـرُ

(مدعوّ من المصريين يشير إلى نفريت وهي متنكرة في زي يوناني ويقول لرجل بجانبه)

المدعوّ :
مَنِ المرأةُ ؟

الآخر :
مَنْ ؟

الأول :
تلكَ ! تَراها مِثْلَ طاوُسِ
تراها مَعَ كالياسِ

الثاني :
ومَنْ ؟

الأول :
وارِثُ فانيـسِ
أميرُ الجَيْشِ في مَنْفِ
وَأسْـوانَ وَسايـسِ

الثاني :
أجَلْ تِلْكَ الّتي تَظْهَـ
ـرُ في أغْرَبِ مَلْبوسِ
فَهذا الوَجْهُ مِصْـرِيٌّ
وَهَذا الزِّيُّ ساموسي

(رجل فارسي لآخر يدعى قُباذ)

الرجل :
أنْظُرْ قُباذُ ما تَـرى ؟

قباذ :
أحْسَنَ شَـيْءٍ مَنْظَـرا
حَمامَةٌ تُطارِحُ الشَّـ
ـجْـوَ حَماماً ذَكَـرا
يا لَيْتَ أذْني سَمِعَـتْ
مِنَ الحَديثِ مـا جَـرى

الأول :
دَعْنيَ مِنْ ذِكْرِ الهَوى إنّني
مُذْ كُنْتُ لَمْ أعْشَقْ وَلَمْ أعْشَقِ

قباذ في تهكم :
وَأنْتَ كالنّاسِ امرُؤٌ عائِشٌ ؟
تِلْكَ لَعَمْري عيشَةُ الأحْمَقِ

الأول :
قبـاذُ ، قَـدْ عَرَفْتُـهُ
ذَلِـكَ تاسـو الحـارِسُ

قباذ :
الحَمْـدُ للهِ عَلـى
أنْ لَـمْ تَحُـزْهُ فـارِسُ
إذَنْ لَهامَتْ كاعِـبٌ [1]
بِحُبِّـهِ وَعانِـسُ

(تاسو يقترب من نفريت)

نفريت :
تاسو هُنا ؟ هاتِ اسْقِنـا

تاسو :
لَبَّيْكِ يا ذاتَ البَهـاءْ
لَبَّيْكِ يا بِنْتَ السَّمـاءْ
يا لَيْتَني كُنْتُ الرَّحيـ
ـقَ وَلَيْتَني كُنْتُ الإنـاءْ

(ويناولها قدحاً)

نفريت :
تاسُ مِنْ أينَ ؟ ومَـنْ
كُنْتَ من الغيدِ تُحـدِّثْ ؟

تاسو :
كُنْتُ أجامِلُ الضُّيو
فَ وَالْبَـي المِلِكَـا

(١) الكاعب : الفتاة الناهد .

فَعارَضَتْني نتيتـــا
سُ في خِلالِ ذَلِكَـــا

نفريت :

وَما الّذي قُلْتَ لَهــا
تاسُ وَما قالَتْ لَكَــا

تاسو :

عادَتْ لِذِكْرِ حُبِّنا القَديمِ
وَعَطَفَتْ عَلى الهَوى الذَّميمِ
وَطـــالَ العِتـــابُ

نفريت :

وَطـــالَ السِّبـــابُ

تاسو :

بِحَقِّ الحُبِّ نفريـــتُ
أَقِلّي الشُّغْـلَ بِالأخرى
وَلا تُلْقي لَنا تيتـــا
سُ لا بالاً وَلا فِكْرا
غَدًا تَخْلو لَنا مِصْـــرُ
غَدًا يَصْفو لَنا القَصْـــرُ
غَدًا تَرْحَلُ لا أَرْجَعَـــ
هـا البَــرُّ وَلا البَحْـــرُ

نفريت :

مـا لَكَ تـاسُ وَلَهــا
خَلِّ الفَتــاةَ خَلِّهـــا
لله مــا أَعْظَمَهـــــا
عِنْدي ! وَما أَجَلَّهـــا !
قَدْ أَظْهَرَتْ أَمْسِ أَمـــا
مي فَضْلَهـــا وَنُبْلَهـــا

تاسو :

ما فَعَلَتْ ؟

نفريت :

ما أَنْتَ مَنْ
يَقْـــدُرُ ، تاسُ ، فِعْلَهـــا
أَلَمْ تَصْبِرْ عَنِ الوَطَنِ المُفَدّى
وَتَسْمَحْ بِالدِّيارِ وَبالشبـــابِ
وَتَرْضَ بِأَنْ تُزَفَّ غَدًا مَكاني
إِلى النَّمِرِ الأَميرِ عَلى الذِّئابِ

تاسو :

صَهِ نَفْريتُ صَهْ لا يَسْمَعونا
فَتَلْقَى مِصْرُ أَنْواعَ العَــذابِ

(في ضجة الوليمة يقف صاحبان هما : منا ، وأحامس ، ويتحادثان . صديقهما خوفو يُقبل عليهما ، ثم القائد كالياس)

مِنا :

أُنْظُرْ أحامسُ

أحامس :

مـــاذا ؟

مِنا :

فِرْعَوْنُ بيـنَ صِحابِـــهْ

أحامس :

وَما تَرى مِنْ عَجيبٍ ؟
ماذا بِفِرْعَوْنَ ما بِـــهْ ؟

مِنا :

أُنْظُرْ تَجِــدْهُ إِلهًـــا
فــي عَبْقَــرِيِّ ثِيابِـهْ

أحامس :

لا تُلْـــقِ بالاً إِلَيْـــهِ
وَلا إِلــى أَذْنابِـــــهْ
غَدًا يَصُبُّ عَلَيْهِـــمْ
قَمبيزُ سَــوْطَ عَذابِـــهْ

مِنا :

أحامِسُ ، استَغْفِرْ لِما قُلْتَهُ
فالُ الشّياطينِ وَلا فالُكْ

أحامس :

قَدْ كُنْتَ مِثْلي يا مِنا ساخطاً
تَلعَنُ فِرْعَوْنَ فَما بالُكْ

ثم مستمراً :

تأمّلِ القَصْـــرَ مِنـــا
وَانْظُرْهُ أرْضـــا وَسَمـــا
انْظُرْ تَرى الإغْريقَ فيـــ
ـهِ هُمْ لَفيفُ العُظَما
انْظُرْ تَجِدْهُمْ كُلَّهُـــمْ
يُمَلِّقُـونَ [1] العَجَمـــا

مِنا :

ماذا على فرعـــونَ إنْ
رَعاهُمـــو وَقَدَّمـــا
أ لَيْسَ لِلضَّيفِ علـــى
ضائِفِـــهِ أنْ يُكْرَمـــا ؟

أحامس :

وَصاحِبُ الـــدّارِ إذَنْ
يَمـــوتُ جوعـــا وَظَمـــا
وَصاحِبُ الـــدارِ إذَنْ
لا يَتَعَدّى السُّلَّمـــا

خوفو :

ماذا أثـــارَ الصّاحِبَيْـــ
ـنِ ؟ لِمْ ؟ وَفيمَ [2] اخْتَصَما ؟

أحامس :

كُنْ مُنْصِفاً إنْ رُمتَ يا
خوفـو تَكونُ الحَكَمـــا

تأمّلِ القَصْـــرَ خوفـــو
أ فيهِ مِنْ مصرَ شَيٌّ ؟
أ لَيْسَ فِـرْعَونُ فيـــه
كَأنَّـــهُ أجْنَبِـــيٌّ ؟
فَأيْـنَ حَفّـارُ مِصْـــرٍ
وَفَنُّـــهُ العَبْقَـــرِيُّ ؟
وَالجَيْـــشُ خوفـــو ؟

خوفو :

خُـــذِ الحِـــذْ
رَ يا مِنا ، يا أحامِسْ
كالياسُ آتٍ إلينا

مِنا :

ومَنْ ؟

خوفو :

خَليفةُ فانِسْ

أحامس :

اليومَ كاليـاسُ وَأمْسِ فانِسُ
احْتَكَرَ القِيـادةَ الأبالِـــسُ

(ويقبل عليهم كالياس)

فرعون أمازيس لتاسو :

أيْنَ أقْزامِيَ ؟ اِمْضِ جِئْ بِأقْزامِيَ تاسُ

(يدخل الأقزام في أزياء المهرجين ، فيقولون)

تَحِيّاتٌ لِفِرْعَوْنَ
سَلامُ الشَّمْسِ لِلمَلْــكِ
سَلامٌ قائِدَ الخَيْلِ
سَلامٌ حامِــيَ الفُلْــكِ

قهرمان القصر للأقزام :

هَلُمّوا رَقْصَةَ الحور
إذا طُفْـــنَ بِهاتـــور
سَماءِ العِزِّ وَالنّور

أحد الأقزام :

نَحْـــنُ القُـــزُمْ
أنْصـــافُ نـــاسْ

---

(١) يملّقون : يتودّدون له بكلام لطيف .
(٢) في الأصل : وفيما .

ناسٌ وَبِالشِّبْرِ نُقاسْ

ثان :

نَحْنُ الدُّمى وَاللُّعَبْ
بِنا يَتِــــمُّ الطَّـــرَبْ

ثالث :

هَلُمّوا رَقْصَةَ المَوْتى
مِنَ الكَهْفِ إلى الكَهْفِ
وَدُوروا كَالتَّماثِيـلِ
مِنَ الرَّفِّ إلى الــرَّفِّ

آخر :

ثِبِي جُثَثْ عَلى الجَدَثْ ثِبِي ثِبِي
حَبْوَ الصِّغارْ عَلى اليَدِ والرُّكَبِ
هَيّا قِفِي هيّا ازْحَفِي هيّا العَبِي
هُنا الطَّعامْ هَيّا كُلِي هُنا الشَّرابْ هيّا اشْرَبِي

آخر :

تَعالَ يا دُهْقانُ ارْقُصْ مَعي
وَأَنْتَ يا « إسْوارُ » قُمْ اطَّلِعِ
وَاقْتَبِسا الأَنْوارَ مِنْ سارَعِ

الجميع :

عِشْ يا مَلِكْ مَعَ الزَّمَنْ
مُطَوَّقاً مِصْـرَ المِنَنْ [1]
وَذائِداً عَنِ الوَطَــــنْ

(ثم يكررون « عش يا ملك » وينصرفون)

فرعون أمازيس إلى وجهاء الفرس :

يا وُجَهاءَ الفُرْسِ قالوا لَكُمْ
مِصْرٌ بِلادُ السِّحْرِ والسّاحِرِ
فَرُبَّما سَرَّكُمو أَنَّنــي
أجيئُكُمْ بالسّاحِرِ القادِرِ

وينادي :

حوتيب

حوتيب :

لَبَّيْكَ سارَعْ

فرعونَ :

تَعالَ لَهُ [2] الضُّيوفــــا

حوتيب :

سادَتي إنِّيَ في الكَـــ
ـــفِّ وَفي الجَبْهَةِ أَقْــرا
أنا أقرا لَكَ حَظّـــا
أنـا أَقْـرَا لَـكَ عُمْـرَا
أنا الَّذي بِسِحْرِيَ المُبينِ
أَسْتَطْلِعُ المَكْتوبَ في الجَبينِ

فرعون إلى تاسو :

تاسو اقْتَرِبْ

تاسو :

لَبَّيْكَ يا سارَاعِ

فرعون :

لِمْ أَجْلَبوا [3] ما خَطْبُهُمْ ما الدّاعي ؟

(ضجة وهمس)

فرعون مستمرا :

وَفيمَ هَذا الهَمْسُ والتَّراعي [4]

تاسو :

مَوْلايَ إنَّ الوَفْدَ في ارْتِياعِ [5]

تاسو في أذن الملك :

اِنْقَلَبَتْ عِصِيُّهُمْ أفاعــي

فرعون :

يا لَحوتَيْبَ مِنْ فَتًى صَنّاعِ [6]

(١) المِنَن : جمع مِنّة ، وهي : الإحسان والإنعام .

(٢) لهُ : فعل أمر من لها بمعنى آنِس . (٣) أجْلبوا : اجتمعوا .
(٤) التراعي : مراقبة المصير والنظر في العواقب .
(٥) الارتياع : الفزع . (٦) صَنّاع : حاذِق ماهِر .

رئيس الوفد :

لِلَّهِ دَرُّ السَّاحِـــــرِ
هَذا مِــنَ العَباقِـــــرِ

حوتيب :

أناةً وَفْدَ فارِسَ لا تُراعوا
وَلا تُحْصوا دُعاباتِي عَلَيّـــا
خُذوا قُضْبانَكُمْ وَتَأَمَّلوها
لَقَدْ عادَتْ كما كانَتْ عِصِيًا

فرعون :

حوتيبُ قَدْ سَرَّ ضَيو
فَــي أَنْ يَرَوْا وَيَسْمَعــوا
فَزِدْهُمُو فَعِنْدَكَ السِّــ
ــحْرُ الغَريبُ المُمْتِــعُ

حوتيب :

فِرْعَوْنُ هَذا شَــرَفٌ
يَطيرُ بــي وَيَرْفَـــعُ
أَصْنَعُ ما كانَ دَدَا السِّـ
ـسَاحِرُ قَبْلي يَصْنَــعُ

فرعون :

وَما الَّذي تَصْنَعُ ؟

حوتيب :

جيئُوني بِـرَأْسٍ يُقْطَــعُ
فَإِنَّنـــي أَرُدُّهُ
لِجِسْمِهِ وَأَرْجِـــعُ
فَمَنْ مِنَ الوَفْدِ بِرَأْ
سِهِ إِلَيَّ يَدْفَــعُ ؟

رئيس الوفد لرجاله :

هَلْ مِنْكُمُو يا مَعْشَرَ الفرسِ بَطَلْ
عَنْ رَأْسِهِ لِساحِرِ النّيلِ نَزَلْ ؟

حوتيب :

هاتوا الرُّءُوسَ لا يَخافَنَّ أَحَدْ
فَكُلُّ رَأْسٍ سَيُرَدُّ لِلْجَسَــدْ

أحدهم :

رَأْسِي غَيْــرُ هَيِّــنِ

ثانٍ :

رَأْسِي عَمودُ بَدَنـــي

ثالث :

رَأْسِـي لَــدَيَّ غالـي
رَأْسِيَ كُـلُّ مالـــي

فرعون :

حوتيبُ ما مِنْ أَحَــدِ
هانَ عَلَيْهِ رَأْسُـــهُ
أُنْظُرْ إِلَيْهِمْ كُلُّهُــمْ
عَزَّتْ عَلَيْهِ نَفْسُـــهُ
خَلِّ حوتيبُ (١) النّاسَ واخْـ
ـتَرْ غَيْرَهُمْ لِلتَّجْرِبَــهْ

حوتيب :

مُرْهُمْ إِذَنْ أَنْ يُحْضِـروا
إِوَزَّةً أَوْ أَرْنَبَــــهْ

فرعون لتاسو :

اِمضِ تاسو جِئْ حُبَيْـــ
ـباً بِإِوَزٍّ وَأَرانِـــبْ

(يخرج تاسو ثم يعود ببضع من الإوز والأرانب ، فيقطع حوتيب رأس إوزة ويقول)

شالَ هَبَدْ شالَ هَبَــدْ
لا يُعْجِزُ السِّحْرَ أَحَدْ
يا رأسُ عُدْ إلى الجَسَدْ

الفرس :

تَعالَتْ قُدْرَةُ النّارِ

---

(١) ليستقيم الوزن ينطق اسم حوتيب بدون مد الحاء ، أي حُتَيب.

المصريون :

تَعالَ الرَّبُّ آمون

فرعون :

هَيَّ حُتَيْبُ امْشِ ما بَيْنَ الصُّفوفْ

وَطالِعِ الجَبْهاتِ وَاقْرَأ الكُفوفْ

حوتيب :

بِرَأسِ مَنْ أَبْدَأ

مُرْني يا سارِعْ

فرعون مبتسماً وملتفتاً لتاسو :

بِرَأسِ تاسو

اقْرَأْ ما في جَبينِهِ

وَبَيِّنِ المَحْجوبَ

مِنْ شئُونِهِ

حوتيب وهو يتأمل جبين تاسو :

هَذا فَتًى باطِنُهُ جَمادُ

لَيْسَ وَراءَ رَأسِهِ فُؤادُ

رَأسٌ عَلَيْهِ وَقَفَ الجَلادُ

تاسو :

اِخْسَأْ كَذَبْتَ وَضَلَّ سِحْرُكْ

فرعون :

وَرَأسي يا حوتيبُ أَ لا تَراهُ ؟

حوتيب :

جَبينُكَ أَعْفِني مَوْلايَ مِنْهُ

فرعون :

تَعالَ حوتيبُ

حوتيب :

لا ! هَذا شَديدٌ

جَبينُ الشَّمْسِ تَنبو العَيْنُ عَنْهُ

يا عَجَبًا ! ماذا أَرى ؟

فرعون :

ماذا تَرى ؟

حوتيب :

دَمٌ جَرَى

فرعون :

دَمي أنا ؟

حوتيب :

لا ، سَيِّدي !

عوفيتَ ، بَلْ دَمُ الوَرى

تاسو :

إِذَنْ لِيَجْرِ كَالمَطَرْ

ما هَمَّنا دَمُ البَشَرْ

إذا سَلِمْتَ يا مَلِكْ

فَلْيَهلِكَنَّ مَنْ هَلَكْ

كاهن لآخر بصوت منخفض :

إنَّ هَذا الغُلامَ فيهِ قَساوَهْ

الآخر :

قُلْتَ حَقًّا وَفيهِ أَيْضاً غَباوَهْ

فرعون :

وَبَعْدُ ماذا ؟

حوتيب :

حَرْبٌ عَوانٌ (١)

يَشيبُ مِنْ هَوْلِها الزَّمان

فرعون :

وَهَلْ أَكونُ يا حُتَيبُ فيها ؟

حوتيب :

سِواكَ يا مَوْلاي يَصْطَليها

فرعون :

وَابْني بسامًا يا حُتَيبُ ما تَرى ؟

هَلْ يَشْهَدُ الحَرْبَ وَهَلْ يَراها ؟

---

(١) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى .

حوتيب :

سَيِّدي لَيْتَ الأميرَ حاضِرٌ

أنا لا أقْرأُ إلّا في الجَبينِ

(قهرمانة القصر تطيف بالعازفات والحسان وتقول)

القهرمانة :

قُمْنَ إلى اللَّهْوِ يا عَذارَى

وَخُذْنَ صَنْجًا وَخُذْنَ دُفًّا

وَاهْتِفْنَ بِالشِّعْرِ وَالأغاني

وَاقْطَعْنَ لَيْلَ الشَّبابِ قَصْفًا [1]

وَأَنْشِدْنَ مَعَ القَـــوْمِ

نَشيدَ المَلِكِ العالـــــي

(ينشد الجميع نشيد فرعون مع الرقص وآلات الطرب)

النشيد :

فِرْعَوْنُ أَنْتَ الرَّفيـــعُ

أَنْتَ العَظيمُ الشَّـــانِ

وَأَنْتَ سَدٌّ مَنيـــعٌ

مِنْ جارِفِ الفَيَضـــانِ

وأنتَ كالصَّخْرِ تَحْمي

مِنْ نَكَباتِ العَواصِفْ

مِنْ قاطِعِ الطُّرْقِ يَأوي

إلى حِماكَ الخائِـــفْ

وَأَنْتَ مِنْ صَخْرٍ طيبَهْ

حِصْنٌ مَشيدُ الجِـــدارِ

يُؤْوَى إلَيْكَ وَيُلْجـــا

إلى طُلوعِ النَّهـــارِ

أَنْتَ اخْضِرارُ الرِّيفِ

وَأَنْتَ حُسْنُ الرَّفيفِ [2]

تَرُدُّ بَطْشَ القَـــوِيِّ

وَفَتْكَـــهُ بِالضَّعيـــفِ

(فرعون يغادر مكان الوليمة فينطلق المدعوون على إثره ولا يبقى إلا نتيتاس)

نتيتاس لنفسها :

أفيقي بِنْتَ فِرْعَـــوْنِ | فَما يَزْكو [3] بكِ السُّكْرُ
غَدًا تَذْرو رِياحُ الفُرْ | سِ مِنْ مَوْتاكِ ما تذرو
غَدًا يُصبَغُ مِنْ شَطٍّ | لِشَطٍّ بِالـدَّمِ النَّهْـــرُ
غَدًا يُهْتَكُ عَنْ أربا | بِكِ المِحْرابُ والسِّتْرُ
فَما تاســـو وَفِتْيانٌ | كَتاسو في الحِمَى كُثْرٌ
هُمُو النَّحْلُ وَإنْ هابوا | لِقائي وَأنـا الزَّهْـــرُ
يَموجونَ بِساحاتـــي | وَيَزْهو بِهِمُ القَصْـــرُ
وَلَكِنْ بَيْنَ جَنْبَـــيَّ | هَوًى أَوْلَى بِهِ مِصرُ

« ستار »

(١) القصْف : اللهو واللعب .

(٢) الرفيف ، هنا : البريق . (٣) يزكو بك : يليق بك .

الفصل الثاني

في مدينة سوس الفارسية

(في حجرة فارسية فخمة مفروشة بثمين الطنافس ومملوءة بالوسائد من الحرير المختلف الألوان ، وقد زينت زواياها بالرياحين الكريمة . الملكة و وصيفتها تتي في الحجرة المذكورة)

الوصيفة تتي وهي تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها :

تَبارَكَ الَّـذي خَلَـقْ
أقولُها وَلا مَلَقْ

ذَوائِبٌ (١) أمِ الدُّجى
وَمَفْرِقٌ أمِ الفَلَقْ ؟ (٢)

غَدائِرٌ فـي الكَتِفَيْـ
ـنِ أسْدِلَتْ وَفي العُنُقْ

كَأنَّها مِنَ الحَريـــ
ـرِ الأسْوَدِ الخَيْطِ شُقَقْ (٣)

لَمْ يَخْلُ جَوُّ فارِسٍ
مُذ ضَمَّها مِنَ العَبَقْ (٤)

الملكة :

ما تَصْنَعينَ يا تِتِي ؟

تتي :

أُصْلِحُ مَوْلاتي

الملكة :

لِمَنْ ؟

تتي :

لِلـــزَّوْجِ يا سَيِّدَتِـــي

الملكة :

لِنَمِرِ الفُرسِ الخَشِـــنْ

تتي :

هَبيــهِ ذِئْبًا مَلْكَتِـــي
أوْ نَمِرًا أوْ كَرْكَدَنْ (٥)

أ لَيْـسَ لِلأزْواجِ تَلْـ
ـبَسُ النِّساءُ ما حَسُنْ ؟

الملكة ملتفتة إلى وصيفتها تتي :

قُلْتِ حَقًّا تتي فَإنَّ عَلى المَرْ
أةِ لِلزَّوْجِ أنْ تَكونَ أمينَهْ

وَعَلَيْها ألا تُقَصِّرَ بِشْرًا
حَيْثُ تَلْقاهُ أوْ تُقَصِّرَ زينَهْ

تتي الوصيفة :

بَلْ تَحَلَّـيْ مَليكَتِـــي
وَالْبَسي حُلَّةَ البَهـــاءْ

وَافْتِني مَـــنْ بِفـــارِسٍ
مِنْ رِجالٍ وَمِنْ نِســـاءْ

إنَّ كِسْرى وَقَوْمَـــهُ
كُلُّهُمْ في الهَوى سَواءْ

أنْتِ كَالشَّمْسِ في الضُّحى
فانْثُري الحُسْنَ وَالضِّيـاءْ

لا عَلَى القَصْرِ وَحْـــدَهُ
بَلْ على الأرْضِ والسَّماءْ

الملكة :

يا لَكِ مِنْ وَصيفَةٍ مُمَلِّقَهْ !
عارِفَةٍ بِالجُمَـــلِ المُنَمَّقَـــهْ

---

(١) الذوائب : جمع ذؤابة ، وهي من كل شيء أعلاه ، والمراد : شعر الرأس .

(٢) الفلق : الصبح ينشق من ظلمة الليل .

(٣) الشقق : جمع شُقَّة ، وهي القطعة المستطيلة من الثياب .

(٤) العَبَق : انتشار الرائحة في جو المكان .

(٥) الكركدَّن : حيوان ثديي عاشب ، له قرن واحد قائم فوق أنفه ، يقال له : وحيد القرن ، وقد خُفِّف لإقامة الوزن .

الوصيفة :

لَقَدْ وَضَعْتُ ذَهَبًا في البُوتَقَهْ
وَلَمْ أصِفْ بِالطِّيبِ إِلّا زَنْبَقَهْ
وَقُلْتُ عَنْ شَمْسِ النَّهارِ

الملكة :

مُشْرِقَهْ

(ويظهر على الملكة التفكير واشتغال البال فجأة ، ثم تتغنى في نفسها وهي مقبلة على المرآة تنظر فيها)

الملكة في نفسها :

يا ظالِمًا أحِبُّهُ
جَهْدَ الهَوى وَإِنْ غَدَرْ
وَمَنْ هَجَرْتُ وَطَنِي
لأَجْلِهِ حينَ هَجَرْ
قَلْبُكَ لَحْمٌ وَدَمٌ
مِثْلُ القُلوبِ أَمْ حَجَرْ ؟
لَمْ يَتَنَصَّلْ مَرَّةً
مِمّا جَنى وَلا اعْتَذَرْ
جِسْمٌ كَسَلْسالِ الصَّفا (١)
عَلى فُؤادٍ كالصَّخَرْ
وَزَهَرٌ أَنْتَ وَتِلْكَ النَّفْسُ أفعى في الزَّهَرْ
لَمْ تَجْنِ يا تاسوُ عَلَيَّ إِنَّما جَنى القَدَرْ
ذَنْبُكَ لا يُغْفَرُ إِلّا أَنَّ قَلْبي قَدْ غَفَرْ
إِنْ غِبْتَ عَنْ عَيْني فَأَنْتَ في سَوارِحِ (٢) الفِكَرْ
أراكَ كُلَّما رَأَيْتُ طائِرَيْنِ في الشَّجَرْ
وَكُلَّما بَدَتْ لِيَ الشَّمْسُ وَلاحَ لي القَمَرْ
وَكُلَّما جِئْتُ الرِّياضَ وَ وَقَفْتُ بِالغُدُرْ (٣)
وَكُلَّما تَرَنَّمَ الشّادي وَحَرَّكَ الوَتَرْ
وَكُلَّما دَبَّتْ وَراءَ اللَّيْلِ نَسْمَةُ السَّحَرْ
يا لَيْتَ شِعْري كَيْفَ أَنْتَ ما تَجيءُ ما تَذَرْ ؟
وَكَيْفَ حُبُّكَ الجَديدُ هَلْ حبا وَهَلْ كَبِرْ ؟
وَهَلْ وَفَيْتَ أَمْ غَدَرْتَ بِالعَشيقاتِ الأُخَرْ ؟

الوصيفة :

دَعِي النّاسِيَ مَوْلاتي
وَخَلّيكِ مِنَ السّالي (٤)
وَلا يَخْطِرْ لَكِ النّاكِـ
ـثُ لِلعَهْدِ عَلى بالِ

نتيتاس :

هَبِيهِ يا تِتا خانَ
فما لي لا أفي ما لي ؟
لَهُ خُلُقٌ وَلي خُلُقٌ
وَلَكِنْ خُلُقِيَ العالي

تتي :

هُوَ يا مَلِكَتي مِثا
لٌ وَلَكِنْ مِنَ الوَحَلْ
كانَ يَكْفي لِبُغْضِهِ
بَعْضُ ذاكَ الَّذي فَعَلْ

نتيتاس :

أنا أفْديهِ يا تِتا
بِحَياتي وَإِنْ قَتَلْ

تتي :

لَوْ كانَ مَعْشوقي أنا

نتيتاس :

ما الَّذي كانَ يُلاقي ؟

تتي :

آهِ لا أدْري
بالصَّفعِ أَجْزِيهِ وَبِالرَّكْلِ أَوْ
كُنْتُ أُرِيهِ النَّجْمَ في الظُّهْرِ

(١) الصَّفا : جمع صفاة ، وهي الحجر العريض الأملس .
(٢) سوارح : جمع سارحة ، وهي المرسلة .
(٣) الغُدُر : جمع غدير ، وهو النّهر الصغير .
(٤) السالي : من طابت نفسه بعد الفراق .

نتيتاس :

الحُبُّ فـــي ناحِيَـــةٍ
وأَنْتِ ذي في ناحِيَةْ
ما هكَذا الحُـــبُّ تِتـــا
ما الحُبُّ إلّا التَّضْحِيَةْ

(تسمع ضجة وصياح وحركة جنود وراء القصر وصوت استغاثة)

يقول المستغيث :

العَفْـــوَ يا كِسْـــرى
الصَّفْحَ يا سُلْطانْ
أخـــوكَ وَالنّـــا
رِ وَمَجْدِها ما خانْ

الملكة :

اِسْمَعي يا تِتا أ لَمْ يأتِكِ الصَّوْ تُ ؟

تتي تطل من نافذة :

أَجَلْ ثَمَّ ضَجَّـةٌ وعَـويلُ
ثَمَّ خَيْلٌ وَشُرْطَةٌ وسِـــلاحٌ

الملكة :

لَيْتَ شِعْري مَنِ البَريءُ القَتيلُ ؟

تتي :

أ قَتيلٌ يا بِنْتَ فِرْعَـوْنَ ؟

الملكة :

لِمْ لا
لَيْسَ في أَرْضِ فارسٍ مُسْتَحيلُ
يا تِتا نَحْنُ في بَلَـــدْ
كُلُّ قَلْبٍ بِـــهِ جَمَـــدْ
الحيُّ فيـــهِ رَخيـــصٌ
وَالمَيْتُ أرخَـــصُ مِنْـــهُ
هُنَا المَيْتُ تُنْفَضُ مِنْهُ الأَكُفُّ
وَتَنْهى الشَّرائعُ عَـــنْ دَفْنِهِ
وَيُطْرَحُ ناحِيَةً في الفَضاءِ
عَلى سَهْلِهِ أَوْ عَلى حَزْنِهِ [1]
تَروحُ الحِداءُ على رَأْسِهِ
وَتَغْدو الذِّئابُ عَلـى بَطْنِهِ

تتي :

وَيْحَهُمُـــو وَيْحَهُمُـــو
أ ما مِنَ النّاسِ هُـــمُ ؟
ذَلَّـــتْ وَهانَـــتْ أُمَّـــةٌ
مَيْتُهُمُـــو لا يُكْـــرَمُ

الملكة وهي مطلة :

تِتـا هَـذا هُـوَ الحـارِسُ
وَهَـــذا مَـــنْ تُحِبِّينـــا
كَذَوْقِكِ يا تِتا لم يَعْلُ ذَوْقٌ
أ تِمْثالٌ حَبيبُكِ أَمْ إلاهٌ ؟

تتي :

وَلَوْ فَوْقَ الإلهِ يُحَبُّ شَيْءٌ
وَيُكْرَمُ لَمْ يَكُنْ أَحَداً سِواهُ
تَأَمَّلي كَتِفَيْهِ تَأَمَّلي مَنْكِبَيْهِ
كَأَنَّ صَقْرَيْنِ حَطّا فظَلّلا شارِبَيْهِ

الملكة :

اِنْتَظِري لا بُدَّ لي أَنْ أَسْأَلَهْ

تتي :

لا تَفْعَلي ما لَكِ مَوْلاتي وَلَهْ ؟

الملكة :

يأَيُّها الحارِسُ

الحارس :

لَبَّيْكِ

الملكة :

مَنْ يَقْتلونَ اليَوْمَ في السّاحَةْ ؟

---

(١) الحَزن : من الأرض ما غلظ ، والسَّهل ضده .

الحارس :

أُخْتُ المَلِكْ أتوسيا

الملكة :

أُخْتُ المَلِكْ ؟

الحارس :

أجَــلْ هيــا

أُتْهِمَتْ بِبُرْديا

تتي :

مَــنْ بُرْديا ؟

الملكة :

أخو المَلِكْ ! يَقْطَعُ في السَّاحَةِ رَأسَ بُرْديا

يا أسَفا عاوَدَهُ جُنونُهُ

تتي الوصيفة (وقد أطرقت الملكة لحظة مفكرة مغتمة) :

ما بِكِ مَوْلاتي مــا
غَمَّكِ ما هَذا الأسى ؟

الملكة :

لا شَيْءَ بي لَقَدْ وَهِمْـ
ـتِ يا تِتا لا شَيْءَ لا

الوصيفة :

بَلْ أَنْتِ تَكْتُمين غَـ
ـمًّا طافَ أوْ هَمًّا سَرى

هَلْ ذَكَـرْتِ أنَّنــا
غَريبَتانِ هــا هُنــا

أَنْتِ لِيَ الأهْــلُ
وَلَكِنِّي أنا لَكِ الحِمَى

وَما عَلـى الغَريبِ إنْ
جاءَ الغَريبَ فاشْتَكى

الملكة :

صَدَقْتِ يا تِتـا أنــا
وأَنْتِ في الكَرْبِ سَوا

قَدِ اجْتَمَعْنا بَعْدَ قُرْ
بِ الدّارِ في دارِ النَّوى

تتي :

أيْــنَ إذَنْ تَبَسُّــمٌ
كالصُّبْحِ مِنْ فيكِ يُرى

الملكة :

لَقَدْ رَأَيْتُ الهَوْلَ والـ
ـزَّوْلَ (١) وَما هَدَّ القُوى

تتي :

أضْغـــاثُ أحْلامٍ وزو
رٌ مِنْ تَهاويلِ الكَرى

الملكة :

رَأَيْتُ رُؤْيا يا تِتــا
هَلْ لَكِ عِلْمٌ بِالرُّؤى ؟

الوصيفة بعد تفكير :

أجَلْ تَذَكَّرْتُ أجَــلْ
عِنْدِيَ مِنْ ذاكَ شَدا (٢)

قَدْ كُنْتُ في الصِّبا عَلى
أبي أقُصُّ مــا أرى

الملكة :

رَأَيْتُنــي كَأَنَّنــي
في قَصْرِ آبائي بِصا (٣)

الوصيفة :

في القَصْرِ مِنْ صاالحَجَرْ
قَصْرِ الجَلالِ وَالبَهــا

---

(١) الزَّول : العَجب .

(٢) الشدا : الطرَف .

(٣) يقصد صا الحجر أو صان الحجر ، وهي بلدة مصرية من آثار تانيس القديمة ، وكانت عاصمة الهكسوس وفراعنة الأسَر من الحادية والعشرين إلى الرابعة والعشرين .

الملكة :

رَمَيْتُ عَيْنَيَّ مِـنَ الـ
ـقَصْرِ إلى أقْصى مَدى
رَأَيْتُ وادِيًـا كَطُـو
لِ البيدِ أوْ عَرْضِ الفَلا
أصْفَرَ مِـنْ شِعابِـهِ
بَنَفْسَجِـيٌّ المُنْحَنـى
اِحْمَرَّ مِثْـلَ قُـزَحٍ
هَنـاكَ وَاخْضَرَّ هُنـا
رَأَيْتُ لَيْثًا أحْمَرَ الـ
ـجِلْدَةِ خَشْنًا كالصَّفا
فاغِرَ فيهِ عَـنْ نُيـو
بِ مِثْلِ مَشْروعِ القَنا
اِنْقَضَّ كالصَّخْرِ عَلى الـ
ـوادي فَأَقْعى فَرَنـا
وَنَظَرَ النيـلَ وَقَـدْ
عَبَّ وَماجَ وَطَغـى
وَخَرَجَتْ مِنْهُ التَّمـا
سيحُ فُرادَى وَثُنـى
وَأَعْوَلَتْ حَتّى لَقَـدْ
سَدَّ عَوِيلُها الفَضـا
فَعَقَـرَ اللَّيْـثُ فَـلا
رِجْلاً رَمـى وَلا يَدا
وَقَـرَّ فـي مَكانِـهِ
كَأنَّهُ بَعْضُ الدُّمـى

الوصيفة :

ثُمَّ ؟

الملكة :

رَأَيْتُ حَنَشًا[1]
لَيْسَ لَهُ مِصْرٌ تُـرى
لَمْ تَرَ مَنْفُ مِثْلَـهُ
وَلا الصَّعيدُ قَدْ رَأى
كَأَنَّـهُ صاعِقَـةٌ
تَحَدَّرَتْ مِـنَ السَّمـا
مَشى إِلَيْهِ كُلُّ ذي
قَوْسٍ وَكُلُّ ذي عَصا
وَخَرَجَ الكُهّانُ يَتْـ
ـلونَ الصَّلاةَ والرُّقـى

الوصيفة :

وَما الذي حَلَّ بِهِ ؟

الملكة :

لَمْ يُصِبِ الوَحْشَ أذى

الوصيفة :

حَقَّقْتِـهِ سَيِّدَتـي ؟

الملكة :

حَقَّقْتُهُ عَلى الضُّحى

الوصيفة :

فَكَيْفَ كانَ ؟

الملكة :

صورَةٌ تُشيبُ أرْؤُسَ النَّشـا[2]
كَأنَّهُ فانيسُ عَيْـ
ـنَيْنِ وَ وَجْهًا وَقَفـا
حَتّى تَعَـوَّذْتُ بِإيـ
ـزيسَ وَآبائي العُلى

الوصيفة :

فانيسُ مَنْ ؟

الملكة :

نَسيتِهِ ؟ كَيْفَ نَسيتِ يا تِتـا

---

(١) الحنش : حية سوداء عظيمة ، ليست من ذوات السموم .

(٢) النّشا : أصلها : النّشأ جمع ناشئ ، وهو الغلام جاوز حد الصغر وشب .

الخائنُ الـذي إلـى
فارسَ مِنْ حينٍ آتـى
يَشي بمِصْرَ وأخـا
فُ أنْ يكونَ بي وَشى

الوصيفة :

مـا صَنَعَ الثُّعْبانُ مَـوْ لاتي

الملكة :

مِـنَ النَّهْـرِ دَنـا
وَفَحَّ ثُمَّ دَسَّ في النَّـ
ـهْرِ لِساناً كاللَّظـى
فاحْتَجَبَ النّيلُ وَعـا
دَ يَبْساً ما كانَ ما
وَاحْتَرَقَتْ مَدائِـنَ
بِالضَّفَّتَيْـنِ وَقُـرى

الوصيفة :

واللَّيْثُ ، يا سَيِّدَتي ؟

الملكة :

بَعْـدَ التَّهَيُّبِ اجْتَـرا
مَشى عَلى الوادي فَهَلْ
رَأَيْتِ عاصِفاً جَـرى ؟
يَقْتَلِعُ اليابِسَ والـرَّ
طْـبَ وَيَفْري وَيَطـا (١)
وَكَرَّ حَتّى غادَرَ الـ
ـوادِيَ قاعاً صَفْصَفا (٢)
هُوَ ذا الحُلْمُ فَما تَفْسيرُهُ ؟
نَبِّئيني يا تِتا

الوصيفة لنفسها مضطربة :

ماذا أقولُ ؟

الوصيفة للملكة :

مَلِكَتي لا تَفْزَعي

الملكة :

كَيْفَ تِتا ؟
كَيْفَ لا أفْزَعُ والحُلْمُ مَهولُ ؟
يَنْفَدُ النّيلُ وَيَذْوي شَطُّهُ
وَتَغولُ الأهْلَ وَالأوْطانَ غولُ

الوصيفة :

رُؤْيـاكِ يا سَيِّدَتـي
مِـنْ نَفْسِها مُؤَوَّلَـهْ
نالَتْكِ مِنْ عَشاءِ أمْـ
ـسِ ثِقْلَةٌ وَ وَبَلَـهْ (٣)

الملكة :

ماذا أكَلْتُ مَعْ قمـ
ـبيزَ وَمـا قُدِّمَ لَـهْ ؟

الوصيفة :

كانَ العَشاءُ مَلِكَتي
مائِـدَةً مُحَمَّلَـهْ
أكَلْتِ يا سَيِّدَتـي
مِنْ أرْنَـبٍ مُتَبَّلَـهْ
ثُمَّ أكَلْتِ مِنْ حَمَلْ
وَحَمَلُ الفُرْسِ جَمَـلْ

الملكة :

ثُمَّ ؟

الوصيفة :

جاءوا بِالطَّيْرِ في الأطْباقِ

الملكة :

طَيْـرُ مَـنْ ؟

الوصيفة :

طيـرُ فـارسٍ وَالعِـراقِ

---

(١) يفري : يشق ويفتِّت . يطا : (بتسهيل الهمزة) يدوس .

(٢) القاع الصفصف : الأرض المستوية التي لا نبات فيها .

(٣) وَبَلة الطعام : تخمته .

الملكة :

ثُمَّ ماذا ؟

الوصيفة :

ثُمَّ جاءوا بِالسَّمَكْ

فَرَأَيْتُ المَلْكَ في الأَكْلِ انْهَمَكْ

الملكة :

ثُمَّ ماذا ؟

الوصيفة :

لا أعُدُّ ما حَضَرْ

مِنْ لُحوم ٍوَبُقولٍ وخُضَر

ثُمَّ بِالحَلْوَى أتَوْا وَالفاكِهَهْ

الملكة :

كَيْفَ كانَتْ ؟

الوصيفة :

تَشْتَهيها الآلِهَهْ

الملكة :

خَلَطْتِ تَخْليطَ العَجوزِ يا نِتا

فَما عَلاقَةُ الطَّعامِ بِالكَرى

الوصيفة :

الأَكْلُ قَبْلَ النَّوْمِ ثِقْلٌ وأذًى

وَرُبَّما جاءَ بِأَضْغاثِ الرُّؤى

الملكة لنفسها :

عَرَفْتُ الآنَ رُؤْيايَ

وَما خَلَّطَ أحْلامي

وَقَدْ يُغريكَ بِالأَكْلِ

طُهاةُ الفُرسِ وَالشّامِ

ثم إلى نتي :

نِتا أينَ كُنْتِ ؟

الوصيفة :

وَراءَ الخَدَمْ

الملكة :

وَكَيْفَ عَدَدْتِ عَليَّ اللُّقَمْ ؟

الوصيفة :

لَبِدْتُ هُناكَ فما مِنْ يَدٍ

تَفوتُ عَليَّ وَلا مِنْ قَدَمْ

وَلَمْ يَخْفَ عَنّي كَيْدٌ يَطوفُ

وَلا وَحْيُ لَحْظٍ وَلا هَمْسُ فَمْ

أخافُ القُصورَ وَأخْشى السُّمومَ

وَما مَنْزِلُ السُّمِّ إلّا الدَّسَمْ

الملكة :

يا لَكِ مِنْ رَفيقَهْ

مُحْسِنَةٍ شَفيقَهْ

مَرْحى نِتا كَذا نِتا

فَلْتَكُنِ الصَّديقَهْ

الوصيفة :

سَيِّدَتي أخْجَلْتِني

لَيْسَ بِما جِئْتُ عَجَبْ

ما قُمْتُ يا سَيِّدَتي

إلّا بِبَعْضِ ما وَجَبْ

الملكة :

وَلكِنْ يا نِتا ما أخْطَرَ السُّمَّ على بالِكْ

وَلي في فارِسٍ عامٌ

فَما فَكَّرْتُ في ذَلِكْ

الوصيفة :

أرى قَمْبيزَ وَالفُرْسَ

بِمَوْلاتيَ قَدْ جُنّوا

وَلَوْلا ذاكَ لَمْ يَخْلُ

مِنَ السُّمِّ لها ذِهْنُ

الملكة :

وَلِمْ لا نَحْذَرُ السُّمّ
أ ما في فارسٍ نَحْنُ ؟
هُنا الجَلّادُ والسَّيْفُ
هُنا السَّجّانُ والسِّجْنُ

الوصيفة :

وَماذا ضَرَّ ما قُلْتِ
إذا لَمْ يَحِنِ الحَيْنُ ؟

الملكة بعد برهة تفكير :

أرى قَمْبيزَ ذَلَّ وَرَقَّ طَبْعًا
بِرَبِّكِ هَلْ رَأَيْتِ عَلَيْهِ حُبًّا ؟

الوصيفة :

أَجَلْ هو يُقْصِرُ الخُطُواتِ مَهْلاً
وَكانَ يَمُدُّها خَطْفًا وَ وَثْبا

ثم في تلعثم وتردُّد :

سَأَسْأَلُ فَاحْلُمي عَنّي فَإِنّي
أموتُ وَلا أراكِ عَلَيَّ غَضْبى
سُؤالَ مَلْكَتي هَلْ مِنْ جَوابٍ ؟

الملكة :

أَدُونَكِ يا تِتا شَيْءٌ يُخَبّا ؟

الوصيفة :

زَعَمْنا أَنَّ قَمْبيزًا مُحِبٌّ
فَهَلْ تَجْزينَهُ بِالحُبِّ حُبًّا ؟

الملكة :

أُحِبُّ أنا ؟ ضَلَّ ما قَدْ ظَنَنْتِ
وَإِنْ خِلْتِ ظَنَّكِ لَمْ يَكْذِبِ

الوصيفة :

وَلِمْ لا ، وقَمْبيزُ لا بِالقَبيحِ
وَلا بِالدَّميمِ وَلا بِالغَبي ؟
وَلا هُوَ بِالمَلِكِ البَرْبَـــرِيِّ
وَلا الوَحْشِ ذي النّابِ والمِخْلَبِ
وَلَكِنْ فَتًى خَيِّرٌ كالسَّحابِ
وَضيءُ البَشاشَةِ كالكَوْكَـبِ
يَزينُ السَّريرَ إذا احْتَلَّهُ
وَإِنْ سارَ كانَ حُلى المَوْكِبِ

الملكة :

صَدَقْتِ تِتا هُوَ زَيْنُ الشَّبابِ
إِلَهُ القَنا قَمَرُ الغَيْهَـــبِ [١]
إذا غُلِبَتْ في القِتالِ المُلوكُ
وَفي السِّلْمِ عِزٌّ فَلَمْ يُغْلَــبِ
يُسَيْطِرُ كالشَّمْسِ سُلْطانُهُ
عَلى مَشْرِقِ الأَرْضِ وَالمَغْــرِبِ
وَلَكِنْ مَتى يا تِتا دُلِّهَتْ [٢]
بَناتُ الفَراعيــنِ بِالأَجْنَــبِ
وَما نَلْتَقي في جَلالِ الجُدودِ
وَلا في العَقيدَةِ والمَذْهَـــبِ
بَخٍ بَخْ تِتا أَلْفَ مَرْحَى تِتا

الوصيفة :

حَنانَيْكِ [٣] عَفْوًا ولا تَغْضَبــي
لَقَدْ قُلْتُ حَقًّا وَماذا عَلَيَّ
إذا قَوْلَةُ الحَقِّ لَمْ تُعْجِــبِ

(تنسحب الملكة إلى غرفة مجاورة ويدخل قمبيز)

قمبيز (يدخل وعليه أمارات الغضب) :

ما أرى ؟ مَنْ ؟ تتا ؟ تتا أَيْنَ مَوْلا
تُكِ ؟ فيمَ احْتِجابُها ؟ أينَ سارَتْ ؟

تتي لنفسها :

رَبِّ ماذا بِهِ ؟ وَما هاجَ قَمْبيـ
ـــزَ وَما بالُ نَفْسِهِ اليَوْمَ ثـــارَتْ ؟

---

(١) الغيهب : الظلمة .
(٢) دُلِّهت : حيَّرها العشق وأدهشها .
(٣) حنانيك : رحمة منك موصولة برحمة .

تتي لقمبيز :

هِيَ في حُجْرَةِ الملابِسِ

قمبيز :

لا بَلْ
هِيَ قَدْ جاءَها النّبا فتوارَتْ
خَبِّريني مَنْ أبوها
أ بِرْياسُ أمْ أمــازِسْ ؟
وَبنفريتَ تُسَمّـــى
أمْ تُسَمّى بِنَتايِــسْ ؟
اِحْذَري أنْ تَكْذِبيني
اِحْذَري سُلْطانَ فـارِسْ

تتي :

سَيِّدي ما هَذِهِ الأخْـــ
ـبارُ كِسْرى مَنْ رَواها ؟
سَيِّدي كَيْفَ اتَّهَمْتُمْ
مَلَكَةَ الفُرْسِ النّبيلَــةْ ؟

قمبيز :

سأريها كَيْفَ تَنْقـــا
دُ وتأتي لي ضَئيلَـــةْ
في غَدٍ تَدْخُلُ مِصْراً
بنتُ فِرْعَـوْنَ ذَليلَــةْ
وَتَرى السَّيْفَ مَخوفَــا
وَتَرى النّارَ مَهولَــةْ (١)
وتَرى النّيلَ دَمَـــا
والأرْضَ جَرْداءَ مَحولَةْ (٢)
لا أناسٌ ، لا مَــواشٍ
لا بِناءٌ ، لا خَميلَــــةْ

الوصيفة :

سَيِّدي صبراً تَجِدْ عَـــا
قِبَةَ الصَّبْرِ جَميلَــةْ

سَيِّدي لا تُصْــغِ إلّا
لِسَجايــاكَ النَّبيلَــةْ

قمبيز :

أنا لَمْ أخْلَقْ لِبَسْطِ الكَفِّ
أسْتَجْــدي بَخيلَــةْ
أنا لِلسَّيْـفِ وَلِلرُّمْـــحِ
وَإخْضـاعِ القَبيلَــةْ
لا تِتَــا ! لا ! إنَّ
بِالمَلَكَةِ كِبْراً وَمَخيلَةْ

ثم بسخرية :

أنا مِنْ تُرْبٍ خَسيــسٍ
وَهْيَ مِنْ أرْضٍ جَليلَةْ
أنا لِلطّيـــنِ سَليــلٌ
وَهْيَ لِلشَّمْسِ سَليلَةْ

الملكة وهي راجعة :

ما الصَّوْتُ ؟ مَنْ تُكَلِّمينَ يا تِتا ؟

الوصيفة :

سَيِّدَتي ، سيديَ المَلْكُ أتى

الملكة ملتفتة :

المَلْكُ جاء حُجْرَتي ؟ كَيْفَ ؟ مَتى ؟

ثم ناهضة ومقبلة على الملك :

المَلْكُ في مَقْصورَتي ؟ يا مَرْحَبًا يا مَرْحَبا

الملك ويقبل على الملكة :

سَلامٌ مَلَكَةَ الفُرْسِ
وَبِنْتَ العِلْيَةِ الصِّيدِ (٣)

الملكة :

سلامٌ سَيِّدَ الأرْضِ
سَلامٌ حَيْدَرَ البيـــدِ (٤)

---

(١) ذات الهول ، أي التي يُخاف منها . (٢) مَحولة : مجدبة .

(٣) الصِّيد : جمع أصيد ، وهو السيد ذو السلطان .

(٤) حيدر البيد : حيدر من أسماء الأسد والبيد : الصحارى .

وَمَنْ دانَتْ لَهُ الدُّنْيا

(ثم إلى قمبيز) :

وَأَلْقَــتْ بِالمَقاليـــدِ

مَوْلايَ إِنّي ما فَرَغْـــ
ـتُ بَعْدُ مِـنْ تَجَمُّلـي

ثم مستمرة :

فَكَيْفَ أَسْتَقْبِلُ فـي
هَذا اللِّبــاسِ المُهْمَـلِ

لَمْ أَتَعَوَّدْ أَنْ أَرى
مَوْلايَ عِنْدي في الضُّحى

(لنفسها) :

يـا وَيْلَتاهُ مـا أَرا
دَ بِاصْطِحابِ الرَّجُـلِ ؟

قمبيز :

خالَفْتُ نَظْمَ عادَتي
وَجِئْتُ في شَأْنٍ دَعـا

إيزيسُ ما باليَ أُحْـ
ـسَسْتُ بِشَرٍّ مُقْبِـلِ ؟

الملكة :

ما لَكَ كِسْرى عابِساً
ما لي أَراكَ مُغْضَبـا ؟

الملك :

ما لَكِ يا مَلَكَةُ لَمْ
تُرَحِّبـي وَتَحْفِلـي ؟

الملك (ويصفق) :

أَجَلْ جِدُّ غَضْبانَ

الملكة :

ما لَكِ أَجْفَلْتِ[1] ؟

الملكة مضطربة :

مِمَّ الغَضَبْ ؟

أنا ؟

الملك :

رُوَيْدَكِ نفريتُ تَدْري السَّبَبْ

لا سَيِّدي ، لَمْ أَجْفِـلِ

الملكة لنفسها :

دَعانِيَ بِاسْمِيَ لَمْ يَدْعُني
كَمَأْلوفِ عادَتِهِ بِاللَّقَبْ
تُرى لَمْ يَزَلْ جاهِلاً أَنَّني
أَتَيْتُ لِفارِسَ بِاسْمٍ كَذِبْ

الملك :

إِذَنْ هَبي الإِذْنَ لِفـا
نيسَ دَعيـهِ يَدْخُـلِ

الملكة :

لا بَأْسَ في أَنْ أَراهُ عِنْدي
إِنْ كُنْتَ يا سَيِّدي مُصِرّا
لكِنْ أَ أَنْسيتَ أَنَّ فانيـ
ـسَ خانَ بِالأَمْسِ عَهْدَ مِصْرا
وَفَرَّ مِنْها وَلَسْتُ أَدْري
ماذا دَعـاهُ لأَنْ يَفِـرّا
وَكانَ في الجَيْشِ ذا مَكانٍ
وَقادَ بَرّاً وَقـادَ بَحْـرا

قمبيز ملتفتاً وراءه خارج الباب وينادي :

فانيسُ ، أَقْبِلْ ادْنُ جِئْ

الملكة :

فانيسُ ؟ لا ، لا يَدْخُلِ

(لنفسها) :

فانيسُ لا أَجْهَلُـهُ
لَيْسَ لِمِصْرَ بِالوَلـي
عَدُوُّ قَوْمـي وَبِـلا
دي كَيْفَ يُصْفي الوُدَّ لي

(١) أجفلَ : شرد .

قمبيز :

لكِنَّهُ اليَوْمَ في بِـلادي
أجَلْ مِمّا ذَكَرْتِ قَـدْرا

الملكة :

وَسَوْفَ يَجْزيكُمو جُحـوداً
كَما جَزى أهْلَ مِصْرَ كُفْرا

قمبيز :

لَقَدْ أتاني بِكُلِّ سِـرٍّ
عَنْ مُلْكِ مِصْرٍ لَمْ يُخْفِ سِرّا
حَتّى الّذي تَكْتُمينَ عَنّي

ثم ينادي :

فانيس

فانيس :

مَلْكـي لَبَيْـكَ عَشْـرا

ثم وهو يدخل :

سَلامُ الشَّمْسِ مِنْ مِصْـرَ
سَلامُ النّارِ مِـنْ فـارِسْ
عَلى المَلْكَـةِ نفريـتَ
أوِ الملكَـةِ نِيتاتِـسْ

الملكة لنفسها :

رَمانـي النَّذْلُ بِالسَّهْـمِ

(ثم لفانيس) :

سَلامٌ لَـكَ يا فانِـسْ
وَيا مَنْ هُوَ في الفُرْسِ
ومِصْرَ القائِدُ الفارِسْ
وَفي القَصْرَيْنِ مِنْ سوسٍ
وَسايِيسَ هُـوَ الحـارِسْ

فانيس :

وَماذا ضَرَّ يا بِنْتَ المَوالي
وَإنْ تَأبَيْ فَيا بِنْتَ الأعادي
أجَلْ مَوْلاتِيَ الإغْريقُ قَوْمـي
أحِبُّهُمـو وَيونـانٌ بِـلادي
هَجَرْتُهُما إلـى مصـرٍ صَبِيًّـا
لِكَسْبِ مَعيشَةٍ وَطِلابِ زادِ
فَصِدْتُ الرِّزْقَ حَتّى صارَ عِنْدي
وَجاوَزْهُ إلى المَجْدِ اصْطِيادي
سَهِرْتُ على اللّواءِ بِمصرَ جُهْدي
وفرعونٌ وَقَوْمُكِ في رُقـادِ

الملكة :

كَذَبْتَ فَلَمْ تَكُنْ إلّا مَسـوداً

فانيس :

فَسَوَّدَني ذَكائِيَ وَاجْتِهـادي

الملكة :

أجيراً كُنْتَ عِنْدَ أبي وَقَوْمي

فانيس :

فَمَوَّلَني نَشاطـي وَاقْتِصـادي
جَعَلْتُ الأرْضَ كالصَّحْراءِ تَحْتي
وَكُنْتُ اللَّيْثَ مِنْ وادٍ لِوادِ

الملكة :

أراكَ عَلَيَّ يا فانيسُ تَجْرُؤ
أجَرَّأكَ المليكُ على عِنادي ؟
كَكَلْبٍ خَلْفَ سَيِّدِهِ تَجَرّا
فَواثَبَ رائِحاً وَسَطا بِغـادِ

فانيس :

بَدَأتِ أميرَةَ الوادي بِشَتْمي
وَما أنا يا بْنَةَ المَقْتولِ بادي
لَقَدْ عَيَّرْتِني أنّي غَريـبٌ
وَلوعٌ بِالسِّفـارِ (١) وَبالرِّيـادِ (٢)

---

(١) السِّفار : فعله سافر بمعنى السفر .
(٢) الرِّياد : الطلب .

الملكة :

لَقَدْ هَجَمَ الوَقاحُ عَلى مَكاني
وَأَخْشى أَنْ يَصيرَ إِلى التَّمادي

(ثم للملك) :

مَوْلايَ قِفْ فانيسَ عِنْدَ حَـدِّه
أَوْ رُدَّهُ لا تُلْجِني لِرَدِّهِ
عَلِمْتَ حِقْدَهُ عَلى قَوْمي فَلا
تَدَعْهُ يَنْفُثْ فِيَّ سُمَّ حِقْدِهِ

الملك :

عَلامَ أُقْصيهِ ؟

الملكة :

لأَنَّهُ أَتى
يَشي بِنا وَيَفْتَري كَعَهْـدِهِ

الملك :

فانيسُ جاءَ ناقِلاً مُبَلِّغاً
وَلَيْسَ ما جاءَ بِهِ مِنْ عِنْـدِهِ

ثم مستمراً :

أَراكِ نَفْريتُ غَيْرَ مُنْصِفَةٍ
رُوَيْدَ لا شَيْءَ يوجِبُ الغَضَبا
كُوني مَكاني ! ما كُنْتِ فاعِلَةً ؟
إِذَنْ قَلَبْتِ الزَّمانَ فانْقَلَبـا

الملكة :

لا سَيِّدي إِنَّ لِلزَّمانِ يَداً
قَدْ ضَرَبَتْ كَفَّ كُلِّ مَنْ ضَرَبا

الملك :

نفريتُ ثُرْتِ عَلى قَنيـ
ـسَ وَما حَفِظْتِ وَلاءَهُ
وَنَسيتِ خِدْمَتَهُ بِمِصْـ
ـرَ وَما ذَكَرْتِ بَـلاءَهُ

الملكة :

لا سَيِّـدي لا ، نَحِّـهِ
أَنا لا أُطيـقُ لِقـاءَهُ

ثم مستمرة :

ما بِكَ مَوْلايَ ؟ ما أَثارَكَ ؟ ما
أَذْكاكَ (١) إِنِّي أَراكَ مُلْتَهِبا

قمبيز :

أَثارَني مِنْكِ أَنْ كَذَبْتِ وَذا
فانيسُ قَدْ جاءَ يَفْضَحُ الكَذِبا

ثم مستمراً :

هَلُمِّي الآنَ نفريـتُ
هَلُمِّـي يا نَتيتـاسُ
بِأَيِّ اسْمَيْكِ أَدْعوكِ ؟

الملكة :

بِـذا أَوْ ذاكَ لا بـاسُ

فَيا قَمْبيزُ لَوْ دانَـتْ
لَكَ الأَيّـامُ وَالنّـاسُ
فَلَنْ تَسْطيعَ أَنْ تَقْهَـ
ـرَ نَفْساً حَلَّها اليـاسُ

قمبيز :

أَنْتِ مَمْلوءَةٌ مِنَ اليَأْسِ مِنِّي

الملكة :

أَجَلِ اليَأْسُ مِنْكَ مِلْءُ ثِيابي

فَلْيَكُنْ

الملك :

إِنَّني سَأَلْتُ سُؤالاً
لِمْ إِذَنْ هِبْتِني وَهِبْتِ جَوابي ؟
كَيْفَ أَدْعوكِ يا عَروسُ ؟

---

(١) أذكاك : أشعلك وأوقدك .

الملكة :

بِما شِئْتَ بِشَرِّ الأَسْماءِ وَالأَلْقابِ

بِالَّذي أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ بَذاءٍ

وَالَّذي أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ سِبابِ

الملك :

أَنْتِ لَمْ تُذْنِبي بَلِ الذَّنْبُ ذَنْبي

أَنا قَدْ شِئْتُ أَنْ تَكوني رِكابي

الملكة :

لَيْسَ ما شِئْتَ أَوْ أَتَيْتَ غَريبًا

قَدْ تَكونُ المَها رِكابَ الذِّئابِ

الملك :

اِحْذَري أَيُّها الفَتاةُ انْفِجاري

الملكة :

اِنْفَجِرْ ما بِيَ انْفِجارُكَ ما بي

الملك :

جِئْتِ ذَنْبًا تُعاقَبينَ عَلَيْهِ

كُلُّ ذَنْبٍ رَهينَةٌ (١) بالعِقابِ

الوصيفة بصوت منخفض :

اِكْظِمي الغَيْظَ يا أَميرَةُ

الملكة وتشير إلى قمبيز :

بَلْ يَخْـــ

ـــرُجُ مِنْ حُجْرَتي وَمِنْ مِحْرابي

الملك لفانيس والوصيفة :

اُنْظُرا وَاسْمَعا تُحاوِلُ أَن أَبْرَحَ قَصْري وَأَنْ أُفارِقَ بابي

الوصيفة للملكة بصوت منخفض :

راجِعي الحِلْمَ مَلْكَتي سايِريهِ

لاطِفيهِ لِيني لَهُ في الخِطابِ

لا تُهيجي بِهِ الجُنونَ فَيَطْغى

إِنَّـــهُ آدَمٌ بِظُفْرٍ وَنـــــابِ

فانيس همساً :

أَحْسِني الرَّدَّ مَلْكَتي وَاحْفَظينا

إِنَّنا ها هُنا ثَلاثُ رِقـــــابِ

الملكة :

خِفْتَ فانيسُ مِنْ عَذابِ نَهارٍ

كَيْفَ عَرَّضْتَ أَنْفُسًا لِلْعَذابِ ؟

عَجَبٌ مِنْ خَرابِ عُمْرِكَ تَخْشى

أَنْتَ مَنْ ساقَ أُمَّةً لِلْخَــرابِ

الملك :

بِنْتُ مَنْ أَنْتِ يا نتيتـــاسُ ؟

الملكة :

بِنْتُ الشَّمْسِ بِنْتُ العَواهِلِ (٢) الأَرْبابِ

والِدي في السَّماءِ فَهْوَ إِلَهٌ

الملك :

فَلِماذا مَرَّغْتِهِ في التُّرابِ ؟

قَدْ نَبَذْتِ اسْمَكِ الَّذي كانَ سَمّا

كِ وَجُبْتِ البِلادَ بِاسْــمٍ كِـــذابِ

ثم مستمراً :

نتيتاسُ تَمَــــرَّدْتِ

فَما أَبْقَيْتِ لي صَبْرا

وَكَلَّمْتُكِ في الذَّنْبِ

فَما أَبْدَيْتِ لي عُذْرا

وَما أَجْرَأَ ما كُنْتِ

عَلى شَتْمِيَ ما أَجْرا

فَما غَرَّكِ بِالبَأْسِ

وَبِالسُّلْطانِ ما غَرّا

الوصيفة بصوت منخفض :

خُذي في اللِّينِ مَوْلاتي

فانيس همساً :

خُذي سَيِّدَتي الحِذْرا

---

(١) رهينة : مأخوذ .

(٢) العواهل : جمع عاهل ، وهو الملك الأعظم .

فَقَدْ تَأْخُذُهُ النَّوْبَـــ
ـــةُ حَتّى يَحْرِقَ القَصْـرا

قمبيز :

دَعي العِزَّةَ بِالجِنْـسِ
نتيتاسُ دَعي الكِبْـرا
وَلا تُلقي على إحْسا
نِيَ النِّسْيـانَ والكُفْـرَا
أ ما أَحْبَبْتُكِ الحُبَّ الَّـ
ـذي أَنْتِ بِهِ أَدْرى ؟
وَفَضَّلْتُكِ فـي القَصْرِ
عَلى البَيْضاءِ وَالسَّمْـرا
وَقَدَّمْتُكِ فـي الأَزْوا
جِ قَبْلَ الأُخْتِ مِنْ كِسْرى ؟

الملكة :

لَقَدْ كُنْتَ وَراءَ الحُـ
ـبِّ تُخْفي النَّابَ والظُّفْرا
وَمـا أَفْرَحَنـي أَنّـي
تَقَدَّمْتُ عَلى الأَسْـرى !
وَلا أَنَّـكَ تَرْعانـي
وَتَنْسى النَّعْجَةَ الأُخْـرى !

الملك :

مَلَكَةَ الفُـرسِ أَمْـسِ

الملكة :

واليَوْمَ

الملك :

كَلّا
لَسْتِ أَهْلاً لِصُحْبَةِ المالِكينا

الملكة :

أنا بِنْتُ المُلوكِ أَصْلَحُ لِلْمُلْـ
ـكِ جُدودي تَمَلَّكوا العالَمينا

الملك :

قَدْ خُدِعْتُ الشُّهورَ يا بْنَةَ فِرْعَوْ
نَ وَلَوْلا فَنْسُ خُدِعْتُ السِّنينا

فانيس لنفسه :

أَحْمَدُ اللهَ قَدْ نَجَوْتُ بِرَأْسي
وَأَمِنْتُ المُهَـوِّسَ المَجْنونـا

الملكة :

لَيْسَ فانيسُ لِلأَمانةِ أَهْلاً
إِنَّ مَنْ خانَ لَمْ يَخَفْ أَنْ يَخونا

الملك :

سَتَرَيْنَ العِقابَ

الملكة :

إِنّي تَأَهَّبْتُ
فَهاتِ العَذابَ هاتِ المَنونا

الملك :

لا ، فَما ها هُنا العِقابُ ولكِنْ

الملكة :

أَيْنَ ؟

الملك :

في حَيْثُ شِئْتُ لِمْ تَسْأَلينا ؟
مِصْرُ أَوْلى بِأَنْ أُحاسِبَ فيها
وَأُحِلَّ العِقابَ بِالخادِعينا
في غَدٍ تَدْخُلينَ مِصْرَ مَعَ الجَيْشِ

الملكة :

أنا ؟ لا أُرافِقُ الغاصِبينـا

الملك :

بَلْ تَسيرينَ تَحْتَ رايَةِ فانيسَ
وَما تَصْحَبينَ إِلا أَمينا

الملكة :

سَيِّدي

الوصيفة :

مَلِكَتي دَعي العُنْفَ

الملك :

ماذا ؟

كَيْفَ لَقَّبْتَ بِالأمين الخَئونا

فانيس همساً :

صانِعي أيُّها الأمـيــرَةُ

الملكة :

دَعْني

فانيس :

اِهْدَئي حاسِني عَسى أنْ يَلينا

الوصيفة :

مَلكَتي قالَ سَيِّدي المَلِكُ الحَقَّ

الملكة :

صَهِ أنْتِ يا تِتا تَكْذِبينا

فانيس :

سَتَرَيْنَ النَّعيمَ تَحْتَ لِوائــــي

الملكة :

بَلْ أرى البُؤْسَ تَحْتَهُ والهُونا

الملك :

وَكَأنَّ الوَجْهَيْنِ بانا مِنَ الوادِي
وَزالا سُهولَــةً وَحُزونــا
أرْسِلُ السَّيْلَ تارَةً وَأُجيلُ السَّيْـ
ـــفَ آنًا وأُشْعِلُ النّارَ حينا

الملكة :

عُدْ إلى الرُّشْدِ ما جَنَتْ مِصْرُ يا قَمْـ
ـــبيزُ ما ذَنْبُ أهْلِها الآمِنينا ؟

ثم مستمرة :

أميرَ الفُرسِ قُلْنا كُلَّ شَيْءٍ
وَلَمْ تَقُلِ الحَقيقَةَ وَالصَّوابا

الملك :

أ عِنْدَكِ مِنْهُما شَيْءٌ ؟

الملكة :

وَلِمْ لا ؟

الملك :

إذَنْ قُوليهِما وَزِني الخِطابا
ذَكَرْتِ الحَرْبَ هَلْ تَخْشَيْنَ مِنْها ؟

الملكة :

وَلِمْ لا وَهْيَ أجْدَرُ أنْ تُهابا ؟

الملك :

وَلَكِنّا مُلوكَ الفُرْسِ نَغْشى
مَخاوِفَها وَنَجْعَلُها لِعابــــا
أراكِ هَدَأتِ يا نتيتاسُ رُوْعًا (١)

فانيس :

وَكانَ الرُّشْدُ فارَقَها فَثابا

الملكة :

ذَكَرْتَ مَليكَ فارِسَ حَرْبَ مصْرٍ
وَأنْسيتَ العَوائِقَ وَالصِّعابا
سَيَطْوي الجَيْشُ نَحْوَ حِياضِ مِصْرٍ
بِحارَ المِلْحِ واللُّجَجَ العِذابا
وَأغْبى النّاسِ مُنْشَمِرٌ (٢) لِحَرْبٍ
تَوَقَّعَ أنْ يُصيبَ وَلا يُصابا
وَدونَ النِّيلِ

الملك :

ماذا دونَ مِصْرٍ ؟

الملكة :

يَجوبُ الجَيْشُ صَحْراءً يَبابا
تَرى تِيهًا تَجُرُّ الخَيْلُ فيهِ
قَوائِمَها وتَنْسَحِبُ انْسِحابا
يَضِلُّ الجَيْشُ هِدْيَتَهُ (٣) عَلَيْهِ
وَيُظْمِئُهُ وَيورِدُهُ السَّرابـــا
تَرى جَلَدَ (٤) الجِمالِ عَلَيْهِ يَفْنى
وَتَحْسَبُها مِنَ اللَّهَثِ الكِلابا

---

(١) الرُّوع (بضم الراء المشددة) : القلب .

(٢) منشمر : جادّ مستعدّ . (٣) الهدية : القصد والوجهة .

(٤) جلد الجمال : صبرها وقوتها .

الملك :

لا تُراعي فَما عَلى الجَيْشِ بَأسٌ
كُلُّ شَيْءٍ عَلى الحُدودِ تَهَيّا
قَدْ وَجَدْنا الجِرارَ في مِصْرَ وَالما
ءَ وَلَمْ نَعْدَمِ الرِّجالَ السُّقيّا

فانيس :

وَاشْتَرَيْنا الخَفيرَ بِالمالِ وَالحـا
رِسَ والحامِيَ الأمينَ القَوِيّا

الملكة لفانيس :

كُلُّ هَذا فَعَلْتَهُ أَنْتَ يا نَذْلُ

فانيس :

أَجَلْ ما أَتَيْتُ أمْراً فَرِيّـا (١)
إنَّ قَمْبيزَ بي حَفِيٌّ وَفِرْعَـوْ
نُ أمازيسُ لم يَكُنْ بي حَفِيّا

الملكة :

وَابْنُهُ ما جَنَى عَلَيْكَ وَمِصْرٌ ؟

فانيس :

جَنَيا الطَّرْدَ وَالجُحودَ عَلَيّـا
أنا كَالسَّيْفِ لَمْ يَصُنِّي كَمِيٌّ (٢)
قَدْ رَماني فَاعْتَضْتُ (٣) عَنْهُ كَمِيّا

الملكة :

وَجَحَدْتَ الّذي طَعِمْتَ مِنَ النِّعْمَةِ

فانيس :

لا ، ما طَعِمْتُ مِنْ ذاكَ شَيّا
كُنْتُ كالسَّيْفِ كُلَّما كافَئُوني
جَعَلوا السُّمَّ لي طَعاماً وَرِيّا

الملكة إلى قمبيز :

وَهَبْكَ بَلَغْتَ يا مَوْلايَ مصراً

الملك :

وَماذا عندَ مصرَ ؟

الملكة :

تَجِيءُ غابا
تَرى أسْدَ القِتالِ عَلَيْهِ شَتّى
تَقَلَّدَتِ الصَّوارِمَ وَالحِرابـا
وَثَمَّ تَرى الفَيالِقَ مِنْ رُماةٍ
تَكادُ قِسِيُّهُمْ تَرِدُ السَّحابا
إذا نَظَروا عَلى زادٍ غُراباً
أصابوا بَيْنَ عَيْنَيْهِ الغُرابا

الملك يبتسم مستهزئاً :

رُماةٌ ؟

ثم إلى فانيس والوصيفة :

حَدِّثوها كَيْفَ أرْمـي
وَكَيْفَ أصيبُ في السُّحُبِ العُقابا

الملكة :

أ أَنْتَ بِجَمْعِهِمْ تُقْتاسُ (٤) كِسْرى
وَأَنْتَ المَوْتُ حَيْثُ رَمى أصابا ؟

الملك :

إذَنْ ماذا ؟

الملكة :

أخـافُ عَلَيْـكَ جَيْشـاً
كَمَرْكومِ (٥) الحَصى يُخْطي الحِسابا
وَأخْشى أنْ يَقولَ النّاسُ زَوْجي
غَداةَ ذَهابِهِ نَسِـيَ الإيابـا

الملك لفانيس :

فانيسُ صَفِّقْ ونادِ
يا مَعْشَرَ القُوّادِ

« يدخل الحراس والقواد »

---

(١) الأمر الفريّ : الأمر المختلق .

(٢) الكمي : الشجاع المقدام .

(٣) اعتاض : أخذ العوض .

(٤) تُقتاس : تُقاس .

(٥) مركوم الحصى : المجتمع بعضه على بعض .

قمبيز للقائد ميجا صاحب الأخبار :

ميجا تَعالَ

ميجا :

لَبّيْكَ رَبّي

لَكَ التّحِيّاتُ والسُّجودُ

الملك للملكة :

يا مَلَكَةَ الفُرْسِ ذاكَ ميجا

يَعْلَمُ ما يَحْشُدُ الوُجودُ

خَريطَةُ الأَرْضِ في يَدَيْهِ

السُّفْنُ وَالخَيْلُ وَالجُنودُ

الملك لميجا :

ميجا تَكَلّمْ ما حالُ مِصْرٍ ؟

ما الجَيْشُ في مِصْرَ ما الحُدودُ ؟

الملكة :

هاتِ ميجا قُلْ تَكَلّمْ

ميجا في اضطراب :

مَلَكَتي

الملكة :

ما الّذي تَدْري عَنِ الجَيْشِ المَجيدِ ؟

ميجا :

جَيْشُ مَوْلاتِيَ كالعَهْدِ بِهِ

كامِلُ العُدّةِ مَوْفورُ العَديدْ

الملك في غضب :

هاتِ ما عِنْدَكَ مِنْ أَخْبارِهِ

وَاخْشَ أَنْ تَنقصَ وَاحْذَرْ أَنْ تَزيدْ

ميجا مضطربًا :

يا إِلَهَ الفُرْسِ لا تَبْرَحْ فَمي

وَأَعِنّي . كَيْفَ أُبْدي وَأُعيدْ

ثم للملكة :

إِنَّ وِرْدَ السِّلْمِ مِنْ كَثْرَتِهِ

نَسِيَتْ أَظْفارَها فيهِ الأُسودْ

وَاخْتِلافُ الجُنْدِ فيما بَيْنَهُمْ

أَخَذَ البَأْسَ وَإِنْ أَبْقى الحَديدْ

أَصْبَحَ الجَيْشُ

« ويسكت قليلا »

الملك لميجا :

تَكَلّمْ

الملكة :

قُلْ .. أَبِنْ

ميجا :

كالقَطيعِ اخْتَلَفَتْ فيهِ الجُلودْ

حُشِرَ اليونانُ في رايَتِهِ

وَتَراغى [1] الزّنْجُ وانْدَسَّ العَبيدْ

وَغَدا كُلُّ طَريدٍ لَمْ يَجِدْ

سَبَبَ الرِّزْقِ أَتى الجَيْشَ يَصيدْ

الملكة لنفسها :

وَالخَيْلُ يا ميجا هُناكَ ؟

ميجا :

قَليلَةٌ

في جَيْشِ مِصْرٍ قَليلَةُ الفُرْسانِ

الملكة :

أَسَفًا على الفِتْيانِ أَيْنَ حَماسُهُمْ

قَتَلَ النّعيمُ حَمِيّةَ [2] الفِتْيانِ

الملك ملتفتًا إلى ميجا :

مَليكَةُ الفُرْسِ ميجا

قَدِ اكْتَفَتْ بِبَيانِكْ

فَخُذْ مَرازِبَةَ [3] الفُرْ

سِ وَامْضِ ميجا لِشَأنِكْ

---

(١) تراغى : تصايح .

(٢) الحميّة : الأنفة .

(٣) المرازبة : جمع مَرْزُبان ، وهو الفارس .

نتيتاس :

قَمْبيزُ ما شِئْتَ فاصْنَعْ — إنّي أراكَ مُصِرّا

تُغيرُ أنْتَ وَتَغْـزو — وَيَحْفَظُ اللّهُ مِصْرا

قمبيز :

وَفارِسٌ يا ابْنَةَ النّيـ — ـلِ ما لِفارِسَ ذِكْـرُ ؟

نتيتاس :

لا أيُّها المَلِكُ ما لي — في غَيْرِ مَهْدِيَ فِكْـرُ

قمبيز :

نتيتاسُ اسْمَعي أنْـتِ — تُسيئينَ إلى مصـرا

غَدًا يَهْلِكُ أهْلوهـا — وَتُمْسي تَحْتَهُمْ قَبْرا

نتيتاس :

وَقاها مِنْكَ آمـونُ — وَلا اسْطَعْتَ لَها ضَرّا

قمبيز :

هَذا التَّجَنّي كَثيـرٌ — هَذا لَعَمْري الغُـرورُ

لَقَدْ تَحَمَّلَ صَـدْري — ما لا تُطيقُ الصُّدورُ

ثم مستمرًا :

كَفى عَبَثًا بِسُلْطاني وَبَأسي

كَفى ما كانَ يا نتيتاسُ مِنْكِ

غَدًا يَتَحَدَّثُ الرُّكْبانُ عَنّي

وَيَرْوي النّاسُ ما يَرْوونَ عَنْكِ

كَذَبْتِ عَلَيَّ يا بِنْتَ أبْرِياس

حَذارِ حَذارِ مِنْ بَطْشي وَفَتْكي

أنا قَمْبيزُ بْنُ كسرى — أنا جَبّـارُ الوُجـودِ

وَأنا النّارُ أصولـي — وَبَنو النّارِ جُـدودي

وَيْلَ فِرْعَوْنَ وَمِصْـرَ — مِنْ جُنودي وَبُنـودي

قمبيز لنفسه :

رَبّاهُ وَيْحي وَيْحَ لـي — رَبّاهُ ما لي لا أعي

رَبّاهُ ناراهُ ما الّذي أجِدُ ؟

كَأنّما النّارُ فِيَّ تَتَّقِـدُ

يا نارُ كوني لـي — أورمازْدُ كُنْ عَوْنـي

ثم إلى نتيتاس :

اِنْتَظِري البَطْشَ يا بِنْتَ فِرْعَوْنِ

أنا قَمْبيزُ بْنُ كِسْرى — أنا وَحْشٌ أنا غُـولْ

لَسْتُ بِالعِجْلِ أبالي — وَعَلى النّارِ أبُـولْ

قمبيز لنفسه :

قَدْ رَجَعَ الصَّفيرُ لي — يا لَيْتَهُ لَمْ يَرْجِـعِ

ما بالُ عَيْني أظْلَمَتْ — ما بالُ ساقي جَمَدَتْ

أيْنَ الطَّبيبُ أزْدَشِرْ ؟

(ويغشاه الصرع)

الملكة بعد أن يأتي الطبيب :

هَذا الطَّبيبُ قَدْ حَضَرْ

(يدخل الطبيب ويطلب نقله)

الملكة تدنو منه في حنو وعطف وتقول :

يا وَيْحَ زَوْجي وَيْحَهُ

هاجَ وَعادَهُ الصَّرَعْ [١]

يا نارُ كُوني حَوْلَهُ

أَدْرِكْهُ يا آمونُ رَعْ

(يخرجون به)

فانيس :

الآنَ نتيتاسُ تَعالَيْ إلى الهُدى

تَعالَيْ إلى الرَّأْيِ الصَّوابِ تَعالي

نتيتاسُ أَنْتِ اليَوْمَ مَلَكَةُ فارِس

بَلَغْتِ الذُّرا مِنْ سُؤْدُدٍ وَجَلالِ

الملكة :

وَلٰكِنْ أبي ، فانيسُ ، لا تَنْسَ ما أبي

وَجَدّي وَأَنّي بِنْتُ أَصْيَدَ [٢] عالي

فانيس :

وَلٰكِنْ أ لَمْ يَخْلَعْ أَباكِ أمازِسٌ

وَيَفْتِكْ بِهِ في ثَوْرَةٍ وَقِتالِ ؟

وَيَجْلِسْ عَلى كُرْسِيِّ مِصْرَ مَكانَهُ

وَيَخْلُفْهُ في جاهٍ أَفادَ وَمالِ ؟

الملكة :

أَجَلْ قَدْ خُلِعْنا مُلْكَنا وَتَصَرَّفَتْ

بِنا سُوقَةٌ مِنْ جُنْدِنا وَمَــــوالِ

فانيس :

إِذَنْ فَدَعي قَمْبيزَ يَثْأَرْ لِزَوْجِهِ

وَيَضْرِبْ بِيُمْنى أَوْ يُصِبْ بِشِمالِ

دَعيهِ يُعاقِبْ سارِقَ التّاجِ مِثْلَما

يُعاقَبُ في مَنْفيسَ لِصُّ لآلٍ [٣]

الملكة :

تَأَمَّلْ وَحَقِّقْ مَنْ تُخاطِبُ يا فَتى

فانيس :

أُخاطِبُ عَقْلاً مِنْ وَراءِ جَمالِ

لَقَدْ قُلْتُ قَوْلاً لَيْسَ يَأْباهُ عاقِلٌ

فَلا تَنْظُريني وَاسْمَعي لِمَقالي

الملكة :

وَلٰكِنْ أَمامي صورَةٌ مِنْ خِيانَةٍ

فانيس :

وَما لَكِ يا بِنْتَ المُلوكِ وَما لي

الملكة :

وَأَنْتِ نِتا ماذا تَرَيْنَ ؟

الوصيفة :

خِيانَةٌ وَأَطْمـاعَ قُـوّادٍ ولُـؤْمَ رِجـالِ

الملكة :

فَدَيْتُكِ مِنْ مِصْرِيَّةٍ

الوصيفة :

بَلْ أنا الفِدَى

لِسَيِّدَتي مِنْ قُـدْوَةٍ وَمِثـــالِ

الملكة لفانيس :

أ تَسْمَعُ كَلْبَ الصَّيْدِ ؟

فانيس :

حَمْقاءُ غِرَّةٌ [٤] وَما لِيَ أُلْقي لِلْحَماقَةِ بالي ؟

الملكة :

عَمًى لَكَ يا فانيسُ وَامْشِ بِلا عَصا

وَدونَ دَليلٍ في رُءُوسِ جِبالِ

فانيس :

لَكِ الشُّكْرُ مَوْلاتي

---

(١) الصَّرَع : عِلّة في الجهاز العصبي يصحبها تشنج . وقد حُرِّكَتِ الراءُ هنا لاستقامة الوزن .

(٢) الأصيد : المزهو بنفسه .

(٣) لآلٍ : أصلها : لآلِىء جمع لؤلؤ ، وهو الدرّ .

(٤) الغِرَّة : من تنخدع إذا خُدِعَت .

الملكة :

لكَ الوَيْلُ مِنْ فَتًى
فَإنَّكَ مِنْ مَعْنى المُروءَةِ خالِ
أ أُوطِئُ خَيْلَ الفُرْسِ مَهْدي وَمَلْعَبي
وَتُرْبَةَ آبائي وَمَنْزِلَ آلـي ؟
وَأُشْعِلُ نارَ الفُرْسِ في أَيْكَةِ الصِّبا
وما بَوَّأَتْنِيَ [1] مِنْ رُبًى وظِلالِ ؟
وَأُغْمِدُ سَيْفَ الفُرْسِ في صَدْرِ أُمَّةٍ
نَمَتْنِي وتَنْمي أُسْرتي وَعِيالي ؟
إِذَنْ لا أَوَى جَدّي السَّماءُ وَلا أَبي
وَلا جَلَّ عَمّي أَوْ تَبارَكَ خالي
وَأَفْضَلُ مِنّي كُلُّ ذاتِ مُلاءَةٍ [2]
وَراءَ حُقولٍ أَوْ وَراءَ تِـلالِ
تَهُشُّ عَلى شاةٍ وَتَحْمِـلُ جَـرَّةً
وَتَمْشي عَلى الوادي بِغَيْرِ نِعالِ

(يدخل قمبيز ثم الحاجب ويقول)

إِلَهَ الفُرْسِ

الملك :

ماذا ؟

الحاجب :

ثَمَّ رُسْلٌ
أَتَوْا مِنْ مِصْرَ بِالنَّبأِ العَظيمِ

الملك :

وما يَقولونَ ؟

الحاجب :

يَقُو لـونَ أمازيـــسُ هَلَـكْ

الملك :

ثُمَّ ؟

الحاجب :

يَقولونَ ابْنُهُ
بَسامَتيـكُ قَـدْ مَلَكْ

الملكة لنفسها :

مِصرُ ... رُسْلٌ ؟
لَيْتَ شِعْري ما الخَبَـرْ ؟
وَطَني يارَبِّ لا مُسَّ بِشَرْ

قمبيز الملك ملتفتاً بالملكة والوصيفة :

يا مَلِكَةَ الفُرْسِ أَصْغي
وَيا نِتـا هَلْ سَمِعْـتِ ؟
قَدْ ماتَ فِرْعَوْنُ مِصْـرٍ

الملكة والوصيفة بصوت واحد :

تَعيشُ مِصرُ وتَبْقى

« ستــار »

---

(١) بوأتني : هيأت لي وأنزلتني .

(٢) ذات مُلاءة : كناية عن المرأة .

الفصل الثالث

المنظر الأول

(الأميرة نفريت على ضفاف النيل تشكو إليه وتنتحر بأن تلقي بنفسها فيه)

وَيْحي لَقَدْ أَوْدَتْ بِيَ الأنانيَةْ
عِشْتُ فَما أَحْبَبْتُ إلا ذاتِيَةْ
ولا افْتَكَرْتُ بِسِوى لَذَاتِيَهْ
حتّى قَذَفْتُ وَطَني في الهَاوِيَةْ
النّيلُ ، النّيلُ بِجَنْبي ها هِيَهْ
أَمْواجُهُ تَهْتِفُ بـي مُنادِيَةْ

* * *

يا نيلُ يا قِوامَ كُلِّ شَـيٍّ
وَمانِحَ الحَياةِ كُلِّ حَـيٍّ
هَيِّ اغْسِلِ الذَّنْبَ العَظيمَ هَيِّ

(ثم تلقي نفسها)

المنظر الثاني

« في منفيس »

(جماعة من المصريين والمصريات يتحادثون ويتذاكرون بَغْيَ قمبيز وجنوده ، وبعض ما أصاب الناس من المصائب من جراء الفتح الفارسي – في ساحة من ساحات منفيس)

أحد الرجال لزميل له :

تَعالَ يـا (باطـا)
قُلْ لِيَ بِاللّـهِ
كَيْفَ تَرى الحُكَما
كَيْفَ تَرى الظُّلْما

باطا :

أَصِخْ أَصِخْ يا داذْ
إِسْمَعْ وَكُنْ عَوْنـي
قَمْبيزُ فـي الظُّلْمِ
بِأَلْـفِ فِرْعَـوْنِ

ثم لهجار :

وَأَنْتِ يا هجـارْ
مـاذا تَقولينـا

هجار :

آمونُ ذو المَـنِّ
يُبْقـي الفَراعينـا
الفُرْسُ في مِـصْرَ
طُغْيانُهُمْ قَـدْ زادْ
هُمْ صَلَبوا التِّمْساحْ
عَلى ضِفافِ الـوادْ
وَكَلَّفوا العُصْفـورْ
يَمْشي مَـعَ الصَّيّادْ

(تقبل امرأة مصرية عجوز)

فيقول أحدهم :

وَهَـذِهِ دوبـارهْ

آخر :

الشَّيْخَـةُ الثَّرْثـارَهْ

الأول :

هَلُمِّي يا دوبـارا
هَاتِ اذْكُري الأَخْبارَا

دوباره :

لا تَسْأَلوني ما الخَبَرْ
مِصْرٌ تَرى اليَوْمَ العِبَرْ
لكِنْ صَهٍ حَـذارِ
لا يَدْرِيَـنَّ دارِ

عارَضَني السّاعَةَ في طَرِيقي

فَتًى مَليحُ الحُسْنِ وَالبَرِيقِ

يسألها سائل :

مِـــنَ الجُنُـــودِ ؟

العجوز :

لا ! مِـــنَ القُـــوَّادِ

عَالـــي المكـــانِ

ظاهِـــرُ الميـــلادِ

آخر :

وَما أَتى ؟ ما فَعَلا ؟

العجوز :

عانَقَنـــي وَقَبَّـــلا

الأول :

وَأَيـنَ ؟ فَـوْقَ فَمِـكِ الـدُّرِّيِّ

آخر :

أَوْ مِـنْ عَلـى جَبِينِـكِ البَـدْرِيِّ

آخر :

أَوْ فَـوْقَ خَـدٍّ مِثْلِ رَوْثِ البَغْـلِ

الأول :

أَوْ فَوْقَ ذَقْنٍ مِثْلِ كَعْبِ النَّعْـلِ

العجوز :

أَ هٰذِهِ نَجْدَتُكُمْ يا فِتْيَةْ

أَ هٰكَذا تُحْمى بِمِصْرَ النِّسْوَةْ

يا أَسَفا عَلى القُرونِ الخَالِيَةْ

يا أَسَفا عَلى النُّفوسِ العالِيَةْ

(وتنصرف مغضبة مهرولة)

أحدهم ويرى شخصاً مقبلاً :

هذا (أها) مِنْ أَينَ جِئْتَ ؟

ثان :

كَيْفَ أَنْتَ يا أها ؟

أها :

مِنْ ضَيْعَتي

الأول :

وَكَيْفَ هي ؟

أها :

قَدْ لَقِيَتْ مـــا ساءَهـــا

إِوَزّي كُلُّـــهُ طـــاحَ

وَبَطّـــي كُلُّـــهُ طـــارا

وَأُخْتي خُطِفَـــتْ مِنّـــي

وَزَوْجي جُلِّلَتْ [1] عـــارا

الجماعة :

إِذَنْ لَقَـــدْ آنَ أَنْ نَثُـــورَ

نَطْرُدُ قَمْبِيـــزَ وَالجُنُـــودا

الغابُ في شِقْوَةٍ وَبُـــؤْسٍ

فَما الَّذي يُمْسِكُ الأُسودا

أحد الجماعة :

خُذوا حِذْرَكُمْ أَقْبَلَ الطّاغِيَةْ

مَعَ الوُزَراءِ وَفي الحاشِيَةْ

وَذَا السَّيْفُ في يَدِ جَلادِهِ

يُسَلُّ عَلى الأَرْؤُسِ العالِيَةْ

آخر :

تِلْـكَ مَصائِـــبُ وَقَـــدْ

صُبَّتْ عَلى هَذا البَلَـــدْ

اِمْضوا بِنا ، اِمْضوا بِنـا

لا يَسْمَعَنَّنـــا أَحَـــدْ

(ينصرف المصريون ، ويدخل قمبيز في وزرائه وقواده ، ثم يقبل جنود يسوقون أسرى من النوب)

قمبيز :

مـــاذا يَســوقُ الجُنـــودُ

مَنِ الوُجوهُ السّودُ ؟

---

(١) جُلِّلت : غُطيت وكُسيت .

هَذي عفاريتُ

وزير :

لا ، بَلْ
مَوْلايَ هَذي قُرودُ

قمبيز :

لكِنَّهُمْ حَيْثُ دارَتْ
رَحى القِتالِ أُسُودُ
بَلَوْتُهُمْ في القِتالِ
لَمَّا حَوَتْنا الحُدودُ

قائد :

النّوبُ جُنْدُ بِساما

قائد آخر :

بَلْ هُمْ أشَدُّ جُنودِهْ
وَأثْبَتُ الجَيْشِ يَوْمَ الْـ
ـقِتالِ تَحْتَ بُنودِهْ [1]

قمبيز :

يا جُنْدُ حُلّوا عَنِ الأسْرى وَثاقَهُمو
خَلّوا عَنِ السّودِ . قَدْ أعْتَقْتُ أقْراني
وَ يا بَني النّوبِ مُلْكي لَنْ يَضيقَ بِكُمْ
مَنْ شاءَ فَلْيَبْقَ في مُلْكي وَسُلْطاني
وَالجَيْشُ دارُكُمو إنْ كانَ يُعْجِبُكُمْ
أنْ تَلْحَقوا بِمُشاتي أوْ بِفُرْساني

الأسرى النوب :

يا بَني النّوبِ هَلُمّوا
رَقْصَةَ الحَرْبِ لِكِسْرى
سَيِّدُ الأرْضِ عَفا عَنّـ
ـا فَما نَحْنُ بِأسْرى

(ثم يفك وثاقهم فيرقصون رقصة الحرب وينشدون)

النّوبُ جيلْ ، حُرٌّ أصيلْ ، يَقْضي الدُّيونْ
نَحْنُ الأسُودْ ، حُمْرُ الجُلودْ ، حُمْرُ العُيونْ
لَنا لِبَدْ ، مِنَ الزَّرَدْ ، هِيَ الحُصونْ
نَغْشى القِتالْ ، وَلا نُبالْ ، طَعْمَ المَنونْ
نَحْنُ شُعوبٌ وَشِيَعْ
وَراءَ أسْوانَ نَقَعْ
عُروشُنا مِنَ الجَريدْ
تيجانُنا مِنَ الوَدَعْ
نَحْنُ قَبيلَ الشُّلُكِ
في العَنْجَريبِ نَتَّكي
وَالصَّيْدَ نَهْوى والقَنَصْ
ونَطَّلي بالوَدَكِ [2]
لِلْحَرْبِ نَمْشي الهَرْوَلَهْ
نَبْعَثُ فيها الجَلْجَلَهْ
مَمْزوجَةً بِالوَلْوَلَهْ

(وبعد الفروغ من الرقص يقبل عليهم قمبيز ويقول)

قمبيز :

زِهْ يا جُنودْ زِه يا أسُودْ

كبير النوب لخازن الملك :

زِهْ مَرَّتَيْنِ هاتِ النُّقودْ

(يدفع الخازن إليهم مالاً فيأخذونه وينصرفون . يتراءى فرسان ثلاثة)

قمبيز :

مَنِ الغُبارُ ؟

وزير :

رُسُلْ

قمبيز :

مَاذا إلَيْنا حَمَلوا ؟

قائد :

هَا هُمْ قَدْ تَرَجَّلوا

(يقف الفرسان بحضرة الملك)

---

(١) البنود : جمع بند ، وهو العلم الكبير .

(٢) الودك : دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه .

قمبيز :

مـــاذا وَراءَ الرُّسُــلِ ؟

أحدهم :

الدَّعَواتُ لِلْمَلِكْ

قمبيز :

ماذا لَدَيْكُمْ ؟ ما الخَبَرْ ؟

أحدهم :

حَوادِثٌ ذاتُ خَطَرْ

قمبيز :

حَوادِثٌ ؟ قُلْ أخا الهَيْجا تكَلَّمْ

الرسول :

بَسامَتيكُ يا مَوْلايَ خانا

الوزير الأكبر :

بَسامَتيكُ خانَ ؟

الرسول :

أجَلْ أميري

قمبيز :

وَكَيْفَ ؟ وَما أتى ؟

الرسول :

نَقَضَ الأمانا

قمبيز :

وَما بُرْهانُكُمْ ؟

الرسول :

كُتُبٌ وَرُسْلٌ

يُثيرُ بِها القُرى آنًا فَآنا

قمبيز :

وَهَلْ وَجَدَتْ دِعايَتُهُ سَميعًا ؟

وَهَلْ حَلَّتْ مِنَ الوادي مَكانا ؟

الرسول :

أجابَتْ دَعْوَةَ المَخْلوعِ مُدْنٌ

وَمُدْنٌ ما جَعَلْنَ لِذاكَ شانـــا

قمبيز :

وَأيــنَ فِرْعَــوْنُ ابْسَمـــا

الرسول :

فــي مَنْفَ يَغْــدو وَيَـــروحْ

حُــرٌّ كَمـا شِئْـتَ لَـــهُ

بَيْــنَ القُصــورِ والصُّــروحْ

مِــنْ مَعْبَــدٍ لِمَعْبَــدٍ

وَمِــنْ ضَريــحٍ لِضَريـــحْ

وَحَوْلَـهُ كُهّــانُ مَنْـــ

ـفيــسَ يَجُــرّونَ المُســوحْ

وَكُلُّهُـــمْ مُشيـــرُهُ

الوزير الأكبر :

بِئْـــسَ المُشيــرُ وَالنَّصــوحْ

آخر :

مَنْ لَمْ يَكُنْ كاهِنًا في مِصْرَ أوْ مَلِكا

وَلا تَراهُ لِهَذا أوْ لِذا تَبَعا

فَلا تَقيسَنَّ في هَذي البِلادِ بِهِ

إلا المَواشِيَ والأحْجارَ وَالسِّلَعا

قمبيز :

وُزَرائي وَدَهاقيني انْظُــروا

انْظُروا ذَلِكَ فِرْعَوْنُ « ابْسَما »

الوزير الأكبر :

يَدْفَعُ القُوّادُ وَالجُنْدُ بِــهِ

وَهْوَ في القَيْدِ يَجُرُّ الأدْهَما [1]

قائد :

كادَ فِرْعَوْنُ مِنِ اسْتِكْبارِهِ

أنْفَهُ يَدْفَعُ في أنْفِ السَّما

(فرعون يقف بين يدي قمبيز في عظمة وإباء واستكبار)

قمبيز :

بَسامتيـــكُ

---

(١) الأدهم (هنا) : الأسود .

فرعون :

قمبيزُ

قمبيز :

أ تَدْعو بِاسْمِهِ المَلْكا

فرعون :

غدًا تفقِدُكَ الفُـــرْسُ
وَيَخْلو عَرْشُها مِنْكــا
وَمُلْكٌ قَدْ مَضى عَنّي
سَيَمْضي في غَدٍ عَنْكا

(قمبيز يدخل في الغضب شيئاً فشيئاً)

قمبيز :

وَهَذا الفَتْحُ يا فِرْعَـــوْنُ ؟

فرعون :

عُدْوانٌ وَإِجْـــرامُ
أ مـــا عِنْدَكَ يا قَمْبيــــ
ـــزُ لِلنَّكْبَةِ إكْرامُ ؟

قمبيز :

عَفَوْتُ عَنْكَ أَمْسِ يا ابْــ
ـــسَما فَلَمْ تَرْعَ الوَفا

فرعون :

يا عَجَبًـــا يا عَجَبـــا
عَبْدٌ عَنِ الرَّبِّ عَفا !

قمبيز هائجاً :

خُـــذوهُ بالخَناجِـــــر
سُلّوا لِسانَ الفاجِرِ

فرعون في عظمة وصبر وثبات :

هاتوا سُيوفَ الفُرْسِ ، هاتوا القَنا
هاتوا المُدى ، هاتوا حِبالَ الحَديدْ
لا تَحْسَبوني بَشَرًا بائِدًا
فِرْعَوْنُ حَيٌّ خالِدٌ لا يَبيدْ [١]

(١) يبيد : يهلك .

قمبيز :

إِذَنْ خُـذوهُ بَعيــدا
صُبّـوا عَلَيْـــهِ الحَديـــدا

(يأخذه الجند ويخرجون به . يدنو وزيرٌ شيخٌ من قمبيز ويقول له)

الوزير الأكبر :

مَوْلايَ تِلْكَ غَضْبَةُ المَقْهور
وَنَزْوَةُ الضِّرْغامَةِ [٢] المَأْسـور
مَوْلايَ بِالنّارِ بِقُدْسِ النّورِ
اِغْفِرْ لِهَذا الصّارِمِ [٣] المَكْسور
فَإِنَّهُ ضَحِيَّةُ الأُمُور

(قمبيز صائحاً بالجند وهم ذاهبون بفرعون بسما)

إِذَنْ رُدّوا الأَسيرَ إِلَيَّ رُدّوا
فَإِنّا ما انْتَهَيْنا مِنْهُ بَعْـــدُ

(يرجع الجند بفرعون ويقفونه أمام قمبيز)

قمبيز :

تَعالَ فِرْعَـوْنُ ابْسَمــا
تَعالَ مِنّي ناحِيَـــهْ
لَقَـدْ عَفَـوْتُ مَــرَّةً
وَقَدْ تَكونُ الثّانِيَــهْ

فرعون :

لا مَرْحَبًا أَمْسِ وَلا الــ
ــيَوْمَ بِعَفْوِ الطّاغِيَهْ

قمبيز :

تَأَمَّلْ هَلْ لَبِسْتَ اليَوْمَ ذُلّا
وَكُنْتَ تَجُرُّ أَمْسِ الذَّيْلَ تيها [٤]

فرعون :

كَذا الدُّنْيا تُغَيِّرُ يا بْنَ كِسْرى
فَخَفِّفْها إِنَّها لا خَيْرَ فيهـــا

(٢) الضرغامة : الأسد الضاري الشديد .
(٣) الصارم : السيف القاطع . (٤) التيه : التعاظم والكبرياء .

وَهَبْكَ قَهَرْتَني أ قَهَرْتَ مِصْرًا ؟

قمبيز :

أجَلْ وَ وَضَعْتُ سَيْفي في بَنيها

وَبَعْدَ غَـدٍ أطَوِّقُهـا بِنارٍ

تَطوفُ عَلى البِلادِ وَما يَليها

وَتَجْعَلُ مِنْ هَياكِلِها رَمادًا

وَتُنْزِلُ في الأَزِقَّةِ مُتْرَفيها (١)

وَتَدْعَكُ في تُرابِ الذُّلِّ أَنْفًا

يَطولُ عَلى النُّجومِ وَيَزْدَريها

فرعون :

رُوَيْدَكَ يا بْنَ كِسْرى قِفْ تَمَهَّلْ

فَعادَةُ مِصْرَ تَقْهَرُ قاهِريهـا

قمبيز :

رُوَيْدَكَ أَنْتَ يا فِرْعَوْنُ إِنّي

إذا حَطَّمْتُ مِصْرَ فَمَنْ يَقيها

أ لَيْسَتْ فارِسٌ وَالأَرْضُ تَحْتي

وَأَمْري في الجَنوبِ وَفي الشَّمالِ

وَقَدْ غَطَّتْ فَضاءَ الأَرْضِ خَيْلي

وَهَبَّتْ فـي السُّهولِ وَفي الجِبالِ؟

فرعون :

شَمَخْتَ (٢) بِخَيْلِكَ يا فارِسِيُّ

فَماذا صَنَعْتَ بِخَيْلِ القَدَرْ ؟

تَأَمَّلْ مَكاني وَما حَـلَّ بـي

أ لَمْ تَتَّعِظْ بي ؟ أ لَمْ تَزْدَجِرْ ؟ (٣)

قمبيز :

مَا أَنْتَ يا مَخْدوعُ ؟

فرعون :

فِرْعَوْنُ ابْسَما

قمبيز :

بَلْ أَنْتَ مَأْسورٌ عَلَيْكَ قُيودُ

وَغَدًا يَنوبُ عَنِ القُصورِ وَرُحْبِها

سِجْنٌ يَضيقُ وَمَنْزِلٌ مَسْدودُ

وَتَدَسُّ في الأَجْداثِ (٤) غَيْرَ مُحَنَّطٍ

يَلْهو بِهَيْكَلِكَ البِلى وَالدُّودُ

فرعون :

قمبيزُ

قمبيز :

فِرْعَوْنُ ابْسَما صَلِّ ابْتَهِلْ

وَاهْتِفْ لَعَلَّ العِجْلَ عَنْكَ يَذودُ

أُنْظُرْ إلى أَيْنَ انْحَطَطْتَ ؟

فرعون :

كَذَبْـتَ لَـمْ

يَنْحَطَّ لِلشَّرَفِ الرَّفيعِ عَمودُ

إِنَّ الجَواهِرَ في التُّرابِ جَواهِرٌ

وَالأُسْدُ في قَفَصِ الحَديدِ أُسودُ

قمبيز :

سَنَرى هَلُمّوا يا جُنودُ أَسيرَكُمْ

عُودوا بِهِ مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ عُودوا

قمبيز مستمرًا :

وَأَيْنَ نفريتُ ابنَـةُ الكَـذّابِ

قَدْ آنَ أَنْ يَنالَهـا عِقابـي

الوزير الأكبر :

نفريتُ مِنْ مَخافَةِ الحِسابِ

أَلْقَتْ بِنَفْسِها إلى العُبابِ

وَذَهَبَتْ

قمبيز ويضحك ضحكة جنونية :

لَكِنْ بِلا إِيابِ

---

(١) المُتْرَف : المُتَنَعِّم . (٢) شَمَخَ : ارْتَفَعَ .

(٣) تزدجر : تنقاد .

(٤) الأجداث : جمع جَدَث ، وهو القبر .

(تحضر نتيتاس وتقول)

نتيتاس :

قمبيزُ ؟

قمبيز :

نتيتاسُ ؟

نتيتاس :

أجَلْ

قمبيز :

وَماذا أتى بِكْ ؟

نتيتاس :

أتَيْتُ أنْقِذُ قَوْمــي
وَمَوْطِني مِنْ عَذابِكْ

قمبيز :

وَالزَّوْجُ يا نَتَاسُ ؟

نتيتاس :

وَأنْقِذُ الزَّوْجَ أيْضاً

قمبيز ساخراً :

وَمِمَّ ؟

نتيتاس :

مِـنْ شِـدَّةِ البَـلاءِ
وَغَضَبِ الأرْضِ وَالسَّماءِ

قمبيز في غضب :

اِذْهَبي يا بِنْتَ فِرْعَوْنَ اذْهَبي
اُعْزُبي يا حَيَّةَ النِّيلِ اعْزُبي

فانيس :

تَأخَّـري سَيِّدَتـي
لا تَعْرِضـي لِغَضَبِهْ

قمبيز :

فانيسُ أنْتَ هَهُنـا ؟

فانيس :

مَوْلايَ لي لَمْ يَنْتَبِهْ

نتيتاس متهكمة :

مَوْلاكَ كَـمْ تَخْدَعُهُ
مَوْلاكَ كَمْ تَسْخَرُ بِهْ

قمبيز إلى قواده :

أ حَقٌّ هُوَ بي يَهْزا ؟

ثم إلى فانيس :

أ حَقٌّ أنْتَ بي تَسْخَرْ ؟
وَفي الأحْلامِ تَبْدو لي
وَهَذا الوَجْهُ لي يَظْهَرْ
وَقَدْ يَصْفَرُّ كَاللَّيْمو
نِ أوْ يَحْمَرُّ كَالبَنْجَرْ

(ويهجم عليه بالخنجر)

فانيس :

أميري سَيِّدي مَلِكي

قمبيز ويطعنه بالخنجر :

أغِثْهُ أيُّهــا الخِنْجَرْ

(ضجة في صفوف المصريين)

أحدهم :

قَدْ هَلَكَ الواشـــي

آخر :

قَــدْ هَلَكَ الخائِـنْ
كافـــاهُ قَمْبيـــزُ
شَـــرُّ المُكافـــاةِ

فانيس بعد أن يضربه قمبيز بالخنجر :

آهِ مِنَ الخِنْجَرِ ما أحَرَّهُ !
آهِ مِنَ الحِمامِ[1] ما أمَرَّهُ !

(لقمبيز)

قمبيزُ شَلَّـتْ يَمينُـكْ
وَلا أفاقَ جُنونُكْ

---

(١) الحِمام : الموت .

(لنفسه)

وَيْحي أرى عَيْني تَغيمُ وَساعَتي
تَدْنو وَأشْعُرُ بِانْقِطاعِ فُؤادي
الذَّنْبُ لي أنا قَدْ خَرَجْتُ لِفارِسٍ
وَمَنَحْتُ مَجْنونًا هُناكَ وِدادي
فانيسُ ، أنْتَ نَشَأتَ جُنْدِيًّا فَمُتْ
كَالجُنْدِ وَالْقَ مَصارِعَ القُوّادِ
سِيّانِ حينَ تُحَطُّ في جَوْفِ الثَّرى
مَوْتُ الفِراشِ وَمَوْتَةُ الجَلّادِ
يا نَفْسُ لم أحْمِلْ عَلَيْكِ دَنِيَّةً
لاقي المَنِيَّةَ بِالضَّميرِ الهادي
يونانُ تَغْفِرُ لي وَآلِهَتي بِهـا
سَهِرَتْ عُيونُهُمو عَلى أوْلادي
قَدْ خُنْتُ مِصْرَ وَخُنْتُ ساداتي بِها
لكِنَّني ما خُنْتُ قَطُّ بِلادي

أصوات من جانب المصريين :

فانيسُ لا عِلْمَ لَهُ بِما جَرى
قَدْ قَتَلوا أوْلادَهُ وَما دَرى

(يظهر الجند يدفعون فتًى فيقول قمبيز)

قمبيز :

وَهَذا الفَتى مَنْ ؟ وَلِمْ سُقْتُموهُ إلَيَّ ؟

جندي :

فَتًى فـي النَّواحي يَرودُ [1]

قمبيز :

وَما كـانَ يَأتـي ؟

الجندي :

يُثيـرُ البِـلادَ
وَيُغْري القُرى بِاغْتِيالِ الجُنودْ

قمبيز :

تَنَحَّوْا بِهِ فَاقْطَعوا رَأسَهُ
عَساهُ لأمْثالِها لا يَعـودْ

(نتيتاس تسمع وهي متراجعة ضجة فتنظر فيستوقفها المنظر فتقول)

نتيتاس :

مـاذا رَأيْـتُ وَمـاذا
سَمِعْتُ ؟ مَن يَدْفَعونا ؟
مَن ذا إلى النّارِ ساقوا ؟
مَـنْ أوْرَدوهُ الأتونـا [2] ؟
تاسُ ؟ أجَلْ هُوَ تاسُ
أتَـوْا بِـهِ المَجْنونـا
قَسا الجُنـودُ عَلَيْـهِ
وَالجُنْـدُ لا يَرْحَمونـا
مـا بالُهُ عَرَفَ الوَفـا
ءَ وَكَيْفَ ثابَ إلى الرَّشادْ
رَبّي ! أ أشْفَعُ فيهِ ؟ لا
لا كَيْـفَ أمْنَعُهُ الجِهـادْ
لا لَنْ تَحولَ شَفاعَتي
بَيْـنَ الضَّحِيَّـةِ وَالبِـلادْ
هَـذِهِ ميتَـةُ عِـزٍّ
اِمْـضِ تـاسُ بِسَـلامِ
قَدْ صَفَحْنا لَكَ عَنْ ذا
كَ التَّجَنّي وَالأثـامِ [3]
لا تَمُتْ بِالكاسِ وَالطّا
سِ وَلَكِـنْ بِالحُسـامِ
سَرَّنـي أنَّـكَ تَقْضـي
لِلْحِمـى حَـقَّ الزِّمـامِ [4]

---

(١) يَرود : يجول .

(٢) الأتون : الموقد الكبير .

(٣) الأثام : جزاء الإثم .

(٤) الزِّمام : القيادة .

وَشَفاني أَنَّكَ الـذَّا
ئِدُ عَنْ مِصْرَ المُحامي
زُلْ لِتَبْقى كَـوِدادي
مُـتْ لِتَحْيا كَغَرامي

(ثم تتراجع وتقول)

وَالآنَ إلى طيبَةٍ وَالصَّعيدْ
لِحَشْرِ الدُّعاةِ وَحَشْدِ الجُنودْ
وَقَهْرِ العَدُوِّ وَإرْغامِهِ
وَقَذْفِ المُغيرِ وَراءَ الحُدودْ

(وتخرج)

يستجمع تاسو ويقول ، وكأنما سمع ما قالت نتيتاس :

عَفَتْ نَتيتاسُ فَيا مَرْحَبا
بِكَ اليَوْمَ يا مَوْتُ مِنْ زائِرِ

قمبيز إلى وزرائه :

مـا الرَّأْيُ يا وُزَرائـي
فَإنَّنـي لَسْـتُ أَدْري ؟
مـاذا بِأَبْنـاءِ مِصْـرٍ
مِـنِ اخْتِيـالٍ وَكِبْـرِ ؟

قائد :

نَحْـنُ بَنـو الشَّيْطانِ
وَهُـمْ بَنـو الإنْسـانِ

ثان :

وَالنّاسُ مِنْ طينِ السِّكَكْ
وَهُـمْ سُلالَـةُ المَلَـكْ

قمبيز :

أَبِيٌّ لَعَمْري فِرْعَوْنُ مِصْرٍ
وَيُشْبِهُهُ قَوْمُـهُ فـي إباهْ
سَأَدْعَكُ في التُّرْبِ آنافَهُمْ
وَأُلْصِقُ بِالأَرْضِ تِلْكَ الجِباهْ

قائد :

سَيِّدي لا تُبْـدِ رِفْقـا
وَامْضِ في الأَعْناقِ دَقّـا

ثان :

وَاهْـدِمِ الأَبْـراجَ هَدْمـا
وَاحْرِقِ الأَجْرانَ حَرْقـا

ثالث :

وَدَعِ الـواديَ قاعـا
وَاحْلِقِ الشَّطَّيْنِ حَلْقـا

قائد رابع عالي السن :

سَيِّـدي بَلْ تَتَرَفَّـقْ
فَهْـوَ بِالقـادِرِ أَلْيَـقْ

(قمبيز يضحك ضحكة جنونية)

قمبيز :

خُذوا يا قـادَةَ الفُـرْسِ
أَخاكُمْ إنَّـهُ جُنّـا

قائد :

أَميـري ، خَـرِفَ الشَّيْـخُ
فَلُمْـهُ أَوْ لُـمِ السِّنّـا

(قمبيز يغمد خنجره في القائد الشيخ ويقول)

خُذْ طَعْنَةً فيها الشِّفـا
تَصْرِفُ عَنْكَ الخَرَفـا

القائد وهو يتلقى الطعنة :

يا وَيْحَهُ قَدْ عادَهُ الجُنونُ
بَلْ أَنا حينَ هِجْتُهُ المَجْنونُ

قمبيز :

وَآبيسُ مَعْبودُهُمْ أَيْنَ هُو ؟

قائد :

هُـوَ العِجْلُ

ثاني :

وَهْوَ الَّذي أَلَّهوا

وزير :

ثَوى العِجْلُ في حُجُراتِ الجَلالِ

قائد :

وَقَــدْ نَعَموهُ وَقَدْ رَفَهوا

الثاني :

وَلَيْـسَ إلهَـا وَلَكِنَّمـا

عَلى الشَّعْبِ كُهّانُهُ مَوَّهوا [1]

أحد القائدين لزميل له :

هُمْ يَعْبُدونَ العِجْلَ يا أَزْدَشِرْ

أزدشر :

يا لَكَ مِنْ أَحْمَقَ ثَرْثارِ !

وَنَحْنُ ؟

الأول :

النّارُ إلهٌ لَنا

أزدشر:

ما الفَرْقُ بَيْنَ العِجْلِ وَالنّارِ ؟

الأول :

أ فَيْلَسوفٌ أَنْتَ ؟

أزدشر :

بَلْ مُلْحِدٌ

الأول :

أَنْتَ ؟ إذَنْ عِشْ وَامْضِ بِالعارِ

ما كانَتِ النّارُ بِمُحْتاجَةٍ

إلى قَليـلِ الدّيـنِ كَفّـارِ

قمبيز :

وَأَينَ هُوَ العِجْلُ ؟

قائد :

في قُبَّةٍ

تَليقُ لِكِسْرى وَآبائِهِ

قمبيز مغضباً مشيراً :

أَمْسِكوا الكَلْبَ خُذوهُ ، أَدِّبوهُ

ما أَبي العِجْلُ ، بَلِ العِجْلُ أَبوهُ

القائد :

الوَيْـلُ لـي جُـنَّ

صديق له في أذنه :

مـا جُـنَّ إلاّ كـا

فَأَنْــتَ ساوَيْـتَ

بِالعِجْلِ مَوْلاكـا

آخر له :

أ هَكَذا يا أَحْمَقُ السُّلوكُ ؟

أ هَكَذا يُخاطَبُ المُلوكُ ؟

(يؤتى بالعجل ، فيثور لرؤيته جنون قمبيز)

قمبيز :

وَالآنَ ماذا رَأَيْتُــمْ ؟

وَما الَّذي تُفْتونـا ؟

وما الَّذي نَحْنُ بالعِجْــ

ـلِ يا تُرى صانِعونا ؟

قائد :

يَصُبُّ كِسْرى عَلَيْــهِ

مِـنَ البَلاءِ فُنونـا

آخر :

عَلِّقْهُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّماءِ

وَاتْرُكْهُ لِلْغِرْبانِ وَالحِداءِ

آخر :

اِدْفِنْهُ في الأَرْضِ حَيّـا

وَهِــلْ عَلَيْـهِ التُّرابـا

الأول :

اِذْبَحْهُ ذَبْـحَ الخَـروفِ

الثاني :

اُخْنُقْهُ خَنْـقَ الدَّجاجَـهْ

آخر بتهكم :

اُصْلُبْـهُ فَوْقَ عَمـودِ

مِـنْ هَيْكَـلِ المَعْبـودِ

---

(١) موّهوا : مزجوا الحق بالباطل .

وزير :

أحْرِقْهُ مَوْلايَ بِالنّــارِ

قمبيز :

اِخْسأْ فَهَذا أعْظَمُ العــارِ

ماذا يَقولُ النّاسُ عَنّا غَداً

أَلْقَوْا إلى النّيرانِ بِالفارِ ؟

قَدْ دَنّسوها وَهْيَ مَعْبودُهُمْ

مِنْ جُثّةِ العِجْــلِ بِأقْــذارِ

(ويظهر الغضب على قمبيز فيقول له قائل منهم)

قائد :

مَوْلايَ مــا ذاكَ فــارٌ

بَلْ أَلْــفُ فــارٍ وفــارِ

آخر :

يا سَيّدَ الأرْضِ أبْشِــرْ

رَأْيُ الوَزيــرِ أصابــا

غَداً يَقولونَ بِمَنْفيــسِ

تَغَــدّتِ النّــارُ بِآبيــسِ

قمبيز مقتنعاً ومقهقهاً :

أَجَلْ غَداً يُقالُ في الأخْبارِ

العِجْلُ قَدْ باتَ طَعامَ النّارِ

ثم يقبل على أبيس ويخاطبه :

إلَهَ النّيلِ لِمْ تَغْضَبُ ؟

لِمْ تَكْسِرُ جَفْنَيْكــا ؟

تَأَمّــلْ شَبَحَ المَــوتِ

أ لَمْ يَبْدُ لِعَيْنَيْكــا

وَهَذا خِنْجَري الماضــي

فَخُــذْهُ بَيْــنَ قَرْنَيْكــا

(ويطعنه ثم يتراجع خطوة ويقول)

إلَهي ما تَرى عَيْنــي

خَيــالاتٌ وَأشْبــاحُ

وَقَتْلى قَدْ غَدَوْا حَوْلي

وَقَتْلى غَيْرُهُمْ راحــوا

وَجَرْحى جَذَبوا ثَوْبِــي

وَجَرْحى غَيْرُهُمْ صاحوا

هَذي عَواقِبُ بَغْــيِ

هَذا القِصاصُ المُتاحُ

لا بُدّ مِـنْ عَدْلِ يَوْمٍ

يَرْتَدُّ فيــهِ السّلاحُ

قائد :

وَيْــحَ لِقَمْبيــزٍ

آخر :

وَيْحَ لَــهُ جُنّــا

الأول :

مَــنْ يُقْتَلُ اليَــوْمَ ؟

مَــنِ الشّقِيُّ مِنّــا ؟

قمبيز مستمراً :

هَذا أخي يَصيحُ بي

وَتِلْكَ أخْتي تَنْتَحِــبْ

وَآخَــرٌ يَسْأَلُنــي

أَيْنَ دَمي ؟ أَيْنَ ؟ أَجِبْ

قائد آخر :

هَذا ضَميرُهُ صَحا

هَــذا ضَميــرُهُ انْتَبَــهْ

حَتّــى رَأى آثامَــهُ

وَلَمْ يَكُنْ لَها أَبَهْ (١)

آخر لنفسه :

ثــارَ بِــهِ ضَميرُهْ

(ثم لزميل له همساً)

وَمــا الضّميرُ حَيْــدَرْ ؟

---

(١) أبه : فطن وتنبه .

حيدر للزميل :

سَريرَةٌ تَنْدَمُ أحْيا
نًا وَحينًا تَزْجُرُ
وَيَرْجِعُ النّاسُ لَها
إلّا امْرُؤٌ (١) لا يَشْعُرُ

الأول رستم لحيدر :

وَأَيْنَ مَنْزِلُ الضَّميرِ ؟

حيدر :

مَوْضِعٌ مِنَ الجَسَدْ
أُنْظُرْ ، هُنا يا رُسْتُمُ الْـ
ـقَلْبُ وَها هُنا الكَبِدْ

(ويشير إلى أعلى الصدر وأسفله وإلى ما بينهما « المعدة »)

ثم مستمرًا :

وَها هُنا الضَّميرُ بَيْـ
ـنَ القَلْبِ وَالكَبِدِ قَعَدْ

رستم :

هُنا الدَّجاجُ والحَما
مُ ها هُنا بِلا عَدَدْ

حيدر :

وَالبَطُّ أَيْضًا وَالإِوَزُّ
والحِمارُ وَالوَتَدْ
وَكُلُّ ما تَسْرِقُ أَوْ
تَخْطَفُ مِنْ هَذا البَلَدْ

رستم :

حَيْدَرُ هَلْ يُجْتَرَعُ (٢) الضَّـ
ـميرُ ؟ أَوْ هَلْ يُزْدَرَدْ ؟
وَهَلْ لَهُ حَوْصَلَةٌ ؟
وَهَلْ لَهُ رِجْلٌ وَيَدْ ؟

حيدر :

يا أخي إنَّ الضَّميرَ
النَّفْسُ أَوْ بَيْتُ الشُّعورْ
وَهْوَ فيلٌ في صُدورٍ
وَهْوَ فَأْرٌ في صُدورْ
وَجِبالٌ مِنْ حَديدٍ
أَوْ جِبالٌ مِنْ حَريرْ
وَسَعيدُ النّاسِ مَنْ لَمْ
يَشْكُ مِنْ وَخْزِ الضَّميرْ

(قمبيز يقوم هائجًا وكأنما يفر من شبح شقيقه الذي قتله)

قمبيز :

ماذا بِيا ؟ ماذا بِيا ؟
هَذا شَقيقي بُرْدِيا
هَذا شَقيقي بُرْدِيا
وَخِنْجَري في صَدْرِهِ
جِئْتَ أخي تَجزي أخا
كَ عَنْ قَبيحِ غَدْرِهِ

(ثم يزداد هياجًا ويفر من شبح أخته وزوجه التي قتلها)

أتوسَةُ أُخْتي أَلا تَصْفَحينَ ؟
أتوسَةُ زَوْجي أَلا تَغْفِرينَ ؟

(ثم ينظر يمينًا ويسارًا وهو كالمجنون ويقول)

آهِ لِيَهْ آهِ لِيَهْ
ما هَذِهِ الزَّبانِيَهْ
كَتيبَةٌ بِمَوْضِعٍ
وَعَسْكَرٌ في ناحِيَهْ
وَأَرْؤُسٌ بِوَهْدَةٍ
وَأَرْجُلٌ بِرابِيَهْ
كُلٌّ يَصيحُ رُدَّ رو
حي رُدَّ لي دِمائِيَهْ .

---

(١) الصواب : امرأً، لأن الاستثناء تام مثبت .

(٢) يُجترع : يُبتلع .

قمبيز (مع الأشباح) :

وَيْلي مِنَ الماضي وَمِنْ أَشْباحِــــهِ
هَذي خَيالاتُ الزَّمانِ الخالي
عَجَبُ العَجائِبِ وَيْحَ لي ماذا أرى ؟
شَبَحٌ ؟ أَجَلْ شَبَحٌ وَطَيْفُ خَيالِ
شَبَحٌ كَالمَلَــكِ الــوا
قـي لِعَيْنَــيَّ يَلــوحْ
شَبَـحٌ كَالزَّنْبَقِ النَّــــا
عِـمِ يَغْـدو وَيَــروحْ
ظَهَرَ الحُسْــنُ عَلَيْــهِ
وَسَـرى الطِّيبُ يَفـوحْ
تِمْثالُ نتيتاسَ حَوْلَ مَذاهِبي
أَحْبِبْ بِنتيتاسَ والتِّمْثالِ
ما بالُهُ أَلْقى عَلَيَّ سَكينَةً
وَأَراحَ وِجْداني وَأَنْعَمَ بالي
زَوْجـاهُ نتيتـاسُ مَلِكَـــــةَ فارسٍ
ما لي حُرِمْتُ حَنانَ قَلْبِكِ ما لي ؟
يا لَيْتَني لَمْ أَسْمَعِ الواشي وَلَمْ
أُخْرِجْ خَيالَكِ مِنْ قَديمِ ضَلالي
قَدْ ساءَ حالي في غِيابِكِ فارْجِعي
هَيْهاتَ بَعْدَكِ مَنْ يَرِقُّ لِحالي
أَ أَراكِ عِنْدي وَالأُمورُ رَخِيَّـــــةٌ
وَأَراكِ عِنْدَ شَدائِدِ الأَهْــوالِ ؟
بِاللهِ يا طَيْفَ الحَبيبَةِ قُلْ لَها
خَلَّفْتُ قمبيزًا بِأَسْوَإِ حــالِ
صِفْني لَها تَعِسًا كَما شاهَدْتَني
قَدْ عادَني صَرَعي وَجَدَّ خَبالي [1]

يا بِنْتَ مِصْرَ وَيا يَتيمَةَ تاجِها
عودي فِداؤُكِ دَوْلَتي [2] وَرِجالي

ثم مستمرًا :

طابَ وِرْدُ الحِمامِ يا نَفْسُ هَيّا
خِنْجَري خِنْجَري إِلَيَّ إِلَيّا

(ويطعن نفسه بالخنجر ويقع)

جماعة من الفرس :

يا فُرْسُ ، يا قَوْمَ كِسْرى
النّازِليــــنَ السَّحابــا
كِسْـرى مَضـى لِلنّارِ
شُقّوا عَلَيْــهِ الثِّيابــا
وَحَطِّمُوا فــي ثَــراهُ
سُيوفَكُــمْ وَالحِرابــا

(كبراء الفرس يتشاقون الثياب)

أحدهم لآخر :

هــاتِ ثِيابَــكْ
خُـــذْ ثِيابــي
تَعالَ خُذْ قَميصي
وَأَعْطِني قَميصَكْ

(يمزق كلاهما قميص الآخر)

مصري من الحاضرين لآخر همسًا :

أُنْظُرْ ، أَخي ، الفُرْسَ وَما نابَهُمْ
شَقّوا عَلى المَجْنونِ أَثْوابَهُمْ

الكهان لجماعة المصريين :

يَأَيُّها المَرْضَى اسْجُــدوا
عَلى دِماءِ « آبِسِ »
ويـا أُصِحّـاءُ انْهَلـوا
مِنْ دَمِهِ المُقَدَّسِ
يــا لِشَقــاءِ جَسَــدٍ
في دَمِهِ لَمْ يُغْمَسِ !

---

(١) الخَبال : فساد العقل والجنون .

(٢) الدَّوْلة : الغلبة والسلطان .

(المصريون يتشاقون الثياب)

فارسي إلى آخر :

أُنْظُرْ إلى أبْناءِ مِصرَ
فإنَّ أمْرَهُمو عُجــاب
أُنظُرْ أ لَسْتَ تَراهُمُ
شَقّوا على العِجْلِ الثِّيابْ ؟

وزير فارسي يخطب المصريين :

أَيُّها الكُهّانُ مِنْ شَتّى الرُّتَبْ
عَظُمَ الخَطْبُ فما تُغْني الخُطَبْ
إنَّ كِسْرى تَغْفِرُ النّارُ لَهُ
كانَ في مَصْرَعِ آبيسَ السَّبَبْ
أَيُّها الشَّعبُ

مصري لرفاقه :

أميلوا اسْمَعوا
كَيْفَ يُنْشي المسْتَبِدّونَ الخُطَبْ

الوزير مستمرًا :

قَدْ أتى قَمْبيزُ كِسْرى ما أتى
وَهْوَ مَدْفوعٌ بِشَيْطانِ الغَضَبْ

مصري لأخيه بصوت منخفض :

لَيْتَهُ بالَ عَلى نيرانِكُــمْ
بَوْلَةً تُطْفي لَظاها واللَّهَبْ

الخطيب الوزير :

نَحْنُ لا نُسْأَلُ عَنْ فَعْلَتِه
قَدْ جَنى الرَّأسُ فما ذَنْبُ الذَّنَبْ
أَيُّها الكُهّانُ قَدْ حَلَّ عَلى
رَبِّكُمْ أبيسَ مَقْدورٌ غَلَبْ

(ثم ملتفتاً بالشعب قائلا :)

ما لي أرى مِنْ جانِبِ الشَّعْبِ
بَوادِرَ الفِتْنَةِ وَالشَّغَبِ

قائد فارسي :

ما أغْضَبَ الشّاءَ مِنَ الجَزّارِ ؟
حَذارِ حِلْمَ فارِسٍ حَذارِ
لا تَقِفُوا لِسَيْفِها وَالنّارِ

(تتفرق الجماعة هنا وهناك ، ويقف جماعة من المصريين فيقول أحدهم)

أحدهم (لزميل له) :

ماذا جَرى ؟

زميله :

أ ما تَرى
عَلى الثَّرى هَذا الدَّما ؟

آخر :

آبِسْ عُقِرْ آبِسْ نُحِـرْ
ساءَ الخَبَرْ ما أشْأما !

الثاني :

حامي الحِمى ما استَسْلَما
لكِنْ سَما إلى السَّما

آخر :

لَقَدْ وَهِمْتَ يا أخـــي
أفِقْ وَراجِعِ الرَّشَـــدْ
أبيسُ فــارَقَ الوَتَــدْ
وَسارَ رِحْلَةَ الأبَــدْ

الأول :

العَمى يا أخي العَمـــى
أتْرُكِ الأرْضَ والدِّمـا
وَتَأمَّلْ مَعي السَّمــا
اِتَّخَذَ الجَوَّ سُلَّمــا
هُــوَ هَــذا تَبَسَّمــا
وَعَلى الجَمْعِ سَلَّمَــا
وَإلى الخُلْدِ قَدْ سَما

الثاني :

عَجِيبٌ شَأْنُ آبيسَ | سِرُّكَ في منفيسْ
لآبيسَ جَناحانِ | وأنتَ في الخُلْدِ

شبان الكهان :

وَهَذا الرِّيشُ مِنْ دُرٍّ | آبيسُ سِرٌ لِلسَّماءْ
وَياقوتٍ ومَرْجانِ | وَانْزِلْ مَعَ الخالِدينْ
وَهَذا هُوَ يَرْعاكَ | وَخَلِّ تِلْكَ الدِّماءْ
بِعَيْنَيْهِ ويَرْعاني | تُحاسِبُ المُعْتَدِينْ

آخر لزميلين له :

أُنْظُرْ « أني » إِسْمَعْ « فُتا » | أَنْتَ سَماءُ الجَلالْ
آبيسُ بِالفُرْسِ سَخَرْ [1] | حِمى الدِّيارِ الأمينْ
جَنَّ قَمْبيزَ وَلَمْ | القَرْنُ كالشَّمْسِ طالْ
يَزَلْ بِهِ حَتّى انْتَحَرْ | وَعَزَّ في العالَمِينْ

شيوخ الكهان :

بُورِكْتَ يا أَبيسْ | يا صورَةً مِنْ فُتاحْ
يا صاحِبَ المَجْدِ | وَمِنْ سَناهُ المُبِينْ
يا مَوْضِعَ التَّقْدِيسْ | هَذا شُعاعُ الصَّباحْ
وَمَنْزِلَ الحَمْدِ | أَمْ غُرَّةٌ في الجَبِينْ

« ختام »

---

(١) سخَره (بفتح العين) : قهره وكلفه فوق طاقته .

مصرع كليوپاترا

تمهيد

زمن الرواية :

الأيام الأخيرة في حياة كليوباترا حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد بين وقعة « أكتيوم » البحرية وانتحار كليوباترا .

مكانها :

في الإسكندرية وأرباضها .

أشخاصها :

(أ) الأشخاص التاريخية :

كليوباترا .
مارك أنطونيوس .
أكتافيوس قيصر .
قيصرون : ابن كليوباترا من يوليوس قيصر .

(ب) الأشخاص الموضوعة :

أنوبيس : الكاهن الأكبر .
زينون : أمين مكتبة قصر كليوباترا .
حابي
ديون } مساعدو زينون .
ليسياس
هيلانة : وصيفة كليوباترا وبينها وبين حابي غرام .
شرميون : وصيفة أخرى .
أوروس : روماني في معية أنطونيوس وهو عبده وتابعه وصفيه .
أولمبوس : طبيب روماني في بلاط كليوباترا .
أنشو : مضحك الملكة .
غانميز : ساقيها .
حبرا : عرافها .
أياس : شاديها .
أخيل : قائد الأسطول المصري وربان أنطونياد سفينة كليوباترا .
بولا : شاعر .
أغا القصر

(جـ) النكرات المسرحية :

جنود وقوّاد مصريون ورومانيون ، راقصات ، عزاف .

الفصل الأول

المنظر الأول

(في مكتبة قصر كليوباترا – حابي وديون وليسياس جلوسٌ إلى عملهم .

(يُسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد)

يَوْمُنا فـي أكْتيومــا
ذِكْرُهُ في الأرْضِ ســارْ
اِسْألوا أسْطولَ رومـا
هَلْ أذَقْناهُ الدَّمــارْ ؟

* * *

أحْرَزَ الأسْطولُ نَصْـرا
هَـزَّ أعْطـافَ الدِّيــارْ
شَرَفًا أسْطولَ مِصْــرَ
حُزْتَ غاياتِ الفَخَــارْ

* * *

صارَتِ الإسْكَنْدَرِيَّــهْ
هِـيَ فـي البَحْـرِ المَنـارْ
وَلَهَـا تــاجُ البَرِيَّــهْ
وَلَهَـا عَـرْشُ البِحــارْ

* * *

حابي :

اِسْمَعِ الشَّعْبَ دُيــونُ
كَيْـفَ يوحـونَ إلَيْــهِ
مَـلأَ الجَـوَّ هُتافًــا
بِحَياتَــيْ قاتِلَيْـــهِ
أثَّـرَ البُهْتـانُ فيــهِ
وَانْطَلَى الزُّورُ عَلَيْــهِ
يَا لَـهُ مِـنْ بَبَّغــاءِ
عَقْلُهُ فــي أذُنَيْــهِ !

ديون :

حابي ، سَمِعْتُ كما سَمِعْتَ ، وَراعَني
أنَّ الرَّمِيَّةَ تَحْتَفي [1] بالرامِي
هَتَفُوا بِمَنْ شَرِبَ الطِّلا [2] في تاجِهِـمْ
وَأَصارَ عَرْشَهمُو فِراشَ غَـرامِ
وَمشَى عَلَـى تاريخِهِمْ مُسْتَهْزِئًــا
وَلَوِ استَطاعَ مَشَى عَلَى الأَهْرامِ

حابي :

أ تَذْكُرُ يا ديونُ إذ انْطَلَقْنا
إلى الميناءِ نَلتَمِسُ الهَـواءَ
وَكانَ البَحْرُ كالمَيْتِ [3] المُسَجَّى
وَكانَ اللَّيْلُ لِلْمَيْتِ الرِّداءَ

ديون :

نَعَـمْ وَهُنـاكَ آنَسْنا سَحَابًـا
وَراءَ اللَّيْلِ جَلَّلَـتِ السَّمــاءَ
فَقُلْتَ انْظُرْ ديونُ تَرَ الجَواري
يَطَأْنَ الماءَ هَمْسًا وَالفَضــاءَ
وَأقْبَلَتِ البَوارِجُ بَعْـدَ حيـنٍ
سَوائِبَ [4] لا دَليلَ ولا حُداءَ
رَجَعْنَ رُجوعَ قُرْصانٍ ، أصابوا
مِنَ الغَزْوِ الهَزيمَــةَ والبَـلاءَ
فَلَمْ نَسْمَعْ لِمَــلّاحٍ هُتافًـا
يُبَشِّرُ بِالقُـدومِ وَلا نِـــداءَ

---

(١) تحتفي : تحتفل . (٢) الطِّلاء : الخمر .
(٣) المَيْت (بسكون الياء) من فارق الحياة ، أما بالتشديد فتطلق عليه وعلى من في حكمه من كل الأحياء .
(٤) السَّوائب : جمع سائبة وهي المُهْمَلة .

وَلَمْ نَرَ فَوْقَ سارِيَةٍ سِراجًا
وَلا مِنْ ثَقْبِ نافِذَةٍ ضِياءَ

حابي :

فَماذا قُلْتَ ؟

ديون :

قُلْتُ ديونُ إنِّي
أرى الأسْطولَ بالوَيْلاتِ جاءَ
دُخولُ الظّافرينَ يَكونُ صُبْحًا
وَلا تُزْجَى مَواكِبُهُمْ مَساءَ
فَلَمَّا أصْبَحَ الصُّبْحُ انْتَبَهْنا
نَرى الأسْطولَ أزْيَنَ ما تَراءَى
تَبَرَّجَتِ البَوارِجُ بَعْدَ عُطْلٍ
وَهزَّتْ في ذَوائِبِها [1] اللِّواءَ
وَ رُدِّدَ في المَدينَةِ أنَّ روما
عَفا أسْطولُها ، وَمَضى هَباءَ
فَضَجَّ النّاسُ بالبُشْرَى ، وَكَدُّوا
حَناجِرَهُمْ هُتافًا أوْ دُعاءَ
هَداكَ اللهُ مِنْ شَعْبٍ بَريءٍ
يُصَرِّفُهُ المُضَلِّلُ كَيْفَ شاءَ

ليسياس (هامسًا لحابي) :

(تدخل هيلانه)

حابي صَهٍ ، قَدْ ظَهَرَتْ هيلانَهْ
وَأقْبَلَتْ بالطَّلْعَةِ الفَتّانَهْ
تَنْفَحُ كالزَّنْبَقَةِ الغَيْسانَهْ [2]

حابي :

ليسياسُ أنْهاكَ عَنِ المَجانَهْ
هيلانَةٌ في القَصْرِ قَهْرَمانَهْ [3]
لَها وَقارٌ وَلَها مَكانَهْ

هيلانه :

سَلامٌ لَكَ يا حابي

حابي :

سَلامٌ لَكِ هَيلانَهْ

هيلانه :

أُمِرْتُ أنْ أقولَ لِلأمينِ
سَتَحْضُرُ المَلْكَةُ بَعْدَ حِينِ
فَبَلِّغِ الأمْرَ إلى زينونِ

حابي :

سَيِّدَتي سَأفْعَلُ
أمْرُكُما مُمْتَثَلُ

هيلانه :

تَقْرُنُني بِرَبَّتي ؟
ذَلِكَ ما لا أقْبَلُ

حابي :

هيلانُ أنْتِ مَلْكَتي
وَأنْتِ وَحْدَكِ المَلَكْ

هيلانه :

بَلْ كليوپاترا وَحْدَها
لَمْ يَحْوِ شَمْسَيْنِ الفَلَكْ
إنْ أنْتَ لَمْ تُؤْمِنْ بِها
فَلَسْتَ لي وَلَسْتُ لَكْ

(تخرج هيلانه ويدخل زينون من باب آخر في هيئة تفكير واضطراب)

حابي :

ذاتُ الجَلالَةِ سَيِّدي
قَدْ آذَنَتْنا بالزِّيارَهْ

زينون :

هَذِهِ حُجْرَتُها ، لا عَدِمَتْ
طِيبَ رَيّاها [4] ولا ضَوْءَ حُلاها [5]

---

(١) الذَّوائب : جمع ذؤابة وهي أعلى الشيء .
(٢) الغَيْسانة : الناعمة اللينة .
(٣) القَهْرمانة : مدبِّرة البيت .
(٤) الرَّيا : الريح الطيبة . (٥) الحُلى : جمع حِلْية ما تتزيَّن به .

كُــلَّ يــوْمٍ تتَجَلَّــى ساعَــةً
هَهُنا كالشَّمْسِ في عِزِّ ضُحاها
تَدْخُلُ الـدارَ فَتَنْسَى مُلْكَهـا
بِلِقاءِ الكُتْبِ ، أَوْ تَنْسى هَواها

(محدثًا نفسه في ركن قصيٍّ من أركان المكتبة)

أمَّـا الشَّبـابُ فَقَـدْ بَعُـدْ
ذَهَـبَ الشَّبـابُ فَلَـمْ يَعُـدْ
وَيْحي أ مِـنْ بَعْـدِ السِّنيـ
ـنَ وَقَـدْ مَـرَرْنَ بـلا عَـدَدْ
أَوْ بَعْـدِ طـولِ تَجاربـي
وَمَكانِ عِلْمـي فـي البَلَـدْ
تَجْني الحِسانُ عَلَيَّ مـا
لَمْ تَجْنِ قَبْلُ عَلى أَحَـدْ ؟

ديون (هامسًا إلى زميليه) :

حابـي ، ليسيـاس ، أُقْسِمُ
أَنَّ زينــونَ مُغْــرَمُ
فَضَـحَ الشَّيْـخَ حُبُّــهُ
والهَــوَى لَيْـسَ يُكْتَـمُ

ليسياس :

بِمَـــنِ الشَّيْـخُ مولَـعٌ
لَيْـتَ شِعْـري مُتَيَّـمُ ؟

ديون :

وَبِمَـنْ جُـنَّ يا تُـرى ؟

حابي : (ضاحكًا)

كُـلُّ خـافٍ سَيُعْلَـمُ

زينون (مستمرًا في حديث نفسه) :

ما لي جُنِنْتُ فَصِرْتُ أتَّـ
ـهِمُ الشَّبابَ وَأَضْطَهِـدْ
لَمْ أَلْقَ رَأْسًـا فاحِمًـا
إلّا حَمَلْـتُ لَـهُ الحَسَـدْ
وَ وَجَدْتُ لاعِـجَ [1] غَيْرَةٍ
بَيْـنَ الجَوانِـحِ يَتَّقِـدْ
فَكَـأَنَّ ظُلْمَـةَ شَعْـرِهِ
فـي مُقْلَتـيَّ هِـيَ الرَّمَـدْ
وَكَأَنَّمـا سَرَقَـتْ ذَوا
ئِبُـهُ شَبابـي المُفْتَقَـدْ
وَلَوَ انَّ لـي وَلَدًا فَمـا
تَ لَما بَكَيْتُ عَلى الوَلَـدْ
حَـذَرًا وَخَوْفًـا أَنْ يَكـو
نَ بها تَعَلَّقَ أَوْ وَجَـدْ [2]
شَـكٌّ يُعَـذِّبُ مُهْجَتـي
إنَّ المُشَكِّكَ في كَبَـدْ [3]

(يلتفت إلى حابي ويطيل إليه النظر ثم يناديه)

حابي ، بُنَيَّ ،

(يأتي إليه حابي)

قُـلْ وَلا
تُخْفِ عَلَيَّ : هَلْ تُحِبْ ؟

حابي :

أُحِبُّ ؟ مَنْ قالَ ؟

زينون :

سَمِعْتُ

حابي :

مَنْ رَوَى لَكَ الكَذِبْ ؟

زينون :

بُنَيَّ ، لَيْسَ بِالفَتَـى
إذا أَحَـبَّ مِنْ عَجَـبْ
مَنْ لَمْ يُحِبَّ لَمْ يُؤَدِّ
لِلشَّبـابِ مـا وَجَـبْ

---

(١) اللاعج : المؤلم المحرق .
(٢) وجَد : أحبَّ .
(٣) الكَبَد : المشقة والعناء .

حابي (متهكّماً) :

لكِنْ أ أدّعي الهَــوى
وَلَيْسَ لي مِنْهُ سَبَــبْ ؟

زينون :

حابي ، بُنَيَّ لا تَــرُعْ
مِنَ السُّؤالِ بَلْ وأجِــبْ
لَوْلا الهَوَى لَمْ تَكُ في
ظِـلِّ الشَّبـابِ تَكْتَئِــبْ
ما بالُ بِشْرِكَ امَّحى
وَلَوْنُكَ الغَضُّ شَحَـبْ ؟
وَللدُّمـوعِ مِـنْ مـآ
قيكَ تَكـادُ تَنْسَكِــبْ ؟

حابي (ساخراً) :

أَفِقْ زِيْنونُ ، وَاصْحُ مِنَ الغواني
أ بَعْدَ الشَّيْبِ تخْدَعُكَ النِّساءُ ؟

زينون (غاضباً) :

أ تَعْلَمُ يا غُلامُ عَليَّ عِشْقاً ؟

حابي :

دَعِ الإنْكارَ ، قَدْ بَرِحَ الخَفاءُ [1]

زينون :

وَمَنْ أنْباكَ ؟

حابي :

أنْتَ ؟

زينون :

وَكَيْفَ ؟

حابي :

تَهْذي
فَتَفْضَحُكَ الوَساوِسُ وَالهُذاءُ [2]

كَمَحْمومٍ يَبُـوحُ وَلَيْسَ يَدْري
تَكَشَّفَ عَـنْ سَرائِرِهِ [3] الغِطـاءُ
أ بَعْدَ العَطْفِ وَالإشْفاقِ يَشْقَى
بِصُحْبَتِكَ الشَّبابُ الأبْرِيـــاءُ ؟
فَكُلُّ فَتًى رَأَيْتَ زَعَمْتَ صَبًّا
يُخامِرُهُ [4] مِـنَ الرُّقْطـاءِ [5] داءُ ؟
وَما كَعَمَى الشُّيوخِ إذا أحَبُّوا
وَلَيْـسَ وَراءَ غَيْرَتِهِـمْ بَــلاءُ

زينون (لنفسه) :

إلَهي قَدْ فُضِحْتُ ، وَضَلَّ شَيْبي
وَضاعَتْ حِكْمَتي ، وخَبا الذَّكاءُ

(لحابي)

صَدَقْتَ بُنَيَّ بي داءٌ دَخيلٌ
وَلَيْسَ إلى الدَّواءِ لِيَ اهْتِـداءُ
عَلَيَّ تَلَوَّتِ الأفْعى ، فَهَلْ لي
مِنَ الأفْعى وَنَكْرَتِها [6] نَجاءُ ؟
أرَى وَلَهًا ، وَأحْسَبُهُ جُنونًـا
كَسانِيهِ عَلـى الكِبَرِ القَضــاءُ

حابي :

وَتُعْطَى حِينَ تَلْقاها ابْتِسامًــا
وَأنْطُنْيوسُ يُعْطَــى مـا يَشــاءُ
صَباحُهُمـا مُغازَلَـةٌ وَصَيْــدٌ
وَلِلأقْــداحِ وَالقُبَــلِ المَســاءُ
أ تَرْضَى أنْ يَكونَ سَريرُ مِصْرٍ
قَوائِمُــهُ الدَّعــارَةُ وَالبِغــاءُ ؟
أ تَهْدِمُ أمَّـةً لِتَشيـدَ فَـرْدًا
عَلى أنْقاضِها ؟ بِئْسَ البِـناءُ !

---

(١) برح الخفاء : وضَح الأمر .
(٢) الهُذاء : الهذر بكلام غير مفهوم .
(٣) السرائر : جمع سريرة وهي ما يُكتم .
(٤) يخامره : يخالطه .
(٥) الرّقطاء : صِنف من الحيات به نقط مخالفة للونه (يقصد كليوباترا) . (٦) نَكْرتُها : دهاؤها وخُبْثها .

أبي ، شَيْخي ، اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ فاصْفَحْ
فَلَمْ أَكُ أَجْتَري لَوْلا الوَفـاءُ
لَقَدْ آنَ التَّكاشُفُ وَالتَّواصي
بِما توحي الكَرامَةُ وَالإباءُ
تَعالَ إلى جَماعَتِنا ، فَإِنّـا
– جُنودَ الحَقِّ – يَجْمَعُنا لِواءُ
شَبابٌ نَحْنُ ، يُعْوِزُنا شُيـوخٌ
بِهِمْ في المُدْلَهِمَّةِ [1] يُسْتَضاءُ

زينون :

كَفى ، إنّي نَفَضْتُ يَدَيَّ مِنْها
وَمُزِّقَ عَنْ بَصيرَتِيَ الغِشـاءُ

حابي :

أبي زينونُ ، قَدْ بُحْـتُ
مِـنَ السِّـرِّ بِمَكْنونـي
وَمـا غَيْـرُكَ زينـونٌ
عَلى السِّـرِّ بِمَأْمـونِ

(يشير إلى ديون وليسياس)

أخـي هَـذا أثينـيٌّ
وَخِلّـي ذاكَ مَقْدونـي
كِـلا الخِلَّيْنِ لِلْحَـقِّ
كَمـا أَدْعـوهُ يَدْعوني
كِلا الخِلَّيْنِ ذُو جَـدٍّ
بِأَرْضِ النّيـلِ مَدْفـونِ
فَلَيْسا فـي هَوَى مِصْـرٍ
وَفـي طاعَتِهـا دونـي
فَدَيْنا الوَطَـنَ الغـا
لِيَ بِالجِنْـسِ وَبِالدّيـنِ
وَلَـمْ نَصْبِـرْ عَلـى حُكْـمٍ
لِرومِيَّـةَ مَلْعـونِ
وَلَسْنا حِـزْبَ أَكْتـافٍ
وَلَسْنا حِـزْبَ أَبْطـونِ
وَلا نَخْضَـعُ لِلْبَـأْسِ
وَلا نُخْـدَعُ بِاللّيـنِ
وَلَمْ يَبْقَ عَلـى الـوُدِّ
لِروما غَيْـرُ زينـونِ .

زينون :

مَعـاذَ اللهِ ! عُدّونـي
مِـنَ العُصْبَـةِ عُدّونـي
كَسـاكِ اللّـهُ يـا رومـا
لِبـاسَ الـذُّلِّ وَالهُـونِ

حابي :

أبي ، أَنْتَ الطَّبيبُ وَكُلُّ داءٍ
لَـهُ فـي صَيْدَلِيَّتِكَ الـدَّواءُ
فَهَيِّ لَها ابْنَ ساعَتِهِ ، وَعَجِّلْ
يُعَجِّلْ في السَّماءِ لَكَ الجَزاءُ
لَعَلَّ سُمومَكَ الذُّعُفَ [2] المَواضي
مِنَ الأَفْعى وَفِتْنَتِها شِفـاءُ

(يدخل جندي من حرس الملكة معلناً قدومَها)

الحارس :

المَلِكَةُ !

زينون (كأنما يفيق من حلم) :

المَلِكَةُ !
لا بَرِحَـتْ مُمَلَّكَـةْ !
وَدامَ مَجْدُ المَمْلَكَةْ !

(تدخل كليوباترا ومن ورائها ابنُها قيصرون بين وصيفتيها شرميون وهيلانه ، ومن ورائهن أنشو مضحك الملكة وأغا القصر)

---

(١) المدلهمّة : الكثيفة الظلام . يعني المشكلات الصعبة .

(٢) الذُّعف : جمع ذُعاف وهو السّم يقتل من ساعته .

الملكة :

تَحِيَّتي لأمَناءِ المَكْتَبَـــــةْ
وَشَيْخِهِمْ أعْلى الشُّيوخِ مَرْتَبَةْ

زينون :

سَلامُ السَّماواتِ في مَجْدِها
عَلى رَبَّةِ التّاجِ ذاتِ الجَلالْ
تَمَنَّيْتُ رَأسَيْنِ لا واحِـــداً
إذا مَسَّتِ الأرْضَ هامُ الرِّجالْ
أطأطِئُ رَأساً لِمَجْدِ النُّبوغِ
وَأخْفِضُ رَأساً لِمَجْدِ الجَمالْ

(حابي ، ديون ، ليسياس يلتفت بعضُهم إلى بعض أسفاً)

أنشو (للوصيفَتَيْن وقيصرون) :

أمَا يُغْنِيهِ عَـنْ رَأسَيْـــــ
ـــنِ رَأسٌ فِيهِ وَجْهانِ [1] ؟
فَحِيناً هُـــوَ مِصْــــرِيٌّ
وَحِينًـــــا هُـــوَ يُونانِـــي
وَفي مَجْلِسِ يولـــيوس
وَأنطونـــــيوسَ رُومانِـــي
وَإنْ لاقى أغا القَصْـــ
ـــرِ نُوبِـــيٌّ وَسودانِـــي

(يدخل الكاهن أنوبيس من بابٍ مقابل)

الملكة :

كاهِنَ المُلْكِ سَـــلامٌ
لا عَدِمْنـــا بَرَكاتِـــكْ
صَلِّ مِنْ أجْلِي وَلا تَنْـــ
ـــسَ صِغاري في صَلاتِكْ

أنوبيس :

رَبَّةَ النِّيـــلِ التَّحِيّـــا
تُ الزَّكِيّاتُ لِذاتِـــكْ
حَرَسَتْ تاجَكِ إيزِيـــ
ـــسُ وَمَدَّتْ في حَياتِـــكْ

الملكة :

هُوَ ذا ابني قَيْصَـــرونَ
يَتَلَقَّـــــى نَفَحاتِـــكْ

الكاهن (لنفسه) :

إيزيسُ كَيْفَ أصَلِّـــي
عَلى ابْنِ يوليوسَ قَيْصَرْ ؟
أبوهُ عـــالٍ ، وَلَكِـــنْ
فِرْعَوْنُ أعْلـــى وَأكْبَـــرْ

(يُسمع هتافٌ من خارج القصر ، وجماعة ترتِّل نشيد النصر السّالف في أكتيوم)

الملكة (عابسة) :

كاهِنَ المُلْكِ ، سادتي ، هَلْ سَمِعْتُمْ
رَنَّةَ الصَّوْتِ في جَوانِبِ قَصري ؟

أنوبيس :

هُمْ رَعايا مَليكَتي

الملكة :

لَيْتَ شِعْري
أ لِخَيْرٍ تَجَمَّعُوا أمْ لِشَـــرٍّ ؟

شرميون :

الجَماهيرُ يا مَليكَةُ بالشَّـــ
ـــطِّ يَموجونَ في حُبُورٍ وَبِشْرِ
سَرَّهُمْ ما لَقيتِ في أكتيوم
مِنْ ظُهورٍ على العَدُوِّ وَنَصْرِ
لا يَقولونَ أوْ يُعيدون إلا
نَبَأً باتَ في المَدينَةِ يَسري

الملكة :

يا لإفْكِ [2] الرِّجالِ ! ماذا أذاعوا ؟

---

(١) رأس فيه وجهان : يقصد أنه مراءٍ منافق .

(٢) الإفك : الكذب .

كَذِبٌ ما رَوَوْا صُراحٌ [1] لعَمْري !
أيَّ نَصْرٍ لَقيتُ حَتّى أقامُوا
أَلْسُنَ النّاسِ في مَديحي وَشُكْري ؟
ظَفَرٌ في فَمِ الأمانيِّ حُلْوٌ
لَيْتَ مِنْهُ لَنا قُلامَةَ ظُفْرِ !
وَغَداً يَعْلَمُ الحَقيقَةَ قَوْمي
لَيْسَ شَيْءٌ عَلى الشُّعوبِ بِسِرِّ

شرميون :

رَبَّةَ التّاجِ ذَلِكَ الصُّنْعُ صُنْعي
أنا وَحْدي ، وَذَلِكَ المَكْرُ مَكْري
كَثُرَتْ أَمْسِ في الإيابِ الأقاويـ
ـلُ ، وَظَنَّ الظُّنونَ مَنْ لَيْسَ يَدْري
فَأَذَعْتُ الَّذي أَذَعْتُ عَنِ النَّصْـ
ـرِ ، وَأَسْمَعْتُ كُلَّ كوخٍ وَقَصْرِ
خِفْتُ في خاطِري عَلَيْكِ الجَماهيـ
ـرَ ، وَأَشْفَقْتُ مِنْ عِداً لَكِ كُثْرِ
فَاغْفِري جُرْأَتي ، فَيا رُبَّ ذَنْبٍ
يَتْعَبُ العُذْرُ فيهِ مَهَّدْتِ عُذْري

الملكة :

شرميونُ ، اهْدَئي فَما أَنْتِ إلّا
مَلَكٌ ، صيغَ مِنْ حَنانٍ وَبِرِّ
أَنْتِ لي خادِمٌ ، وَلَكِنْ كَأنّا
في المُلِمّاتِ [2] أَهْلُ قُرْبى وَصِهْرِ
إنَّما الخادِمُ الوَفِيُّ مِنَ الأَهْـ
ـلِ ، وَأَدْنى في حالِ عُسْرٍ وَيُسْرِ
اِسْمَعي الآنَ كَيْفَ كانَ بَلائي
وَانْظُري كَيْفَ في الشَّدائِدِ صَبْري
أيُّها السّادَةُ ، اسْمَعُوا خَبَرَ الحَرْ
بِ وَأَمْرَ القِتالِ فيها وَأَمْري

(١) الصُّراح : الخالص . (٢) المُلِمّة : المصيبة الشّديدة .

وَاقْتِحامي العُبابَ [3] والبَحْرُ يَطْغَى [4]
والجَواري [5] بِهِ عَلى الدَّمِ تَجْري
بَيْنَ أَنْطونيو وَأَكْتافَ يَوْمٌ
عَبْقَرِيٌّ [6] يَسيرُ في كُلِّ عَصْرِ
أَخَذَتْ فيهِ كُلُّ ذاتِ شِراعٍ
أُهْبَةَ الحَرْبِ ، وَاسْتَعَدَّتْ لِشَرِّ
لا تَرى في المَجالِ غَيْرَ سَبُوحٍ [7]
مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مِكَرٍّ مِفَرِّ
وَتَرى الفُلْكَ في مُطارَدَةِ الفُلْـ
ـكِ كَنَسْرٍ أَرادَ شَرّاً بِنَسْرِ
وَتَخالُ الدُّخانَ في جَنَباتِ الجَوِّ
جُنْحاً [8] مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ يَسْري
وَدَوِيَّ الرِّياحِ في كُلِّ لُجٍّ
هَزَجَ الرَّعْدِ ، أَوْ صِياحَ الهِزَبْرِ [9]
وَتَرى الماءَ ، مِنْهُ عودُ سَريرٍ
لِغَريقٍ ، وَمِنْهُ أَحْناءُ قَبْرِ
يَغْسِلُ الجُرْحَ شَرَّ مَنْ غَسَلَ الجُرْ
حَ ، وَيَأْسو مِنَ الحَياةِ وَيُبْري [10]
كُنْتُ في مَرْكَبي ، وَبَيْنَ جُنودي
أَزِنُ الحَرْبَ وَالأُمورَ بِفِكْري
قُلْتُ روما تَصَدَّعَتْ ، فَتَرى شَطْـ
ـراً مِنَ القَوْمِ في عَداوَةِ شَطْرِ
بَطَلاها تَقاسَما الفُلْكَ والجَيْـ
ـشَ ، وَشَبّا [11] الوَغى بِبَحْرٍ وَبَرِّ
وَإذا فَرَّقَ الرُّعاةَ اخْتِلافٌ
عَلَّموا هارِبَ الذِّئابِ التَّجَرّي

(٣) العُباب : الموج المرتفع . (٤) يطغى : يفيض ويتجاوز الحدّ . (٥) الجواري : جمع جارية وهي : السفينة . (٦) العَبْقريّ : الذي لا يفوقه يوم آخر . (٧) السَّبوح : الفرس مد يديه في الجري ، والمراد هنا السُّفن الحربية . (٨) الجُنح : الطائفة من الليل . (٩) الهِزَبْر : الأسد . (١٠) يُبري : يبرئ من الحياة أي يميت . (١١) شبّ : أشعل .

فَتَأَمَّلْتُ حَالَتِيَ مَلِيًّـــــا (١)
وَتَدَبَّرْتُ أَمْــرَ صَحْــوِي وَسُكْــرِي
وَتَبَيَّنْتُ أَنَّ رومـــا إذا زا
لَتْ عَنِ البَحْرِ لَمْ يَسُدْ فِيهِ غَيْرِي
كُنْتُ في عاصِفٍ سَلَلْتُ شِراعي
مِنْـهُ ، فانْسَلَتِ البَـوارِجُ إِثْـرِي
خَلَصَتْ مِنْ رَحَى القِتالِ ، وَمِمَّا
يَلْحَقُ السُّفْنَ مِنْ دَمـارٍ وَأَسْرٍ
فَنَسيتُ الهَوى ونُصْرَةَ أَنْطونْـ
ـيُوس حَتَّى غَدَرْتُهُ شَرَّ غَـدْرِ
عَلِمَ اللهُ قَدْ خَذَلْتُ حَبِيبِـي
وَأَبا صِبْيَتي ، وَعَوْنِـي ، وَذُخْـرِي
وَالَّذي ضَيَّعَ العُروشَ ، وَضَحَّى
في سَبيلي بِأَلْـفِ قُطْرٍ وَقُطْـرِ
مَوْقِفٌ يُعْجِبُ العُلا ، كُنْتُ فيهِ
بِنْتَ مِصْرٍ ، وَكُنْتُ مَلِكَةَ مِصْـرِ
زِينُونُ ، فَصِلْـــتُ الخَبَــرْ
عَـــنِ القِتـــالِ وَالسَّفَــرْ
وَقُلْـــتُ عَـــنْ إِيابِـــي
وَخُطَّـــةِ انْسِحابِـــي
ما لَيْسَ يَعْلَـــمُ البَلَـــدْ
وَلا دَرى بِـــهِ أَحَـــدْ
فَهَـــلْ لَدَيْـــكَ الآنـــا
مـــا يَجْلِـــبُ السُّلْوانـــا
مِـــنَ الأَمالـــي المُسْلِيَـــهْ (٢)
وَالصُّحُـــفِ المُلْهِيَـــهْ ؟

زينون :

عِنْدِي يـــا مَوْلاتِـــي
رَوائِـــعُ الآيـــاتِ
تِسْعـونَ أَلْفَ سِفْـرِ (٣)
قَـــدْ كُتِبَـتْ بالتِّبْـرِ
مِنْ كُلِّ رَقٍّ (٤) عَجَـب
فـي العِلْمِ أَوْ فـي الأَدَبِ
قَيْصَرُ أَنطونيـو وَهَـبْ
لَـنا مَناجِـمَ الذَّهَـبْ
وَكُلَّ غـــالٍ مُدَّخَـــرْ
مِنَ الجَواهِـرِ الأُخَـــرْ
أَسْلابُهُ (٥) مِـنْ حَرْبِـهِ
وَطَعْنِـــهِ وَضَرْبِـــهِ
هَدِيَّةٌ مِـــنْ قَيْصَـــرِ
لِبَلْـــدَةِ الإِسْكَنْـــدَرِ

أنشو :

إذا كانَتِ الكُتْبُ في شَرْعِكُمْ
نَظيرَ الجَواهِرِ ، كُفْءَ النُّضارْ (٦)
فَإِنِّي الغَنِيُّ بِدُرِّ القَـــوا
قِعِ (٧) حينَ يُرَصِّعُ تِبْرَ العُقارْ (٨)
وَما الكُتْبُ قُوتِي وَلا مَنْزِلِي
فَما أَنا سوسٌ ، وَلا أَنا فارْ

الملكة :

حَكيمٌ لَعَمْري عَلى جَهْلِهِ
ظَريفُ الحَديثِ ، لَطيفُ الجِوارْ

زينون (مغيظًا) :

وَلكِنَّها حِكْمَةُ السَّائِماتِ (٩)
وَفَلْسَفَةٌ غَيْرُ بِنْتِ اخْتِبـــارْ

---

(١) مليا : طويلاً . (٢) المُسْلِيَة : التي تكشف الهمّ .

(٣) السِّفر : الكتاب . (٤) الرَّق : جلد رقيق يكتب عليه .
(٥) الأسلاب : جمع سَلَب ، وهو ما يؤخذ من القتيل في الحرب . (٦) النُّضار : الذهب . (٧) القواقع : جمع قوقعة ؛ حيوان لافقاري رخو ، يتميز بأصدافه المفردة .
(٨) العُقار : الخمر . (٩) السّائمات : جمع سائمة وهي الإبل أو الماشية ترسل للرعي ولا تُعلف .

وَكِلْتاهُما لا تَعَدَّى الشُّعورَ
بِحُبِّ البَقاءِ ، وَخَوْفِ الدَّمارْ

أنشو :

رُوَيْدَكَ مَوْلايَ بَعْضَ السِّبابِ
فَلَيْسَ السِّبابُ سَبيلَ الكِبارْ
هَبِ اللَّيْلَ طالَ فَقَطَّعْتَهُ
بِدَرْسٍ وَأَصْبَحْتَ تُفْني النَّهارْ
وَأَقْبَلْتَ بِالكُتْبِ تَطْوي الطِّوا
لَ وَتَنْشُرُ في إِثْرِهِنَّ القِصارْ
وَزِدْتَ عَلى الأَرْضِ عِلْمَ السَّماءِ
كِبارَ كَواكِبِها وَالصِّغارْ
إِذا ما نَفَقْتَ وَماتَ الحِمارُ
أَ بَيْنَكَ فَرْقٌ وَبَيْنَ الحِمارْ ؟

زينون (غاضباً) :

ماذا تَقُولُ السَّيِّدَهْ ؟

الملكة (ضاحكة) :

وَاحِدَةٌ بِواحِدَهْ

أَبي أَنوبيسُ أَرْجُو

أنوبيس :

بَلْ تَأْمُرينَ مُطاعَهْ

(الملكة مشيرةً إلى بابِ محرابٍ مفتوح ومتجهةً إليه)

هَذا مُقامُ صَلاتي
وَهَيْكَلي لِلضَّراعَهْ
وَلي خَطايا كَثيرَهْ
لا تَبْرَحُ البالَ ساعَهْ
فَادخُلْ وَصَلِّ لأَجْلي
فَمِنْكَ تُرْجَى الشَّفاعَهْ

(يدخلان المحراب ، ويتبعهم الحاضرون ما عدا حابي وديون وليسياس)

ديون (متهكِّماً) :

إِسْكَنْدَرِيَّةُ صِرْتِ رَفْرَفَ مَعْبَدِ
مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ عَلَيْهِ سِتارُ
اِخْتَصَّ آلِهَةُ الجَلالِ بِسِرِّهِ
وَتَفَرَّدَ الكُهّانُ وَالأَحْبارُ
ما خَطْبُهُمْ حابي ، وَماذا بَيَّتُوا (١) ؟

ليسياس :

ما هَذِهِ الأَلْغازُ وَالأَسْرارُ ؟

حابي :

أَ رَأَيْتَ وَقْعَةَ أَكْتيومَ وَما جَرَى
فيها ، وَكَيْفَ تَصَرَّفَ المِقْدارُ ؟
ليسياس ، إِنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ حَديثَها
كَالسِّحْرِ في الآذانِ حِينَ يُدارُ
تَبْدُو الخِيانَةُ فيهِ ، وَهْيَ أَمانَةٌ
وَيُرَى الثَّباتُ عَلَيْهِ ، وَهْوَ فِرارُ
وَعَلِمْتَ كَيْفَ نَجَتْ وَكَيْفَ انْفَضَّ عَنْ
أَنْطونيو أُسْطولُها الغَدّارُ

ليسياس :

وَاليَوْمَ حابي ! أَيْنَ أَنْطونيو ؟ وما
فَعَلَتْ بِفَلِّ (٢) جُيوشِهِ الأَقْدارُ ؟
قُلْ لي : أَ حَيٌّ في البِلادِ مُشَرَّدٌ
هُوَ أَمْ لَهُ قَبْرٌ بِمِصْرَ يُزارُ ؟

حابي :

ليسياسُ تَسْأَلُني تَجاهُلَ عارِفٍ

ليسياس :

بَلْ جاهِلٌ لَمْ تَأْتِهِ الأَخْبارُ

حابي :

لَمْ تَأْتِ حَتَّى جاءَ في آثارِها
لِلْحُبِّ أَجْنِحَةٌ بِهِنَّ يُطارُ

---

(١) بيَّت : دبَّر . (٢) الفَلّ : المنهزم .

وَيُقالُ بَلْ أَخَذَتْهُ تَحْتَ شِراعِهَا
وَنَجَا بِـهِ فُلْكٌ لَها مِحْضـارُ [١]
تَجْرِي الرِّياحُ بما تَشاءُ قُلوعُهُ
وَيَسِيـرُ فـي طاعاتِـهِ التَّيَّـارُ
وَيُقالُ : غَضْبانٌ عَلَيْها عاتِبٌ
وَيُقـالُ : بَلْ حَنِقُ [٢] الفُؤَادِ مُثـارُ
وَعَلى صَفاءِ العاشِقَيْنِ سَحابَةٌ
وَعَلـى سَـلامِ الصّاحِبَيْـنِ غُبـارُ
آلَى وَأَقْسَمَ لا يُرى في قَصْرِها
حتـى يُقَوَّمَ مَجْـدُهُ المُنْهـارُ
إنَّ البَلاءَ أَجَلُّ مِنْ ألا يُرَى

ديون :

عَجَبٌ ! أَ تَخْفَى في الهَشِيمِ النّارُ ؟

حابي :

أَنْطُونْيو مِنّا بأَقْرَبِ ثُكْنَـةٍ
يَدْعو مِـنَ الرّومانِ مَـنْ يَخْتارُ
وَيُعِدُّ أُهْبَتَهُ لِيَـوْمٍ حاسِـمٍ
في البَرِّ ، يُغْسَلُ عَنْهُ فيهِ العارُ
وَيَكونُ مَيْدانَ الرَّحى [٣] وَمَدارَها
تِلْـكَ التِّلالُ وَهَـذِهِ الأَسْـوارُ
فَهُناكَ خاتِمَةُ الصِّراعِ ، وَمَوْقِفٌ
إمّا الدَّمارُ بِهِ وَإمّا الغـارُ [٤]

(يُسمع صوت أنوبيس من الدّاخل مرتّلاً هذا النّشيد)

إيزِيـسُ ، ذَاتَ الحِجـابْ
مالِكَـةَ العالَمِيـنْ
شَعْبُكِ لاقَـى العَـذابْ
مِـنْ عَبَـثِ الظّالِميـنْ
يا مَنْ خَفَضْنا الجِباهْ
لِعِزِّهـا ساجِديـنْ
صُغْنا إلَيْكِ الصَّلاهْ
مِنْ أَدْمُعِ النّادِميـنْ

(ستار)

المنظر الثاني

(في إحدى غرف القصر الملكي ورحى الحرب دائرة بين أكتافيوس وأنطونيوس على أسوار الإسكندرية — حابي في الغرفة حيث تدخل عليه هيلانه)

هيلانه :

أ تَدْخُلُ حابي مَقاصيرَها ؟
بَلَغْتَ مِنَ الجُرْأةِ المُنْتَهَـى
سَتَعْلَمُ أَمْرَكَ ذاتُ الجَلالَةِ

حابي :

بَلْ أَمَرَتْ أَنْ تَراني هُنـا

هيلانه :

عَجِبْتُ لَها ، وَلِتَدْبيرِهـا
كَذَلِكَ قَـدْ أَمَرَتْـي أَنـا
إذَنْ هِيَ تَجْمَعُنا يا جَحودُ
وَتَجْزِيكَ عَنْ سَخَطٍ بالرِّضَى

حابي :

هِلانَةُ خَلِّيكِ مِنْ ذِكْرِها
حَديثُ الأَفاعي [٥] طَويلُ المَدَى

هيلانه :

رُوَيْدَكَ حابي لَقَدْ أَحْسَنْتْ
فَما لي أَراكَ أَسَأْتَ الجَـزا ؟

(١) المِحْضار : من أحْضَر ، وهي الشديدة السّرعة .
(٢) الحَنِق : الشديد الغيظ . (٣) الرّحى : القتال .
(٤) الغار : شجر كان الرومان يتخذون منه إكليلاً يتوجون به القائد المظفّر.
(٥) الأفاعي : جمع أفعى وهي من شرار الحيّات ، سمّها قاتل، والمقصود هنا كليوباترا .

حابي :

هِلانةُ يا طيبَها خَلْـــوَةً

وَإنْ قَلَّ فــي ظِلِّها المُلْتقَــى

تَعَالَيْ هِلانةُ نُعْطِ الغَـرامَ

عِنانَ الحَديثِ ، وَنَشْكُ الجَوَى (١)

أنيلي يَدَيَّ يَدَيْكِ اللَّتَيْنِ

نَعيمِــيَ بَيْنَهُمــا وَالشَّقَـــا

هَلُمَّ هِلانةُ

هيلانه :

حابــي أراكَ

بِكُنْهِ الأمورِ قَليلَ الهُــدَى

مِنَ القَصْرِ لا تَلْتَمِسْ خَلْوَةً

وَإنْ هُوَ مِنْ كلِّ حِسٍّ خَلا

سَماءُ القُصورِ لَها أُذْنانِ

وَأرْضُ القُصـورِ بِعَيْـنٍ تَـرَى

حابي :

هِلانَةُ لا تَقْطَعي نَشْوَتي

بِقُرْبِكِ ، أوْ حُلْمِي باللِّقـــا

أ مَهْما تَخَيَّلْتُ صَفْوَ الحياةِ

خَلَقْتِ عَلى جَانِبَيْهِ القَذَى (٢) ؟

هيلانه :

حَنَانَكَ حابِيُّ لا تَتَّهِــمْ

وَلا تَرْمِني بِعُقُوقِ (٣) الهَوَى

وَلُذْ بالأَناةِ فَإنَّ الأَنَـــاةَ

صَدِيقُ الصَّوابِ ، عَدُوُّ الخَطَا

فَلَوْ كُنْتَ وَحْدَكَ شُغْلَ الفُؤادِ

لَهـانَ البَلاءُ ، وَقَـلَّ العَـنَا

وَلَكِنْ حُقُـوقُ كلوپاتـــرة

حابي :

وَأيُّ حُقُوقٍ لَها تُدَّعَـــى ؟

(تدخل كليوباترا)

كليوباترا :

حُقُوقُ الوِلايَةِ (٤) يا ذا الغُلامُ

حُقُوقُ الرِّعايَةِ يا ذا الفَتَـى

وَصَبْرِي عَلَيْكَ لأجْلِ الفتاةِ

حابي (مأخوذًا) :

إلَهِي لَقَدْ سَمِعَتْ ما جَرَى

الملكة :

وَسَدِّي المَسَامِعَ حُبًّا بِهـــا

وَأنْـتَ تُعِينُ عَلَــيَّ العِــدا

وَتُرْسِلُ في العَرْشِ هُجْرَ (٥) الكَلامِ

وَتُخْفِي الحَفيظَةَ (٦) لي وَالقِلَى (٧)

وَلَكِنْ لِنَنْسَ الَّذي قَدْ مَضى

فَمِثْلُكَ تـابَ ، وَمِثْلِي عَفـــا

دَعِ الذَّوْدَ عَنْ مِصرَ لي ، إنَّني

أنا السَّيْفُ ، وَالآخَرونَ العَصا

وَلا تُطِـعِ الفِتْيَــةَ العابِثِيــنَ

أسودَ الكَـلامِ نَعـامَ الوَغَـــى (٨)

(يدخل أنوبيس)

أبي قَدْ أتَيْتَ ؟

أنوبيس :

سلامٌ عَلَيْكِ

شُعـاعَ المَدائِنِ ، نُـورَ القُرى

الملكة :

أبي قَدْ تَلاقى هُنا العاشِقانِ

وَكــانَ بِتَدْبيـرِيَ المُلْتَقَـــى

(١) الجوى : شدة الوَجْد من العشق .

(٢) القذى : جمع القذاة ، ما يتكوّن في العين من رمص أو غمص ونحوهما ، والمراد الألم أو الكدر .

(٣) العُقوق : المخالفة والعصيان . (٤) الوِلاية (بكسر الواو) : القرابة والسلطان . (٥) هُجْر الكلام : فاحشُه وقبيحه .

(٦) الحفيظة : الغضب . (٧) القِلى : البُغض .

(٨) الوغى : الحرب .

فَبارِكْ فَتاتي ، وَبارِكْ فَتاكَ
وكَفْكِفْ [١] هَواهُ إذا ما غلا [٢]

أنوبيس :

حَياتُكَ حابي كَنِيسِيَّـــةٌ
يُشاكِـلُ [٣] أوَّلُهـا المُنْتَهـى
مُقَيَّدَةً بِاليَقينِ القَنُـوعِ
وَما أمَرَ القَلْبُ ، أوْ ما نَهى

الملكة :

كَزَهْرِ المَقاصيرِ ، لم يَنْتَفِعْ
بِطولِ الأديمِ ، وَعَرْضِ الثَّرى

أنوبيس :

وَتَحْسَبُ في الكُتْبِ عِلْمَ الحَياةِ
وَما مِنْهُ في الكُتْبِ إلا شَذا [٤]

حابي :

لَعَلِّي كَذي الشَّكِّ في حِرْصِهِ
يَقيسُ الطَّريقَ ، وَيُحْصي الخُطى
أرَى راكِبَ الشَّكِّ مِلءَ المَجالِ
طَويلَ العِنانِ ، بَعيـــدَ المَـدى
وَلَوْ شَكَّكَتْ في السِّراجِ الفَراشُ
لَكانَ سَلامًا عَلَيْهـا السَّنـــا

أنوبيس :

وَلَكِنْ تَمُرُّ عَلى ما تَراهُ
تُجاوِزُهُ نَحْـوَ ما لا يُـــرى
وَهَذا المَلاكُ كَمَوْلاتِهِ .

[مشيراً إلى هيلانه]

طَليقُ الإرادَةِ ، حُرُّ الحِجى [٥]
تَمَشَّى عَلـى جَنَباتِ الحيـــاةِ
كَما يَتَمَشَّى شُعـاعُ الضُّحـى

(١) كَفْكفَ : صرَّف . (٢) غَلا : جاوز الحدّ .
(٣) يُشاكل : يماثل . (٤) الشَّذا : الطَّرف من العلم أو الأدب .
(٥) الحجى : العقل .

يَخُوضُ الوُحولَ ، وَيَغْشَى الحُلَى [٦]
وَيَأْوِي الحَضيضَ ، وَيَعْلُو الذُّرا [٧]
وَيَخْتَرِقُ العَرَصاتِ [٨] الفِســـاحَ
وَيَنْفُذُ مِنْ ضَيِّقاتِ الكُوَى [٩]
وَيَرْتَعُ [١٠] بَيْنَ أنوفِ الأُســـودِ
وَيَلْعَبُ بَيْنَ عُيونِ الظِّبـــا

الملكة :

وَلَكِنَّهُ طاهِرٌ حَيْثُ طَـــافَ
نَقِيُّ الذُّيولِ [١١] ، عَفيفُ الخُطَا
أبي قَدْ نَسينا حَديثَ القِتالِ
فَمُنْذُ الصَّباحِ تَدورُ الرَّحَـى
وَجَيْشُ الحَليفِ وَجَيْشُ العَدُوِّ
بِظَهْرِ المَدينَةِ رَهْنُ الوَغَـــى
هُنالِكَ يُقْضَى مَصيرُ البِلادِ
فَإمَّا البَقـــاءُ وَإمَّـــا الفَنَــا
وَمِنْ عَجَبٍ كادَ يَمْضي النَّهارُ
وَما مِنْ رَسولٍ وَلا مِنْ نَبَا

(يدخل جندي من جنود أنطونيو منهوكاً ، يعلوه الغُبار)

الجندي :

سَيِّدَتي جِئْتُكِ بِالأخْبـــارِ
لَقَدْ جَرَتْ بِسَعْدِكِ الجَواري
اِنْتَصَرَتْ جُنودُنا الضَّواري
تَحْتَ لِواءِ البَطَـلِ المِغْـوَارِ
قَيْصَرُ أنْطُونْيو عَلى آثاري

(٦) الحُلى : جمع حِلْية وهي ما يتزيّن به . (٧) الذُّرا : جمع ذروة وهي أعلى الشيء . (٨) العَرَصات : جمع عَرْصة وهي ساحة الدار . (٩) الكُوى : جمع كُوَّة وهي خرق في الجدار يدخل منه الضوء والهواء . (١٠) يَرْتَع : يلهو ويتنعّم . (١١) نقي الذيول : الذيول جمع ذيل وهو آخر كل شيء ، والجملة كناية عن الطهارة (والحديث عن الشعاع الذي تشبهه هيلانه ومولاتها)

الملكة :

يا فَرَحاً ما أعْظَمَ البِشارَهْ [١] !

حَلَّتْ عَلى أكتافيو الخَسارَهْ

« وأكتيومُ » قَدْ أخَذْنا ثارَهْ

خُذْ يا رَسولُ هَذِهِ البِشارَهْ [٢]

(تمنحه بَدْرة مِن الذهب ، فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب)

شرميون :

سَيِّدَتي يـا طَرَبـا

سَيِّدَتي يـا فَرَحـا !

دارَتْ عَلـى أكتافيُو

وجيشِ أكتافيُو الرَّحـى

هيلانه :

مَلَكَتي هَلْ تَسْمَعِينَ ؟

(يُسمع صوتُ بوق وهتافٍ من بعيد)

الملكة (مُنْصِتة) :

صَوْتُ بُـوقٍ وَهُتـافِ

(تقوم الملكة إلى النافذة وتُرهِفُ أذنيها وعينيها)

هُـوَ وَاللهِ نَشيـدي

وَالمُغنُّـونَ جُنـودي

وَالمَخاريقُ [٣] التي تَخْفُـ

ـقُ مِنْ بَعْدِ بُنودي [٤]

وَلَدَيْها فـارِسٌ مُلْتَـ

ـثِمٌ شاكـي [٥] الحَديـدِ

يَتَراءَى في عَنـانِ الـ

ـجَوِّ كالبُرْجِ المَشيـدِ

هُوَ أنْطونْيوسُ ذُخْـري

وَطَريفـي [٦] وَتَليـدي

(إلى شرميون وهيلانه)

أيُّها البِنْتانِ هَـذي

لَيْلَةُ العيـدِ السَّعيـدِ

صَلِّيا مِثْلَ صَلاتـي

وَاسْجُدا مِثْلَ سجُـودي

(يسجد الثلاثُ لحظةً ثم تنهض الملكة أولاً وتتّجه نحو النافذة)

هُـوَ ذَا أنْطونْيو مِـنْ

جانِبِ الميناءِ أقْبَـلْ

هَيْكَلٌ [٧] يَحْمِلُهُ مِـنْ

صافِناتِ [٨] الخَيْلِ هَيْكَلْ

الـرُّداءُ الأرْجُوانِـ

ـيُّ عَلى عِطْفَيْهِ مُسْبَلْ

مَبْسِمٌ يَضْحَكُ مِن تَحْـ

ـتِ جَبينٍ يَتَهَلَّـلْ

هُوَ ذا يَدْنُو

شرميون :

أتَى وَ اللهِ

هيلانه :

مَوْلاتي تَرَجَّلْ

الملكة : (تَبْتدِر الباب)

أيُّهـا البِنْتـانِ هَـذِي

لَيْلَةُ العيدِ السَّعيدِ

أنوبيس (هامساً لحابي) :

حابي ، أُحيطَ القَصْرُ بِالذِّئابِ

وَبِي مِنَ السُّخْطِ عَلَيْهِمْ ما بي

---

(١) ، (٢) البِشارة : الأولى : الخبر السّار ، والثانية : ما يُعطاه المبشِّر .

(٣) المخاريق : جمع مِخْراق وهو المنديل أو نحوه .

(٤) البُنود : جمع بَنْد وهو العلَم الكبير .

(٥) شاكي الحديد : تامّ السلاح ، كامل الاستعداد .

(٦) الطَّريف والتليد : الطريف : الحديث المكتسب ، ويقابله التليد .

(٧) الهَيْكل : الضخم من كل شيء ، والمراد بالأولى أنطونيو وبالثانية الفرس . (٨) صافنات الخيل : التي تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة .

(للملكة)

سَيِّدَتي تَأْذَنُ في انْسِحابي ؟

وَتَأْذَنينَ مَلَكَتي لِحابــي ؟

الملكة (ضاحكة) :

إلى الأفاعي ؟

أنوبيس :

لا ، إلى المِحْرابِ

الملكة :

رَأَيْكُما في المُكْثِ وَالذّهابِ

(يخرجان ، ويدخل أنطونيو وحاشيته وقُوّاده ، وتابعه أوروس . أنطونيو يُقبِل على الملكة مادًّا يديْهِ)

أنطونيو :

إلَهتي !

الملكة :

قَيْصَري !

أنطونيو :

سُلْطانَتي !

الملكة :

مَلِكي !

أنطونيو :

عِنْدي لَكِ اليَوْمَ يا دُنْيايَ أَخْبارُ

الملكة :

عَجِّلْ فَدَيْتُكْ

أنطونيو :

لا ، لا بُدَّ مِنْ ثَمَنِ !

الملكة :

كَرائِمُ المالِ ؟

أنطونيو :

ما لِلْمالِ مِقْدارُ

(يمدُّ إليها جبينه في ضراعة)

رُدّي عَلى هامَتي الغارَ الّذي سُلِبَتْ

فَقُبْلَةٌ مِنْكِ تَعْلوها هِيَ الْغارُ

(تقبله)

كليوپاترا :

اليَوْمَ تَعْلَمُ روما أَنَّ ضَرّتَها
تُقَلِّدُ الغارَ مَنْ تَهْوى وتَختارُ

وَاليَوْمَ تَعْلَمُ روما أَنَّ فارِسَها
جَيْشٌ بِمُفْرَدِهِ في الرَّوْعِ جَرّارُ

أَنْطونْيو سَيِّدي ، هَلْ نَحْنُ في حُلُمٍ ؟
أَ سالِمٌ أَنْتَ ؟ لا أَسْرٌ وَلا عارُ ؟

أنطونيو :

أَسْرٌ ؟ وَهِمْتِ كلوپاترا ، أَ تَظْفَرُ بي
أَيْدي الْكُماةِ وفي كَفَّيَّ أَظْفارُ ؟

لَوْ قُلْتِ قَتْلٌ لَكانَ القَوْلُ أَشْبَهَ بي
كَأْسُ المَنايا عَلى الأَبْطالِ دَوّارُ

الحَرْبُ تَعْلَمُ ، وَالأَيّامُ تَشْهَدُ لي
أَنّي شَديدٌ عَلى الأَقْرانِ [1] جَبّارُ

لَوْ كُنْتِ شاهِدَتي ، وَالحَرْبُ جارِفَةٌ
وَالصَّفُّ تَحْتي بَعْدَ الصَّفِّ يَنْهارُ

قَدْ جُنَّ تَحْتي جَوادي ؛ فَهْوَ عاصِفَةٌ
وَجُنَّ نَصْلي [2] بِكَفّي ؛ فَهْوَ إِعْصارُ

رَأَيْتِ حَمْلَةَ صِدْقٍ غَيْرَ كاذِبَةٍ
لا السَّيْلُ يَحْمِلُها يَوْمًا وَلا النّارُ

لَمّا صَدَمْتُ جَناحَيْهِمْ وَقَلْبَهُمُو
عَنِ الخِيامِ وَمِنْ أَوْكارِهِمْ [3] طارُوا

وَما وَجَدْتُ لأُكتافيو وَقادَتِهِ
ريحًا ، وَلَمْ أَتَبَيَّنْ أَيَّةً ساروا

---

(١) الأقران : جمع قِرْن وهو من يماثله في الشجاعة والقتال .
(٢) النّصل : حديدة الرمح والسهم .
(٣) الأوكار : جمع وكر وهو عشّ الطائر .

وَمالتِ الشَّمْسُ أَوكادَتْ فَراجَعَني
شَوْقٌ إِلَيْكِ قَديمُ الدَّاءِ سَوَّارُ (١)
حَتَّى رَجَعْتُ وَلَوْ أَنِّي طَرَدْتُهُمُو
لَباتَ أَكتافُ عِنْدِي ، وَانْقَضَى الثَّارُ

كليوباترا :

تَرَكْتَهُم لِغَدٍ ؟ هَذِي مُجازَفَةٌ
غَدٌ غُيوبٌ وَأَسْرارٌ وَأَقْدارُ

(مخاطبة أورُوس)

أورُوسُ أَنْتَ بِفَنِّ الـ
ـقِتالِ أَعْلَمُ مِنِّي
الحَرْبُ فَنُّكَ أورُو
سُ والسِّياسَةُ فَنِّي
إِنْ كانَ « مَرْكُ » إِلهاً
فَأَنْتَ في الحَرْبِ جِنِّي
فَكُنْ بِحَقِّكَ عَوْني
وَقُلْ لِقَيْصَرَ عَنِّي :
إِنَّ المُنى لَمْ تُقَصِّرْ
بَلْ قَصَّرَ المُتَمَنِّي
فَلَوْ صَبَرْتُمْ قَليلاً
وَسِرْتُمو في تَأَنِّي
أَرَحْتُموني وَروما
مِنَ الخِصامِ المُعَنِّي (٢)

أورُوس :

سَيِّدَتي لَمْ تَقْصِدي (٣)
لَمَّا عَدَلْتِ سَيِّدي
عَجِلْتِ في الحُكْمِ عَلى
ما لَمْ تَرَيْ وَتَشْهَدي
لَقَدْ حَمَلْنا حَمْلَةً
كَمِثْلِها لَمْ يُعْهَدِ
اِسْتَنْفَدَتْ بَأْسَ القَنا
وَقُوَّةَ المُهَنَّدِ (٤)
فَكانَ لا بُدَّ لَنا
نُرْجِي القِتالَ لِلْغَدِ

أنطونيو :

كِلُوباترا دَعِينا مِنْ
تَجَنِّيكِ كِلُوباترا
أَ تَبْكِينَ عَلى الصَّبْرِ
وَقَوْمٍ حُرِموا الصَّبْرَا ؟
وَبي مِنْ صَبْرِكِ الواهي
جِراحُ الأَمْسِ لَمْ تَبْرَا
لَقَدْ مَنَّيْتُ أُسْطولي
لَدى أُسْطولِكِ النَّصْرَا
حَليفٌ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ
سَأَشْتَدُّ بِهِ أَزْرَا (٥)
فَعَبّاً (٦) تَحْتَ أَعلامِـ
ـكِ حَتَّى زَحَما البَحْرَا
وَقَدْ كانا الجَناحَيْنِ
وَقَدْ كُنْتُ أَنا النَّسْرَا
وَأَجْرَى الفُلْكَ أَكتافيو
فَأَجْرَيْتُ كَما أَجْرَى
صَفَفْناها وَأَرْسَلْنا
بِها تَقْتَحِمُ الجَمْرَا
كِلانا مارَسَ الحَرْبَ
وَعانى الكَرَّ والفَرَّا
فَلَمَّا آذَنَتْنا الحَرْ
بُ بِالمَعْرَكَةِ الكُبْرَى

(١) سوّار : وثّاب . (٢) المعنّي : المؤلم الشاق (الذي يكلفنا المشقة) . (٣) تقصد : تعدل .

(٤) المهنّد : سيف منسوب إلى الهند ؛ لأنها كانت تعنى بصناعة السيوف . (٥) الأزر : القوة ، ويشد أزره أي يقوّيه . (٦) عبّأ : تتابعا .

تسَلّلْـــــتِ بأسْطولِــــــ
ــــكِ مِنْ غَمْرَتها الحَرّى [١]
فَقُلْتُ : انْسَحَبَتْ ضَعْفًا
وَقالَ النّاسُ : بَلْ غَــدْرًا
وَلَـوْ كـانَ لَهُـمْ قَلْـبٌ
كَقَلْبي الْتَمَسوا العُـذْرَا

كليوباترا :

أنْطونْيوسُ مَلِكــــــي
أَنْطونْيـــــــوسُ سَيِّــــدي
لَيْسَ العَبـوسُ سُنَّــــةً
لِوَجْهِكَ الطَّلْقِ النَّــــدي
وَلَسْتَ مَنْ يَغْضَبُ فـي
لَيْلِ الشَّرابِ وَالــــدَّدِ [٢]
وَلَسْتَ لِلْكَأْسِ عَلـــى
شارِبِهــــا بِالْمُفْسِــــدِ
قَلْبُكَ كَنْزُ الحُبِّ وَالـــــ
ــرَّحْمَـــــةِ وَالتَّـــوَدُّدِ
وَكَمْ حَقَدْتَ ، ثُمَّ أَصْبَـ
ــحْتَ كَأَنْ لَمْ تَحْقِــــدِ
أَ لَسْتَ بِالأَمْسِ وَأَمْـــــ
ــسِ لَفْتَةٍ لَـــمْ تَبْعُـــدِ
وَهَبْتَ لِـي جَرِيرَتــــي
وَالصَّفْحُ نِصْـفُ السُّـؤْدُدِ
فَاطْوِ مَعي حَوادِثَ الـــــ
أَمْـــــسِ وَلا تُجَـــدِّدِ
وَامْضِ مَعي في لَذَّةِ الـــ
ـيَـوْمِ وَدَعْ هَـمَّ الغَـــدِ

أنطونيو :

كليوباتـــرا بِحُبِّـــــكِ
مِـــنَ التَّأْنيـــبِ خَلَّينـــا
لَقَدْ سُقْتُ وَفُـــــؤَادي
إِلَيْكِ النَّصْـــرَ فَاجْزِينــــا
مُري بِالكَاسِ وَالطَّاسِ [٣]
وَبِالنُّدْمــانِ [٤] يَسْقِينَــــا
وَبِالقَصْـفِ [٥] وَبِالعَـــزْفِ
وَحُـــــذّاقِ المُغَنّينَــــا
وَما طَيِّـــبَ أَلْوانَــــا
وَمـــا طــابَ رَياحينَــــا
وَقولي الشِّعْـــرَ عُلْوِيًّــــا
كَما كُنْتِ تَقولينَــــــا
وَأَوْحيـهِ إِلـــى شاديـــــ
ــكِ يُلْقيهِ فَيُشْجينَــــا
غَدًا نَسْتَأْنِفُ الحَـــرْبَ
وَنَطْويهـــــا مَيادينَــــــا

أنشو :

وَنَغْشاهــــا مَخاميـــرَ
وَنَلْقاهـــا مَجانينَـــا !

كليوباترا :

مُرْ بِما شِئْتَ قَيْصَــــرُ
وَأَشِـــرْ كَيْــفَ تَأْمُــــرُ
لَكَ قَصْري وَما حَوَى الــ
ــقَصْرُ ، كُــلٌّ مُسَخَّـــرُ
لَيْسَ شَيْءٌ وَإِنْ غَـــلا
عَـــنْ حَبيبٍ يُؤَخَّــــرُ
لِتَكونَــــنْ لَيْلَــــةً
آخِرَ الدَّهْـــرِ تُذْكَــــرُ
لا نُبالي إِذا صَفَـــتْ
بَعْدَهـــا مـــا يُكَـــدَّرُ

(١) الحَرّى : الشديدة المهلكة . (٢) الدَّد : اللعب واللهو .

(٣) الطاس : الإناء يُشرب فيه . (٤) النُّدْمان : المنادِم وهو المجالس على الشَّراب . (٥) القَصْفُ : اللهو واللعب والافتنان في الطعام والشراب .

تَحْلُمُ الحُلْمَ لَسْتَ تَـدْ
ري بِمـــاذا يُفَسَّـــرُ
(لوصفائها و وصيفاتها)
البِدارَ البِـــدارَ يـا وُصَفائـــي
وَ وَصيفاتِـــيَ البِـــدارَ البِـــدارَا
قَيْصَـرٌ ، قَيْصَـرٌ هُـوَ الآمِـرُ النّا
هي عَلى القَصْرِ ، فَلْيَكُنْ ما أشارَا
هُوَ يَبْغي وَليمَةً فاصْنَعوهـــا
وَانْسُقوها [١] كَما اشْتَهى وَاخْتَـــارَا
أطْلِعوا هَذِهِ الشُّموعَ شُموسًـــا
تَذَرُ اللَّيْلَ بِالعَشِــيِّ نَهـــارَا
وَأعِدُّوا الخُوانَ قَدْ حُمِّلَ الألْـ
ـوانَ شَتَّى ، وجُلِّلَ [٢] الأزْهـــارَا
وَاجْمَعوا بِالمُدامِ [٣] شَمْـلَ النَّدامَـى
وَأديـروا الكُـؤوسَ وَالأوْتـــارَا
وَاجْعَلوها وَليمَـــةً وَبِساطَـــا
يَتَبَـــارَى خَلاعَـــةً وَ وَقـــارَا
مِصرٌ إنْ أوْلَمَتْ سَمَتْ بِالأغاني
دَرَجاتٍ ، وَأسْمَـــتِ [٤] الأشْعـــارَا
لا تَسيروا عَلـى وَلائِمِ رُومـــا
سَرَفًا فـــي الفُســوقِ وَاسْتِهْتـــارَا

كُلَّما أوْلَمَتْ أساءَتْ إلى العَقْـ
ـلِ ، وَجَرَّتْ عَلى الحَضارَةِ عارَا
وَلَقَدْ تَجْعَلُ النِّمارَ [٥] نَدامـــا
هـــا ، وَأُسْدَ العرينَةِ السُّمـــارَا

قائد روماني (لزميله غاضبًا) :
أ تَسْمَعُ ما تَقولُ عَدُوٌّ [٦] روما ؟
قَدِ اجْتَرَأتْ عَلى رومـا البَغِـــيُّ
أ تَحْتَ لِوائِهـا وَبِجانِبَيْهـــا
يَخوضُ الحَرْبَ مِنْ روما كَمِيٌّ [٧] ؟

الآخر:
غَدًا تَلْقَـــى ، وَإنَّ غَدًا قَريـــبٌ
عِقابًا فـــي البلادِ لَـــهُ دَوِيُّ

الأول (لأنطونيوس في عَتْب وغضب) :
أميرِيَ أنْطونْيو ، أ في الحَقِّ أنَّنا
نَبِيتُ سُكارَى ، وَالعَدُوُّ مُبَيِّـــتُ ؟
(ينظر إليه أنطونيو نظرةً طويلة ، ثم ينصرف عنه إلى كليوباترا ، فيهمس القائد)
ألا إنَّهُ لَيْلٌ لَهُ مـــا وَرَاءَهُ
غَرامُكَ حَيٌّ فيهِ ، وَالمَجْدُ مَيِّتُ

(ستار)

(١) انسُقوها : أنظموها . (٢) جُلِّل : غُطي .
(٣) المدام : الخمر . (٤) أسْمت : رفعت وأعْلَت .

(٥) النِّمار : جمع نَمِر . (٦) العدوّ : ذو العداوة (للمذكر والمؤنث) . (٧) الكميّ : الشجاع المقدام الجريء ، كان عليه سلاح أو لم يكن .

الفصل الثاني

(في حجرة الولائم بالقصر الملكيّ ، حيث تُرى كليوباترا و وصيفتاها هيلانه ، وشرميون ، وأنطونيوس وأوروس ، وبضعة من القواد الرُّومان ، وأولمبوس طبيب الملكة ، وأنشو مضحكها ، وغانميز ساقيها ، وحاجب يعلن أسماء القادمين)

أنطونيو :

قِيامًا نَشْرَبُ الخَمْـــرَ
عَلى حُبِّ كِلوپاتْـــرا

كليوپاترا :

عَلى حُبِّكَ أنطونيـــو
عَلى الجَيْشِ عَلى مِصرًا

قائد روماني :

عَلى روما

كليوپاترا :

دَعُوا رومـــا
وَلا تُجْروا لَهـــا ذِكْرًا
فَما أنْطونْيو مِنْهـــــا
وَإنْ كانَ ابْنَهـــا البِكْرا
وَلَكِنْ تَحْتَ أعْلامي
يَقُودُ البَـــرَّ وَالبَحْـــرَا

القائد :

أ حَقٌّ مارْكُ أنطونْيو
سَ...ـن رُومِيَّةٍ تَبْـــرَا ؟

(تنظر إليه كليوپاترا فيقرأ في عينيها ما تريد)

أنطونيو :

أجَلْ أتْبعُ مَوْلاتـــي
وَلا أعْصي لَهَـــا أمْرًا

كليوپاترا :

عَلى حُبِّكَ أنطونيـــو
ثَلاثًا أرْبَعًـــا عَشْـــرَا

أنشو :

وَإنْ شِئْتَ فَعِشْرِينَ
إلى مـــا فَوْقَهـــا سُكْرًا
وَإنْ شِئْتَ مِـنَ الدُّنيَا
وَصَلْنا السُّكْـرَ لِلأخرَى

قائد روماني (لزملائه همسًا) **:**

دَعُوا أنطونيو إنِّـــي
أرَى السُّكْرَ بِـهِ أزْرَى (١)
لَقَدْ كانَ الفَتى الفَطِنَ
فَصارَ الحَدَثَ الغِـرَّا (٢)

قائد آخر (همسًا) **:**

سَنَلْبَثُ ساعةً نَحْتالُ حَتَّى
إذَا سُلَّتْ عُقولُهُمُو انْسَلَلْنَا
فَما المُتَدَلَّهُ (٣) السِّكِّيرُ أهْلاً
لِتَنْصُرَهُ السُّيوفُ إذا استَّلَلْنَا

الحاجب :

أياسُ المُغَنِّي وَجَوْقَةُ العُزَّافِ
وَرَاقِصاتُ القَصْرِ

(يدخلون)

كليوپاترا :

أهْلاً بِوَفْدِ الآلِهَهْ أهْلِ الفُنونِ النَّابِهَهْ
الشَّيْخُ زِينُونُ
رُبَّانُ أنْطونْيادُ

(يدخلان)

أنطونيو :

مَاذا عَنِ الأسْطولِ ؟ مِنْـــ
ـــكَ يا أخِيـلُ نَعْلَمْ

---

(١) أزرى : عابَ . (٢) الغِرّ : من يسهل خداعه .
(٣) المُتدلّه : المُتحيِّر من الحب والعشق .

هَلْ خَمَدَتْ فِتْنَتُـــــهُ

أَوْ لَمْ تَزَلْ تَضَـــرَّمُ [(١)] ؟

أخيل :

مَوْلايَ إنَّ البَحْرَ يُخـــــــ

ـــفِي سِرَّهُ وَيَكْتُـــمُ

وَما نَواهُ في غَــــدٍ

مِثْلُ غَدٍ مُسْتَبْهِـــــمُ

فَلا أقولُ مُقْــــدِمٌ

وَلا أقولُ مُحْجِــــمُ

وَلا أقولُ يَنْبَـــري [(٢)]

لِلْحَرْبِ ، أَوْ يَسْتَسْـلِمُ

كليوباترا :

أخيلُ دَعْنا مِنْ غَـــدٍ

إنَّ غَـداً تَوَهُّـــــمُ

أخيلُ ما العَيْشُ سِوَى

ساعَةِ صَفْوٍ تُغْتَـــمُ

فَلا تَكُنْ كَداخِـــلٍ

عَلى النَّدامى يَلْطِـــمُ

أتَيْتَهُـــمْ مُنادِمًـــا

لَـمْ تَأتِهِـمْ لِيَنْدَمُـــوا

اليَوْمَ شُرْبٌ

زينون :

وَغَداً حَرْبٌ

غانميز :

كَلامٌ مُحْكَمُ !

الحاجب :

بُولا الشّاعِرُ حَبْرا السّاحِرُ

كليوباترا (ضاحكة) :

حَبْرا ، أ عِنْدَكَ سِحْرٌ

يَشُلُّ طاغُوتَ رُومـــا ؟

وَيَجْعَلُ النّاسَ فيهـا

حِجَـــارَةً وَرُسومـــا ؟

(القوّادالرومانيونيَدَمْدِمون)

أنطونيو :

سَيِّدَتي ، لا تَجْرَحي فُؤادي

وَلا تَنالي بِالأذى أجْنادي

وَقلِّلي السُّخْطَ عَلى بِلادي

كليوباترا :

أنطونيـو مـا أنْتَ رُومانِيُّ

أ لَمْ تَقُلْ إنَّكَ لي جُنْدِيُّ ؟

أنطونيو :

بَلْ وَزِدْتُ أنَّني مِصْرِيُّ

وَأنَّني تابِعُـكِ الوَفِـيُّ

ما في سِوى رِضاكِ لي مُضِيُّ

أنشو :

تِلْكَ وَ اللهِ قَضِيَّـــةْ

أصْبَحَ الرّاعِي رَعِيَّـــةْ

حَكَمَ الحُبُّ عَلى قَيْـــ

ـــصَرَ ، وَالحُبُّ بَلِيَّـــةْ

صَارَ كالشَّعْبِ ، وَساوَى

هـ[illegible] الإسكَنْدَرِيَّـــةْ

أنطونيو :

حَبْرا تَكَلَّمْ ، أ لا عَجيبَةْ

؟ [illegible] (٣) [illegible]

حبرا :

إلَهَ الحَرْبِ سامِحْني ، فَإنِّـي

غُلِبْتُ عَلى أبالِسَتي الغِضابِ

---

(١) تضرّمُ : تشتعل .

(٢) ينبري : يستعدّ .

(٣) في الأصل (أو) وبها لا يستقيم الوزن .

هُمُ لا يَجْلِسونَ عَلى غِناءٍ
وَلا يَتحدَّثونَ عَلى شَرابِ

كليوباترا :

وَلَكِنْ قَيْصَرٌ يَدْعوكَ حَبْرَا
وَقَيْصَرُ لا يُرَدُّ بِلا جَوابِ
وَأَنْتَ الكاهِنُ العَرّافُ فَانْظُرْ
أَ غَيْرُ السِّحْرِ شَيْءٌ في الجِرابِ ؟

حبرا :

إذا ما شِئْتِ مَوْلاتي فَإنِّي
أُطالِعُ في الكُفوفِ وَفي الكِتابِ

كليوباترا :

اُدْنُ مِنْ قَيْصَرَ حَبْرَا
وَانْظُرِ الكَفَّيْنِ وَاقْرَا

أنطونيو :

تَعالَ حَبْرَا وَقَلِّبْ
يَدَيَّ يُمْنَى لِيسْرَى
لَعَلَّ أَسْرارَ كَفِّي
كَواشِفٌ لَكَ سِرّا

(يتقدّم حبرا ويُمعن في كفّ أنطونيوس)

أَ لا تَرى لي بَقاءً ؟
أَ لا تَرى لِيَ عُمْرَا ؟

حبرا :

يا عَجَبَ الفَأْلِ ! مَوْلا
يَ أَعْجَبُ النَّاسِ أَمْرَا
حَياتُهُ في يَدَيْهِ
وَالنَّاسُ يَحْيَوْنَ قَسْرَا
إنْ شِئْتَ عِشْتَ نَهارًا
أَوْ شِئْتَ عُمِّرْتَ دَهْرَا

قائد روماني (إلى زملائه همساً) :

لَوْ كُنْتُ مِنْهُ قَريبًا
لَقُلْتُ في أُذْنِ حَبْرَا
حَياتُهُ في يَدَيْهِ
أَمْ في يَدَيْ كِيلوبَاتْرا ؟

كليوباترا :

تَعالَ الآنَ سَلْ كَفِّي
وَبَيِّنْ ما الَّذي تُخْفي

(يتقدّم حبرا إليها ، ويُمسك يدَها بعناية وشَغَف)

حبرا :

يا لَكِ كَفًّا كَنَقِيِّ العاجِ
ناعِمَةً كَخَمْلِ[1] الدِّيباجِ
لامِسُها مِنَ الجَحيمِ ناجي !

(ضحك)

تَفْدي الأَكُفُّ كُلُّها يَمينَا
بَيْضاءَ حَمْراءَ ، تَرِفُّ[2] لِينا
كَما أَظَلَّ الشَّفَقُ النَّسْرِينا

أنطونيو (ضاحكاً) :

سَمِعْتِ حَبْرَا ملكَتي كَيْفَ ابْتَكَرْ
كُلِّفَ أَنْ يَصْنَعَ سِحْرًا فَشَعَرْ

بولا الشّاعِر :

السِّحْرُ وَالشِّعْرُ سَواءٌ في الأَثَرْ

كليوباترا :

لَقَدْ أَعْجَبَكَ الشِّعْرُ
وَراقَتْكَ مَعانيهِ
وَما سَرَّكَ أَنطونيو
سُروري كُلُّهُ فيهِ
فَما تَأْمُرُ في حَبْرَا
بِأَيِّ البِرِّ أَجْزيهِ ؟

حبرا : (لأنطونيو)

جائِزَتي يا سَيِّدي
تَقْبيلُ هَذِهِ اليَدِ !

---

(١) خمل الدّيباج : الدّيباج ثوب من الحرير ، والخمل هُدْبه .
(٢) ترِفّ : ترقّ وتنضر .

أنطونيو (ضاحكاً) :

قَبِّلْ وَلا تَرَدَّدِ !

(يُقبِّل يديْها بين إقدام وإحجام)

حبرا :

عَجَبٌ عَيْنَيَّ لا تَقْـ
ـوَى عَلى هَـذا الضِّياءْ
هَذِهِ كَـفُّ إلَـهٍ
جاءَ في زِيِّ النِّسـاءْ

كليوپاترا :

خَلِّني مِنْ زُخْرُفِ المَدْ
حِ ، وَمِـنْ زُورِ الثَّنـاءْ
ما وَراءَ اليَدِ يا عَـرَّ
افُ مِنْ غَيْبِ القَضـاءْ ؟
أَ حَضِيضٌ يَوْمِيَ الآ
خِرُ[1] – قُلْ لي – أَمْ سَماءْ ؟
خاتَـمُ الأَيَّـامِ أَوْلَـى
باهْتِمـامِ العُظَمـاءْ

حبرا :

مَلِكَتِي يَوْمُكِ في الأَيْـ
ـيامِ مَنْشُـورُ اللِّـواءْ
نابِهُ الصُّبْحِ كَيَـوْمِ الشَّـ
ـمْسِ عُلْوِيُّ المَسـاءْ
خَطَـرَ العِـزُّ عَلَيْـهِ
وَمَشَى فيـهِ الإِبـاءْ
ثُمَّ يَتْلوهُ بَقـاءٌ
لَمْ يُطاوِلْـهُ بَقـاءْ

أنشو (لزينون) :

رَأَيْتَ الشِّعْرَ قَدْ أَجْدَى
فَماذا قُلْتَ يا فـارُ ؟

(١) الآخِر (بكسر الخاء) مقابل الأول ، أما بفتحها فهو أحد الشيئين من جنس واحد .

زينون :

إلَهَتـي وَمَلاكـي
كُفِّي المُهَـرِّجَ عَنِّـي
قَدْ نالَ مِنِّي وَلَـوْلا
ناديكِ مـا نـالَ مِنِّـي

أنشو :

سَيِّدَتي ، عَبْدُكِ أنشو قَدْ صَدَقْ
الفأْرُ في مَكْتَبَةِ القَصْرِ نَطَقْ
يَقولُ إنْ أَسْرِقْ فَزينونُ سَرَقْ !
هَمِّيَ في الجِلْدِ ، وَهَمُّهُ الوَرَقْ
يَسْطو عَلى آثارِ كُلِّ مَنْ سَبَقْ !

أنطونيو :

إنِّي أَرَى أنشو وَأَمْثالَهُ
زادوا عَلى زينونَ في الجُرْأَهْ
يا وَيْحَ لِلشَّيْخِ عَلى فَضْلِهِ
أَصْبَحَ في مَجْلِسِهِمْ هُزْأَهْ[2]

أنشو :

هَبوهُ في الدَّرْسِ بَحْراً
هَبوهُ فـي العِلْـمِ أُمَّـهْ
لا يَخلُقُ العِلْمُ نَفْساً
وَلا يُنَبِّـهُ هِمَّـهْ
كَمْ عالمٍ في يَدِ الجا
هِلينَ مُلْقَى الأَزِمَّـهْ[3]

كليوپاترا :

أَقِلَّ المَزْحَ يا أنشـو
وَأَرْسِلْـهُ بِمِقْـدارِ
فَلَوْلا الجَهْلُ ما رُحْتَ
تَقيسُ اللَّيْثَ بِالفـارِ .

(٢) الهُزْأَة (بسكون الزاي) الرجل يُهزأ منه ، أما بفتحها فالرجل يَهزأ بغيره .

(٣) الأَزِمَّة : جمع زمام وهو الخيط الذي يُشد إلى المِقْود . والمراد: ملقى القياد .

زينون :

يا سَماءُ احْفَظي وَ يا أَرْضُ صوني

أظْهَرَتْ عَطْفَها عَلى زينُــــونِ !

كليوباترا :

يا غانميـزْ هاتِ النَّبيذْ

هاتِ اسْقِني وَاسْقِ الحَبيبْ

وَاسْقِ المَلا

بولا الشّاعر :

بِنْتُ الدِّنانْ أُمُّ الزَّمانْ

خَبَّـــــــأهَا في قَبْوِهِ

سَاقي مِنَا

لَوْنُ الفَرَحْ حِنَّا القَدَحْ

سِرُّ السُّــرورْ صَفْوُ الحياهْ

قُوتُ المُنَى

كليوباترا :

قَيْصَرٌ ذي سُلافَةُ (١) الفيُّومِ

تُنْمَى (٢) إِلى عَقائِلِ (٣) الكُرومِ

مَخْبوءَةً مِنْ عَهْدِ مِصْرائيم

قَـدْ عُمِّرَتْ كَعُمْرِ النُّجــومِ

دِنانُ (٤) مِصْرٍ لا دِنانُ الرّومِ !

القُوّاد الرّومان (يُدَمْدِمون ويتهامسون)

قائد :

قولوا يا رومانِيّونا تَحْيَا رُوما

آخر :

تَحْيَا

ثالث :

تَحْيَا

أنشو (ضاحكًا) :

تَحْيَا الخَمْرُ يَحْيَا السُّكْرُ

القُوّاد :

تَحْيَا رُوما

جماعة من المصريّين :

تَحْيا مِصْرُ

أنطونيو :

أَيُّها الشّادِي أَيـــاسُ

بَلَغَ السُّكْرُ مَــــدَاهْ

غَنِّني شِعْرَ مَلاكـي

غَنِّني شِعْــرَ الإِلَــهْ

أنا لا أَطْرَبُ حَتَّى

أَسْمَعَ « الحُبُّ الحَيَاهْ »

أياس (مُغَنِّيًا) :

أنا أَنْطونْيـــو ، وأَنْطونْيـــو أنا

ما لِرُوحَيْنا عَنِ الحُبِّ غِنَى

غَنِّنَا في الشَّوْقِ ، أَوْ غَنِّ بِنَا

نَحْنُ في الحُبِّ حَديثٌ بَعْدَنا

رَجَّعَتْ عَنْ شَجْوِنا الرِّيحُ الحَنونْ

وَبِعَيْنَيْنا بَكى المُزْنُ الهَتُونْ (٥)

وَبَعَثْنا مِنْ نُفاثاتِ الشُّجونْ

في حَواشي اللَّيْلِ بَرْقًا وَسَنَى

خَبِّري يا كَأْسُ ، وَاشْهَدْ يا وَتَرْ

وَارْوِ يا لَيْلُ ، وَحَدِّثْ يا سَحَـرْ

هَلْ جَنَيْنا مِنْ رُبَا الأُنْسِ السَّمَرْ

وَرَشَفْنا مِـنْ دَوَاليها (٦) المُنَــى

الحَيَاةُ الحُبُّ ، وَالحُبُّ الحَيَــاهْ

هُوَ مِنْ سَرْحَتِها (٧) ســرُّ النَّواهْ

(١) سُلافة : أجود أنواع الخمر . (٢) تُنمى : تُنْسب .

(٣) عقائل الكروم : الكروم جمع الكَرْم وهو العنب ، والعقائل جمع عقيلة ، والمراد : أطيب أنواع العنب .

(٤) الدِّنان : جمع دَنّ ، وهو وعاء ضخم للخمر .

(٥) المُزن الهَتون : السحاب كثير القطر .

(٦) الدَّوالي : عِنب طائفي أسود يضرب إلى الحمرة .

(٧) السَّرْحة : الشجرة العظيمة الطويلة .

وَعَلى صَخْرائِها مَرَّتْ يَــدَاهْ
فَجَرَتْ مــاءً وَظلًّا وَجَنَــى
نَحْنُ شِعْرٌ وَأَغانِيُّ غَــدَا
بِهَوَانــا راكِبُ البِيدِ حَــدَا
وَبِنا المَلَّاحُ في اليَمِّ شَــدَا
وَبَكَى الطَّيْرُ ، وَغَنَّى مَوْهِنَا [١]
مَنْ يَكُنْ في الحُبِّ ضَحَّى بِالكَرَى
أَوْ بِمَسْفوحٍ مِنَ الدَّمْعِ جَرَى
نَحْنُ قَرَّبْنا لَهُ مُلْكَ الثَّرى
وَلَقِينا المَــوْتَ فيهِ هَيِّنَــا
في الهَوَى لَمْ نَألُ جُهْدَ المُؤْثِرِ
وَذَهَبْنا مَثَلاً في الأَعْصُــرِ
هُوَ أَعْطَى الحُبَّ تاجَيْ قَيْصَرِ
لِمَ لا أُعْطِي الهَوَى تَاجَيْ مِنا ؟

صوت :

مَرْحَى مَرْحَى يَحْيا الفَنُّ

آخَر :

يَحْيا الشِّعْرُ

ثالث :

يَحْيَا اللَّحْنُ

(تقوم كليوپاترا إلى شرفةٍ فيتبعها أنطونيوس)

قائد روماني (لزميل من زملائه هامسًا) :

هَلَّا نَظَرْتَ إلى الأَميرَةِ ؟ إِنَّها
سَكْرَى تَعَثَّرُ في خَليعِ [٢] عِذارِها

آخَر :

وَتَأَمَّلِ المَفْتونَ كَيْفَ جَرَى عَلى
آثارِهَا ، وَانْجَرَّ في تَيَّارِهــا

آخَر (لزملائه حيث يسمعه أورُوس وأولمبوس) :

وَانْظُرْ إلى أُوروسَ في تَرَدُّدِهْ
يَأْبَى الهُتَافَ مَعْنَا لِمَوْلِــدِهْ

أولمبوس (ساخرًا) :

أُوروسُ مِلءُ يَوْمِهِ ، مِلءُ غَدِهْ
فَتًى تَضِجُّ الحَرْبُ مِــنْ مُهَنَّدِهْ
وَيَشْتَهِي الأَبْطالُ فَضْلَ سُؤْدُدِهْ
قَــدْ راعَنِي فَنَاؤُهُ فــي سَيِّدِهْ
بِنَفْسِــهِ ، وَقَوْمِــهِ ، وَمَوْلِــدِهْ
يَغْلُو غُلُوَّ الكَلْبِ فــي تَوَدُّدِهْ
يُقَيِّدُ الكَلْبُ وَراءَ مَرْصَدِهْ
فَيَحْرُسُ الدَّارَ عَلــى مُقَيِّدِهْ

أوروس :

تِلْكَ الدُّعابَةُ يا طَبيبُ ثَقيلَةٌ
فَحَذَارِ ثُمَّ حَذارِ مِنْ تَكْرارِها
لَوْلا الوَليمةُ والشَّرابُ وَحُرْمَةٌ
لأَميرَةِ الوادي السَّعيدِ وَدارِها
لَنَزَعْتُ مِنْ أَقْصَى لَهاتِكَ [٣] مُضْغَةً
كَثُرَتْ عَلى الأَبْطالِ في اسْتِهْتارِها

أولمبوس :

أُوروسُ !

أوروسُ :

أُولمبوسُ ، صَــهْ بَرِحَ الخَفا
وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ في مَفاضِحِ عارِها
ماذا خَبَأْتَ مِنَ السُّمومِ لِمَلْكَةٍ
غَفَلَتْ عَنِ الأَفْعَى [٤] وَلُؤْمِ جِوارِهــا ؟
إِلَّا تَكُنْ عَلِمَتْ ، فَإِنَّكَ عِنْدَنا
جاسوسُ أُكْتافيو عَلــى أَسْرارِهــا

---

(١) المَوْهِن : نصف الليل أو بعد ساعة منه .
(٢) خلع عِذاره : انهمك في اللهو ، ولم يَسْتَحِ .
(٣) اللَّهاة : اللَّحمة المشرفة على الحَلْق .
(٤) الأفعى : حية من شرار الحيات ، والمراد هنا أولمبوس .

ما زِلْتَ مُنْذُ وَفَدْتَ تُطْلِعُهُ عَلى
أخْبارِ قَيْصَرَ ، أَوْ عَلى أخْبارِهـــا
إنّا – رجالَ الحَرْبِ – لَيْسَ يَفوتُنا
لَحْظُ العُيونِ ، وَلا خَفِيُّ حِوارِهـــا

أولمبوس (يحاول أن يتكلّم فيمسك به قائدٌ رومانيّ ويهمس إليه) :

أقْصِرْ أخي ، إنَّ الجَماعَةَ عَرْبَدَتْ
فَإذَا لَجَجْتَ لَفَتَّ مِنْ أنظارِها
اِسْلَمْ بِنَفْسِكَ في الظّلامِ ، وَلا تُثِرْ
رِيَبًا أخَافُ عَلَيْكَ غِبَّ (١) مَثارِها
إنّي لأخْشَى الكَأسَ أنْ تَجْري دَمًا
فَتُصيبَ شَيْئًا مِنْ رَشاشِ عُقارِها (٢)

أولمبوس (لنفسه وهو يَنْسلُّ إلى الخارج) :

أوروسُ ! أنطونيو ! حِسابُكُما غَدًا
رُوما الأبِيَّةُ لَمْ تَنَم عَنْ ثَارِهـــا

(يخرج)

أنطونيو (من أقصى البهو) :

أ مـا لِلرَّقْــصِ هيلانَـــــ
ــةُ في لَيْلَتِنا حِصَّهْ ؟
أ لا نَجْمَعُ بَيْنَ الكـــا
سِ وَالنَّغْمَةِ والرَّقْصَـــهْ ؟
فَهَذي فُرْصَـــةُ الأُنْـــسِ
وَقَدْ لا تَرْجِعُ الفُرْصَـــهْ

هيلانه :

الرّاقِصَـــاتُ يَقُمْنَـــا
الرّاقِصَـــــاتُ يَثِبْنَـــا
وَلا يَدَعْـــنَ افْتِنَانـــا
وَلا يُقَصِّـــرْنَ فَنّـــا

(تقوم الراقصات بِرَقْصة مصريّة)

أنطونيو (قادمًا) :

مَرْحَى مَرْحَى يَحْيَا الفَنُّ

صوت :

يَحْيا الرَّقْصُ

آخر :

يَحْيَا الحُسْنُ

أنطونيو :

قَدِ انْتَصَفَ اللَّيْلُ أوْ فَوْقَ ذاكَ
وَآذَنَنَـــا بِالْمُضِـــيِّ الدُّجَـــى
وَدُونَ الخِيامِ سُرَى (٣) سَاعَـــةٍ
وَعِنْدَ الصَّباحِ تَدُورُ الرَّحَـــى
فَهَلْ تَأذَنينَ لَنا يا مَلاكُ ؟
فَلا بُدَّ مِنْ سِنَةٍ (٤) مِـنْ كَـرَى
وَلَسْتُ أقولُ مَلاكِي الوَداعَ
وَلَكِنْ أَقُولُ إلـــى المُلْتَقَـــى

كليوباترا :

مَكَانَكَ قَيْصَرُ لا تَذْهَبَـــنْ
وَلا تَبْرَحِ القَصْرَ أهْلِكْ (٥) أَسَى

أنطونيو :

ذَريني (٦) أعَبِّئْ لِلْقِتالِ كَتائبـي
فَلي في غَدٍ شَأْنانِ في البَرِّ وَالبَحْرِ
ذَريني أهَيِّئْ لِلأحاديثِ في غَدٍ
فَإنَّ غَدًا يَوْمٌ سَيَبْقَى عَلى الدَّهْرِ
ذَريني أزِدْ تاجَيْكِ غارَ وَقائِعي
وَأقْرِنْ بِثُعْبانَيْ جَلالِهِمَا نَسْرِي
وَلَسْتُ أخَافُ الدّارِعينَ ؛ وَإنَّمَا
أخَافُ فُجاءاتِ الخِيانَةِ وَالغَدْرِ

(١) الغِبّ : من كل شيء عاقبته وآخره .
(٢) العُقار : الخمر .

(٣) السُّرى : السير ليلاً .
(٤) سِنةٌ من كرى : السِّنة : الغفلة ، والكرى : النوم .
(٥) السكون في آخر الفعل المضارع (أهلِكْ) للوزن وليس للجزم .
(٦) ذريني : فعل أمر بمعنى اتركيني ، وأصله وَذَرَ ، ولا يستعمل منه بهذا المعنى سوى المضارع والأمر ..

وَلَيْسَ كَمِينَ الحَرْبِ ما أَنا هائِبٌ
وَلَكِنْ كَمِينَ الغَدْرِ في ظُلْمَةِ الصَّدْرِ

(لأخيل)

فَيَا قَائِدَ الأَسْطولِ هَلْ مِنْ مَكيدَةٍ
تُدَبَّرُ لي خَلْفَ الشِّراعِ وَما أَدْري ؟

كليوباترا :

اِمْضِ إلى الهَيْجاءِ أَنْـ
ـطونيو كَما يَمْضي الأَسَدْ
إنَّ الأُسودَ في اللِّبَدْ (١)
دُونَكَ في هَذا الزَّرَدْ (٢)
اِمْضِ إلى المَجْدِ ، وَلا
يُقْعِدْكَ شُغْلٌ في البَلَدْ
المَجْدُ لا يَسْأَلُ عَنْ
صاحِبَـةٍ وَلا وَلَـدْ
أَنْتَ لِرُوما في غَدٍ
وَقَيْصَرونُ بَعْـدَ غَـدْ
وَالشَّرْقُ سُلْطاني الَّـذي
إكْليلُهُ لِيَ انْعَقَـدْ
يا لَيْثُ سِرْ ، يا نَسْرُ طِرْ
عُدْ ظافِراً ، أَوْ لا تَعُـدْ

(ستار)

(١) اللِّبَد : جمع لِبْدة ، وهي الشعر المتراكب بين كتفي الأسد .
(٢) الزَّرَد : حَلَق الدِّرع .

الفصل الثالث

(معبدٌ في الإسكندرية ، يقسم جدارُه المسرح إلى قسمين : القسم الأصغر خارج المعبد وتنهض فيه شجرةٌ باسقة ، والقسم الأكبر داخله وتظهر فيه حجرةُ الكاهن الأكبر أنوبيس ، وعلى جدرانها رفوف نُسِّقت عليها حقاق وقوارير ، وهنا وهناك صُوَر وصناديق يشفُّ بعضها عما فيها من أفاعٍ وحيَّات . باب خلفيّ يؤدّي إلى المعبد ، ونافذة جانبيَّة تطلُّ على الفضاء)

(في حجرة الكاهن أنوبيس)

أنوبيس : (يناجي نفسه)

يَقُولـونَ أَنوبيـسُ
وَلُـوعٌ بِأَفاعيـهِ
وَمَشْغـوفٌ بِثُعْبـانٍ
مِنَ الوادي يُرَبِّيهِ
وَفي ناديـهِ حَيَّـاتٌ
مِنَ الجِنِّ تُناجيهِ
وَلَوْ ذاقوا هَوَى العِلْمِ
كَما ذُقْتُ فَنُوا فيهِ
أَ لا يا رُبَّ خَـدَّاعٍ
مِنَ النّاسِ تُلاقيهِ
يَعيبُ السُّمَّ في الأَفْعَى
وَكُلُّ السُّمِّ في فيهِ

(يخرج من الباب الخلفي)

* * *

(خارج الهيكل – تحت الشَّجرة – أنطونيوس وأوروس)

أنطونيوس :

أوروس ، إنّي جَهِدْتُ مَشْيًا
وَمَسَّني الضُّرُّ وَالكَلالُ [١]
فَمِلْ بِنا نَسْتَرِحْ قَليلاً
مِنْ قَبْلِ أنْ يَدْهَمَ الرِّجالُ

(يجلس أنطونيوس منهوكاً على حجر فتأخذه الذكرى)

أوروسُ مــــاذا دَهانــــي
حَتَّى نَسِيتُ مَكانــــي ؟
أَتَيْتُ ما هَدَّ مَجْــــدي
وَحَطَّ رِفْعَــــةَ شانــــي
جَلَلْتُ نَفْسي بِعــــارٍ
يَبْقَى بَقَاءَ الزَّمــــانِ
لَمَّا حَمَلْتُ جَــــوادي
عَلَى الفِرارِ ازْدَرانــــي
وَضَجَّ مِنّــي سَيْفــــي
وَضَجَّ مِنّــي سِنَانــــي
وَ وَدَّتِ الأَرْضُ تَحْتي
لَوْ طُهِّرَتْ مِنْ عِياني [٢]
أنا الَّذي كــانَ أَمْضَى
مِنَ الحَديدِ جَنانــــي [٣]
الشَّرْقُ يَدْري نِزالــــي
وَالغَرْبُ يَدْري طِعانــــي
كانَ المُلوكُ عَبِيــــدي
قَصِرْتُ عَبْدَ الحِســــانِ
وَلَسْتُ أَوَّلَ حُــــرٍّ
اِسْتَعْبَدَتْــــهُ الغَوانــــي

(يسكت لحظةً ثم يستمرُّ)

وَلَمْ أَرَ كالحَرْبِ اسْتَراحَ قَتيلُها
وَأَفْضَى إلى القَيْدِ الأَسيرُ المُقَيَّدُ
وَلَكِنْ شَقِيٌّ الحَرْبِ وَالمُصْطَلي بِها
إذا انقَضَتِ الحَرْبُ – الطَّرِيدُ المُشَرَّدُ
وَلَوْلا اخْتِلافُ الحَرْبِ بِالنّاسِ لَمْ يَهُنْ
عَزيزٌ ، وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَى القَيْدِ سَيِّدُ

أوروس :

وَقارَكَ قَيْصَرُ ، لا تَجْزَعَنّ
وَخَلِّ المَقَاديرَ تَجْري المَــــدَى
تَلَقَّ الهَزِيمَةَ ثَبْتَ الجَنانِ
كَما كُنْتَ تَلْقَى الفُتوحَ العُلا
فَما أَنْتَ أَوَّلُ نَجْمٍ أضــــاءَ
وَلا أَنْتَ آخِرُ نَجْمٍ خَبــــا [٤]
وَقَدْ تَنْزِلُ الشَّمْسُ بَعْدَ الصُّعودِ
وَتَسْقَمُ بَعْدَ اعْتِدالِ الضُّحَا
وَيَا رُبَّ غارٍ عَراه [٥] الجُفُوفُ
عَلَى هامَةٍ قَدْ عَلاها البِلَى
أَ مــا لَــكَ أَنْطونْيــو أُسْــوَةٌ
بِيوليوس قَيْصَرَ أَيْنَ انْتَهــى ؟
رَأَيْتُكَ وَالحَرْبُ تَبْلُو [٦] الكُماةَ
فَأَشْهَدُ كُنْتَ إلَهَ الوَغَــــى
وَقَدْ كانَ سَيْفُكَ غُولَ السُّيوفِ
وَكانَتْ قَناتُكَ غُولَ القَنَــــا
وَكُنْتَ إذا المَوْتُ أَفْضَى إلَيْكَ
تَحَدَّيْتَهُ فَانْثَنَى القَهْقَــــرَى [٧]
وَكانَ جُنودُكَ شَرَّ الجُنـودِ
عَلَيْكَ ، وَخَيْرَهُمُــو لِلْعِــــدا
فَخانَتْ أَساطيلُ أَمَّلْتَهــــا
وَجَيْشٌ عَقَدْتَ عَلَيْهِ الرَّجــــا
وَخَلَّفْتَ في عَسْكَرٍ كالنِّعاجِ
كَثيرِ الثُّغــاءِ [٨] ، قَليلِ الغَنــــا

---

(١) الكَلال : الضَّعف . (٢) عِياني : شَخْصي .
(٣) جَناني : قلبي .
(٤) خبا : خمد وغاب . (٥) عَرَاه : أصابه .
(٦) تبلو : تختبر . (٧) القَهْقَرى : الرجوع إلى الخَلْف .
(٨) الثُّغاء : صوت الغَنم .

فَمِنْ يائسٍ ماتَ قَبْلَ القِتالِ
وَمِنْ خائِـنٍ فَـرَّ قَبْلَ اللِّقـا

أنطونيو :

إِذَنْ لَمْ أَكُنْ في الوَغَى بِالجَبَانِ
وَلا خُنْتُ أروسُ عَهْدَ الهَوَى ؟
وَتَشْهَدُ أَنّـيَ أَنْطونيـــوسُ
وَأَنّي ابْنُ رُومَا ، وَأَنّي الفَتَى ؟
فَإِنْ عِشْتُ عِشْتُ نَقِيَّ الجَبينِ
وَإِنْ مِـتُّ مِـتُّ كَريمَ الثَّنـا

(يرى أنطونيو شبحاً فيسأل أوروس مبهوتاً)

أنطونيو :

أوروسُ !

أوروس :

مَوْلايَ !

أنطونيو :

تَأَمَّلْ مَنْ تَرى ؟

أوروس :

هَذا أولمبوسُ ، وَقَدْ حَثَّ الخُطَا

أنطونيو :

تُرى إِلى أَيْنَ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَى ؟

أوروس :

هَا هُوَ سارٍ نَحْوَنا ، هَا قَدْ دَنَا

(يظهر أولمبوس)

أولمبوس :

تَحِيَّةُ قَيْصَرْ

أنطونيو :

بل أنطونيو
لا غَيْرُ ، بَلْ قُلِ الشَّريدَ المُقْتَفَى [1]
لا تَخْدعوني قَادِراً وَعَاجِزاً
كَفَى غُروراً بِالوِلاياتِ كَفَى

أولمبوس :

مَوْلايَ !

أنطونيو :

لَسْتُ اليَوْمَ مَوْلَى أَحَدٍ
أُكْتافيو السَّيِّدُ ، وَالعَبْدُ أَنـــا
مَرَرْتَ بِالقَصْرِ فَكَيْفَ ناسُـهُ ؟
هَلْ عَنْ كلوباترا أولمبوسُ نَبـا ؟
صَرِّحْ ، أَبِنْ ، قُلْ غَدَرَتْ ، قُلْ جَدَّدَتْ
بِقَيْصَرَ الثَّالِثِ دُولَةَ الهَـوَى [2]
قَدْ صَنَعَتْ بي عِنْدَ حاجَةِ الوَغَى
ما لَمْ يَكُنْ يَصْنَعُهُ بِيَ العِدا
أَسْطولُها إِلـــى مَراسيـــهِ أَوَى
وَجَيْشُها أَلْقَى السِّلاحَ وَنَجا

أولمبوس :

مَوْلايَ ! أَعْفِنِي

أنطونيو :

تَكَلَّمْ ، لا تَخَفْ
إِنّي أَرَى عَلَيْكَ رَوْعَةَ الأَسَى

أولمبوس :

مَوْلايَ ، مَهْلاً في الظُّنونِ وَاتَّئِدْ
إِنَّ مِنَ الظَّنِّ اتِّهاماً وَأَذَى
أَنْتَ عَلى ما لَكَ مِنْ مُروءَةٍ
رَمَيْتَ بِالغَدْرِ أَحَبَّ مَنْ وَفَى

أنطونيو :

ماذا تَقولُ ؟

أولمبوس :

كليوباترا انْتَحَرَتْ
بِطَعْنَةِ الخِنْجَرِ في صَدْرِ الضُّحا

---

(١) المُقْتَفَى : المُتَّبَع .

(٢) دُولة الهوى (بضم الدَّال) يعني تداوله ، مرَّة لهذا ومرة لهذا .

أنطونيو :

يا لَلسَّماءِ ! انْتَحَرَتْ ؟ أَيْنَ ؟ أَيِنْ
وَلِمْ ؟ وَكَيْفَ كانَ ذاكَ ؟ وَمَتَى ؟

أولمبوس :

مَرَرْتُ بِالقَصْرِ ضُحَى اليَوْمِ فَلَمْ
أَجِدْ لَهُ نَظْمًا وَلا حُسْنًا يُرَى
بَدَا لِعَيْنَيَّ خَلاءً مُوحِشًا
غَيْرَ عَوِيلٍ هَهُنا وَهَهُنَا

أنطونيو :

انْتَحَرَتْ ! يا لَلْخَبَرْ !
وَيا لَقَسْوَةِ القَدَرْ !
إِنَّ الأُمُورَ انْتَقَلَتْ
مِنْ خَطَرٍ إِلَى خَطَرْ
ما غَدَرَتْ ، وَإِنَّما
أَنا الَّذِي بِها غَدَرْ
وَا خَجْلَتا مِنْ قَوْلِهِمْ
انْتَحَرَتْ وَما انْتَحَرْ !
اِذْهَبْ أولمبوسُ وَدَعْـ
ـنِي وَالهُمُومَ وَالكَدَرْ
ما بِجِراحاتِ القُلُو
بِ لِلأَطِبَّاءِ بَصَرْ

(يذهب أولمبوس)

أنطونيو (لروما) :

رُوما حَنانَكِ ، وَاغْفِرِي لِفَتاكِ
أَوَّاهُ مِنْكِ ، وَآهِ ما أَقْساكِ !
رُوما ، سَلامٌ مِنْ طَرِيدٍ شارِدٍ
في الأَرْضِ ، وَطَّنَ نَفْسَهُ لِهَلاكِ
اليَوْمَ يَلْقَى المَوْتَ ، لَمْ يَهْتِفْ بِهِ
ناعٍ [1] ، وَلا ضَجَّتْ عَلَيْهِ بَواكِي

(١) النَّاعي : المشيِّع .

إِنَّ الَّذي أَعْطاكِ سُلْطانَ الثَّرَى
لَمْ تُنْعِمِي لِرُفاتِهِ [2] بِثَراكِ
إِنَّ الَّذي بِالأَمْسِ زَيَّنَتِ جَبِينَهُ
بِالغارِ عَقَّكِ جُهْدَهُ وَعَصاكِ
يا رُبَّ تاجٍ في جَبِينِكِ زاهِرٍ
عَطَّلْتُ مِنْهُ مَفارِقَ الأَمْلاكِ [3]
الأُمَّهاتُ قُلُوبُهُنَّ رَقِيقَةٌ
ما بالُ قَلْبِكِ لَمْ يَلِنْ لِفَتاكِ ؟
أَعْرَضْتِ غَضْبَى في الحَياةِ فَرَحْمَةً
لا تَحْرِمِينِي في المَماتِ رِضاكِ
إِنْ كانَ مَوْتِي كُلَّ ما تَبْغِينَهُ
فَهُناكِ ! هَأَنَذا أَمُوتُ ، هُناكِ !
يا أُمُّ ، عُذْرُكِ في اتِّهامِ بُنُوَّتِي
بادٍ ، وعُذْرِيَ في العُقُوقِ كَذاكِ
لَوْلا الجَمالُ وَفِتْنَةٌ مِنْ سِحْرِهِ
ما حَلَّ في قَلْبِي هَوًى لِسِواكِ
صَفْحًا كليوباترا ، فَرُبَّتَ زَلَّةٍ
قَدْ كُنْتِ تَغْتَفِرِينَ حِينَ أَراكِ
لَمَّا لَقِيتُكِ في الجَمالِ وَعِزِّهِ
قَهَرَتْ قُوايَ الظَّافِراتِ قُواكِ
فَنَسِيتُ في نادِيكِ ذِكْرَ وَقائِعِي
وَسَلَوْتُ [4] أَيَّامِي بِيَوْمِ لِقاكِ
سَجَدَتْ لأَعْلامِي الصَّوارِمُ وَالقَنا
وَأَبَى مُهَنَّدُ لَحْظِكِ [5] الفَتَّاكِ
قُدْتُ الجَحافِلَ [6] وَالبَوارِجَ قادِرًا
ما لي ضَعُفْتُ فَقادَنِي جَفْناكِ !

(٢) الرُّفات : الحطام وبقايا الجسد .
(٣) الأملاك : جمع ملِك وهو : صاحب الأمر والسلطة على أمة من الأمم . (٤) سلا : نسي وطابت نفسه .
(٥) اللّحظ : النَّظر .
(٦) الجحافل : جمع جَحْفل وهو الجيش الكثيف .

أخرجْتِ أمْريَ وَاختياري مِنْ يَدِي
وَتركْتِني نَفساً بِغَيْرِ مِــلاكِ [(١)]
خِلْتُ السَّلامَةَ في نَواكِ [(٢)] فَذُقْتُها
فإذا الكَوارِثُ كُلُّهُنَّ نَـواكِ
عَادَيْتُ قَوْمي في هَواكِ ، وأضْرَمَتْ
روما عَلَيَّ الحَرْبَ مِـنْ جَرَّاكِ
وشَرَدْتُ في شَرْقِ البلادِ ، وجَدَّ في
طَلَبي عِدايَ بِغَرْبِها وَعِـداكِ
أغْدُو على سَيْفِ العَدُوِّ وَنارِهِ
وَأروحُ بَيْنَ مَكامِنٍ [(٣)] وَشِبـاكِ [(٤)]
وَتَلَمَّسَتْ نَفْسي السُّيوفُ ، وَرامَني
في البَرِّ وَالبَحْرِ الكَمِيُّ الشَّاكي
كانَتْ حَياتي لِلرِّجالِ أَلِيَّةً [(٥)]
وَاليَوْمَ هُنْتُ فَأَقْسَمُوا بِهَلاكي
وَلَقَدْ ذَهَبْتُ مِنَ الظُّنُونِ مَذاهِباً
فَذَمَمْتُ عَهْدَكِ ، وَاتَّهَمْتُ وَفاكِ
حَتَّى إذا حُمَّ [(٦)] القَضاءُ ، وَراعَني
عُطْلُ المَقاصِرِ مِنْ بَهاءِ حُلاكِ
ضَحَّيْتُ بِالدُّنْيا ، وَقُلْتُ رَخيصَةٌ
وَبَذَلْتُ أيّامي ، وَقُلْتُ فِداكِ

* * *

أمانًا إلَهَ الحَرْبِ ما أنْتَ صانِـعٌ
بِهَذا الحُطامِ المُسْتَباحِ المُبَعْثَرِ ؟
لَقَدْ ذَلَّ مِـنْ بَعْدِ امْتِناعٍ ، كَأَنَّـهُ
بَقِيَّةُ نَصْلٍ ، أو رُفاتُ غَضَنْفَرِ
صَدَعْتَ أكاليلي ، وَحَطَمْتَ صارِمي
وَجَرَّدْتَني مِـنْ أُرْجُواني المُظَفَّرِ
وَلَمْ تَأْلُني هَدْماً ، وَكُنْتَ بَنَيْتَنـي
بِناءَ الصَّناعِ القادِرِ المُتَجَبِّـرِ
مَلأْتَ سَبيلي بِالهَوَى وَصُروفِـهِ
وَمَنْ يَمْشِ في أرْضِ الهَوَى يَتَعَثَّرِ
تَنَكَّرْتَ حَتَّى اخْتَرْتَ لي مِعْوَلَ الهَوَى
فَلَيْتَكَ لَمْ تَغْضَبْ ، وَلَمْ تَتَخَيَّرِ
أروسُ غُلامي ، إنَّ في النَّفْسِ حاجَةً

أوروس :

وَعِنْدِيَ أقْصَى طاعَةِ العَبْدِ فَأْمُرِ

أنطونيو :

أروسُ أرَى الدُّنْيا بِعَيْنَيَّ أظْلَمَتْ
وَكانَـتْ قَديمـاً كالصَّبـاحِ المُنَـوَّرِ
وَضاقَتْ بِيَ الأرْضُ الفَضاءُ ، فَكُلُّها
سَبيـلُ طَريـدٍ ضائِعِ الـدَّمِ مُهْـدَرِ [(٧)]
غَوَيْتُ وَأَوْفَى بِيَ عَلى الحُفْرَةِ الهَوَى
فَخِفْتُ ، وَمَنْ يَرْكَبْ شَفا الجُرْفِ [(٨)] يُذْعَرِ
قُشَعْرِيرَةُ الخَوْفِ اعْتَرَتْني ، وَلَمْ تَكُنْ
إذا ما اقْشَعَرَّتْ تَحْتِيَ الأرْضُ تَعْتَري
مُلِئْتُ مِنَ الأحْداثِ رُعْباً ، فَضُمَّني
إلَيْكَ – وَقَرِّبْ مِنْ إزارِكَ [(٩)] مِئْـزَري
أرَى المَوْتَ مَمْدودَ اليَدَيْنِ كَمُنْقِذٍ
لِمِثْلِيَ مِـنْ غَرْقَى الحَياةِ مُسَخَّـرِ
دَعاني وَلَوْ أنّي عَلى النَّفْسِ مُشْفِقٌ
مَدَدْتُ إلَيْـهِ الكَفَّ لَـمْ أتَأخَّـرِ
أروسُ أرَى الماضي يَطِيفُ [(١٠)] خَيالُهُ
وَتَعْرِضُ لي أحْلامُهُ فـي التَّذَكُّـرِ
ذَكَرْتُ بِروما أرْبُعِـي وَمَلاعِبِـي
وَأيْنَ ضِفافُ النِّيلِ مِنْ شَطِّ تِيبَرِ [(١١)] ؟

(١) مِلاك الأمر (بفتح الميم وكسرها) قوامه أو عنصره الجوهري .
(٢) النّوى : البُعد والفراق . (٣) المكامن : جمع مَكْمَنْ وهو الموضع يُسْتَخْفى فيه . (٤) الشِّباك : جمع شبكة وهي شرك الصيّاد . (٥) الأليّة : اليمين . (٦) حُمَّ : وقع .

(٧) الدم المهدَر : الدم المباح . (٨) شفا الجرف : حرفه .
(٩) الإزار : الثّوب . ومثله المئزر . (١٠) يَطيفُ : لغة في يطوف بمعنى يحوم ويدور . (١١) تِيبَر : نهر في إيطاليا .

وَأَيَّامَ يَدْعُونِي الهَوَى فَأُجِيبُـه
وَيَنْفُخُ فِـي البُوقِ المُنادي فَأَنْبَرِي
فَتَنْتُ الغَوانِي بُرْهَةً وَفَتَنَّنِـي
وَلَكِنَّنِي عَـنْ سُؤْدُدٍ لَمْ أُقَصِّرِ
فَهِمَّةُ قَلْبِي فِي شَرابٍ وَصَبْوَةٍ (١)
وَهِمَّةُ نَفْسِي فِـي عَلاءٍ وَمَفْخَرِ
أُروسُ ، تَواقَفْنا عَلى كُلِّ غَمْرَةٍ
وَكُلِّ مَجـالٍ ثائِـرِ النَّقْعِ أَكْـدَرِ
وَفِي مِهْرَجانِ الفاتِحِينَ وَعُرْسِهِمْ
وَتَحْتَ لِـواءٍ ، أَوْ عَلـى عُودِ مِنْبَـرِ
فَمالَتْ بِنا الدُّنْيا فَصِرْنا بِمَوْقِفٍ
شَديدٍ عَلـى الأَبْطـالِ ، بِالذُّلِّ مُشْعِـرِ
نَرَى الأَرْضَ فِيهِ وَالسَّماءَ تَناهَتا
إِلـى فَلَكٍ نَحْسِ الجِهـاتِ مُسَمَّـرِ
فَكَيْفَ مُقامِي يا أُروسُ عَلى الأَذَى
وَصَبْرِي عَلى العَيْشِ الذَّليلِ المُكَدَّرِ ؟

أوروس :

أَجَلْ قَيْصَرٌ اعْتَضْنا مِنَ العِزِّ ذِلَّةً
وَمِنْ حِلْيَةِ الأَعْلامِ عُطْلَ التَّنَكُّرِ
فَهُنَّا كَأَنْقاضِ الحُصُونِ عَلى الثَّرَى
وَضِعْنا عَلَيْهِ كالقَنا المُتَكَسِّـرِ
نَهِيمُ كَأَبْناءِ السَّبيلِ ، وَطالَمـا
أَخَفْنا سَبيلَ العاهِـلِ (٢) المُتَكَبِّـرِ
وَما مَنْزِلُ الأَبْطالِ إِلا رَحَى الوَغَى
إِذا هِيَ دارَتْ ، أَوْ رُواقُ المُعَسْكَرِ (٣)

أنطونيو :

فَماذا تَرى أُوروسُ ؟

أوروس :

رَأْيُـكَ أَوَّلُ
وَعِنْدَكَ تُرْجَى نَظْرَةُ الصِّدْقِ فَانْظُرِ
لَقَدْ عِشْتُ ظِلًّا ، لا أَرى غَيْرَ ما تَرى
وَلا خَيْرَ فِي الرَّأْيِ التَّبيعِ المُسَيَّرِ

أنطونيو :

أُروسُ ، أَنا الأَعْمَى وَأَنْتَ هِيَ العَصا
فَخُذْ بِزِمـامِ العاجِـزِ المُتَحَيِّـرِ

أوروس :

أَرَى ما يَراهُ العاجِزونَ إِذا جَـرَى
عَلَى النَّفْسِ مَحْتُومُ القَضاءِ المُقَدَّرِ

أنطونيو :

وَماذا يَقُولُ العاجِزونَ إِذا ابْتُلوا ؟

أوروس :

يَقولونَ : حُكْمُ اللهِ يا نَفْسُ فاصْبِرِي

أنطونيو :

أُروسُ ، يَقُومُ العاثِـرونَ ، وَقَلَّمـا
يُقالُ (٤) عِثارُ الكَوْكَبِ المُتَغَوِّرِ (٥)
أُروسُ ، أَ لَمْ تَفْهَمْ ؟ هُوَ الذُّلُّ فاشْفِنِي
بِضَرْبَةِ سَيْفٍ ، أَوْ بِطَعْنَةِ خِنْجَرِ
فَإِنَّكَ حُـرٌّ إِنْ فَعَلْـتَ ، وَفائِـزٌ
بِسَيْفِي وَأَثْوابِي وَدِرْعِي وَمِغْفَرِي (٦)

أوروس :

مَعاذَ خِلالِ البِرِّ مَوْلايَ ! أَعْفِنِي
فَلَيْسَ يَدِي تَقْوَى ، وَلا السَّيْفُ يَجْتَرِي
وَأَنْتَ الَّذي لَوْ بِيعَ بِالرُّوحِ وُدُّهُ
وَما لِي سِوَى رُوحِي تَقَدَّمْتُ أَشْتَرِي

(١) الصَّبوة : الميل إلى اللهو .
(٢) العاهل : الملك الأعظم يحكم شعوبا مختلفة .
(٣) رواق المعسكر : (بضم الراء وكسرها) بيت كالفسطاط يُحمل على عمود واحد ، والمراد خيام المعسكر .
(٤) يُقال : يُصفح عنه ويُتجاوز
(٥) المتغوِّر : الذاهب بعيداً في غور الأرض وعمقها .
(٦) المِغْفَر : حِلَقٌ تُنسج من الدروع على قدر الرأس ، تُلبس تحت القَلَنْسُوة .

لآلِهَةِ الرُّومانِ أشْكوكَ قَيْصَــــرِي
ظَلَمْتَ فَلَمْ تُنْصِفْ وَلائي وَتَقْدُرِ [١]
أ تَجْعَلُ في المِيزانِ حُبِّي وَطاعَتي
وَشَتَّى عُروضٍ مِنْ ثِيابٍ وَجَوْهَرِ ؟
لَقَدْ جادَ لي بالسَّيْفِ وَالدِّرْعِ قَيْصَرٌ
وَجُدْتُ بِأَيَّامِ الحَياةِ لِقَيْصَــــرِ

(يطعن نفسَه بخنجره)

أنطونيو :

أوروسُ ، عفْواً قَدْ ذَهَبْتَ ضَحِيَّةً
وَجَنَى عَلَيْكَ تَرَدُّدِي المَمْقُوتُ
فَعَلِمْتَ مِنِّي كَيْفَ يَجْبُنُ قَيْصَرٌ
وَعَلِمْتُ مِنْكَ العَبْدُ كَيْفَ يَموتُ

(يطعن أنطونيو نفسَه فيخرُّ على الأرض جريحاً)

(ينتقل المشهد إلى داخل المعبد ، حيث يدخل أنوبيس إلى حجرته ويناجي أفاعيه)

أنوبيس :

هَلُمَّ لكُنَّ بَناتِ التِّلالِ
وَجِنَّ الخَرائِبِ مِنْ صَالِحَجَــرْ
تَبَدَّلَ مِنْ حَوْلِكُنَّ المَكانُ
وَأَيْنَ القِفارُ ؟ وَأَيْنَ الحُجَــرْ ؟
يَدُ العِلْمِ وَهْيَ حَدِيدِيَّةٌ
حَوَتْكُنَّ مِنْ جَنَباتِ الحُفَــرْ
وَجاءَتْ بِكُنَّ إلى حُجْرَتي
أسارَى القَوارِيرِ [٢] ، رَهْنَ الصُّرَرْ [٣]
أَرَابَنِيَ النَّاسُ في أَمْرِكُن
وَصِرْتُ حَدِيثَهُـــمُ وَالسَّمَــرْ
وَقِيلَ : أنوبيسُ حاوٍ تَسِيلُ
إِلَيْهِ الأفاعِي إذا ما صَفَــرْ

وَما فِتْنَتي بِجُلودٍ لَكُــــنَّ
مُرَقَّشَةٍ كَإِهــابِ [٤] النَّمِــــرْ
وَلا بِهَياكِلَ مِثْلِ العِصِــــيِّ
مِنَ اللَّحْمِ ، لا مِنْ فُروعِ الشَّجَرْ
وَلا بِرُءُوسٍ كَـدِقِّ الحَصَــــا
وَلا بِعُيونٍ كَوَقْـدِ الشَّــرَرْ
وَلكِــنْ أزاوِلُ عِلْـمَ السُّمُــومِ
وَعِلْمُ السُّمـومِ جَليـلُ [٥] الخَطَــرْ
لَقَدْ كـانَ لـي فـي مُعاناتِـهِ
تَجارِيبُ أَنْفَقْتُ فيها العُمُــــرْ
إلى أنْ نَجَحْتُ ، نَعَمْ قَدْ نَجَحْتُ
وَعاقِبَـةُ الصَّابِرِيـنَ الظَّفَـــــرْ
فَكَمْ قَـدْ شَفَيْتُ بِطِبِّي اللَّديغَ
وَأَيْقَظْتُ مِنْ نَزْعِـهِ المُحْتَضَرْ [٦]
فَقيــلَ : إِلَـهٌ أعـادَ الحَيَـــاةَ
إلى المَيْتِ ، أَوْ خِدْنُ [٧] جِنٍّ سَحَرْ
صَنَعْتُ مِـنَ السُّمِّ تِرْياقَهُ [٨]
وَقَدْ يَخْتَفِي النَّفْعُ تَحْتَ الضَّرَرْ
وَأَنْتُنَّ وَالنَّاسُ قَـدْ تَلْتَقُونَ
فَفِيكُنَّ شَـرٌّ وَفـي النَّاسِ شَـرّْ

(يدخل حابي خلسة)

أنوبيس :

وَتَقْتُلْنَ عُمْيَ عُيونِ السِّلاحِ
وَيَقْتُلُ قاتِلُهُمْ عَـنْ بَصَرْ
لِسانُ ابْنِ آدَمَ أَوْ نابُكُنَّ
كِلا السَّائِلَيْنِ لُعابُ القَدَرْ

حابي :

سلامٌ أبتي

---

(١) تَقْدُرُ : تعرف قَدْره .
(٢) القوارير : جمع قارورة ، وعاء من الزجاج للحفظ .
(٣) الصُّرر : جمع صُرَّة ، ما يُجمع فيه الشيء ويُشدّ .
(٤) الإهاب : الجلد . (٥) جليل الخطر : عظيم الخطر .
(٦) المُحْتَضَر : من شارف الموت .
(٧) الخِدْن : الصديق . (٨) التِّرياق : شفاء السُّم .

أنوبيس :

حابي ؟

سَلامٌ لَكَ يا حابــي

حابي :

أَ مَشْغولٌ أَبي الْيَوْمَ

بِذاتِ القَــرْنِ وَالنَّابِ

وأَنْطُنْيــوس مَهْزومٌ

وَأُكْتافيو عَلى الْبابِ ؟

أنوبيس (باستخفافٍ وهو يُشير إلى أفعى) :

حابي ، تَقَهْقَرْ ناحِيَهْ

تِلْكَ الخَبيثَةُ داهِيَهْ !

(يتقهقر حابي قليلاً بينما يلهو الكاهن أنوبيس بالحِقاق والقَوارير)

تِلْكَ القَواريرُ وَذي الحِقَاقُ

غَوْثٌ إلى مُسْتَنْجِدٍ يُساقُ

لِكُلِّ سُمٍّ عِنْدَها تِرْياقُ !

حابي :

أَبَتي ، مَــنْ لِلرَّعِيَّهْ

مَــنْ لأَوْطاني الشَّقِيَّهْ ؟

خَلِّ حَيَّاتِكَ في الأَسْـ

ـفاطِ [1] ، وَاشْعُرْ بِالرَّزِيَّهْ

بَعْدَ حينٍ تَمْلأُ الوا

دي الأَفاعــي البَشَرِيَّهْ

أَبَتي ، نَحْنُ مِنَ اليَوْ

مِ عَبِيــدُ القَيْصَرِيَّــهْ

أَدْنِ أُذْنَيْكَ على قُدْ

سِهِمَا مِــنْ أُذُنَيَّــهْ

وَاسْمَعِ البُوقَ تَجِدْ مِنْ

أَحْرُفِ الرِّقِّ دَوِيَّــهْ

أنوبيس :

حابي ، تَقَبَّلْ هَذِهِ القِنِّينَهْ

وَاقْبِضْ عَلَيْها بِيَدٍ ضَنِينَهْ [2]

فَإِنَّها ذَخِيرَةٌ ثَمِينَهْ !

حابي (لنفسه) :

يَا لَلسَّماءِ لأَبـي !

تُراهُ يَسْتَهْزِئُ بـــي ؟

وَيْحٌ لَهُ ، عَسَاهُ جُـ

ـنَّ أَوْ لَعَلَّهُ نَبِـــي

أَوْحَتْ لَهُ السَّماءُ عِلْـ

ـمَ غَيْبِها المُحَجَّـــبِ

يَعْلَمُ مَنْ يُلْدَغُ مِنْ

رَقْطاءَ ، أَوْ مِــنْ عَقْرَبِ

لأَحْمِلَنَّ حُقَّـــهُ

مِثْلَ تَميمَـةِ [3] الصَّبِـي

يَا لَكَ شَيْخًا طَيِّـبًا

يَأْتي بِكُلِّ طَيِّـــبِ !

(مخاطبًا أنوبيس الكاهن)

رِيعَ الحِمَى أَبي ، فَكَيْـ

ـفَ لِلْحِمَى لَمْ تَغْضَبِ ؟

دَعِ الأَفاعِي وَاشْتَغِـلْ

بِالأُفْعُــوانِ الأَجْنَــبِ

الوَطَــنُ المَلْدوغُ أَوْ

لَــى اليَوْمَ بِالْمُطَبِّـــبِ

أنوبيس :

وَأَيْنَ كُنْتَ يا فَتَى ؟

وَأَيْنَ فِتْيانُ الحِمَـــى ؟

وَأَيْنَ فُرْسانُ المَقـا

لِ ؟ هَلْ مَضَوْا إلى الوَغَى ؟

(١) الأسفاط : جمع سَفَط ، وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء .

(٢) الضَّنينة : الشديدة الحرص .

(٣) التميمة : ما يُعلّق في عنق الصبي لدفع الحسد .

أدَرْتُمُــو وُجُوهَكُـــمْ
ساعَـــةَ دَارَتِ الرَّحَـــى
تَرَكْتُمُــو أنطونيـــو
سَ وَحْدَهُ يَلْقَــى العِـــدَا
مِنْ أجْلِكُمْ سَلَّ الحُسا
مَ ، وَإلَى الحَرْبِ مَشَــى
ما كانَ ضَرَّكُمْ لَوِ الْـ
ـتَفَفْتُمُــو عَلَــى اللِّـــوَا ؟
أ بَعْدَ أنْ حَلَّ عَلَى النِّـ
ـيلِ وَ وادِيـــهِ القَضَـــا
وَلَمْ يَجِدْ مِـــنْ شِيبِهِ
وَلا شَبابِـــهِ فِـــدَا
أتَيْتَ تَدْعوني كمـــا
تَدْعو العَجائِزُ السَّمَـــا ؟
الرَّأيُ لَيْسَ نافِعًـــا
إذا أوَانُـــهُ مَضَـــى

(يدخل جنديٌّ من حرس الملكة)

الجندي :

مَوْلايَ ، ذَاتُ الجَلالَهْ

أنوبيس :

المَلِكَةُ الآنَ عِنْدي ؟

(تدخل كليوباترا في حاشيتها)

كليوباترا :

تَحِيَّةً يا أبَتِ

أنوبيس :

سَيِّدَتِي في حُجْرَتي ؟
مُرِي بِما شِئْتِ يَكُنْ
وَإنْ تَحَدَّى قُدْرَتـــي

كليوباترا :

أبي ، أ عَلِمْتَ أنَّ الجَيْشَ وَلَّى
وَأنَّ بَوارِجي أبَتِ المُضِيَّا ؟

أنوبيس :

عَلِمْتُ وَكانَ ذلِكَ في حِسابي
وَذا حابي بِهِ أفْضَى إلَيَّا

كليوباترا :

وَهَلْ نَبَّاكَ عَـــن أنطونيُـــوسٍ
وَكَيْفَ جَرَتْ هَزِيمَتُهُ عَلَيَّا ؟
وَمـــا أدْري أ أرْدَوْهُ قَتيـــلاً
صباحَ اليَوْمِ ، أوْ أخَذُوهُ حَيَّا ؟
أبي ، ذَهَبَ الحَليفُ فَكُنْ حَليفي
فَقَدْ أصْبَحْتُ لا أجِدُ الوَلِيَّا [1]
أبي خِفْـــتُ الحَـــوادِثَ

أنوبيس :

لا تُراعِـــي
لَباةُ [2] النِّيلِ لَيْسَ تَخافُ شَيَّا

كليوباترا :

أبي ، لا العَزْلَ خِفْتُ ، وَلا المَنايا
وَلكِــنْ أنْ يَسيـروا بـي سَبِيَّا
أ يُوطَأُ بِالمَناسِمِ [3] تَـاجُ مِصْـرٍ
وَثَمَّةَ شَعْرَةٌ في مَفْرِقَيَّـــا ؟

أنوبيس (باستخفاف) :

لِتَأتِ المَقاديرُ ، أوْ فَلْتَـــذَرْ
تَعالَيْ كليوباترا ، ألْقِ النَّظَـــرْ

كليوباترا :

أفاعٍ ؟ أبي نَحِّها ، أخْفِها !
أعوذُ بِإيزيسَ مِـــنْ كُلِّ شَـــرّ
فَمَاذا تُريدُ بِإحْرازِهِـــنَّ ؟
وَهَلْ يَقْتَني عاقِلٌ ما يَضُرّ ؟

---

(١) الولي : النّصير والمحب .
(٢) اللباة : أنثى الأسد .
(٣) المناسم : جمع منسم ، وهو طرف خف البعير ، والمراد الأقدام.

أنوبيس :

أتيتُ بِهِنَّ لِدَرْسِ السُّمومِ
وَلَمْ أَخْلُ في عِلْمِها مِنْ نَظَرْ
أداوِيُ بِها أَوْ بِتِرْياقِها
مُحِبَّ الحَياةِ أَوِ المُنْتَحِرْ

كليوباترا (كأنما تُحدِّث نفسها) :

مُحِبَّ الحَياةِ أَوِ المُنْتَحِرْ !
كَفى أَيُّها الشَّيْخُ ! بَلْ هاتِ زِدْ
فَما بِيَ خَوْفٌ ، وَلا بي خَوَرْ [١]
وَإِنْ تَكُ بي خَشْيَةٌ في النِّساءِ
فَلِي جُرْأَةُ المَلِكاتِ الكُبَرْ [٢]
تَكَلَّمْ ، فَلَيْسَتْ سُمومُ الأَراقِـ
ـمِ في الخُبْثِ دُونَ سُمومِ البَشَرْ
فَيارُبَّ صَفْوٍ سَقَيْتُ الرِّجالَ
فَلَمَّا تَرَوَّوْا سَقَوْني الكَدَرْ

أنوبيس :

قِصارٌ ، وَهُنَّ سِهامُ المَنونِ
وَلَيْسَ يَعيبُ السِّهامَ القِصَرْ
تَمَسُّ الفَريسَةَ مَسَّ السِّنانِ
وَتَمْضِي مَضاءَ الحُسامِ [٣] الذَّكَرْ
وَكُلُّ الذي لَمَسَتْ مَقْتَلٌ
وَلَوْ أَنْشَبَتْ نابَها في ظُفُرْ
إذا جَرَحَتْ لَمْ تَقُمْ عَنْ دَمٍ
كَذَلِكَ يَجْرَحُ سَهْمُ القَدَرْ
وَمائِتُها لا يُحِسُّ المَنونَ
كَمَنْ ماتَ في النَّوْمِ لا يُحْتَضَرْ

كليوباترا (مردِّدة قولَهُ في صوتٍ خافت) :

وَمائِتُها لا يُحِسُّ المَنونَ
كَمَنْ ماتَ في النَّوْمِ لا يُحْتَضَرْ !
وَلَكِنْ أَبي هَلْ يُصانُ الجَمالُ ؟

أنوبيس :

نَعَمْ لا يَحولُ [٤] وَلا يَنْدَثِرْ

كليوباترا :

وَهَلْ يُطْفَأُ اللَّوْنُ ؟

أنوبيس :

لا : بل يُضِيءُ
كَما رَفَّ [٥] بَعْدَ القِطافِ الزَّهَرْ

كليوباترا :

وَهَلْ يُبْطِلُ المَوْتُ سِحْرَ الجُفو
نِ ، وَيُبْلي الفُتورَ [٦] ، وَيُفْني الحَوَرْ [٧] ؟

أنوبيس :

كَعَهْدِ العُيونِ بِطَيْفِ الكَرَى
إذا الجَفْنُ ناءَ بِهِ فَانْكَسَرْ

كليوباترا :

أبي ، وَالشِّفاهُ ؟

أنوبيس :

لَواقي الذُّبو
لِ كَما اخْتُضِرَ الأُقْحُوانُ النَّضِرْ
وَما المَوْتُ أَقْسَى عَلَيْها فَما
وَلا قُبْلَةً مِنْ عَوادِي [٨] الكِبَرْ

كليوباترا :

وَما عَضَّةُ النّابِ ؟

---

(١) الخَوَر : الضَّعف .
(٢) الكُبَر : جمع الكُبْرى من العظمة والشرف .
(٣) الحُسام الذَّكر : السيف ، إشارة إلى أنه مذكر في حين أن الرمح صاحب السنان مؤنث .
(٤) يحول : يتغيَّر . (٥) رفَّ النبات : اهتز من الرِّيِّ والنضارة .
(٦) الفُتور : انكسار النظر .
(٧) الحوَر : شدة البياض في بياض العين مع شدة السواد في سوادها .
(٨) عوادي الكِبَر : جمع عادية ، والمراد آثار تقدم السِّنّ .

أنوبيس :

وَخزٌ أخفُّ

وأهْوَنُ مِنْ وَخَزاتِ الإبَرْ

كليوباترا :

وَما شَبَحُ المَوْتِ ؟

أنوبيس :

ماذا أقولُ ؟

كليوباترا :

تُمَثِّلُهُ لي كَأنْ قَدْ حَضَرْ

أنوبيس :

زَعَمْتِ ابْنَتي المَوْتَ شَخْصاً يُحَسُّ
وَعَظَّمْتِ مِنْ خَطْبِهِ ما صَغُرْ
وَما هُوَ إلا انْطِفاءُ الحَيَاةِ
وَعَصْفُ الرَّدى بِسِراجِ العُمُرْ
وَلَيْسَ لَهُ صُورَةٌ في العُيونِ
عَلى قُبْحِ صُورَتِهِ في الفِكَرْ
إذا جاءَ كانَ بَغيضَ الوُجُوهِ
وَإنْ جِيءَ كانَ حَبِيبَ الصُّوَرْ

كليوباترا :

إذَنْ هَذِهِ الرُّقْطُ [1] في ذِمَّتي
فَصُنْهَا ، وَأحْسِنْ عَلَيْها السَّهَرْ
وَأقْسِمْ لِتَأْتِ [2] إلَيَّ بِهِنَّ
وَلَوْ أنَّ دوني الظُّبَا [3] وَالسُّمُرْ [4]

أنوبيس :

يَميناً بِإيزيسَ أحْمِلُهُنَّ
إلَيْكِ وَلَوْ في سِلالِ الخُضَرْ
إذا باتَ في خَطَرٍ تاجُ مِصْرَ
سَبَقْتُ إلَيْكِ بِهِنَّ الخَطَرْ

كليوباترا :

أ تَجْعَلُ لي يا أبي آيَةً [5]
أمِيزُ الرَّسولَ بِها إنْ حَضَرْ ؟

أنوبيس :

هُوَ التِّينُ أبْعَثُ حابي بِهِ
وَبِالرُّقْطِ بَيْنَ غُصُونِ الثَّمَرْ

* * *

اِبْنَتي ذَلِكَ مِحْرا
بي ادْخُلِيهِ لِلصَّلاةْ
وَاسْكُبي الدَّمْعَ عَسى أنْ
يَقْبَلَ الدَّمْعَ الإلَهْ
هُوَ ذُو المُلْكِ الَّذي يَبْـ
ـقَى ، وَيَفْنَى مَا سِواهْ

(خارجَ الهيكل – ثلاثةُ جنود رومانيّة)

الجندي الأول :

تَحْيَا رُوما يَحْيَا قَيْصَرْ

الجندي الثاني :

رُوما العُظْمَى أبَداً تُنْصَرْ

الجندي الثالث :

مَا ذاكَ ؟ ما فوق الطَّريقِ ؟ ما أرَى ؟
مِيلا رَفيقَيَّ مَعِي لِنَنْظُرَا

الأول :

هُنَاكَ مَقْتُولانِ ضَرَّجَا [6] الثَّرَى

الثاني :

نَعَمْ أرَى ثَمَّ دَمَاً وَخِنْجَرَا
وَهَيْكَلَيْنِ مِنْ حَيَاةٍ أقْفَرَا

---

(١) الرُّقط : جمع رقطاء ، نوع من الحيات لونه مؤلف من بياض وسواد .

(٢) ترك نون التوكيد الواجبة رعاية للوزن .

(٣) الظُّبا : جمع ظُبَة ، حد السيف .

(٤) السُّمر : جمع أسمر ، الرمح .

(٥) الآية : العلامة .

(٦) ضرَّجا الثَّرى : صبغا التراب بالدم .

الثالث :

جُبّارُ يا مُصرِّفَ الحُروبِ
بَارِكْ لَنا في هَذِهِ الجُيُوبِ
وَابْعَثْ لَنا بِالذَّهَبِ المَحْبُوبِ

الأول :

يا عَجَبَ الأَقْدارِ ! أَنْطُونْيوسُ ؟

الثاني :

أَنْطُونْيو ! أَجَلْ وَذَا أُوروسُ !
وَأَحْسَبُ السَّيِّدَ ماتَ بِيَدِهْ
ثُمَّ حَذَا العَبْدُ مِثالَ سَيِّدِهْ
لَهْفِي عَلى أَنْطُونْيو في مَرْقَدِهْ

(يئنّ أنطونيو ثم يحرّك رأسه ويتبيّن الجنود)

أنطونيو :

وَيْحِي أَ حَيٌّ أَنا جَرِيحٌ ؟
ماذا يُرِيدُ القَضاءُ ماذا ؟
جُنودُ أَكْتافَ أَدْرِكُوني
يا لَيْتَني مِتُّ قَبْلَ هَــذَا

جندي :

لا ، بَلْ جُنودُكَ لَكِــنْ
خانوكَ حُبًّا لِرومــا

آخر :

وَما نَسُــوكَ عَلَيْهِــمْ
تَحْتَ اللِّواءِ زَعِيما
تَرْمي بِهِمْ مَطْلَعَ الشَّمْــ
ــسِ أَوْ تَؤُمُّ [1] النُّجوما

أنطونيو :

يا جُنودي وَصِحابِــي
لَيْسَ ذا وَقْتَ العِتــابِ
اُتْرُكُوني وَعَذابي

(يُغمى عليه)

جندي :

لَهْفِي عَلَيْهِ ! عـادَةُ الإِغْمـاءُ
وَأَوْشَكَتْ تَنْزِفُـهُ [2] الدِّمـاءُ
وَلَيْسَ إِسْعافٌ وَلَيْسَ ماءُ

آخر :

هَلُمّا احْمِلاهُ ، هَلُمّا احْمِلا
وَجِيئَا بِمَوْلاكُما الهَيْكَلا
وَأَمْضي فَأُبْلِغُ أُكْتافِيو الــ
ــحَدِيثَ أُعَرِّفُهُ المَنْــزِلا

(في حجرة الكاهن – كليوباترا والكاهن والحاشية عائدين من المحراب)

كليوباترا :

أَبِي دَخَلْتُ وَنَفْسي
حَيْرى الزِّمامِ [3] حَزِينَهْ
وَقَدْ تَرَكْتُ المُصَلَّى
وَمِلْءُ قَلْبي سَكِينَــهْ
إِنَّ الصَّلاةَ عَلى شِدَّ
ةِ الزَّمــانِ مُعِينَــهْ

(يُسمع صوت الجندي من الخارج)

كليوباترا :

ما تَسْمَعونَ ؟ أَصِيخُـوا
شَرٌّ وَهَذا بَرِيــدُهْ [4]
كانَ الضَّجِيجُ بَعِيـداً
وَالآنَ يَدْنو بَعِيــدُهْ

حابي :

أَ سَمِعْتُمْ ؟ ضَجَّةٌ صاخِبَةٌ
وَجَرِيحٌ وَجُنودٌ في الطَّرِيقْ
هَا هُمُو قَدْ دَخَلُوا الدَّارَ بِهِ

أنوبيس :

دَارُنا الشَّاطِئُ لا يَأْبَى الغَرِيقْ

---

(١) تؤمّ : تقصد .

(٢) تنْزفه الدماء : تُضعفه بكثرة خروجها منه .

(٣) الزِّمام : المِقْوَد . (٤) بريدُه : رَسوله .

حابي :

هَا هُمُو قَدْ حَضَرُوا

أنوبيس :

يا مَرْحَبًا أ عَدُوًّا كَانَ أَمْ كانَ الصَّدِيقْ ؟

(يدخل الجنديّان اللذان يحملانِ أنطونيوس)

كليوباترا :

وَيْحَ عَيْني ماذا ترى ؟ وَمَن المحْـ

ـمُولُ كالسَّيفِ في الأَكُفِّ خَضيبا ؟ (١)

أيُّها الجُنْدُ ما بِأَيْديكُمُ اليَوْ مَ ؟

جندي :

جَريحٌ عَلى الطَّريقِ أُصيبـــا

كيلوباترا :

أ فتَدْرونَ مَنْ حَمَلْتُمْ ؟

جندي :

حَمَلْنا

هَيْكَلاً عَزَّ في الرِّجالِ ضَريبا (٢)

قَدْ عَرَفْناهُ خَيْرَ مَنْ هَزَّ رُمْحًا

وَنَضا (٣) صارِمًا وَلاقَى الحُرُوبا

(تتأمل كليوباترا في وجه الجريح)

كليوباترا :

آهِ أَنْطونْيو ! حَبيبـــي

أَدْرِكُونـــي بِطَبِيـــــبِ

ما تَرَوْنَ الأَرْضَ تَرْوَى

مِنْ دَمِ اللَّيْثِ الصَّبِيبِ (٤) ؟

أَبَتِ أَيْنَ قُوَى طِبِّـ

ـــكَ وَالسِّحرِ العَجِيـــبِ ؟

هُوَ في إِغْماءَةِ الجُرْ

حِ فَنَبِّهْـــهُ بِطِيـــــبِ

هُوَ ذا يَفْتَحُ عَيْنَيْـــهِ

وَيُصْغـــي لِنَحِيبـــي (٥)

أنوبيس(يُحاول إسعافَ الجريح) :

تِلْكَ أَنْفاسُهُ تَوالَى ، وَهَذَا

جِسْمُهُ لا يَزالُ غَضًّا (٦) رَطِيبا

هُوَ ذَا قَدْ تَخَلَّجَتْ (٧) شَفَتاهُ

وَتَهَيَّا لِسانُـهُ لِيَثُوبـــا (٨)

أَيُّها المَلْكَةُ ارْفُقي بِجَريحٍ

باتَ تَحْتَ الرِّداءِ جُرْحًا صَبيبا

لا تُناديهِ بالدُّموعِ مِرارًا

رُبَّما ضَرَّ جُرْحَهُ أَنْ يُجيبا

أنطونيو :

كليوباترا ! عَجَبٌ ! أَنْتِ هُنَا !

لَمْ تَموتي ! هُمْ إِذَنْ قَدْ كَذَبُونْ

كليوباترا :

سَيِّدي رُوحي حَياتي قَيْصَري !

أَنْتَ حَيٌّ ؟

أنطونيو :

بَعْدَ حِينٍ لا أَكُونْ

كليوباترا :

مَنْ نَعاني كَذِبًا ؟ مَنْ قالها لَكَ ؟

أنطونيو :

أولمبـــوسُ النَّـــذْلُ الخَـــؤُونْ

مَــرَّ فَاسْتَوْقَفْتُهُ أَسْأَلُـــهُ

قَـــالَ : ماتَتْ ، فَتَجَرَّعْتُ المَنُونْ

كليوباتـــرا ، زَوِّديني قُبْلَـــةً

مِنْ ثَناياكِ (٩) العِذابِ الشَّبِماتْ (١٠)

(١) الخضيب : من تغير لونه بالدم . (٢) الضَّريب : الشَّبيه والنَّظير . (٣) نضا : أخرج ، والصارم : السيف .
(٤) الصَّبيب : المسكوب أو المنحدر .

(٥) النَّحيب : صوت البكاء . (٦) الغضّ : الطريّ .
(٧) تخلّجت : تحرّكت . (٨) يثوب : يرجع .
(٩) الثَّنايا : الأسنان الأربع في مقدم الفم : ثنتان من فوق ، وثنتان من تحت .
(١٠) الشَّبِمات : جمع شَبِمة ، الباردة .

وأضيئي بِسَناها مُقْلَةً [1]
يُسْدِلُ [2] المَوْتُ عَلَيْها الظُّلُماتْ
سَيَقُولُ النَّاسُ عَنِّي في غَدٍ
مِنْ أولي الرَّحْمَةِ أَوْ أَهْلِ الشَّمات
بَطَلٌ لَمْ تَظْفَرِ الحَرْبُ بِهِ
في الهَوَى تَحْتَ لِواءِ الحُبِّ مَاتْ
(يُسْلِمِ الرّوح)

كليوباترا :

قَدْ تداعى مِحْوَرُ الأَرْ
ضِ وَمِيزَانُ الشُّعوبِ
مالَ كَالشَّمْسِ جَمالاً
وَجَلالاً في الغُروبِ
أَيُّها المَجْرُوحُ لَوْ تَدْ
ري جُرُوحي وَنُدوبي [3]
أَيُّها الذَّاهِبُ قَدْ آ
نَ عَنِ الدُّنْيا ذُهوبي
أَيُّها الخالِصُ وُدا
لَيْسَ وُدّي بالمَشُوبِ
أَيُّها الصَّادِقُ وَعْداً
لَيْسَ وَعْدي بِالكَذُوبِ
عَنْ قَريبٍ يَنْطوي القَبْـ
ـرُ عَلَيْنا ، عَنْ قَريبِ
كَلِّلُوهُ بِالرَّياحيـ
ـنِ وَبالغارِ الرَّطيبِ
وَاهْتِفوا في أُذْنَيْهِ
بِأَناشيدِ الحُروبِ

* * *

وَاحَبِيباهُ جاءَهُ المَوْتُ فاسْتَسْـ
ـلَمَ لا يَسْتَطيعُ إلَّا ذُهوبَا
كَانَ ما خِفْتُ أَنْ يَكُونَ وحَلَّتْ
نَكْبَةٌ لَمْ تفاجِئِ المَنْكوبَا
(تَسْتوي قائِمة)
أَيُّها الجُنْدُ ماتَ قَيْصَرُ فَابْكُوا
مَعِيَ السَّيِّدَ الجَسورَ الوَهُوبا
شَبِّكُوا سَاعِدَيْهِ مِنْ فَوْقِ صَدْرٍ
كانَ في الرَّوْعِ بِالمَنايا رَحِيبَا
وَاعْرِضُوا سَيْفَهُ عَلى رَاحَتَيْهِ
وَارْكُزُوا [4] الرُّمْحَ مِنْ يَدَيْهِ قَرِيبَا
لا بَلِ امْضُوا لِشَأْنِكُمْ جُنْدَ رُوما
وَدَعوني وَسَيْفَ [5] رُومَا السَّليبَا
أنا وَحْدي لَهُ دِيَارٌ وَأَهْـلٌ
إِنْ دَعا دارَهُ وَنادَى النَّسيبَا
(يَنسحِب الجنود)
وَيْحَ لي قَدْ طَلَبْتُ عِنْدَ طِبَاعِ النَّـ
ـاسِ ما عَزَّ عِنْدَهُمْ مَطْلوبَا
خَلَقَ النَّاسُ لِلْقَوِيِّ المَزايَا
وَتَجَنَّوْا عَلى الضَّعيفِ الذُّنوبَا
وَاحْتَفَوْا في الحَيَاةِ والمَوْتِ بِالْغا
لِبِ ، فَانْظُرْ هَلْ عَظَّمُوا مَغْلوبَا ؟
شَيَّعوا الشَّاةَ جيفَةً بِمُداهُمْ
واتَّقَوْا وَهْوَ في الرِّمامِ [6] الذِّيبَا

أنوبيس :

الوَقارَ الوَقارَ يا لَبْأَةَ النِّيـ
ـلِ ولا تَجْعَلي الزَّئيرَ النَّحيبَا
وَقفي لِلْخُطوبِ في عِزَّةِ المُلْـ
ـكِ وَفي كِبْرِهِ تُذِلّي الخُطوبَا

---

(١) المُقلة : العين .
(٢) يُسدل : يرسل ويرخي .
(٣) النُّدوب : جمع نَدَب ، أثر الجرح .
(٤) اركُزوا : ثبِّتوا . (٥) سيف روما : تعني أنطونيوس .
(٦) الرِّمام : البِلى .

(يدخل جندي من جنود أكتافيوس)

الجندي :

قَيْصَرُ أكتافيوسُ آتٍ
يَعُودُ أنطونيوسَ قَيْصَرْ

كليوباترا :

قَيْصَرَ ! فَرَّ الأسيرُ مِنْهُ
مَنْ في حَمِى المَوتِ لَيْسَ يُؤسَرْ

(يدخل أكتافيوس ومعه جنود)

أكتافيوس :

سَلامٌ مَلِكَةَ الوادي
سَلامٌ كاهِنَ المُلْكِ
يَقُولُ النّاسُ : أنطونيو
هُنَا ، لَمْ يَبْتَعِدْ عَنْكِ

كليوباترا :

نَعَمْ ، لَمْ نَفْتَرِقْ بَعْدُ
وَإنْ أمْعَنَ في تَرْكي
وَهَذا الجَسَدُ الفاني
جَلاءُ الرَّيْبِ والشَّكِّ

أكتافيوس :

إذَنْ قَدْ قُضِيَ الأمْرُ
وَصارَ اللَّيْثُ لِلْهُلْكِ
كليوباترةُ لا تَخْشَيْ
فَلَنْ آخُذَهُ مِنْكِ

كليوباترا :

أ بي تَهْزَأُ أمْ بالمَيْـ
ـتِ أمْ بِالمَوْقِفِ الضَّنْكِ[1] ؟
إنِ اسْتَطَعْتَ عَلى ما
لَكَ مِنْ بَطْشٍ وَمِنْ فَتْكِ
وَمَا حَوْلَكَ مِنْ خَيْلٍ
وَمَا تَحْتَكَ مِنْ فُلْكِ

فَخُذْهُ مِنْ يَدِ المَوْتِ
وَمِنْ عاجِزَةٍ تَبْكي

(يدنو جندي من جنود أكتافيوس ليتحقّق موتَ أنطونيوس)

كليوباترا :

مَكانَكَ يا عَبْدُ لا تَهتِكَنَّ
عَلى سَيِّدِ الهالِكينَ القِناعْ
تُرِيدُ لِتَكْشِفَ عَنْهُ الغِطاءَ
عَسَى تَحْتَهُ حِيلَةٌ أوْ خِداعْ ؟
عَبِثْتَ بِهِ وَهْوَ تَحْتَ الطيالِـ
ـسِ[2] مُلْقَى السِّلاحِ قَليلَ الدِّفاعْ
وَلَمْ تَحْتَشِمْ بُقَعًا مِنْ دَمٍ
عَلَيْهِنَّ تَحْسُدُ مِصْرَ البِقاعْ
رُوَيْدَكَ[3] ، ما المَوْتُ مُسْتَبْعَدٌ
وَلا هُوَ مُسْتَغْرَبٌ مِنْ شُجاعْ
وَإنَّ التَّماوُتَ فِعْلُ الثَّعالِـ
ـبِ ، لَيْسَ التَّماوُتُ فِعْلَ السِّباعْ

أكتافيوس :

أناتَكِ سَيِّدَتي ، إنَّهُ
فَتًى طاهِرُ القَلْبِ حُرُّ الطِّباعْ
أرادَ لِيَحْتاطَ لي جُهْدَهُ
وَيُخْلِصَ في خِدْمَتي ما اسْتَطاعْ
تَنَحَّ أخا الجُنْدِ ما أنْتَ والمَيْـ
ـتَ لا يَقْرَبُ الشَّمْسَ إلا شُعاعْ !
أ تَأذَنُ سَيِّدَتي أنْ أطيفَ
بِخِدْنِ الصِّدامِ رَفيقِ الصِّراعْ ؟
وَمَنْ كُنْتُ تَحْتَ القَنَا ظِلَّهُ
وَمَنْ كانَ ظِلِّي تَحْتَ الشِّراعْ

---

(١) الضَّنْك : الضيق والشدة (يستوي فيه المذكر والمؤنث) .

(٢) الطيالس : جمع طَيْلسان ، ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن ، خالٍ عن التفصيل والخياطة .

(٣) رُوَيْدك : مَهْلَك .

وَكُنّا نَشِيدُ لِرومـا الفَخـارَ
وَنَجْني لها الغارَ مِنْ كُلِّ قَاعْ
وَنَأتـي القِـلاعَ فَنَحْتَلُّهـا
وَإنْ بَعُـدَتْ كَالنُّجـوم ِالقِـلاعْ
ونَرْكُزُ في السَّهْلِ أرْماحَ روما
وَنُطْلِعُ أعْلامَها في اليَفـاعْ [١] ؟

بِإذْنِكِ !

كليوباترا :

قَيْصَـرُ ، لا إذْنَ لـي
أ يَنْهَى وَيأمُرُ مَـنْ لا يُطـاعْ ؟
تَصَرَّفْ بِجُثْمانِهِ كَيْفَ شِئْتَ
فَلَيْسَ لَـهُ اليَوْمَ مِنْكَ امْتِناعْ
وَمَا جُثَّةُ اللَّيْثِ إلا لَقًى [٢]
إذا النَّابُ طاحَتْ [٣] أوِ الظُّفْرُ ضاعْ

(يتقدّم أكتافيوس فيرفع القناعَ عن وجه أنطونيو)

أكتافيوس :

لَقَدْ حَسَمَ المَوْتُ مـا بَيْنَنا
وَغَضَّ اللَّجاجَ [٤] ، وَفَضَّ النِّزاعْ
فَمِنْ حَقِّيَ اليَوْمَ ، بَلْ واجِبٌ
عَلَيَّ أُقَدِّسُـهُ أنْ يُضـاعْ
أُقَبِّلُ ما قَبَّلَ الغارُ مِنْـ
ـكَ ، وَأهْتِفُ أنْطُونيوسُ الوَداعْ

(ستار)

(١) اليفاع : المرتفع من الأرض .
(٢) اللَّقى : ما طُرِح وتُرِك لهوانه .
(٣) طاحت : سقطت .
(٤) غضّ اللّجاجَ : كفّ الخصومة .

الفصل الرابع

(في القصر الملكي في غرفة العرش ، شرفةٌ مطلّة على البحر . كليوباترا متكئة على حافةِ الشُّرفة ، شرميون وهيلانه في أقصى الحجرة تنهمر من عيونهما الدموع)

كليوباترا (كأنما تناجي نفسها) :

نامَ « مَرْكُـو » وَلَمْ أَنَـمْ
وَتَفَـرَّدْتُ بِالأَلَـمْ
لَيْتَ جُرْحـي كَجُرْحِـهِ
لَقِـيَ المَـوْتَ فَالْتَـأَمْ
قاتَـلَ اللّـهُ ماضِيًـا
قَتَـلَ المُفْـرَدَ العَلَـمْ [٥]
أَنْطُوانُ أُنْفُـضِ الكَـرَى
سَاعَةً ، وَانْقُلِ القَـدَمْ
قُـمْ كَأَمْـسِ اغْنَم ِالهَـوَى
وَاشْرَبِ الـرَّاحَ [٦] بِالنَّغَـمْ
وَتَخَيَّرْ عَلَـى المُنَـى
وَتَمَتَّـعْ مِـنَ النِّعَـمْ
وَاغْمُـرِ الأَرْضَ بِالقَنَـا
وَتَغَلَّـبْ عَلَـى الأُمَـمْ
وَقُدِ الخَيْلَ فـي الوِها
دِ [٧] ، وَ وَثْبًا إلـى القِمَـمْ
أَيُّهـا العَيْـنُ أَبْصِـري
إنّما كُنْتِ فـي حُلُـمْ !

(ملتفتة إلى شرميون)

يا شرميونُ بَلَغْنَا مَوْقِفًا حَرِجًا
لا الرَّأيُ يَنْفَعُنا فِيهِ وَلا البَاسُ

(٥) العلَم : سيد القوم . (٦) الرّاح : الخمر .
(٧) الوهاد : جمع وَهْدة ، الأرض المنخفضة .

لَمْ يَبْقَ ثَقْبُ رَجاءٍ كُنْتُ أَلْمَحُهُ
إِلَّا تَعرَّضَ حَتَّى سَـدَّهُ اليَاسُ
(تُلقي نظرة على الإسكندرية من الشُّرفة)
نَجْمي يُحَدِّثُني بِوَشْكِ أُفولِـهِ [1]
إِسكندريةُ : هَلْ أَقُولُ وَداعَـا ؟
وَشَيَّـتُ بَرَّكِ جَـدْوَلاً وَخَميلَةً
وَكَسَوْتُ بَحْرَكِ عُدَّةً وَشِراعَـا
وَأَنا اللَّبَاةُ وَقَـدْ مَلأْتُكِ غابَةً
وَأَنا المَهَاةُ وَقَـدْ مَلأْتُكِ قاعَا
قَدْ خِفْتُ مِنْ بَعْدي عَلَيْكِ مَمالِكاً
يُطْلِقْنَ فيـكِ الفاتحينَ سِباعَا
يَأْتِينَ زَرْعَكِ بِالرِّياحِ عَواصِفاً
وَيَجِئْنَ ضَرْعَكِ بِالذِّئابِ جِياعَا
فإذا الحَضَارَةُ بَعْدَ طـولِ بِنائِها
قَدْ دُكَّ رُكْنُ بِنائِها وَتَداعَـى

شرميون :

يايزيسَ سَيِّدَتِـي ، بِالـوَلاءِ
بِطولِ التَّعاشُرِ والمُصْطَحَـبْ [2]
بِما لي بِبابِكِ مِنْ خِدْمَـةٍ
وَمِنْ صُحْبَةٍ تُشْبِهانِ النَّسَـبْ
عَلَى أَيِّ وَجْهٍ أَدَرْتِ المَصِيـرَ
وَقَلَّبْتِ رَأْيَكِ في المُنْقَلَـبْ ؟
فَهَذا السُّكونُ يُثيرُ الشُّكـوكَ
وَهَـذا الهُدُوءُ يُثيرُ الرِّيَـبْ
وَماذا اعْتَزَمْتِ ؟ وَماذا كَتَمْتِ ؟
أَبيني فَما بَيْننا مِنْ حُجُبْ
وَلي فـي حَياتِكِ رَأْيٌ يُساقُ
وَلَيْسَ عَلَيَّ إِذا لَمْ يُصِبْ

(١) الأُفول : الغروب .
(٢) المُصْطَحب : الصُّحبة .

كليوپاترا :

إِذَنْ فاذْكُري أَنَّ خَصْمِي العَتِيدَ [3]
يَخافُ انْتِحاري وَيَخْشَى الهَرَبْ
وَلَيْسَ الَّذي يَشْتَهِي لي الحَيَاةَ
وَلَكِنْ لَهُ فـي حَياتي أَرَبْ [4]
لَهُ فـي غَدٍ مَوْكِبُ الفاتحينَ
إِذا أَقْبَلوا فـي جَلالِ الغَلَـبْ
يَجُرُّونَ فـي رُومَةَ الأُرْجُوانَ [5]
وَقَدْ بَرَزَتْ في الثِّيابِ القُشُبْ [6]
وَتَـزْدانُ بِالغـارِ هاماتُهُـمْ
إِذا ارْتَفَعَتْ في الخَميسِ [7] اللَّجِبْ
يُحـاوِلُ قَيْصَـرُ مِنّي المُحَـالَ
وَيَذْهَبُ فـي غَيْرِ وَجْـهِ الطَّلَبْ
يُريـدُ لِيَعْرِضَني فـي غَـدٍ
عَلَى شَعْبِ رُوما كَأَنّي سَلَبْ [8]
وَيَفْضَـحُ مِصْـرَ وَسُلْطانَهـا
وَتاجَ العُصورِ وَعَرْشَ الحِقَبْ [9]
لَقَـدْ ساءَ تَدْبيرُ أُكتافيُـوسَ
وَلَمْ يَلْقَ مِنْ خُدْعَتي ما أَحَبّ
(تسمع وَطْءَ أقدام)
مَاذا وَرَاءَ البابِ ؟

شرميون :

حِسٌّ قادِمٍ

هيلانه :

أَجَـلْ دَبِيبُ حـارِسٍ أَوْ خـادِمِ

(٣) العتيد : الحاضر المُهيَّأ .
(٤) الأرب : الحاجة الشديدة .
(٥) الأُرجوان : الثوب المصبوغ بالأحمر .
(٦) القُشُب : جمع قشيب ، الجديد .
(٧) الخميس اللَّجب : الجيش الكثير .
(٨) السَّلَب : ما يُسلب مما يكون مع القتيل .
(٩) الحِقَب : جمع حقبة .

كليوباترا :

بَلْ حارِسٌ جَــــافٍ [١]
مِنْ حَرَسِ القَصْـــرِ
مُعَرْبِــدُ [٢] الخَطْـــــوِ
مِنْ نَشْوَةِ النَّصْــرِ
لا تَسَــــعُ الأرْضُ
رِجْلَيْهِ مِــنْ كِبْـرِ

شرميون :

مَلْكَتي دَعِــــي
هَــذِهِ الفِكَـــرْ
جُنْـــدُ رُومَــــةٍ
يَعْبُـــدُ البِــدَرْ
فــي سَبيلِهـــا
يَرْكَبُ الغَــرَرْ [٣]

كليوباترا :

شرميون صَــــهْ
إنَّــهُ حَضَـــرْ

(يدخلُ حارسٌ)

الملكة :

ماذا وَراءَ الجُنْدِيِّ ؟

الحارس :

رِسالةٌ مِنْ عَبْدِ

هَلْ تَأذَنينَ ؟

الملكة :

أَدِّ

الحارس :

أَيُّها المَلْكَةُ قَدْ جـــا
ءَ إلى القَصْرِ غُـــلامْ
في ثِيابِ الحَقْلِ ، حُلْو الشْـــ
شَكْلِ ، مَمْشوقُ [٤] القَوَامْ
جــادَلَ الحُـــرَّاسَ فـــي
حِذْقٍ وَرِفْـــقٍ بِالكَلامْ
يَدَّعـــي أنَّ أبــــاهُ
كَانَ عَبْـداً لِلْمَقَــامْ
نَالَــهُ بُسْتـــانُ تيـــنٍ
مِــنْ أيادِيكِ الجِسَـامْ
فَهْوَ يُهْدي لَـكِ باكـــو
رَتَه فـي كُـلِّ عَـامْ

الملكة (هامسة) :

شرميونُ ذَاكَ حابـي
وَجَناهُ [٥] فــي يَمينِـــهْ
جاءَ في المِيقاتِ يُهْدي
لِـيَ باكُــورَةَ تِينِـــهْ

(للحارس)

أ لا تَقْبَلُ يا حـــارِسُ
مِنِّي هَــذِهِ البَـــدْرَهْ ؟

الحارس :

بِشُكْـــرانٍ وَهَبْهـــا
تَ عَلى الشُّكرانِ لي قُدْرَة

الملكة :

وَالآنَ لَوْ تُحضِرُ لي الفَلَّاحا
لَعَلَّهُ يُحْدِثُ لي انْشِراحـــا
إنّي نَسِيتُ البَسْطَ والمُزاحا

الحارس :

عَلَيَّ السَّمْعُ وَالطَّاعهْ
سَآتِيكِ بِــهِ السَّاعَـــهْ

(يخرج الحارس)

---

(١) الجافي : الغليظ السيئ الخُلق .
(٢) المُعَرْبِد : المؤذي . (٣) الغَرَر : الخطر .
(٤) الممشوق من الرجال : الخفيف اللحم .
(٥) الجَنى : ما يُجْنى من الشجر .

الملكة :

يا شرميونُ ، تعلّمي الدُّنيا ويا
هيْلانةُ ، اختبري الزَّمانَ القاسي
إنَّ الَّتي حُرِسَتْ بِأَبْطالِ الوَغَى
باتَتْ تُصانعُ سِفْلَةَ الحُرّاسِ

(يدخل حابي في ثياب فلاح ومعه الحارس)

هيلانة (همسًا) :

حابي ، نعم حابي وتلكَ نَظْرَتُهْ
وَهَذِهِ مِشْيَتُـــهُ وَخَطْرَتُـــهْ
يا لَيْتَ شِعْرِي ما تكونُ سَلَّتُهْ

حابي :

تَحِيَّـــةٌ لِلْمَلِكَـــهْ
وَنِعْمَـــةٌ وَبَرَكَـــهْ
وَنَفْسُ عَبْدِها لَهـــا
وَكُلُّ ما قَـــدْ مَلَكَهْ
سَيِّدَتي ، جِئْتُ إلـــى
بَحْرِكِ أَهْدِي سَمَكَهْ
أَحْمِلُ تِينًا وَلَوِ اسْـ
ـطَعْتُ حَمَلْتُ مَمْلَكَهْ

سَيِّدَتي

الملكة :

اُدْنُ فَإِنَّـــهُ ابْتَعَـــدْ
وَقُلْ فَما يَسْمَعُ غَيْرَنا أَحَدْ

حابي :

سَيِّدَتي

الملكة :

حابـــي ، أنوبيسُ اجْتَهَدْ
لنا وَأَنْجَزَ الغَداةَ ما وَعَدْ !
يُريدُ أَنْ يَشفيَني مِمَّا أَجِدْ
وَأَنْ يَقي مَمْلَكَتي عارَ الأَبَدْ

جِئْتَ كما يَأْتي لِوَقْتِهِ المَدَد
وَفَيْتَ لي حَابي ، وَلَمْ تَكُنْ تَفي
ضَعِ السِّلالَ وَانْصَرِفْ ، لا بَلْ قِفِ
حَتَّى تَرى كَيْفَ يَكونُ مَوْقِفي

(تلقي نظرةً على السِّلال)

ما لي مُلِئْتُ مِنَ المَنِيَّةِ رَهْبَةً ؟
إنَّ المَنِيَّةَ فــي رِقابِ النَّاسِ
آسي [1] الجِراحِ جَزِعْتُ عِنْدَ لِقائِــهِ
وَالنَّفْسُ تَجْزَعُ مِنْ لِقاءِ الآسي
إِنِّي طَوَيْتُ بِساطَ كُلِّ مُدامَةٍ
لَمْ يَبْقَ إلا شُرْبُ هَذِي الكاسِ
يا خادِمَيَّ ، بَـلِ ابْنَتَيَّ تَلَطَّفَا
في البَحْثِ حَتَّى تَأْتِيَا بِإِياسِ
فَعَسَى يُغَنِّيني نَشيدَ المَوْتِ ، أَوْ
نَغَمًا أَجُودُ عَلَيْهِ بِالأَنْفـــاسِ

شرميون :

مَلِكَتِي نـــادِي إياسَـــا
إِنَّـهُ بِالقُـرْبِ مِنْـــكِ
هُوَ في المَقْصورَةِ الأُخْـ
ـرَى مَعَ الباكينَ يَبْكي
فِكْرُهُ فيكِ وَلا يَجْـ
ـسُرُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْكِ

الملكة :

يا وَيْحَ صَحْبي بَعْدَ طُولِ سُرورِهِمْ
قَعَدُوا إلـــى أَحْزانِهِمْ يَبْكونَا
جِيئي بِهِمْ يا شرميونُ لِيَنْظُروا
جَلَدي [2] ، فَيَهْدَأَ بَعْضُ ما يَجِدونَا

(تخرج شرميون)

---

(١) الآسي : الطبيب .
(٢) الجَلَد : الصَّبر على المكروه .

كليوپاترا (تنحني على زَنبقة في أُصيص) :

زَنْبَقَةٌ فـــي الآنِيَــهْ
ضَحِيَّـــةُ الأنانِيَـــهْ
جَنَتْ عَلَيْها غُرْبَةُ الـــ
أسْرِ الأكُفُّ الجانِيَهْ
وَبُدِّلَتْ مِنْ سَعَةِ الرَّ
بْوَةِ ضِيقَ الباطِيَــهْ (١)
يَسْقونَها مِــنْ جَــرَّةٍ
بَعْـدَ العُيونِ الجارِيَهْ
يــا جارَتا شَأْنُكِ لا
يُشْبِهُ إلا شَانِيَـــهْ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلْكِي العَريـ
ـضِ غَيْرُ دارٍ خاوِيَهْ
وَكُلُّنــــا ذابِلَـــةٌ
عَمَّا قَليــلٍ ذاوِيَــهْ
زالَ النَّعِيـمُ وَفَرَغْـ
ـنا مِــنْ حياةٍ فانِيَهْ

(ترجعُ شرميون ومعها إياس وأنشو وغيرهم)

الملكة (إلى أنشو) :

أنشو يَعِزُّ عَلَيَّ أنَّكَ ساهِمٌ
يَبْدُو عَلَيْـكَ الهَـمُّ والتَّفْكيـرُ
أنشو أ لا قَوْلٌ يَسُرُّ وَضِحْكَةٌ ؟
إنَّ السَّعيدَ الضّاحِكُ المَسْرورُ
قَدْ كانَ أيْسَرُ ما صَنَعْتَ يَسُرُّني
أ عَلَى سُروري اليَوْمَ أنْتَ قَديرُ ؟

أنشو :

سَيِّدَتي جَرَى بِمَـــا
فيهِ سُرورُكِ القَـــدَرْ
مَنْ لا تَسُرُّهُ السَّما
ءُ لا يَسُرُّهُ البَشَـــرْ

الملكة :

إياسُ هَلْ مِنْ صَوْتٍ ؟
غَنِّ نَشيــدَ المَـــوتِ

(إياس يغنيّ هذا النّشيد)

يا طِيبَ وادِي العَـــدَمْ
مِنْ مَنْزِلٍ ، من مَنْزِلِ !
لَمْ تَمْشِ فِيـهِ قَـــدمْ
لِلعُـذَّلِ (٢) وَادٍ خَـــلِ
أنـــا فِـيهِ لِحَبيبـــي
وَحَبيبي فِيــهِ لـــي

* * *

يا مَوْتُ مِلْ بِالشِّراعْ
وَاحْمِلْ جَريـحَ الحَيَاهْ
سِرْ بِالقُلوعِ السِّــرَاعْ
إلى شُطُــوطِ النَّجــاهْ

* * *

شِرَاعُـــكَ الفِضّـــي
فـي لُجِّــهِ التِّبْـــري
كالحُلْمِ فـــي الغَمْـضِ
يَجْـري وَلا يَجْـــري

* * *

في ظِلِّ لَيْلٍ ساجْ (٣)
أقْسَـــمَ لا يَسْـــرِي
مُغَلَّـــلٍ (٤) الدِّيبـــاجْ
مُطَيَّـبِ السِّتْـــــرِ

* * *

(١) الباطية : إناء عظيم من الزجاج يُتّخذ للشراب .

(٢) العُذّل : جمع عاذل ، اللائم . (٣) السّاجي : ساكن البرد والريح غير مظلم . (٤) مُغلّل الديباج : لابس الحرير .

في يَقْظَةٍ يَظْهَــرْ
لي أَمْ أَرَى حُلُمـــا
فُلْكٌ مِنَ الجَوْهَرْ
يَخْتَــرِقُ الظُّلَمـــا

* * *

عَلَى الدُّجَى لَمَّاحْ (١)
تَحْسَبُـهُ نَجْمـــا
لَيْسَ بِــهِ مَـلاحْ
يُسْلِكُـهُ (٢) اليَمَّـــا .

* * *

أَضْوَى مِـنَ الفَجْرِ
في ظُلْمَةِ الأَسْدافْ (٣)
مِـنْ نَفْسِهِ يَجْـري
لَـمْ يُجـرِه مِجْـــدافْ

* * *

مَـدَّ شِــراعَ النُّورْ
يـا حُسْنَ مـا مَـدَّا
كاللُّؤْلُـؤِ المَنْثـــورْ
لَـوْ يَنْفَـحُ النَّـدَّا (٤)

* * *

يا لَكَ مِـنْ زَوْرَقْ
مَلَّاحُـــهُ الأَقْـــدارْ
يَنْجُـو بِـهِ المُغْـرَقْ
مِـنْ لُجَّـةِ الأَكْـــدارْ

(يدخل الحارس)

الملكة :

ما وَراءَ الحَارِسِ ؟

الحارس :

الطَّا عةُ يا ذاتَ الجَلالَةْ
قائِدٌ يَحْمِلُ مِنْ قَيْـ
ـصَرَ أَكْتافِيـــو رِسَالَةْ

الملكة :

أَدْخِلْـهُ ، أَدْخِـلْ
رَسُـــولَ قَيْصَـــرْ

(يخرج الحارس ويدخل القائد)

القائد :

قَيْصَرُ العالي إلـى سَيِّـ
ـدَتي يُهْدِي التَّحِيَّـهْ
هُوَ فـي الثُّكْنَةِ بِالقُرْ
بِ مِنَ الدَّارِ السَّنِيَّةْ (٥)
يُظْهِرُ العَطْــفَ عَلَيْهـا
وَهْيَ بِالعَطْفِ حَرِيَّةْ (٦)
وَيَقُولُ : الأَمْـرُ ما تَـأْ
مُـرُ فــي الإِسْكَنْدَرِيَّةْ
وَلَهَا الوادِي وَما يَحْـ
ـمِلُ مُلْكًـا وَرَعِيَّـهْ
وَبَنُوهـا يَرِثُـونَ الـ
ـمُلْكَ مِنْ رُوما الوَصِيَّةْ
وَإِذا حَلَّـتْ بِرُومـا
وَجَدَتْ رُومـا حَفِيَّةْ (١)
تَتَلَقَّاهـــا كَأَغْلـــى
دُرَّةٍ فـــي القَيْصَرِيَّـهْ

---

(١) اللَّمَّاح : شديد البياض . (٢) يُسْلِكه : يُدْخله .
(٣) الأسداف : جمع سَدَف ، الليل وسواده .
(٤) النَّدُّ : ضرب من النبات يُتَّخذ عوده للبخور .

(٥) السَّنية : الرفيعة القَدْر .
(٦) الحريَّة : الجديرة .
(٧) الحفيَّة : اللطيفة الرقيقة .

مـــا الّذي تَقْتَرِحُ المَلْـــ
ـــكَةُ ؟ مـــا تُمْلِي عَلَيَّهْ ؟
لِتَقُـلْ سَيِّدَتـي حــــا
جَتَهَـا تُقْـضَ العَشِيَّـهْ

كليوباترا (كأنما تناجي نفسها) :

وَإِذا حَلّتْ بِرومــــــا
وَجَدَتْ رُومـا حَفِيَّــهْ !
تَتَلَقّاهــــا كَأغْلــــى
دُرَّةٍ فــي القَيْصَرِيَّهْ !

(تضحك في تهكّم وألم)

أَيُّهَا القَائِـــدُ أَدّيْـــ
ـــتَ فَأَحْسَنْتَ الأداءْ
بَلِّغَنْ قَيْصَرَ عَنّــــي
كُلَّ شُكْــرٍ وَدُعاءْ
ثُـمَّ زِدْ أمْنِيَّةً قَــدْ
بَقِيَتْ لــي وَرَجاءْ
أنا لا أكْتُمُهُ مـــا سَرَّ
مِـنْ أمْـري وَسَـــاءْ
لِيَ سِرٌّ كادَ عَنْ نَفْـــ
ـــسِيَ يَزْوِيهِ [1] الخَفَـــاءْ
صُنْتُهُ عَنْ صاحِباتـــي
وَصِحابــــي الأمَنَـــاءْ
حَبَّذا لـــو زارَني قَيْـــ
ـــصَرٌ فـي هَذا المَساءْ
وَلَهُ الشُّكْرُ إذا لـــمْ
يَأتِ ، أوْ إنْ هُوَ جاءْ

القائد :

سَأذْكُرُ مَوْلاتي لِمَوْلايَ قَيْصَرٍ
وَأنْقُلُ ما أبْدَيْتِ مِنْ رَغَباتِ
وَلَمْ لا يُلَبّي دَعْوَةَ الحُسْنِ طائِعاً
وَيَسْعى لَهُ مُسْتَعْجِلَ الخُطُواتِ ؟
وَقَدْ كانَ يوليوسٌ يَقُومُ بِبابِهِ
وَيَمْثُلُ أنطونيوسُ في العَتَباتِ !

كليوباترا (بعظمة) :

أسَأتَ أخا الرُّومانِ . فَهْمَ إشارَتي

القائد :

إذَنْ فَهَبي لي تِلْكَ مِنْ هَفَواتي

(يخرج القائد)

كليوباترا :

أراني لَمْ يُحْسِنْ إلَيَّ مُعاصِري
وَلَمْ أجِدِ الإنْصافَ عِنْدَ لِداتـي [2]
فَكَيْفَ إذا ما غَيَّبَ المَوْتُ ذادَتي [3]
وَبدَّدَ أنْصاري وَفَضَّ حُماتـي ؟
كَأنّي بَعْدي بِالأحاديثِ سُلِّطَتْ
عَلى سِيرَتي ، أوْ وُكِّلَتْ بِحَياتي
وَبِالجيلِ بَعْدَ الجِيلِ يَرْوي زَخارِفاً
فَمِـنْ زُورِ أخْبـارٍ وَإفْكِ رُواةِ
يَقُولونَ أُنْثى أفْنَتِ العُمْرَ بِالهَوَى
بَهِيمِيَّةُ اللَّــذّاتِ وَالشَّهَـــواتِ
فِداً لِغَرامي بِالرِّجـالِ وَحُسْنِهِمْ
غَرامُ الغَواني أوْ هَوَى المَلِكاتِ
فَلَيْسَ الغُلامُ البارِعُ الحُسْنِ فِتْنَتي
وَلا الرّائِعُ الأجْلادِ والعَضَلاتِ
وَلَمْ يَسْتَثِرْ وَجْدي مِـنَ الرُّومِ فِتْيَـةٌ
جُنونُ العَذارَى فِتْنَةُ الخَفِــراتِ [4]
وَلا كُلُّ غُصْنٍ مِنْ بَني مِصْرَ مائِلٍ
يَطِيرُ إلَيْهِ قَلْبُ كُـلِّ فَتَـــاةِ

---

(١) يَزْوِي : يطوي .

(٢) اللّداة : جمع لِدَة ، وهو الذي وُلِدَ يوم ولادتك .

(٣) الذّادة : جمع ذائد ، المدافع .

(٤) الخَفِرات : جمع خَفِرة ، الشديدة الحياء .

يَمُوتونَ بي عِشْقاً ، وَيَشْقَوْنَ بِالهَوى
فَكَمْ مِنْ حَياةٍ في يَدي وَمَماتِ
وَلَكِنْ عَشِقْتُ العَبْقَرِيَّةَ طِفْلَـةً
وَفي الغافِلاتِ البُلْهِ [1] مِنْ سَنَواتي
كَلِفْتُ [2] بِكَهْلٍ أَحْرَزَ الأَرْضَ سَيْفُهُ
وَحِيزَتْ لَهُ الدُّنْيا مِنَ الجَنَباتِ
إذا هَبَّ مِنْ غَرْبِ البِلادِ تَلَفَّتَتْ
بِلادٌ بِأَقْصَى الشَّرْقِ مُنْذَعِراتِ
تَعَثَّرَ حَظِّي بَعْـدَ طُـولِ سَلامَـةٍ
وَأَقْلَعَ [3] نَجْمي بَعْدَ طُولِ ثَباتِ
وَمَنْ يَمْشِ في وَرْدِ الأُمورِ وَشَوْكِها
يَعُدَّ الخُطـا ، أَوْ يَحسُبُ العَثَراتِ

(تنظر إلى السِّلال)

يا مَرْحَبا بالسَّلَّهْ والرُّقْبِ [4] المُطِلَّهْ
الكافياتي الذِّلَّهْ

(ينسحب الجميع مُطرقين ما عدا الملكة و وصيفتها وحابي)

كليوباترا :

أُدْخُلي بي يا شرميونُ عَلى طِفْـ
ـلي أُوَدِّعْهُمْ الوَداعَ الرَّهيبا
فَعَسَاهُـمْ إذا تَحَجَّـبَ [5] صَـدْري
وَجَدُوا صَدْرَكِ الحَفِيَّ الرَّحِيبا

(لحابي وهيلانه)

وَلَدَيَّ اهْجُرا القُصُـورَ ؛ فَإِنِّـي
قَدْ وَجَدْتُ النَّعيمَ فيها غَريبـا
وَلَهَا ضَجَّـةٌ ، وَفيهـا فُضُـولٌ
يُرْهِقُ الحُـبَّ واشِياً وَرَقيبـا

خَلِّيا عَنْكُما المَدائِنَ يـا ابْنَـ
ـيَّ فَضَوْضاؤُها تُميتُ القُلوبا
إنَّ لي في سُهولِ طِيبَةَ حَقْلاً
طَيِّبَ المـاءِ والهَواءِ خَصيبا
غَرَسَتْهُ يَدُ الشَّبابِ ؛ فَأَضْحَى
وارِفاً كالشَّبابِ حُسْناً وطيبـا
أَلِفَ الحُبُّ مِنْ نواحِيهِ أَيْكـا [6]
جَمَعَ الطَّيْرَ هاتِفاً وَمُجيبـا
يُسْمِعُ البُلْبُلُ العَشيقَةَ فيـهِ
وَتُغَنِّي الأَليفَـةُ العَنْدَليبـا
أُفُـقٌ لا يُظِلُّ إلا مُحِبّـاً
وَثَرًى لا يُقِـلُّ [7] إلّا حَبيبا
اِشْرَبا مِـنْ كُرومِهِ ، وَاسْقِياهـا
صافِيَ الحُبِّ وَالهَوَى المَسْكوبا
وَالْعَبا عِنْدَ كُلِّ مـاءِ غَـديرٍ
تَرَيَا الماءَ لِلْحَبابِ [8] لَعيبـا [9]
وَسَلا الوَرْدَ : هَلْ تَنَفَّسَ في الوَرْ
دِ ؟ وَهَلْ ناسَمَ [10] البَعيدُ القَريبا ؟
أَدْرِكا لَـذَّةَ الشُّروقِ وَلَمّـا
تَبْلُغِ الشَّمْـسُ بِالحَياةِ الغُروبا

(تخرج كليوباترا وشرميون)

حابي :

هيلانُ هذا مَقالُ النُّصْحِ مِنْ مَلِكٍ
فَما تَرَيْنَ وَما تَنْوِينَ هيلانـا ؟
هَلُمَّ طيبَةَ نَنْزِلْ فـي خَمائِلِهـا
وَنَبْنِ مِثْلَ بِناءِ الطَّيْرِ دُنْيانـا

---

(١) البُلْه : جمع بَلْهاء ، الناعمة الرَّخيّة .
(٢) كَلِف : أحبّ وأولع .
(٣) أقلع : انجلى وانكشف .
(٤) الرُّقْب : جمع رقيب ، الحية الخبيثة .
(٥) تحجَّب : بمعنى احتجب أي استتر .
(٦) الأَيْك : جمع أيكة ، الشجر الكثير الملتف .
(٧) يُقِلُّ : يحمل .
(٨) الحباب : طرائق تظهر على وجه الماء ، تصنعها الريح .
(٩) اللَّعيب : الكثير اللعب .
(١٠) ناسَم : دنا أو حادَث .

كَطائِرَيْنِ عَلى بَحْرٍ وعاصِفَةٍ
قَدْ آنَسا مِنْ وَرَاءِ الشَّطِّ بُسْتانا
تَدَارَكَتْنا أَبَرُّ المَالِكاتِ بِـــهِ
وَأَشْرَفُ النَّاسِ إِحْسَاساً وَ وِجْدانا

هيلانه :

حَابي ، عَرَفْتَ الخِلالَ الطَّيِّباتِ لَها
وَكُنْتَ أَمْسِ أَقَلَّ النَّاسِ عِرْفانا

حابي :

خَلِّي الجَفاءَ ، حَيَاتي ، إِنَّ ساعَتَهُ
مَضَتْ ، وَهَذَا أَوَانُ السِّلْمِ قَدْ آنا
اللهُ يَشْهَدُ أَنِّي قَدْ سَدَلْتُ عَلى
ما كانَ مِنْ نَزَعاتِ الرَّأْيِ نِسْيانا
وَأَنَّني اليَوْمَ أَبْكيها وَأَنْدُبُها
وَلا أَقِيسُ بِهَا في الطُّهْرِ إِنْسانا
اليَوْمَ ضَحَّتْ وزَكَّاها [1] الفِداءُ كَما
زَكَّى المُقَرَّبُ بِاسْمِ اللهِ قُرْبانا

هيلانه :

إِنَّ الَّتي شَبَّ في نَعْمائها صِغَري
وَنَبَّهَتْ لِيَ فـي سُلْطانِها شانا
إِنْ لَمْ أَمُتْ دُونَها ، أَوْ لَمْ أَمُتْ مَعَها
فَما جَزَيْتُ عَنِ الإِحْسانِ إِحْسانا

حابي :

والحُبُّ هيلانَ ماذا تَصْنَعينَ بِهِ ؟

هيلانه :

إِنَّ الصَّداقَةَ فَوْقَ الحُبِّ أَحْيانا
حابي ، أَراها أَزْمَعَتْ [2]
وَأَرَى الفَجِيعَةَ واقِعَـــهْ
فاذْهَبْ فَجِـئْ بِأَنوبِسٍ
فَعَسَى يَـــرُدُّ الفاجِعَهْ

حابي :

وَسَـــواءٌ أَ رَدَّهـــا
أَمْ أَبـَى ذَلِـكَ القَــدَرْ.
فـي غَـدٍ أَيُّهـا المَـلا
كُ إِلى طِيبَـةَ السَّفَـــرْ

(يخرج حابي)

هيلانه :

وَيْـحَ حابـــي اعْتِقادُهُ
أَنْ سَأَحْيـا فَنَلْتَقـــي
لَيْتَنـــي نِلْــتُ قُبْلَــةً
مِنْـهُ قَبْــلَ التَّفَــرُّقِ

(تدخل كليوباترا وفي أثرها شرميون)

كليوباترا :

بِرُوحِي وَإِنْ لَمْ تَبْقَ مِنِّي بَقِيَّةٌ
صِغَارٌ وَرَائـي ذُوَّقُ اليُتْـمِ نُـوَّحُ
أَذُوبُ لِبَلْواهُـمْ ، وَأَعْلَـمُ أَنَّنـي
حَمَلْتُ عَلَيْهِمْ ما يَجِلُّ وَيَفْـدَحُ [3]
وَقَدْ أَشْتَهِي عَيْشَ الذَّليلِ لأَجْلِهِمْ
فَلا المَجْدُ يَرْضَى لي ، وَلا النُّبْلُ يَسْمَحُ
فَصَفْحًا صِغاري إِنْ شَقيتُمْ بِمَصْرَعي
وَإِنِّي لأَرْجُـو أَن تَغُضُّوا وتَصْفَحُـوا
وَدَاعًا صِغاري ، صَيَّرَ اللهُ يُتْمَكُمْ
إِلى خَيْرِ ما يَكْفِي اليَتامى وَيُصْلِحُ
أَطَفْتُ بِكُمْ والنَّوْمُ تَسْرِي سِناتُهُ
عَلـى صَفَحـاتٍ [4] كالأَهِلَّةِ تُلْمَــحُ
وَما مِنْكُمُو في الخَزِّ [5] إلا حَمَامَةٌ
عَلَيْها طَلِيلٌ ناعِمُ الفَرْعِ أَفْيَــحُ

(١) زكّاها : طهّرها . (٢) أزمعت : عزمتْ وجدّت .

(٣) يَفْدح : يثقل .
(٤) تعني وجوه الأطفال .
(٥) الخزّ : ثوب يُنسج من الحرير .

تَنامُ وَما تَدْري الكَرَى ما وَراءَهُ
ولا الصُّبْحُ في ظِلِّ الرُّبا كَيْفَ يُصْبِحُ
أ تَغْدو عَلى الدُّنْيا كَأَمْسِ طَليقَةً
ضُحَى اليَـوْمِ أَمْ يُغدَى عَلَيْها فَتُذبَحُ ؟

* * *

(ملتفتة إلى هيلانه وشرميون)

فيـمَ هيلانـةُ تَبْكيـ
ـــنَ وَأَنْتِ شرميونُ ؟
كَفْكِفا الدَّمْعَ فلاشِـ
ـــدَّةَ إلا وَتَهُـــونُ
وَاعْلَما بِنْتَيَّ أَنَّ الـ
ـبُؤْسَ وَالنُّعْمَى دُيونُ

(تركعُ أمامَ تمثال إيزيس)

اليَوْمَ أَقْصَـرَ باطِلـي وَضَلالـي
وَخَلَتْ كَأَحْلام الكَـرَى آمالـــي
وَصَحَوْتُ مِنْ لَعِبِ الحَيَاةِ وَلَهْوِها
فَوَجَـدْتُ لِلدُّنْيـا خُمَـــارَ (١) زَوالِ
وَتَلَفَّتَتْ عَيْني فَـــلا بِمَواكِبِي
بَصُـرَتْ ، وَلا بِكَتَائِبِـي وَرِجالِـي
وَطِئَتْ بِساطِي الحادِثاتُ ، وَأَهْرِقَتْ
كَأْسي ، وَفَضَّتْ سامِرِيَ وَنِقالي (٢)
إيزيسُ ، يَنْبوعَ الحَنانِ تَعَطَّفـي
وَتَلَفَّتـي لِضَراعَتــي وَسُؤالـي
أَنْتِ الَّتي بَكَتِ الأَحِبَّةَ ، واشْتَكَتْ
قَبْلَ الأرامِلِ لَوْعَـةَ الإِرمـــالِ
إِنِّي وَقَعْتُ عَلى رِحابِكِ فارْحَمِي
ذُلَّ المُلوكِ لِمَجْدِكِ المُتَعالـــي
هَلْ تَأْذَنِينَ بِأَنْ أُعَجِّلَ نُقْلَتي
وَأَحُثَّ عَنْ دارِ الشَّقاءِ رِحالـي
وعُلاكِ ما أَدَعُ الحَياةَ جَبانـةً
أَوْ ضيقَ ذَرْعٍ ، أَوْ قَطِيعَةَ قالٍ (٣)
إِنِّي انْتَفَعْتُ بِعَبْقَرِيِّ جَمالِهـا
وَتَمَتَّعَتْ مِـنْ عَبْقَرِيِّ جَمالـي
وَجَمَعْتُ بَيْنَ شُعورِها وَعَوَاطِفي
وَقَرَنْتُ رَحْبَ خَيالِها بِخَيالـي
وَ وَجَدْتُها قَـدْ خَلَّدَتْ أَبْطالَها
فَبَسَطْتُ سُلْطاني عَلى الأَبْطـالِ
بِنْتُ الحَياةِ أَنا ، وَتَشْهَدُ سيرَتـي
ما كُنْتُ من أُمِّي سِوَى تِمْثالِ
مِنْهـا تَناوَلْتُ الرِّياءَ وِراثَـــةً
وَأَخَذْتُ كُلَّ خَديعَةٍ وَمِحـالِ (٤)
وَقَسَوْتُ قَسْوَتَها ، وَلِنْتُ كَلِينِهـا
وَاقْتَسْتُ (٥) في صَدِّي بها وَ وِصالي
وَلَرُبَّما رَشَدَتْ فَسِرْتُ بِرُشْدِهـا
وَغَوَتْ فَأَغْوَتْني وَضَلَّ ضَلالـي
وَ وَجَدْتُهـا حُبًّا يَفيـضُ وَلَــذَّةً
فَجَعَلْتُ لَذَّاتِ الهَـوَى أَشْغالي
يَوْمـي بِأَيّامٍ لِكَثْـرَةِ مـا مَشَــتْ
فيهِ الحَيَاةُ ، وَلَيْلَتــي بِلَيالـــي
وَلَقَدْ لَقيتُ مِـــنَ الحَياةِ صَبِيَّةً
مـا جَلَّ مِـنْ بُؤْسٍ وَرِقَّةِ حـالِ
فَخَلَعْتُ مُلْكي طِفْلَةً ، وَشَرَدْتُ في
صَدْرِ الصِّبا ، وَرَأَى المَكارِهَ آلي
شَرَعَتْ عَلَيَّ السَّوْطَ في كُتّابِها
وَاليَوْمَ تَضْرِبُني بِدَرْسٍ غَـــالِ

(١) الخُمار : ما يصيب شارب الخمر من صداع وألم .
(٢) النِّقال : مناقلة الأقداح في مجلس الشَّراب .
(٣) القالي : المُبْغِض . (٤) المِحال : الكيد .
(٥) اقتاس : قاس ؛ أي قدر الشيء على مِثْله .

يا مَوْتُ ، هَلْ حَرَجٌ على مُسْتَنْجِدٍ
بِكَ أَنْ يُسابِقَ واقعَ الآجالِ ؟
يَوْمي أُعَجِّلُهُ ، وَلَوْ لَمْ أَنْتَحِرْ
لَلَقِيتُ يَوْمًا ما لَهُ مِنْ تالِ
يا مَوْتُ ، أَنْتَ أَحَبُّ أَسْرًا فاسْبِنِي
لا تُعْطِ رُوما والشُّيوخَ عِقالي [١]
يا مَوْتُ ، لا تُطْفِئْ بَشاشَةَ هَيْكَلي
وَاحْفَظْ ظَوَاهِرَ لَمْحَتي وَجَلالي
يا مَوْتُ ، طُفْ بالرُّوحِ وَاسْرِقْها كما
سَرَقَ الكَرَى عَيْنَ الخَلِيِّ السَّالي
حَتَّى أَمُوتَ كما حَيِيتُ ، كَأَنَّني
بَيْتُ الخَيالِ ، وَدُمْيَةُ المِثْالِ
وَكَأَنَّ إِغْماضَ الجُفُونِ تَناعُسٌ
وَكَأَنَّ رَقْدَتِيَ اضْطِجاعُ دَلالِ
سِرْ بي إِلى أَنطونيو في نُضْرَتي
ورُواءِ [٢] جِلْبابي وَزينَةِ حالي

(تقوم إلى إحدى السّلال فتكشف التين عن أفعى)

هَلُمِّي الآنَ مُنْقِذَتي هَلُمِّي
وَأَهْلاً بِالخَلاصِ وَقَدْ سَعَى لي
شَرِبْتُ السُّمَّ مِنْ فيكِ المُفَدَّى
بِسُلْطاني ، وَزِدْتُ عَلَيْهِ مالي
عَلَى نَابَيْكِ مِنْ زُرْقٍ [٣] المَنايا
شِفاءُ النَّفْسِ مِنْ سُودِ اللَّيالي
وَبَعْضُ السُّمِّ تِرْياقٌ لِبَعْضٍ
وَقَدْ يَشْفِي العُضَالُ [٤] مِنَ العُضالِ
دَعَوْتُ الرَّاحَةَ الكُبْرى فَلَبَّتْ
فَبُعْدًا لِلْحَياةِ وَلِلنِّضالِ

هَلُمِّي عانِقي أَفْعَى قُصورٍ
بِها شَوْقٌ إِلى أَفْعَى التِّلالِ
سَطَتْ روما على مُلْكِي ، وَلَصَّتْ [٥]
جَواهِرَ أُسْرَتي ، وَحُلِيَّ آلي
فَرُمْتُ المَوْتَ لَمْ أَجْبُنْ ؛ وَلَكِنْ
لَعَلَّ جَلالَهُ يَحْمي جَلالي
فَلا تَمْشي عَلى تاجي ؛ وَلَكِنْ
عَلى جَسَدٍ بِبَطْنِ الأَرْضِ بالِ
وَقَدْ عَلِمَ البَرِيَّةُ أَنَّ تاجي
نَمَتْهُ [٦] الشَّمْسُ وَالأُسَرُ العَوالي
يُطالِبُني بِهِ وَطَنٌ عَزيزٌ
وَآباءٌ وَدائِعُهُمْ غَوالي
أَ أَدْخُلُ في ثِيابِ الذُّلِّ رُوما
وَأُعْرَضُ كالسَّبِيِّ عَلى الرِّجالِ ؟
وَأَحْدَجُ [٧] بِالشَّماتَةِ عَنْ يَميني
وَيَعْرِضُ لي التَّهَكُّمُ عَنْ شِمالي ؟
وَأَلْقَى في النَّدِيِّ شُيوخَ روما
مَكانُ التَّاجِ مِنْ فَرْقِيَ خالي ؟
وَأَغْشَى السِّجْنَ تارِكَةً وَرائي
قُصورَ العِزِّ وَالغُرَفَ الخَوالي ؟
وَتَحْكُمُ فِيَّ روما وَهْيَ خَصْمي
وَتُسْرِفُ في العُقوبَةِ وَالنَّكالِ ؟
يَراني في الحَبائِلِ مُتْرَفُوها
وَقَدْ كانَ القَياصِرُ في حِبالي ؟
إِذَنْ غَيْرَ المُلوكِ أَبي وَجَدِّي
وَغَيْرَ طِرازِهِمْ عَمِّي وخالي

(١) العِقال : الحبل الذي يُقيَّد به البعير . (٢) الرُّواء : حسن المنظر . (٣) زُرق المنايا : المنايا جمع منيّة ، والزُّرق جمع زرقاء ، والمراد الموت الشديد العداوة . (٤) العُضال : الشّديد المُعجِز ، يقال : داء عُضال ؛ أي لا طِبَّ له .

(٥) لصّتْ : سرقت .
(٦) نَمَتْه : رفعتْه وأعلتْ شأنه .
(٧) حَدَجه : أحدّ النظر فيه وحدّق .

سأنزلُ غيرَ هائبةٍ إذا ما
تلمّظتِ (١) المنيّةُ للنزالِ (٢)
أموتُ كما حَيِيتُ لِعَرْشِ مِصْرٍ
وأبذلُ دونَهُ عَرْشَ الجمالِ
حياةُ الذُّلِّ تُدْفَعُ بالمنايا
تعالَيْ حَيَّةَ الوادي ، تعالي

(تتناولُ الأفعى وتمهِّدُ لها من صدرها ، فتلدغها ، ثم ترميها إلى السّلة)

يا ابْنَتَيْ وُدّي ... هَلُمّا ...
زَيِّناني ... لِلْمَنِيَّةْ
غَلّلاني ... طَيِّباني ...
بالأفاويهِ (٣) ... الزَّكِيَّةْ
أَلْبِساني حُلَّةَ ... تُعْـ
ـجِبُ أنطونيو ... سَنِيَّةْ
مِنْ ثِيابٍ ... كُنْتُ فيها
أَتَلَقّاهُ ... صَبِيَّةْ
ناوِلاني التّاجَ ... تاجَ الشَّـ
ـمْسِ ... في مُلْكِ ... البَرِيَّةْ
وَانْثُرا ... بَيْنَ ... يَدَيَّ ... عَرْ
شِيَ ... الرَّيّا ... حِينَ البَهِيَّةْ

(تموتُ بين وصيفتَيْها)

شرميون (تتناولُ من إحدى السِّلال أفعى) :

كلوباترا وَيا لَهْفي
عَلَيْكِ يا كلوباترا
وَصِيفاتُكِ في الدُّنيا
وَصِيفاتُكِ في الأُخْرى

(وتمهِّد لها من صدرها فتلدغها ، وتموت)

هيلانه (تفعل ما فعلته شرميون) :

كلوباترا ذَهَبْتِ اليَوْ
مَ بالدُّنْيا كلوباترا
تَعالَيْ أيُّها الأفْعى
أريحيني أنا الأُخْرى

(يدخل أنوبيس وحابي)

أنوبيس :

انْسَلَتِ المُهْرَةُ (٤) مِنْ قَيْدِها
وَأَفْلَتَ الطَّيْرُ (٥) مِنَ الصّائِدِ !

حابي :

هيلانَ يا لَهْفًا عَلى الحَبِيبَةْ
عَلى الجَمالِ ، وَعَلى الشَّبِيبَةْ
عَلى الفَتاةِ الحُرَّةِ النَّجِيبَةْ

(يتحسس جسمها)

يا لَلْحَياةِ ما تَني دَبِيبا !
أبي ، تأمَّلْ جِسْمَها الرَّطِيبا
واسْمَعْ تَجِدْ لِقَلْبِها وَجِيبا

أنوبيس :

حابي نَسِيتَ حُقَّةَ النَّجاةِ !

حابي :

هَيْهاتَ أَعْصِيكَ أبي هَيْهاتِ !
إنْ أَنْسَ أشياءَكَ أَنْسَ ذاتي

(يُخرج الحُقَّة من جيبه)

خُذْها

أنوبيس :

بَلِ اسْكُبْ في فَمِ الفَتاةِ
لَعَلَّها تَصْحُو مِنَ السُّباتِ (٦)

(يشتغل حابي بإيقاظ هيلانه)

---

(١) تلمّظت : ضمّت إحدى شفتيها على الأخرى مع صوت منهما .
(٢) النِّزال : القتال .
(٣) الأفاويه : جمع فُوه ، أنواع الطيب .
(٤ ، ٥) يعني كليوباترا .
(٦) السُّبات : النوم ، والمقصود حالة فقدانها الوعي فقدانًا تامًّا ، وهي حالة أشد من الإغماء .

أنوبيس (على جثّة كليوباترا) :

بِنْتي رَجَوْتُكِ لِلضَّحِيَّةِ وَالْفِدَا
فَوَجَدْتُ عِنْدَكِ فَوْقَ ما أنا راجي
إنْ تُصْبِحي جَسَداً فَنَفْسُكِ حُرَّةٌ
وَعُلاكِ سَالِمَةٌ ، وعِرْضُكِ ناجي
سَيَقُولُ بَعْدَكِ كُلُّ جيل مُنْصِفٍ
ذَهَبَتْ ، وَلَكِنْ في سَبيلِ التَّاجِ

(ثم يلتفت إلى جثّة شرميون)

وَأَنْتِ أَيْضاً شرميون جيفَهْ
مُتِّ ؛ وَلَكِنْ ميتَةً شَرِيفَهْ
ما أعْظَمَ المَلْكَةَ والوَصِيفَهْ !

حابي :

أُدْنُ أبي ، أَلْقِ النَّظَرْ
يا لَعَجائِبِ القَدَرْ !

أنوبيس :

أَحْدَثَ تِرْياقي الأَثَرْ ؟

حابي :

أُنْظُرْ أبي تِرْياقَكَ الْـ
ـمُحْسِنَ ماذا مَنَحا ؟
أُنْظُرْ فَهَذَا مَلَكي
مِنْ رَقْدَةِ المَوْتِ صَحا
قَدْ فَتَحَ العَيْنَيْنِ بَعْـ
ـدَ اليَأْسِ ، مِنْ أَنْ تُفْتَحا
وَهَذِهِ أَنْفاسُهُ
رَيْحانُها قَدْ نَفَحا
مَوْلايَ قَدْ قَرَّبْتَ مِنْ
سَعادَتي ما نَزَحا (١)
أَنْتَ الَّذي رَدَدْتَهَا
رُوحًا ، وَكَانَتْ شَبَحا

يا قَلْبُ ، كَيْفَ لَمْ تَطِرْ
عَنِ الضُّلوعِ فَرَحا

هيلانه :

يا وَيْحَ لي ! وَيْحَ لِيَهْ
هَلْ صَدَقَتْني عَيْنِيَهْ ؟
حابي ، أ في الدُّنْيا أنا ؟

حابي :

بَلْ أَنْتِ دُنْيايَ هُنَا

هيلانه :

مَنْذا جَنَى عَلَيَّهْ
حَتَّى بُعِثْتُ حَيَّهْ ؟

حابي :

أبي الَّذي شَفَاكِ يا مَلاكي

أنوبيس :

لا بَلْ مَلاكُ الحُبِّ قَدْ شَفاكِ
وَأَدْمُعُ الإخْلاصِ مِنْ فَتاكِ

هيلانه :

أبي لَقَدْ مَرَّ عَلَيَّ المَوْتُ
وَكُنْتُ مِنْ عَذابِهِ نَجَوْتُ
عَلامَ حُلْتَ بَيْنَهُ وَبَيْني ؟
المَوْتُ لا يُذاقُ مَرَّتَيْنِ

(ترى جثّة الملكة وهي تتلفّت)

رُحْماكِ آلِهَةَ الوادي ، ذُهِلْتُ فَلَمْ
أَذْكُرْ مَلاكاً وَراءَ العَرْشِ مُضطَجِعا
بِالأَمْسِ لا ، لا بَلِ اليَوْمَ الْتَحَقْتُ بِهِ
صُرِعْتُ بِالنَّاقِعِ السَّاري كَمَا صُرِعا
لَقَدْ رَحَلْنا عَنِ الدُّنْيا الغَرورِ مَعًا
مَا لي رَجَعْتُ إلى الدُّنْيا وَما رَجَعا ؟
لَيْتَ الطَّبيبَ الَّذي داوَى فَأَخْرَجَني
إلى الحَيَاةِ عَلَى الدُّنْيا بِهِ طَلَعا

(١) نزح : بَعُد .

مَلِيكَتي ، رَبَّتي ، صَفْحًا وَمَغْفِرَةً
إنَّ المُروءَةَ كَانَتْ أَنْ نَموتَ مَعا

الكاهن :

بُنَيَّتي ...

هيلانه :

صَهْ أبي

الكاهن :

لا أَنْتِ واهِمَةٌ
فَلَسْتُما في مُلاقاةِ الرَّدَى شَرَعا [1]
وَقَفْتُما مَوْقِفًا في الخَطْبِ مُخْتَلِفًا
لَوْ جَرَّبَتْ فِيهِ غَيْرَ المَوْتِ ما نَفَعا

حابي :

تَعالَيْ نَحْيَ في الحَقْلِ
مَعَ الطَّيْرِ كما تَحْيـا
هَلُمِّي الحُبُّ هيلانـــ
ـــةُ ، فالحُبُّ هُوَ الدُّنْيا
أبي ، دُونَكَ بارِكْنـــا
وَإِنْ شِئْـتَ فَشارِكْنـا

أنوبيس :

إذا فَارَقْـتُ مِحْرابِــي
فَمَنْ يَبْكي عَلى مِصْرا ؟
سَأَبْقَى هَهُنــا ابْنَــيَّ
إلى أَنْ أَقْضِـيَ العُمْـرا
هلُمّـا ابْنَـيَّ بِاسْـمِ اللَّـــ
ـــهِ سِيرا ، وَابْنِيا الوَكْرا
هَلُمّا جَنَّــةَ الـــوَادي
هَلُمّا طِيبَــةَ الغَـــرّا
لَئِـنْ فَرَّقَنـــا الدَّهْـــرُ
فَقَـدْ تَجْمَعُنـا الذِّكْـرَى

(يخرجان)

(يُسمَعُ صوتُ بوق)

أنوبيس :

البُوقُ دَوَّى قَيْصَرُ أَقْبَلْ

(يدخلُ حارس)

الحارس :

مَوْلايَ قَيْصَرْ

(يتنحّى عن الباب ، ويدخل قيصر وفي معيته الطبيب أولمبوس)

أنوبيس :

ما يَبْتَغي قَيْصَرُ مِنْ أَسِيرَتِهْ ؟
إنَّ الَّتي أَعَدَّهــا لِزِينَتِهْ
يَدْخُلُ روما وَهْيَ في كَتِيبَتِهْ
تَزِيدُ فــي مَوْكِبِهِ وَقِيمَتِهْ
ماتَتْ ، وَلَمْ تَنْزِلْ عَلى مَشِيئَتِهْ
بُورِكَ في النِّيلِ وَفي عَقِيلَتِهْ

قيصر :

آلِهَةَ الرومانِ ! ماذا أَرَى ؟
امرأَةٌ تَسْخَرُ مِــنْ قائِـــدِ ؟
قَدْ أَبْطَلَتْ كَيْدي على ضَعْفِها
وَلَمْ تَزَلْ تَسْخَـــرُ بِالكائِدِ
في الجَسَدِ الحَيِّ تَمَنِّيتُهـــا
لَمْ أَبْغِها في الجَسَدِ البائِدِ

(يركع قيصر عند جثّة كليوباترا)

أنوبيس (لنفسه) :

الحَـادِثُ العَجِيـــبُ
قَيْصَـرُ وَالطَّبِيـــبُ !
يَغْدُرُهـــا وَعَهْـــدُهُ
بِبابِهـــا قَرِيـــبُ

أكتافيوس :

عَجِيبٌ يا طَبِيبُ أَرَى قَتِيلاً
وَلَكِنْ لا أَرَى أَثَـرَ الجِـراحِ !

---

(١) الشَّرَع : السَّواء .

أ ليْسَتْ في الفَناءِ أرَفَّ لَوْنًا
وأنْدَى مِنْ رَيَاحينِ الصَّباحِ ؟
فَهَلْ تَدْنُو فتَكْشِفَ كَيْفَ ماتَتْ
أ بِالسُّمِّ الزُّعافِ أم السِّلاحِ ؟

(يقترب أولمبوس ، وينحني على صدر الملكة من الناحية التي رميت فيها الأفعى)

ألمبوس :

جَبِينٌ مُشْرِقُ الغُرَّةْ
وَ وَجْهٌ ضَاحِكٌ نَضْرَةْ
وَعَيْنانِ كَأنَّ المَوْ
تَ في جَفْنَيْهِما كَسْرَةْ [1]
وَهَذا فَمُها تَبْدو الـ
ـمَنايا عَنْهُ مُفْتَرَّةْ
وَلكِنْ قَيْصَرٌ ادْنُ ، انْظُرْ
هُنا السِّرُّ ، هُنا العِبْرَةْ
فَبَيْنَ السَّحْرِ [2] وَالنَّحْرِ
كَمِثْلِ الخَدْشِ مِنْ إبْرَةْ
مَكَانُ النَّابِ مِنْ صِلٍّ [3]
شَدِيدِ البَأْسِ والشِّرَّةْ

(تلدغه الأفعى)

إلهي ، قَيْصَرِي ، آهٍ
لَقَدْ مَسَّتْ يَدِي جَمْرَةْ
سَرَى السُّمُّ بِأعْضائي
وَعَمَّتْ جَسَدِي فَتْرَةْ
وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ
فَلا صَحْوَ .. من السَّكْرَةْ

(ثم يسقط ميّتًا)

أكتافيوس :

وَيْلَ النُّفوسِ مِنْ فُجَاءَاتِ القَدَرْ !
وَ وَيْحَ ألمبوس بِالأفْعى عَثَرْ !

أنوبيس (لنفسه) :

قَدْ وَقَعَ الحافِرُ فيما قَدْ حَفَرْ

قيصر :

وَداعًا كلوباترا إلى يَوْمِ نَلْتَقي
وَتَنْفُضُ عَنْها الهامِدِينَ المَقابِرُ
مَحَا المَوْتُ أسْبابَ العَداوَةِ بَيْنَنا
فَلا الثَّأرُ مِلْحَاحٌ ، وَلا الحِقْدُ ثائِرُ
وَما اسْتَحْدَثَتْ عِنْدَ الكِرامِ شَمَاتَةً
صُرُوفُ المَنايا والجُدُودُ [4] العَواثِرُ
وَدَاعًا ، وَإنْ نَحْنُ اقْتَتَلْنا وَجَرَّدَتْ
حُسامَيْهِما أوْطانُنا وَالعَشائِرُ
تَحَدَّيْتِني بِالموتِ حَتَّى قَهَرْتِني
وَما لِيَ سُلْطانٌ عَلى المَوْتِ قاهِرُ
تَرفَّعْتِ عَنْ قَيْدي ، وَمُتِّ عَزِيزَةً
وَأيْدي المَنايا لِلقُيُودِ كَواسِرُ
وَأنْتِ الَّتي نازَعْتِ رُوما مَكانَها
وَجَرَّتْ بِنادِيكِ القُيُودَ القَياصِرُ
لَعِبْتِ بِأنطونيو و يوليوسَ حِقْبَةً
كما جاءَ بِالمَسْحُورِ ، أوْ راحَ ساحِرُ
وَما أنا إلا سَيْفُ رومَةَ باتِرًا [5]
أصِيبَ بِهِ سَيْفٌ لِرُومَةَ باتِرُ
زَجَرْتُ فَلَمْ أسْمَعْ ، فَقاتَلْتُ مُكْرَهًا
وَفي الحَرْبِ إنْ لَمْ تَرْدَعِ السِّلْمُ زاجِرُ
وَأنطونيو صِهْرِي الكَريمُ ، بِمِثْلِهِ
يُطاوِلُ أنْسابَ المُلوكِ المُصاهِرُ

---

(١) كسّرَ على طرفه : غضّ منه شيئًا .
(٢) السَّحْر : كل ما تعلّق بالحلقوم من قلب ورئة .
(٣) الصِّلّ : الحية من أخبث الحيّات .
(٤) الجُدود : الحظوظ .
(٥) الباتر : القاطع .

وَداعًا عَروسَ الشَّرقِ ، كُلُّ وِلايَةٍ
وَإنْ هَزَّتِ الدُّنْيا لَها المَوْتُ آخِرُ

(يخرج أكتافيوس وحاشيتُه وتُزَفُّ التَّحايا له من الأبواق والحناجر خارج القصر)

أنوبيس :

أكْثِري أيُّها الذِّئابُ عُواءَ
وَادَّعي في البِلادِ عِزًّا وَقَهْرا

أنْشِدي وَاهْتِفي ، وَغَنّي وَضِجّي
وَاسْبَحي في الدِّماءِ نابًا وظُفْرا

لا ، وَإيزيسَ ، ما تَمَلَّكْتِ إلا
وادِيًا من ضَياغِمٍ (١) الغابِ فَقْرا (٢)

قَسَمًا ، ما فَتَحْتُمو مِصْرَ ؛ لكِنْ
قَدْ فَتَحْتُمْ بِها لِرُومَةَ قَبْرا

(ستار الختام)

(١) الضَّياغم : جمع ضَيْغم ، وهو الأسد .
(٢) الفَقْر : وصف بالمصدر أي واديًا يكسر فقار عظام من يملكه. أو من فقر بمعنى حزّ أنف البعير ليروضه ويذلله . أو من فقر بمعنى حفر أي ممتلئًا بالحفر التي يقع فيها من يملكه فيهلك .

عَنْتَرَة

تمهيد

زمن الرواية :

حوالى منتصف القرن الأول قبل الهجرة .

مكان الرواية :

بادية نجد ، أحياء عبس وعامر وما بينهما .

أشخاص الرواية :

عنترة : فارس عبس ، أسود اللون لأمه .

عبلة : محبوبة عنترة ، وابنة عمه .

مالك : أبو عبلة ، وعم عنترة ، وهو سَرِيٌّ من سَراة عبس .

زهير :
عمرو : } إخوة عبلة .

صخر : سريّ من سراة عامر ، يحب عبلة ، ويتردد على حيّها ويخطُبها .

ضرغام : فارس شاب من فرسان عبس ، يحب عبلة ، ويخطبها كذلك .

ناجية : فتاة من عبس ، تحب صخراً

شدّاد : أبو عنترة .

داحس : رفيق عنترة .

مارد :
غضبان : } عبدان .

رستم : قائد الفرس .

سعاد : خادم عبلة .

نكرات مسرحية :

رجال وخدم وفتيات من عبس وعامر ، راقصات ومغنّيات وزامـرون ، ولصوص ..

الفصل الأول

(عين ذات الإصاد [1] في يمين المسرح وقد حُفَّت بالنخيل وفي اليسار مضارب بني عبس ، وأظهرُها خيمة مالك الحمراء التي يبدو جزء منها حوله ومن ورائه فضاء . في جبهة المسرح ربوة عالية وكثبان من الرمال تستوي بالأرض من ناحية اليمين . الوقت في مطلع الشمس ، وقد وقف عنترة أمام الخيام باديًا عليه النَّصَب والكَلال . يُسمع نباح كلاب من وراء الخيام)

المشهد الأول

عنترة :

سَلي الصُّبْحَ عَنّي كَيْفَ يا عَبْلَ أصبحُ
وَأَيْنَ يَراني نَجْمُهُ حِينَ يَلْمَحُ
أ في خَيْمَتي كَالنَّاسِ أَمْ في بُيُوتِكُمْ
أَبُثُّ الخِيامَ الشَّوْقَ وَهْوَ مُبَرِّحُ [2] ؟
أُقَبِّلُ أَطْنابَ [3] البُيُوتِ ، وَرُبَّما
تَلَفَّتُّ عَنْ مُنْهَلَّةِ [4] الدَّمْعِ تَسْفَحُ [5]
أَرَى بِوُقُوفي في دِيارِكِ راحَةً
كما يَسْتَريحُ ابنُ السَّبيلِ المُطَرَّحُ [6]
أبوكِ غَريرُ [7] القَلْبِ لَمْ يَعْرِفِ الهَوَى
وَلَمْ يَدْرِ ما يَأْسُو القُلوبَ وَيَجْرَحُ
يَخِفُّ لِواشٍ يَشْرَحُ الزُّورَ سَمْعُهُ
وَفي أُذْنِهِ وَقْرٌ [8] إذا جِئْتُ أَشْرَحُ
أَرَى الغِيدَ مِنْ حَوْلي وَفيهِنَّ سَلْوَةٌ
فَمَا لي أَرُدُّ القَلْبَ عَنْكِ فَيَجْمَحُ
فَما سَرَّني مِنْهُنَّ ما كانَ يُشْتَهَى
وَلا رَاقَ لي مِنْهُنَّ ما كانَ يَمْلُحُ
أَحِيدُ عَنِ السَّاري لِكَيْ لا يَرِيبَكُمْ
وَأُقْصِي كِلابَ الحَيِّ عَنّي فَتَنْبَحُ
فَيا عَبْلَ قَدْ طالَ التَّنائي وَظِلُّهُ
مَتَى بِتَدانِينا الحَوادِثُ تَسْمَحُ ؟

(يصعد الرَّبوة من اليمين)

يا لَيْتَ حُبَّكِ عَبْلَ لي
حُبُّ القَطَاةِ لِشِكْلِها [9]
أَوْ حُبُّ قُبَّرةِ الصَّفا
لأليفِها وَلِخِلِّها
أَوْ مِثْلُ حُبِّ نَجيبَةٍ [10]
مَجْنُونَةٍ في فَحْلِها
لَيْتَ افْتِتانَكِ لَمْ يَكُنْ
بِشَجاعَتي وَبِفَضْلِها
أَوْ لَيْتَ حُبَّكِ لَمْ يَكُنْ
لِقَصائِدي وَلِنُبْلِها

(يهيئ لنفسه مُضْطجعًا وراء نخلتَيْن على الربوة يحجبانه عن سائر المسرح جهد المستطاع ثم يرقد . ويعلو نباح الكلاب وثُغاء الشاء وصياح الدِّيكة ، ويمرّ به فتيان سائران على الربوة وقادمان من ناحية الخيام)

* * *

المشهد الثاني

أحد الفتيَيْن :

مَا ذَاكَ ؟ مَنْ ؟ قِفُوا ، انْظُرُوا
جُلْمُودُ صَخْرٍ أَمْ جَسَدْ ؟

---

(١) ذات الإصاد (بكسر الهمزة) قُليب في ديار بني عَبْس في أرض الشربّة بنجد ، وأصل الإصاد ردهة بين أجْبُل .

(٢) المبرِّح : الشديد . (٣) الأطناب : جمع طُنُب ، الطَّرف والناحية أو الحبل الذي يُشد به الخباء .

(٤) منهلّة الدمع : يعني العين التي بلغت غايتها في ذرف الدموع . (٥) تسفح : تصبّ .

(٦) المطرح : المُلقى لا يحفل به أحد .

(٧) غرير القلب : لا تجربة له . (٨) الوَقْر : الثقل والصمم .

(٩) الشكْل : المِثْل والشَّبيه .

(١٠) النَّجيبة : الناقة .

الآخر:

هَذا الفَتَى عَنْتَـــرةٌ
كُلُّ الثَّرى لَهُ وُسُـــدْ [١]
قَدِ الْتَوَى كالأُفْعُـوا
نِ وَتَمَطَّــــى كَالأَسَــدْ

(يهبط الفتَيان الربوة ويختفيان ناحية اليمين وراء النخيل ، ويُسمع صوت هاتف من وراء الخيام)

* * *

المشهد الثالث

الهاتف :

الدِّيكُ عِنْدَ البُيوتِ صاحا
يا حَيَّ عَبْسٍ ، عِمُوا صَبَاحا
حَيَّ هَلا يـا رُعـاةُ هُبُّوا
هاتُوا المَواشي خُذُوا البِطاحـا
هَلُمُّمْنَ يا رَاعياتِ عَبْسٍ
الرَّعْـيَ والحَلْـبَ وَالفَلاحـا

(يخرج صِبْيَةٌ وجوارٍ من كل ناحية في الحي مارّين بالخيمة الحمراء ومتّجهين إلى الحظائر وراء النخيل ، بينما يجلس جماعة من الجواري على حفافي العين يملأن الجرار ومن بينهن ناجية ، ثم تخرج عبلة من الخيمة الحمراء وتقف أمام بابها تتمطى وتتثاءب)

* * *

المشهد الرابع

عبلة :

وَادي الصَّفا تَجَاوَبَتْ
وَزَقْزَقَـــتْ عَصَافِـــرُهْ
وَانْتَبَهَـتْ خِيامُــهُ
وَاستَيْقَظَــتْ حَظائِـــرُهْ
صاحَتْ هُنــاكَ شاؤُهُ
وَهَهُنَـــا أَباعِـــرُهْ
أَوَّلُهُ فـي لُجَّةِ الْـ
ـفَجْرِ جَرَى وَآخِـــرُهْ
نَبَاتُــــهُ وَمــــاؤُهُ
وَظِلْفُــهُ [٢] وَحافِـــرُهْ

فتاة تتغنّى :

جِئْنَ الصَّفا يا عَذارَى
وَامْلأْنَ مِنْـــهُ الجِـرارا

الأخرَيات متغنّيات :

جِئْنَ الصَّفا ... ...
... ...

الأولى وحدها :

ماءَ مِنَ الفَجْرِ أَصْفَى
فرِدْنَ صَفـــا فَصَفّـــا
وَاقْعُدْنَ فَاضْرِبْنَ دُفّـــا
وَقُمْنَ فَاضْرِبْنَ طـــارَا

الأخريات :

جِئْنَ الصَّفا يا عَذارَى
وَامْلأْنَ مِنْــهُ الجِـرارا

الأولى :

تِلْكَ دُمُوعُ الغَوادِي [٣]
جُمِّعْنَ مِنْ كُــلِّ وادِ
في عَيْنِ ذاتِ الإصادِ
ثُمَّ انْفَجَرْنَ انْفِجَـــارا

الأخريات :

جِئْنَ الصَّفا يا عَذارَى
وَامْلأْنَ مِنْـــهُ الجِرارا

---

(١) وُسُد : جمع وسادة ، وهي المخدّة .

(٢) ظِلْفُه وحافره : الظِّلف ، الظفر المشقوق للشاة والبقرة ونحوها، والحافر ما يقابل القدم للإنسان ، والمراد كل حيواناته .

(٣) الغوادي : جمع غادية .

الأولى :

رِدْنَ القَراحَ [١] الزُّلالا

رِدْنَ الرَّحِيقَ الحَــــلالا

فَما سَقَى مُنْذُ سَالا

كَمِثْلِ عَبْسٍ دِيــــارا

الأخريات :

جِئْنَ الصَّفا يا عَذارَى

وَامْلأْنَ مِنْـهُ الجِــــرارا

(تدخل عبلةُ خيمتها ، ويمرُّ صخر أمام الخيام متهاديًا واقفًا في المسرح هنا وهناك بين الحين والحين)

* * *

المشهد الخامس

إحدى الفتيات :

ناجِيَةٌ اسْمَعي انْظُري

مَنِ الفَتَى يا ناجِيَــــهْ ؟

ذاكَ الفَتَى المُهَنْدَمُ الْـ

ـحُلْوُ الرَّقِيقُ الحَاشِيَــــهْ

ناجية :

كَيْفَ أ لَمْ تَرَيْهِ قَبْـــ

ـلَ هَذِهِ في النَّاحِيَهْ ؟

الفتاة :

لِلَّهِ مَا أَظْرَفَــــهُ !

ناجية :

أَحْبَبْتِهِ يــا غَاوِيَــــهْ

خَلِّيهِ فَهْوَ مُغْــــرَمٌ

صَبٌّ بِأُخْرَى سَالِيَــــهْ

الفتاة :

مَنِ الْفَتَى ؟

ناجيه :

مِــنْ عامِـــرٍ

أَبُوهُ مَوْفُــورُ النَّعَـمْ

يُقَالُ فــي حِظَارِهِ [٢]

أَلْفَانِ مِنْ حُمْرٍ [٣] النَّعَمْ

الفتاة :

يُحِبُّ مَنْ ؟ يَعْبُدُ مَنْ ؟

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الصَّنَمْ

ناجية :

إِنَّ الَّتي هَامَ بِهَـــا

بِغَيْرِ عَبْدٍ لَمْ تَهِــــمْ

الفتاة :

عَبْلَةٌ ؟

ناجية :

لِمْ لا ؟ إِنَّها الْــ

ـيَوْمَ حَدِيثٌ لِلأُمَمْ

صَيَّرَهَـــا عَنْتَــــرَةٌ

نارًا عَلَى رَأْسِ عَلَمْ [٤]

(تظهر عبلة على باب الخباء)

* * *

المشهد السادس

ناجية :

خَيْمَتُكِ الحَمْرَاءُ يــا

عَبْلَ ، لَعَمْري فاخِــــرَهْ

تَصْلُحُ أَنْ يَسْكُنَهَـــا

عَقَائِـــلُ المَنَــــاذِرَهْ

(١) القَراح : الماء الذي لا شائبة فيه .

(٢) حِظار : جمع حظيرة ، الموضع تأوي إليه الماشية .

(٣) حُمر النَّعَم : كرائمها ، والنَّعَم الإبل .

(٤) العلَم : الجبل .

فتاة :

مُتْعَبٍ يا أخْتُ بِهَا

وَلا تَزالُ عامِرَهْ

وَعَاشَ أهْلوكِ ، وَعاشَ مالُكْ

وَعِشْتِ في بَيْتِكِ يا عَبْلَ ، المَدى

مَعْ رَجُلٍ كَأنَّهُ لَيْثُ الوَغى

صخر :

بَلْ رَجُلٍ كَأنَّهُ بَدْرُ الدُّجى

عبلة :

بَدْرُ الدُّجى ؟ لا ، لَيْسَ ذاكَ بُغْيَتي

نَحْنُ الغَواني حَسْبُنا بَدْرُ السَّما

إنْ كانَ في الأسْمارِ باتَ عِنْدَنا

أوْ في الكَرَى عَلى المَضاجِعِ انْحَنى

البَدْرُ في بِيضِ لَياليهِ مَعي

صخر :

ماذا تُريدينَ إذَنْ ؟

عبلة :

لَيْثَ الشَّرى [1]

أُريدُ أجْلاداً [2] شَديدَةَ القُوى

وَساعِداً خَشْناً كَجُلْمودِ [3] الصَّفا

صخر :

وَسَحْنَةً كَأنَّما قَدْ قُلِّبَتْ

عَلى هَبابِ القِدْرِ وَجْهاً وَقَفا

عبلة :

تُريدُ أنْ تَسْخَرَ مِنْ عَنْتَرَةٍ ؟

بَيِّنْ . كَفَى يا صَخْرُ ، تَعْريضاً كَفَى

إنْ كُنْتَ كَالفِتْيانِ فَامْضِ لاقِهِ

صخر :

أنا ؟ ألاقيهِ ؟ أ مَجْنونٌ أنا ؟

لِمْ لا تَقولينَ ألْقَ حَيَّةَ الصَّفا

أوْ أسَدَ الصَّحْراءِ ، أوْ ذِئْبَ الفَلا

عبلة :

خَلِّكَ مِنْهُ صَخْرُ ، لا تَقْتَسْ بِهِ

لا تَتَّزِنْ [4] صَخْرُ بِفارِسِ الوَغى

صخر :

الحَقُّ أنّي يا بَنا

تِ عَبْسٍ خانَني الصَّبِرْ [5]

سَئِمْتُ مِنْ عَنْتَرَةٍ

وَمِنْ ثَنائِهِ العَطِرْ

وَمِنْ حَديثِ بَأْسِهِ

وَمِنْ نُعوتِهِ الأُخَرْ

وَفِتْنَةِ البَدْوِ بِهِ

وَشَأنِهِ بَيْنَ الحَضَرْ

أ كُلُّ ذِئْبٍ رِبُّهُ

وَشَبْعُهُ مِنَ البَشَرْ

وَكُلُّ لَيْثٍ فاتِكٍ

وَكُلُّ حَيَّةٍ ذَكَرْ [6]

وَكُلُّ سَيْلٍ لَمْ يَدَعْ

وَكُلُّ رِيحٍ لَمْ تَذَرْ

عِنْدَ الرِّجالِ وَالنِّسا

ءِ كائِنٌ لَهُ خَطَرْ ؟

عبلة :

خَلِّينَ صَخْراً دَعْنَهُ

قَدْ قَتَلَ الفَتى الحَسَدْ

اِسْمَعْنَ شاةَ عامِرٍ

ماذا تَقولُ في الأسَدْ

---

(١) الشَّرى : موضع كثير الأسْد . (٢) الأجلاد : جماعة جسم الإنسان وبدنه . (٣) جلمود الصَّفا : صخر الجبال .

(٤) لا تتَّزن به : لا تعدِلْ نفسك به .

(٥) الصَّبِر (بكسر الباء) عصارة شجر حامض ، وليس المراد ؛ وإنما المراد الصَّبْر بسكون الباء وحركت الباء للقافية .

(٦) الحيّة الذَّكر : الشديدة المهلكة .

صخر:

شاةٌ أنا يا بَناتِ عَبْسٍ ؟
اِحْسَبْنَني الشّاةَ ما يَضُرُّ
في الشّاةِ وَاللّهِ كُلُّ خَيْرٍ
وَلَيْسَ فيها أذًى وَشَرُّ
مِزاجُها هادِئٌ لَطيفٌ
وَشَكْلُها رائِقٌ يَسُرُّ

عبلة (ضاحكة) :

اِضْحَكْنَ يا بَناتُ
العامِرِيُّ شاةُ

(ثم إلى صخر) :

بُسْبُسْ ، تَعَالَيْ بُسْبُسِ

أخرى:

هُسْ شَاةَ عَامِرٍ هُسِي
خُذي كُلي مِنْ تُرمُسي

صخر:

شَهِدَ اللّهُ قَدْ أسَأْتُنَّ فَهْمَا

عبلة:

نَحْنُ ؟ بَلْ أَنْتَ قَدْ أَسَأْتَ مَقَالا

صخر:

ما الّذي قُلْتُ ؟

عبلة:

قُلْتَ : ما قيمةُ البأْ
سِ وَصَغَّرْتَ عِنْدَنا الأبْطالا

صخر:

إنّما قُلْتُ : تَأخُذُ الذِّئْبَةُ الذِّئْـ
ـبَ وَتُعْطَى اللّبَاْةُ الرِّئْبالا (١)
وَابْنَةُ النّاسِ لابْنِهِمْ ، فَقَديماً
سَخَّرَ اللّهُ لِلنِّساءِ الرِّجالا

عبلة:

لا تريدُ الرِّجالَ يا صَخْرُ إلّا
جُبَنـاءَ أذِلَّـةً أنْـذالا

صخر:

بَلْ أُريدُ الحَيَاةَ خَيْرًا وَسِلْماً
لَيْسَ شَـرًّا سَبيلُهَـا وَقِتـالا
أُريدُ الجَمالَ لِهَذا الجَمالِ
وَأَبْغي الشَّبابَ لِهَذا الشَّبابْ
وَيَحْزُنُني أنْ تُزَفَّ الظِّبـاءُ
إلى أُسْدِ الغـابِ ، أوْ لِلذِّئابْ
وَأنْ تُحْمَلَ امْرَأَةٌ كالشُّعاعِ
عَروساً إلـى رَجُـلٍ كالهَبابْ
وَفي البِيدِ كُلُّ فَتًى كالسِّرَاجِ
إذَا أظْلَمَ اللّيْلُ ، أوْ كالشِّهابْ

عبلة:

جَميلٌ وَلَيْسَ بِحامي البُيوتِ
وَلا مَانِعٍ مِنْ يَـدٍ مَا لَـهُ
إذَا ما عَوَى الكَلْبُ ضَلَّ السِّلاحَ
وَبَلَّ مِنَ الخَوْفِ سِرْوالَـهُ
يَجُـودُ بِزَوْجَتِـهِ لِلْمُغيـرِ
وَيَرْمي إلى الذِّئْبِ أطْفَـالَهُ

صخر:

وَمَنْ تَعْنينَ يـا عَبْـلَ ؟

عبلة:

وَمَـنْ يا صَخْـرُ ، مَنْ تَعْنـي ؟
لَقَدْ أسْرَفْتَ في التَّعْريـ
ـضِ بِاللّيْثِ وَفـي الطَّعْـنِ

(تُسمع ضَجّةٌ وأصواتُ استغاثة من ناحية الخيام)

عبلة:

وَيْحَ جيرَاني وَ وَيْحي
صَرَخـاتٌ وَصَفيـرُ

---

(١) الرِّئبال : الأسد .

وَعَلَى الخَيْماتِ أَشْبا
حٌ وَأَقْــــدامٌ تَــــدُورُ
أ تُرَى قَدْ نَزَلَ اللُّـصُــ
ــــصُ بِعَبْسٍ وَالمُغِيرُ ؟

صخر :

الحَيَــــاةَ الحَيَــــاةْ
النَّجَــــاةَ النَّجَــــاةْ
الفِــــرَارَ الفِــــرَارْ
القِفَــــارَ القِفَــــارْ

(يفرّ الجميع من هنا ومن هناك ، وتبقى عبلة وحدها ، فتخرج إليها من الخيمة الخادمُ سعاد)

* * *

المشهد السابع

سعاد :

سَيِّدتي هَيَّ [1] اهْرُبِــــي
جَمْعُ الشَّياطينِ اقْتَــــرَبْ

عبلة :

أَهْرُبُ ؟ لا ! مَا في طِبا
عِ العَرَبِيَّاتِ الهَــــرَبْ
نحنُ ثِنْتَانِ يا سُعَا
دُ تَعَالَــيْ بِجَانِبِــــي
بَلْ قِفِي حَيْثُ أَنْتِ في
طَرَفِ البَابِ رَاقِبِــــي

سعاد :

وَمَعِــــي

عبلة :

مَا الَّذي حَمَلْتِ ؟

سعاد (وتظهر خنجرها) :

خَلِيلِــي وَصَاحِبِــي

(تدخل عبلةُ الخيمة ، ويُسمع صوتها من الدّاخل ، وتُرى من الباب)

عبلة :

خَنْجَــــرٌ مِثْــلُ خَنْجَــــرِي
جَرِّدِيــــــهِ تَأَهَّبِــــــي
خَنْجَرِي ، أَيْنَ خَنْجَرِي اليَوْمَ مِنِّي
هُوَ ذا ، خَنْجَرِي تَعالَ أَعِنِّي
حُطَّ عَفَافِي ، وَحَامِ عَنْ قُدُسِ العِزْ
زَى ، وَرُدَّ اللُّصُوصَ عَنْها وَعَنِّي

(تتجه عبلة إلى صنم بداخل الخيمة)

عُزَّايَ ، قَوِّي يَمِينِي
عُزَّايَ ، لا تَخْذُلِينِــي
أَبِي تَأَخَّرَ عَنِّــــي
وَإِخْوَتِــي تَرَكُونِــــي
وَأَيْنَ عَنْتَرَةُ اليَــــوْ
مَ ؟ أَيْنَ حامي العَرِيـنِ ؟
لَوْ كانَ في أَرْضِ عَبْسٍ
لَجَرَّدَ السَّيْفَ دُونِــي
عُزَّايَ ، مَعْبودَ ثَقِيـ
فٍ وَإِلَهَـةَ العَــــرَبْ
إِنَّ اللُّصُوصَ طَمِعُوا
فِيما عَلَيْكِ مِنْ ذَهَبْ
لَنْ يَسْلُبوكِ شَعْـرَةً
وَفِيَّ عِـرْقٌ يَضْطَــرِبْ

(تخرج عبلة)

كَـمِ الرِّجالُ ؟ هَلُمِّي
قُومِي انْظُرِي يا سُعَـادُ

(تدور سعاد حول الخباء في حَذَر ثم تعود)

---

(١) هَيَّ : اسم فعل أمر بمعنى أسرع .

سعاد :

سَيِّدَتي لا تُراعــي
حَوْلَ الخِبَاءِ ثَلاثَـــةْ
وُجُوهُهُمْ كالحَــاتَ
وَبِالثِّيَــابِ رَثَاثَـــةْ

* * *

المشهد الثامن

(يظهر أحد اللُّصوص فتختفي الفتاتان وراء بابِ الخباء ، حتى إذا حاذى الباب طعنته عبلة في ظهره)

عبلة (هامسة) :

ذِئْبٌ ؟ تَعالَ خُذْ[1] ؛ مُتِ
قَتَلْتُــهُ بِضَرْبَـــةِ

* * *

المشهد التاسع

(يظهر لصٌّ آخر فتطعنه سعاد)

سعاد (هامسة) :

وَأَنْتَ أَيْضاً يا شَقِي
خُذِ امْضِ ، مُتْ ، بِهِ الْحَقِ

اللص (ممدَّدًا على الأرض) :

آهِ مِــنَ الخَنَاجِرْ

الأوّل :

شَلَّتْ يَمِينُ الغَــادِرْ

(يظهر لصوص آخرون من هنا وهناك وراء الخباء)

المشهد العاشر

سعاد :

سَيِّدَتي

عبلة :

سُعَادُ مَاذَا ؟ ما الخَبَرْ ؟

سعاد :

سَيِّدَتي ، الآنَ نُواجِهُ الخَطَرْ
سِرْبٌ[2] مِنَ الذِّئَابِ نَحْوَنا انْحَدَرْ

عبلة :

بَلْ هُوَ ذا سُعَادُ في البَيْتِ انْفَجَرْ
قِفي سُعَادُ ناحِيَـــةْ
دُونَكِ تِلْكَ الزَّاوِيَـــةْ

سعاد :

وَأَنْتِ مِنْ وَرائِيَهْ

عبلة :

لا بَلْ مَكاني هَهُنا
قَرِيبَـــةُ الدَّارِ أَنَـــا
سُعَـادُ ، لِلْمَنِيَّـــةْ
أَحْلَـى مِـــنَ الدَّنِيَّـةْ
وَلا يَزِيدُ في العُمُرْ
شَيْءٌ إِذَا المَوْتُ حَضَرْ
هَيَّ ابْنَتـي تَقَنَّعـي
ونَاوِلِينـــي بُرْقُعـــي
وَقَاتِلي الجَمْعَ مَعي

أحدُ اللُّصوص :

اللّاتُ أَكْبَرْ مَا ذَاكَ ؟

عبلة :

خَنْجَـــرْ

(١) (خُذْ) : لعل استعمالها بالدال المهملة لهجة عربية ، بدليل استعمالنا لها الآن . وفي المعجم الكبير أن مادة (أخذ) واسعة التصرف والاستعمال في اللغات السابقة ، فهي (أ خ ذ) في العربية الجنوبية القديمة ، و (أ خ ز) في الحبشية ، ... و (أ خ د) بالدال المهملة في الأوجاريتية ...

(٢) السِّرْب : الفريق .

(تحاول أن تطعنَه فيمسك بذراعها ،
ويمسك لصٌ آخر بذراعها الأخرى ،
ويقبض لِصّان آخران على سعاد)

اللص :

ما لِلْمُبَرْقَعاتِ وَالخَناجِرِ يَحْمِلْنَها ؟

عبلة :

لِرَدْعِ كُلِّ فاجِرِ

لص آخر :

تَعالَي اسْفِري ارْفَعي
ما ذَا وَرَاءَ البُرقُعِ ؟
الآنَ تَمْضِينَ مَعي !

(يحمل بعض اللصوص عبلةَ وسعادَ
إلى ما وراء السِّتار من ناحية اليَسار؛
فتُسمع استغاثةُ عبلةَ من هناك بينما
يبقى في المسرح سائرُ اللصوص)

آخر (مُمْسكاً بِخناق أخيه) :

بُشْرايَ دَعْ يا بْنَ الزِّنا
القُرْطَ لـــي ،

آخر :

بَلْ لي أنا

الأوّل :

السَّيْفُ بَيْنَنا حَكَــمْ

الثّاني (ويطعنه) :

خُذْها وَمَا شِئْتَ فَنَمْ

الثّالث :

لا لَكَ القُرْطُ ، وَلا لَهْ

(ثم يطعن الثّاني)

أعْطِنِيهِ يا حُثَالَهْ

(ضَجَّةُ الغارة مستمرة من وراء السِّتار
. يقدم من يسار الربوة المرتفع شدّاد
ومالك فيهرب اللصوص ، ويعثر
القادمان بِعنترة وهو نائم)

* * *

المشهد الحادي عشر

عبلة (مستصرخة) :

وَاعَنْتَــرا وَاعَنْتَـــرَا
لَيْتَكَ عِنْدي فتَــرَى
حَلَّ الذِّئابُ ساحَتي
إليَّ يَا لَيْثَ الشَّــرَى

أحد اللصوص :

الخَيْمَــةُ الحَمْـــرَا
القُبَّـــةُ الكُبْـــرَى
هُنا رَوَائِعُ التُّحَـــفْ
هُنَا نَفَائِسُ الطُّــرَفْ [1]
هُنا عَصَائِبُ [2] اليَمَنْ
وَ وَشْيُها الغَالـي الثَّمَنْ

* * *

المشهد الثاني عشر

شدّاد :

أ ضَجْعَةً يا عَبْدُ وَالحَيُّ سُبِي ؟

عنترة :

مَنِ المُنادي ؟ سَيِّدي ؟ صَوْتُ أبي ؟

شدّاد :

ماذَا يَقولُونَ غَداً في العَرَبِ ؟

(يظهر من يمين الربوة بعضُ الهاربين)

* * *

---

(١) الطُّرف : جمع طُرفة ، كل شيء عجيب .
(٢) عصائب اليمن : الثياب المصبوغة بصبغ القصب (وهو ينبت في اليمن) .

المشهد الثالث عشر

أحد الهاربين :

أَبِيحَتِ الحِظَارُ والخِيَامْ
وَاخْتُطِفَتْ جَرْوَةٌ يا هُمَامْ

مالك :

وَا فَرسا طارَ بِها الطَّغامُ (١) !

مالك (لعنترة) **:**

عَنْتَرَ ، قُمْ رُدَّ عَلَيَّ جَرْوَتي

عنترة (بِبُرود) **:**

سِرْ أَنْتَ أَنْقِذْها ، وابْعَثْ إِخْوَتي
وَخَلِّني أَغْنَمْ لَذِيذَ غَفْوَتي

(ويرقد)

هارب آخر :

يا سَيِّــدَ المَــاءِ
لَيْسَ لَنَــا المَــاءُ
اُطْـرِدَتِ (٢) الإِبِــلُ
وَسِيقَـــتِ الشَّـــاءُ

شدّاد :

يَا بْنَ شَدَّادِ

عنترة [بتهكم] **:**

ما أَنا ابْنٌ لِشَدَّا
دِ ، وَلكِنْ عَبْدٌ يَسُومُ وَيَسْقِي
لَسْتُ مِنْ عَبْسَ لا ؛ وَلَسْتُ لَكَ ابْنا
لَوْنُ أُمِّي أَفَاتَني مِنْكَ حَقِّي

شدّاد :

قُمْ يا فَتَى عَبْسٍ ، انْهَضْ
ذُدْ عَنْ حَرِيمي وَعَنِّي

(١) الطغام : أوغاد الناس .
(٢) أطردت الإبل : ضُمَّت من جميع نواحيها .

إذا رَدَدْتَ السَّبَايــــا
فَأَنْتَ عَنْتَرَةُ ابْنــــي

عنترة :

يا سَيِّدَ الحَيِّ ، قُلْ لي
مَتَى فَطِنْتَ لِشَأْنــــي ؟
أ أَنْـــتَ ذَا تَدَّعِيني
وَكُنْتَ تَبْرأُ مِنّــــي ؟

هارب ثالث :

يا سَيِّـدَ الــوادِي
هَيَّ احْمِـهِ هَيَّ
عَبْلَةُ ...

عنترة (ناهضاً) **:**

ما الخَطْبُ ؟

الفتى :

سُلَّتْ مِـنَ الحَيِّ

عنترة :

أنا كالليْثِ ما الهَزِيمَةُ في طَبْـ
ـعي وَلَيْسَ الفِرارُ لي في جِبِلَّهْ (٣)
أنا حُـرٌّ وَإِنْ أَبَتْ عَبْسُ وَالنَّا
سُ وَآبائِيَ السَّراةُ (٤) الأَجِلَّـــهْ
لا لِحُرِّيَّتـي أَمـوتُ ، وَلكِـــنْ
حَبَّذَا المَوْتُ فـي سَبِيلِكِ عَبْلَهْ

(يسمع صوت استغاثة من وراء الستار)

المستغيث :

عَنْتَـــرَةَ البَـــأْسِ
وَيـا عَزِيـزَ الجَــارْ
تِلْكَ نِسا عَبْــسٍ
حَـلَّ عَلَيْهــا العَــارْ

(٣) الجِبِلَّة : الخِلْقة .
(٤) السَّراة : جمع سَرِيّ ، الشريف السيد في قومه .

عنترة :

لَبَّيْكِ يـا عَبْـــسُ
يا عَبْـسُ لَبَّيْـــكِ
عَنْتَـــرَةُ الـــرَّوْعِ
أمّـــنَ سِرْبَيْـــكِ

(يُسمع صوت عبلة من بعيد ومن وراء الستار)

عبلة :

وَ اعَنْتَرَتَـــا وَ اعَنْتَرَتَـــا

عنترة :

لَبَّيْكِ عُبَيْلَ ، اللَّيْثُ أتى
عَبْلَةُ ، يا عَبْلَ ، لا تُراعي
لَبَّيْكِ بِالسَّيْفِ ، بِالقَناةِ
يا عَبْلَةَ القَلْبِ ، لا تُراعي
لَبَّيْكِ بِالرُّوحِ ، بِالحَيَـاةِ
تَأمَّلي غَضْبَتي تَرَيْها
كَغَضْبَةِ اللَّيْثِ لِلْبُـــاةِ

(يظهر جماعةٌ من اللصوص من ناحية الخيام يحملون أسلابًا ، ويحاولون الهرب عن طريق العَيْن حينما سمعوا صوت عنترة ، فيهبط عنترة من الربوة ويَقْطع عليهم الطريق)

* * *

المشهد الرابع عشر

عنترة :

يا سَرَقَهْ ، يا فَسَقَهْ
اللَّيْـــثُ جَـــا
رُءوسَكُم نُفوسَكُم
أوْ فَالنَّجَـــا
خَلُّـــوا الحِلَى
دَعُـــوا الوُسُـــدْ
مَـــنْ يَخْتَلِسْ
حَبْلَ مَسَـــدْ [1]
فَـــــوَيْلَهُ
مِـــنَ الأسَـــدْ

(يهجم عليهم)

كُونُوا ذِئابَ الفَلا
إنِّي أنَـــا القَسْـــوَرَهْ [2]

أحد اللصوص :

عَنْتَرَةَ جاءَكُـــمْ
عَنْتَـــرَةَ عَنْتَـــرَهْ

عنترة :

رُدُّوا الحُرَمْ إلى الخِيَمْ
سُوقُوا النَّعَمْ إلى الحِظَارْ
هَلُمُّوا يا ذِئابَ القَفْرِ
لاقُوا السَّيْـــلَ وَالنَّارَا
هَلُمُّوا جَمْعَكُمْ وَاجْرُوا
رِياحًا أجْـــرِ إعْصَارَا
فَهَذَا اليَوْمُ في البِيـــدِ
سَيَبْقَى بَيْنَنَـــا ثَـــارَا
مَنْ يَتَّزِنْ [3] بِاللَّيْثِ ؟ مَنْ ؟
حَذَارِ مِنْ بَطْشِي حَذَارْ
هَاتُوا القَنَا ، ألْقُوا هُنَـــا
إنِّي أنا سَيْلٌ وَنَـــارْ

أحد اللصوص :

زَمْجَـرَةً قَسْــــوَرَةً
عَنْتَرَةً ، هَيُّـــوا الفِـــرَارْ

(١) المَسَد : اللّيف .
(٢) القَسْوَرة : الأسد .
(٣) اتزن : صار مساويًا .

آخر :

بَلِ اهْجُمُوا وأَقْدِمُـــوا

لا تُحْجِمُوا فَذَاكَ عَـــارْ

أسيد :

مَكَانَكُمْ يا قَوْمُ لا تَفَرَّقُوا

كَمْ ذَا مِنَ العَبْدِ ؟ إلى كَمْ نَفْرَقُ [1] ؟

(لعنترة) :

هَلُمَّ عَنْتَرَ القَنَـــي

تُسْقَ الرَّدَى أَوْ تَسْقِنِي

عنترة :

مَنِ الفَتَى ؟

أسيد :

ابْنُ حُرَّةٍ !

عنترة :

عَرَّضْتَ يا أَحْمَقُ بِـــي

أنا ابْنُ شَدَّادٍ فَمَنْ

أبوكَ ؟ جِئْنِـــي بِـالأبِ

أسيد :

أبي مُعَانِقُ الأَسَلْ [2]

سَلْ عَنْ أبي مَنْ شِئْتَ ، سَلْ

عنترة :

شَدَّادُ أَعْلَى وَأَجَلْ

أحد اللصوص :

صَاحِبُكُمْ وَعَنْتَـرَهْ

يا عَجَبًا هَيُّوا نَـــرَهْ

أَسَيْـــدُ شَهْـــمٌ

أَسَيْـــدُ باسِـــلْ

تَعَـــالَ نَنْظُـــرْ

كَيْـــفَ يُنَـــازِلْ

لَيْثَ الصَّحَـــارَى

غُـــولَ القَبَائِـــلْ

(يطعن عنترة أَسَيْدًا فيُرديه ، ثم يجري إلى ما وراء الخيام باحثًا عن عبلة و وراءه مالكٌ وشدّاد)

* * *

المشهد الخامس عشر

لص :

أَسَيْدُ عِشْ أَنْتَ

أَسَيْدُ يَسْتَاهِـــلْ [3]

من يَطْفِرِ [4] النَّارَ

فَلَيْسَ بِالعَاقِـــلْ

آخر :

هَـذَا القَـــدَرْ

مَـــنْ يَقْحَمُـــهْ [5]

هَـذَا الصَّخَـــرْ

مَـــنْ يَصْدِمُـــهْ

(يفرّ اللصوص من اليمين ويدخل عنترة وعبلة من اليسار و وراءهما داحس وسعاد)

* * *

(١) نَفْرَق : نخاف .

(٢) الأَسَل : نبات تصنع منه الرماح ، وهي المراد هنا .

(٣) يستاهل : أصلها بالهمز فخفف ألفًا للقافية حيث يُلتزم حرف التأسيس فيها وهو ألف المد الذي يكون بينه وبين الرّويّ حرف متحرك ، والمعنى يستوجب ويستحق .

(٤) يَطْفِر : يقفز .

(٥) يَقْحَمُه : يدنو منه .

المشهد السادس عشر

عنترة :

لَبَّيْكِ عَبْلَةُ ، يا فِداكِ حَياتـي
نادي يُجِبْكِ مُهَنَّدي (١) وَقَناتي (٢)
لَوْ رَنَّ صَوْتُكِ في جَوانِبِ حُفْرَتي
لَبَّاكِ مِنْ ثَبَجِ (٣) التُّرابِ رُفاتي
البِيدُ تَحْتَ يَدِي وَتَحْتَكِ ضَيْعَةٌ
أنا لَيْثُ غابَتِها وَأَنْتِ لَباتـي
رُوِّعْتِ بِنْتَ العَمِّ ؟

عبلة :

مِمَّ ؟

عنترة :

أَلَمْ يَرُعْ
مَرْأَى البُزاةِ (٤) حَمامَتي وقَطاتي (٥)

عبلة :

مَرْأَى البُزاةِ ؟ تَرَى اللُّصوصَ بَوازِيًا
هُمْ دُونَ ذَلِكَ ، هُمْ حِداءُ فَلاةِ
جُبَناءُ خَطَّافونَ ، أَكْبَرُ هَمِّهِـمْ
عُكَّـازُ شَيْخٍ أَوْ حُلِيُّ فَتـاةِ

عنترة :

مَاذا لَقِيتِ مِنَ اللُّصُوصِ ؟

عبلة :

بَلِ امْضِ سَلْ

(تشير إلى قتيلين على باب الخباء)

هَذَيْنِ : كَيْفَ تَلَقَّيا طَعَناتي ؟
أَنا وَابْنَتي هَاتِيكَ جَدَّلْنَاهُمَا

(١) المهنّد : سيف مصنوع في الهند ، وقد اشتهرت بصناعة السيوف فنسبت إليها . (٢) القناة : الرمح .
(٣) الثّبج : وسط الشيء تجمّعَ وبرز .
(٤) البزاة : جمع بازٍ ، نوع من الصقور .
(٥) القطاة : نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء .

عنترة :

حَقٌّ سُعَادُ فَعَلْتِ ؟

سعاد :

سَلْ مَوْلاتي

عنترة :

أَجَلْ أَرَى جُثَّةً وَأُخْرَى
دَاحِسُ ماذا تَرَى ؟

داحس :

دِمَـاءَ

عنترة :

أَ أَنْتُما تَقْتُلانِ ؟

عبلة :

لِمْ لا ؟

عنترة :

مَنْ قَلَّدَ الخَنْجَرَ الظِّباءَ ؟

عبلة :

ذِئابُ قَفْرٍ مَشَتْ إِلَيْنا
كَوَالِحًا (٦) تُضْمِرُ العَداءَ

عنترة :

وَأَيْنَ كَانَ الرِّجالُ ؟

عبلة :

سَلْهُمْ

عنترة :

وَكَيْفَ لَمْ يَسْمَعُوا النِّداءَ ؟

عبلة :

لَقَدْ تَلَفَّتُّ لَمْ أَجِدْهُمْ
وَلَمْ أَجِـدْ حَوْلِيَ النِّساءَ

عنترة (ملتفتًا لداحس) :

داحِسُ صِحْ وَأَسْمِعْ
وَنَـادِ : عَبْلَـةُ مَعِـي

(٦) الكوالح : العابسون .

وأنّهـــا سالِمَـــــــةْ
وأنّها لَـــمْ تُـــرَعِ

(تدخلُ سعاد الخباء ، وينادي داحسٌ من وراء الخيام)

* * *

المشهدان السابع عشر والثامن عشر

داحس :

يا عَبْسُ بُشْرَى لَكُمُو
قَـــدْ وُجِـــدَتْ أُخْتُكُمُو
عَنْتَـــرَةٌ حِيالَكُـــــمْ
وَعَبْلَـــــةٌ بَيْنَكُمُـــــو

عبلة :

عَنْتَرَةٌ ؟

عنترة :

عُبَيْلَةٌ

عبلة :

مِنْ أَيْنَ ؟

عنترة :

مِنْ طُولِ السُّرَى
سَرَيْتُ أَبْغي الحَيَّ لَيـــ
ـــــلي كُلَّهُ حَتَّى دَنَـــا
وَجِئْتُ في مُنْبَلَجِ الصُّبْـ
ـــحِ أُسَابِقُ الضُّحَـــى
عَسايَ أَرْعَى شاءَكُـــمْ
كَعادَتي فِيمَنْ رَعَـــى

عبلة :

لا لَسْتَ تَرْعَى الشَّاءَ يا
عَنْتَرُ ، بَلْ تَرْعَى الحِمَى
وَأَيْنَ يا بْنَ العَمِّ كُنْـ
ـتَ لَمْ تَزُرْنا مِنْ مَدَى

عنترة :

في عالَمِ الدُّنْيــا ، وَفــي
وادي الحَياةِ وَفي شِعابِـــهْ
في البِيدِ عَبْلَةُ ، في عَرِيــ
ـنِ اللَّيْثِ ، في سُلْطانِ غَابِهْ

عبلة :

سُعادُ

(تخرجُ سعاد من الخباء ، ويعودُ داحسٌ من وراء الخيام ، فيصعد الربوة ويختفي وراء النخيل)

يا بِنْتُ اذْهَبي جيئي بِتَمْرٍ وَلَبَنْ

(تدخلُ سعادُ الخِباء)

* * *

المشهد التاسع عشر

عنترة :

أَجَلْ لي ثَلاثٌ أَلْبَسُ البِيدَ حائِراً
كَمَا يَلْبَسُ اللَّيْلَ الطَّويلَ سَقيمُ
إذا قُمْتُ مِنْ ذِئْبٍ عَثَرْتُ بِحَيَّةٍ
طَريقي مَنايـــا كُلُّهُ وَسُمُـــومُ
أَهيمُ عَلى وَجْهي ، وقَلْبي مِنَ الجَوى [1]
عَلى وَجْهِهِ بَيْنَ الضُّلُوعِ يَهيـــمُ
وَيَهْدَأُ إلّا حِيـــنَ تَهْتَـــزُّ بانَـــةٌ
وَيَطْرِقُ إلّا حِينَ يَشْخَصُ [2] رِيمُ [3]
أَجِـيءُ حِماكُـمْ مِـنْ نُجُومٍ بَعيــدَةٍ
وَتَرْجِعُ بي مِنْ حَيْثُ جِئْتُ نُجومُ
وَيُحْزِنُني يا عَبْلَ ، أَنّي أَزورُكُـــمْ
فَيَصْرِفُ عَمّي الوَجْهَ وَهْوَ كَريـــمُ

---

(١) الجوى : الوَجْد الشديد .
(٢) يَشْخَص : يرتفع ويمثل أمامه .
(٣) الرِّيم : الظبي الخالص البياض .

يَكَادُ يَسُلُّ السَّيْفَ حِينَ أَجِيئُـهُ
وَيُوقِدُ نارَ الطَّرْدِ (١) حِينَ أَرِيـمُ (٢)
فَخاضَ المَوالي في حَديثي ، وَأَقْبَلَتْ
عَلَيَّ مِنَ الوادي الظُّنونُ تَحـومُ
وَكَمْ رَامَ وُدِّي في القَبائِلِ سَيِّدٌ
وَ وَدَّ مَكاني في الدِّيارِ زَعيـمُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ، يا عَبْلَ ، عَمًّا وَلا أَبًا
لِعَبْلَةَ سِيمَ (٣) الخَسْفَ وَهْوَ كَظيمُ (٤)

عبلة :

تَسُومُ أَبي خَسْفًا ؟

عنترة :

مَعاذَكِ عَبْلَتي
مَعَـاذَ الهَوَى إِنِّـي إِذَنْ لَلَئِيـمُ
وَلَكِنَّ عَمِّي جارَ

عبلة :

هَبْ لِيَ ذَنْبَهُ
وَهَبْني الَّتي جارَتْ أَ كُنْتَ تَلومُ ؟

عنترة :

عُبَيْلَةُ جُوري وَاتْرُكي عَمَّنا يَجُرْ
فَإِنّي عَلَى عَهْـدِ الهَـوَى لَمُقيـمُ

(تخرج سعاد من الخباء حاملةً قصْعةً فيها مَجيعٌ ، وهو طعام يصنعه العرب من التمر واللبن ، فتضع القصعة على الأرض وتدخل من حيث خرجت)

* * *

المشهد العشرون

عبلة :

عَنْتَرَ خُذْ ، قاسِمْنِيَ المَجيعا

عنترة :

هَاتي فَقَدْ كِدْتُ أَمُوتُ جُوعا

(يجلسان إلى قَصْعَةِ المَجيع فتتناول عبلة بضع بلحاتٍ تُعطيها إلى عنتر)

عنترة :

حَسْبي النَّوَى عَبْلَ ، ما في التَّمْرِ لي أَرَبٌ (٥)
مُنايَ كُلُّ نَواةٍ خالَطَتْ فاكِ
التَّمْرُ أَطْيَبُ مـا فيـهِ النَّـواةُ إِذَا
مَرَّتْ بِثَغْرِكِ ، أَوْ مَسَّتْ ثَناياكِ (٦)
لَقَـدْ مَرَرْتُ بِوادٍ غَيْـرِ ذي شَجَـرٍ
نَضْرٍ ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ الغَيْثُ ، ضَحّاكِ
مُطَيَّـبٍ ، نَفَحَتْنـي مِنْـهُ رائِحَـةٌ
كالمِسْكِ يا عَبْلَ ، أَوْ تَعْلو عَلَى ذاكِ
فَقُلْتُ : عَبْلَةُ في الوادي مَشَتْ ، وَرَمَتْ
عَلَى نَواحيهِ مِنْ فيها بِمِسْواكِ (٧)

عبلة :

لَقَدْ أَحْسَنْتَ يا عَنْتَـ
ـرَ فَاقْبَلْ مِنْ فَمي التَّمْرا

عنترة :

بِرُوحي فُوكِ يا عَبْلَـ
ـةُ هاتي الشَّهْدَ (٨) وَالخَمْرا
عَبْسُ اشْهَدوا ، عَبْلَةُ قَدْ
قامَـتْ تَـزُقُّ (٩) عَنْتَـرَهْ

---

(١) نار الطَّرد : عادة عربية قديمة ، كانوا يوقدون النار بعد ذهاب ضيف ثقيل .
(٢) أريمُ : أبرح وأمضي .
(٣) سامه الخسف : ألزمه إياه ، وأراده عليه .
(٤) الكظيم : المُمْسك على ما في نفسه مع شدة غيظه .
(٥) الأرب : الحاجة . (٦) الثنايا : الأسنان الأربع التي في مقدم الفم ؛ ثنتان فوقُ ، وثنتان تحتُ .
(٧) المِسواك : العود الذي تُدلك به الأسنان ، ويتخذ من شجر الأراك . (٨) الشَّهد : عسل النحل .
(٩) زَقَّه : أطعمه بفمه .

كمـا تَـزُقُّ فَرْخَهـا
عَلَى الغُصُونِ القُبَّرَهْ
عَبْـلَ

عبلة :

لَبَّيْكَ حَامِيَ الخَيْـلِ

عنترة :

لا : مَا أنا لِلْخَيلِ يا عُبَيْلَةُ حامِ

عبلة :

مَنْ إِذَنْ يُمْسِكُ النَّجِيبَةَ في السَّرْ
جِ وَيَحْمِي النَّجِيبَ خَلْفَ اللِّجامِ ؟

عنترة :

أ لِهَذا أَحْبَبْتِني ؟

عبلة :

وَلِشَأْنٍ كَضُحَى الشَّمْسِ ، أَوْ كَبَدْرِ التَّمامِ
كُـلَّ يَـوْمٍ يُقَـالُ عنتـرةُ أَرْ
دى كَمِيًّا ، وَقَامَ عَنْ ضِرْغـامِ

عنترة :

لِمَ لا تَعْشَقِينَ عَبْلَ جَوادِي ؟
لِمَ لا تَعْشَقِينَ عَبْلَ حُسامِـي ؟
أ وَ لَيْسا هُما شَرِيكَيَّ في الفَتْـ
ـكِ وَضَرْبِ الطُّلَى[1] وحَصْدِ الهَامِ[2] ؟

(يظهر داحسٌ على الربوة ثم يهبط منها حاملاً معه فراخ نَسرٍ وثلاثة أشبال)

* * *

المشهد الحادي والعشرون

عبلة :

مَا ذاكَ ؟ ما تَحْمِلُ ؟
مَـاذا عَنْتَـرَهْ ؟

(١) الطُّلى : جمع طُلية أو طُلاة ، الأعناق أو أصولها .
(٢) الهام : الرءوس .

ما تِلْكَ عَنْتَرَ ؟

عنترة (متناولاً أفرخَ النَّسر من داحسٍ) :

هَذِي
يا عَبْلَ ، أَفْراخُ نَسْـرٍ
إِغْتَرَّ بـي أَبواهـا
وَكُنْتُ بِالشِّعْبِ[3] أَسْرِي
فَظَلَّلَ الأَبُ صَدْرِي
وَغَطَّتِ الأُمُّ ظَهْـرِي
وَمَسَّيانِـي بِكَـرٍّ
عَلَى الجِبَـالِ وَفَـرٍّ
تَوَهَّمانِيَ صَيْـداً
يَهْنِي الفِراخَ وَيُمْـرِي
فَلَمْ أَكُنْ غَيْرَ يُتْـمٍ
لِمُبْتَغِي الصَّيْـدِ مُـرٍّ

عبلة :

ماتا ؟

عنترة :

أَجَلْ لَقِيـا عَبْـ
ـلَتِي جَـزاءَ التَّجَرِّي
مُحَطَّمَيْنِ بِكَفِّـي
مُمَزَّقَيْـنِ بِظُفْـرِي

(يدخل جماعةٌ من الهاربين فتيانًا وفتياتٍ من ناحية العَيْن ، وبينهم صخرٌ وناجية)

* * *

المشهد الثاني والعِشرون

صخر :

عَبْلَةُ لَمْ تُسْـبَ

(٣) الشِّعب : انفراج بين جبلين .

صوت :

عَبْلَـةُ فـي الحَـيِّ

آخر :

عَنْتَـرَةٌ ثَـمَّ
لا خَوْفَ مِنْ شَـيٍّ

عبلة :

وَما هَـذِهِ الأُخْرَى ؟

عنترة :

شُبُولٌ [1] ثلاثةٌ
تُرَبَّى هُنا بَيْنَ البُيُوتِ ، وَتُصْلَـحُ
تَعَرَّضَ لي لَيْثٌ يُدِلُّ بِبَأْسِـهِ
إلَـى جانِبَيْهِ لَبْـوَةٌ تَتَبَجَّـحُ
وَقَدْ مَلأَ البَيْداءَ رَعْدًا ، كَأَنَّما
بِكُلِّ سَبِيلٍ ذُو رُعـودٍ مُلَمَّـحُ
مَشَيْتُ إلَيْهِ فانْثَنَى ، فَطَلَبْتُـهُ
فَأَقْبَلَ تَيّـاهَ الخُطَـا يَتَرَنَّـحُ [2]
ظَلِلْنا مَلِيًّا [3] أَتَّقيـهِ وَيَتَّقـي
وَيُعْجِمُ في قَوْلِ الوَعِيدِ وَأُفْصِـحُ
فَأَغْمَدْتُ سَيْفي في قَرارَةِ جَوْفِهِ
أَ لَيْسَ لِسَيْفِي ذَلِكَ الغِمْدُ يَصْلُحُ ؟
إلى أَنْ تَعايا [4] في يَدِي فَذَبَحْتُهُ
وَمَنْ ذا رَأَى الضِّرْغامَ كالشَّاةِ يُذْبَحُ ؟
وَكَمْ مِنْ كَمِيٍّ في أَعِنَّةِ سابِحٍ [5]
تَرَكْتُ وَرائي في الدَّمِ الحُرِّ يَسْبَـحُ

عبلة :

وَما صَنَعْتَ بِاللَّباةِ يا بْنَ عَـمِّ

(١) الشُّبول : جمع شِبْل ، ولد الأسد .
(٢) يترنَّح : يتمايل .
(٣) مليًّا : زمانًا طويلاً . (٤) تعايا : عجز ولم يُطق .
(٥) أعنة سابح : الأعنَّة جمع عنان وهو سير لجام الفرس ، والسَّابح يقصد به الفرس .

عنترة :

عَفَوْتُ عَنْها

عبلة :

ذاكَ وَاللَّهِ الكَرَمْ

عنترة :

اقْتَحَمَتْني مَرَّتَيْـنِ ، وَانْثَنَـتْ
لَمْ تَرَ مِنْ فائِدَةٍ أَنْ تَقْتَحِمْ
أُنْثَى ضَعيفَةُ القُوَى ، تَرَكْتُها
إنَّ الإناثَ عِنْدَ أَمْثالي حُرَمْ

صخر :

شُبُولٌ تُرَبَّى في البُيُوتِ ؟ أَ غَابَةٌ
حِماكُمْ ؟

عنترة :

وَنَحْنُ الأُسْدُ في الغَابِ نَسْرَحُ
وَمَا لَكَ يا هَذَا وَعَبْسٍ وَدُورِها ؟
وَما أَنْتَ ؟ مَنْ هَذا الفَتَى المُتَوَقِّحُ ؟

صخر :

فَتًى زائِرٌ مِنْ عامِرٍ ، مِنْ سَراتِها
وَمَا هُوَ إلّا مُعْجَبٌ مُتَمَـدِّحُ

عبلة :

جَبَانٌ ذَلِيلٌ ، جاءَ عَبْسًا وَمَاءَهَا
يُعَرِّضُ لِلإفْكِ العَذارَى وَيَفْضَحُ

فتاة :

فَتَى عامِرٍ في كُرْبَةٍ ، أَيْنَ عامِرٌ ؟
يَكادُ فَتاهَا في السَّراوِيلِ يَسْلَحُ [6]

ناجية :

أَسَأْتَ بِهِ يا عَنْتَرَ الظَّـنّ

عنترة :

مَا أَرَى
وَأَسْمَعُ ؟ أُنْثَى عَنْكَ يا فَحْلُ تَنْضَحُ ؟ [7]

(٦) يَسْلَح : ذو الحافر يُلقي رَوْثه . (٧) تنضح : تَدْفع .

صخر (همساً) :
دَعينا ، دَعيهِ ، لا تَزيديهِ ثَوْرَةً

ناجية :
تَنحَّ إذَنْ قَدْ أَوْشَكَ الكَبْشُ يَنْطَحُ

(ينصرف الجميع فلا يبقى إلا عبلة وعنترة)

عنترة :
يا عَبْلَ ، كَمْ بَيْداءَ جُبْتُ مَخُوفَةٍ
قَذَفَتْ إلَيَّ بِذِئْبِها وَالضَّيْغَمِ
فَلَقيتُ كُلَّ مُنازِلٍ بِسِلاحِهِ
وَجَعَلْتُ أَضْرِبُ بِاليَدَيْنِ وَبِالفَمِ
أَخَّرْتُ رُمْحي ، وَادَّخَرْتُ مُهَنَّدي
وَرَبَطْتُ سَرْجي لِلْكَمِيِّ المُعْلَمِ (١)
حَتّى تَراءَتْ ظَبْيَةٌ فَتَمَلأَتْ
مِمّا رَأَتْ رُعْبًا فَلَمْ تَتَقَدَّمِ
لَمّا رَأَتْني وَالسِّباعُ تَنوشُني (٢)
نَفَرَتْ نِفارَكِ مِنْ عُيونِ المَوْسِمِ
رِيمٌ تَلَفَّتَ لَمْ يَفُتْكِ بِجِيدِهِ
وَبِمُقْلَتَيْهِ ، وَفَتْهِ بِالمِعْصَمِ
فَمَنَعْتُها مِنْ كُلِّ ضارٍ ثائِرٍ
وَأَبَحْتُها الوادي ، وَقُلْتُ لَها اسْلَمي
يا لَيْتَنا ، يا عَبْلَ ، عُصْفُورَتانْ
في غُصْنِ ضَالٍ (٣) ، أَوْ عَلَى فَرْعِ بَانْ
في رَوْضَةٍ غُفْلٍ وَراءَ الرُّبا
لَمْ يَسْقِها إلّا الغَوادي يَدانْ
عَلَى جَناحَيْكِ جَناحي ، وَفي
فَمي مَكانَ الحَبِّ هَذا الجُمانْ (٤)

عبلة :
لَقَدْ وَدِدْتُ فَوْقَ ما
شِئْتَ لَنا يا قَسْوَرَهْ
مِنْ عِيشَةٍ وادِعَةٍ
خامِلَةٍ مُسْتَّرَهْ
لا بِعُيونِ النّاسِ أَوْ
أَلْسُنِهِمْ مُكَدَّرَهْ

عنترة :
لَوْ لَمْ تَهيمي عَبْلَتي
بِحَمَلاتي المُنْكَرَهْ
وَلَيْسَ بي أَنا ، وَلا
بِسَحْنَتي المُحْتَقَرَهْ
لَقُلْتِ إذْ دَعَوْتِني
يا قَمَري يا سُكَّرَهْ !

عبلة :
هَذا السَّوادُ يا بْنَ عَمْـ
ـمي مِثْلُ صِبْغَةِ السَّحَرْ
كَالمِسْكِ وَالكُحْلِ هُما
في مَفْرِقي ، وَفي البَصَرْ
وَما يَضُرُّكَ السَّوا
دُ يا بْنَ عَمّي ما يَضُرْ
الكَعْبَةُ الغَرّاءُ مِنْ
أَحْسَنِ ما فيها الحَجَرْ
البَدْوُ في إجْلالِهِ
وَفي وَقارِهِ الحَضَرْ

عنترة :
ماذا وَدِدْتِ يا عُبَيْـ
ـلَ ، يا حَياةَ عَنْتَرَهْ ؟

عبلة :
وَدِدْتُ أَنّي صَدَفٌ
وَأَنْتَ فيهِ جَوْهَرَهْ

---

(١) الكمي المُعلم : الفارس الشجاع الذي اتخذ له علامة في الحرب تميزه عن غيره .
(٢) تنوشُ : تتناول وتأخذ .
(٣) الضَّالُ : شجر النَّبق البرِّيّ .
(٤) الجُمان : اللؤلؤ .

في زاخرٍ لَمْ يَدْرِ بَعْـ
ـدُ الغائصونَ خَبَرَهْ
وَمَوْضِعٍ لَمْ يَسْمَعِ الْـ
ـفُلْكُ بِهِ وَلَمْ يَرَهْ

عنترة :

بي أَنْتِ يا عَبْلَةُ بي
لا ، بَلْ بِأُمّي وَأَبي
لا ، بَلْ بِعَبْسٍ ، بَلْ بِنَجْـ
ـدٍ ، بَلْ بِمُلْكِ العَرَبِ

(ستار)

الفصل الثاني

المنظر الأول

(المكان كما كان في الفصل الأوّل إلا أن خيمة مالك قريبة جدا تملأ المسرح أو تكاد ، ويبدو بابها كأنه سِتْر مسدول ، ولا أثر لِعيّن ذات الإصاد ولا لسائر خيام بني عبس ، ويُرى مقدّم المسرح كأنه طريق عامّ أمام الخباء . الوقتُ في الأصيل وقد وقفت عبلة وناجية تُوَصْوِصان [1] من ثقوب في باب الخباء ، ثم تتحدّثان ...)

المشهد الأول

عبلة :

مَنْ يا تُرَى الرِّجَالُ ؟ مَنْ
أتى الحِمَى يا ناجِيَـهْ ؟

ناجية :

ضُيُوفُكُمْ مِـنْ عامِـرٍ
مِـنَ السَّراةِ العالِيَـهْ

عبلة :

وَفِيمَ يا أُخْـتُ جَـاءُوا ؟

ناجية :

لا أدْرِ [2] ... ما يَطْلُبونا
عَسَاهُمُو رُسْلَ خَيْرٍ
لَعَلَّهُـمْ خاطِبُونـا

عبلة :

مِنْ عامِرٍ ، أجَلْ عَرَفْتُ بَعْضَهُمْ
وَيَخْطُبُونَ عِنْدَنا مَنْ يا تُـرَى ؟

ناجية :

أظُنُّ بِنْتَ مالِكٍ عَالِمَـةً
بِكُلِّ ما جَرَى وَيَجْري في الحِمَى
وَمَنْ عَسَى يُخْطَبُ في الحَيِّ سِوَى
عَبْلَةَ رَبَّةِ السَّناءِ [3] والسَّنا [4] ؟

عبلة :

هَازِلَةٌ يا أُخْتُ أمْ مَجْنُونَةٌ
أنْتِ ؟ أجَاءَ القَوْمُ مِنْ أجْلي أنا ؟

ناجية :

لا تُنْكِري عَبْلَةُ ، لا تَجاهَلي
لَمْ يَبْقَ سِرًّا أمْرُ ذَلِكَ الفَتَى

عبلة :

فَتًى ، وَمِمَّنِ الفَتَى ؟

ناجية :

مِنْ عامِرٍ

عبلة :

وَمَا حَدَاهُ نَحْوَ عَبْسٍ ؟

ناجية :

الهَوَى

عبلة :

وَمَا اسْمُهُ

ناجية :

صَخْرٌ

عبلة :

لَعلَّهُ الّذي
في كُلِّ مَغْرِبٍ عَلَى المَاءِ يُرى

ناجية :

كَيْفَ أمَا تَهوِيْنَهُ يا عَبْلَ ؟

عبلة :

لا أخْطَاكِ ما حَسِبْتِ يا نَاجِيَ لا

ناجية :

يا فَرَحًا ، خَلِّيهِ لي ، عَبْلَ

(١) وَصْوَص : نَظَرَ . (٢) حذفت الياء لاستقامة الوزن .

(٣) السَّناء : من سَنِيَ يَسْنَى بمعنى الرفعة والقَدْر .
(٤) السَّنا : من سنا يسنو بمعنى الضَّوء .

عبلة :

اذْهَبي بِهِ مَتى أخَذْتُهُ مِنْكِ مَتى ؟

(تنصرف عبلة من اليسار غير عابئة ، وتعود ناجية إلى الوَصْوَصة من ثقوب الخباء ، وبعد لحظات يقدَم صخرٌ من اليمين متأبطاً صُرّةً فيها ثياب)

* * *

المشهد الثاني

ناجية :

عِمْ صَباحاً يا عامِرِيُّ ، إلى أيْنَ ؟

صخر :

إلى عَبْلَةٍ

ناجية :

أ يُمْكِنُ ذاكا ؟

صخر :

لِمَ لا

ناجية :

عَبْلَةُ تَرى الذِّئْبَ في جَوْ
زِ الفَيافي لَكِنَّها لا تَراكا

صخر :

ما تَقُولِينَ ؟

ناجية :

لَمْ أقُلْ غَيْـرَ حَـقٍّ
هِيَ يا عامِرِيُّ تَهْوَى سِواكا

صخر :

عَبْلَةٌ لي غَداً

ناجية :

خُدِعْتَ ، وَلَمْ يَصْـ
ـدُقْكَ شَيْطانُكَ الّذي مَنّاكا

صَخْرُ دَعْ عَبْلَةً ، وَخَلِّ هَواها
وَتَحَوَّلْ إلـى الّتـي تَهْواكـا

صخر :

أنا أهْوَى سِواكِ يا أخْتَ عَبْسٍ

ناجية :

اِمْضِ لا نِلْتَ يا غَبِيُّ مُناكا

(ينصرف صخر من ناحية اليسار ، ثم تتبعه ناجية بعد قليل من التّفكير، ثم ينجاب السّتار المسدول عن داخل الخباء)

* * *

المنظر الثاني

(داخل خيمة مالك ، وتبدو النعمة على كل ما فيها، وقد جلس مالك القُرْفُصاء في جانب ، وجلس في جواره وفي الجانب الآخر رجالٌ من بني عامر – خدمٌ وقوفٌ بباب في صدر الخباء)

المشهد الأول

مالك :

الجَزورَ ، الجَزُورَ ؛ النّارَ ، النّا
رَ قِرى الضَيْفِ : ضَيْفُنا اليَوْمَ عامِرْ

(ينصرف الخدم)

* * *

المشهد الثاني

مالك :

يا مَرْحَباً بِعامِـــــرِ
العِلْيَـةِ الأكابِـــــرِ
حَظٌّ لَعَمْري عَظِيمٌ

الضّيفان :

لَنَحْنُ أعْظَمُ حَظّـــا

مالك :

سَراةُ عامِرٍ [١] عِنْـــدي

أحد الضُّيوف :

في دارِ سَيِّدِ عَبْـــسِ

آخر :

في الْبِيدِ يا مالِكُ قَوْلٌ شائعٌ

نُريدُ أنْ نَعْلَمَ مِنْكَ خَبَرَهْ

ثُمَّ نَخُوضَ في الّذي جِئْنا لَهُ

مالك :

هاتُوا اسْألُوني رَاشِدِينَ بَرَرَهْ

ما ذَاكْ ؟

الضّيف :

إنَّ النّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا

أنَّكَ لَنْ تَرْضَى بِغَيْرِ عَنْتَرَهْ

مالك :

صِهْرًا ؟

الضّيف :

أجَلْ

مالك :

مَنْ قالَ ؟ ذاكَ كَذِبٌ

أ يَطْمَعُ الأسْوَدُ أنْ أصاهِرَهْ ؟

الضّيف :

ذَلِكَ يا مالِكُ ما قُلْتُ لَهُمْ

(ثم يتلفّت حوله)

لا يَسْمَعَنَّ ابْنُ الإماءِ ، لا يَرَهْ !

آخر :

عَبْلَةُ لا تُهْدى إلى ابْنِ أمَةٍ

يَرْعَى الشُّوَيْهاتِ وَيَسْقي الأبْعِرَهْ

آخر :

أبا عَبْلَةٍ [٢] جِئْناكَ نَخْطُبُ عَبْلَةَ

مالك :

لِمَنْ ؟

الأوّل :

لِنَجِيبٍ سَيِّدٍ وَابْنِ سَيِّدِ

لأبْيَضَ مِنْ فِتْيانِ عامِرٍ ماجِدِ

وَلَيْسَ لِعَبْدٍ عِنْدَ شَدّادَ أسْوَدِ

مالك :

مَا اسْمُ الفَتَى ؟

الأوّل :

صَخْرٌ مِنْ وَلَدِ الأشْتَرِ

مالك :

وَهَلْ رَأى عَبْلَةَ ؟

آخر :

ألْفَ مَرَّهْ وَسَمِعَ الحُرُّ حَدِيثَ الحُرَّهْ

مالك :

أصِيخُوا لي ... أصَاحِبُكُمْ شُجاعٌ ؟

فَعَبْلَةُ تُبْغِضُ الرَّجُلَ الجَبانا

أحدهم :

كَلَيْثِ الغـابِ إقْدامًا وَكَـرًّا

إذا اعْتَقَلَ الْمُهَنَّدَ وَالسِّنانا

مالك :

أصِيخُوا لي .. أصَاحِبُكُمْ جَوادٌ ؟

فَعَبْلَةُ تُبْغِضُ الرَّجُلَ البَخِيلا

أحدهم :

يَكادُ نَدَى يَدَيْهِ حِينَ يَهْمِي [٣]

يُنَسِّي حَاتِمَ [٤] السَّمْحَ الْمُنِيلا

---

(١) حذف التنوين اضطراراً للوزن .

(٢) صرفت لاستقامة الوزن . (٣) يهمي : يسيل .

(٤) حاتم : من قبيلة طيّئ ، يضرب به المثل في الكرم .

مالك :

أصيخُوا لي .. أصَاحِبُكُمْ جَمِيلٌ ؟
فَعَبْلَةُ تُبْغِضُ الرَّجُلَ الدَّمِيما

أحدهم :

أ لَمْ تَرَهُ ؟ أ لَمْ تَنْظُرْ إِلَيْـهِ ؟
إِذَنْ لَمْ تُبْصِرِ المَلِكَ الكَرِيما

مالك :

أصيخُوا لي .. أصاحِبُكُمْ فَصِيحٌ ؟
فَعَبْلَةُ تُبْغِضُ الرَّجُلَ العَيِيَّا

أحدهم :

أ لَمْ تَرَ قَطُّ قُسًّا (١) في عُكاظٍ ؟
وَسَحْبانًا (٢) إذا شَهِدَ النَّدِيَّا ؟

مالك :

أصيخُوا لي .. أصاحِبُكُمْ رَقِيقٌ ؟
فَعَبْلَةُ تُبْغِضُ الرَّجُلَ العَنِيفا

أحدهم :

سَتُلْفِيهِ إذا حُمِلَتْ إِلَيْـهِ
وَدِيعًا مِثْلَ نَعْجَتِهـا أَلُوفا

مالك :

أصيخُوا لي .. أصَاحِبُكُمْ غَنِيٌّ ؟
فَعَبْلَةُ طِفْلَةٌ تَهْوَى الثَّراءَ

أحدهم :

سَنُسْكِنُها القُصورَ كَبِنْتِ كِسْرَى
وَنُلْبِسُها الجَواهِرَ وَالفِـراءَ

آخر :

ذَكَرْنا شَيْخَ عبْسٍ كُلَّ شَيْءٍ
وَلَمْ تَذْكُرْ لنا مَهْرَ القَتاةِ

آخر :

فَهَيِّ سَلِ اقْتَرِحْ ما شِئْتَ ، هَيِّ
أ أَلْفُ نَجِيبَةٍ أَمْ أَلْفُ شـاةٍ ؟

مالك :

عَلِمتُمْ أَنَّني مُثْرٍ غَنِـيٌّ
فَلا أَبْغِي النِّعـاجَ وَلا النِّياقا
وَلَسْتُ بِجَاعِلٍ مَهْرًا لِبِنْتـي
هِجانَ (٣) الإبْلِ وَالخَيْلَ العِتاقا (٤)

أحدهم :

وَلَكِنْ ما تُرِيدُ ؟

مالك :

أُرِيدُ شَيْئًا لَوِ ابْتُلِيَ الحَدِيدُ بِهِ لَذاقا

أحدهم :

إِذَنْ فاذْكُرْهُ قُلْهُ

مالك :

وَمـا انْتِفاعِـي
وَلَوْ حَمَّلْتُ صَخْرًا ما أطاقـا
أصيخُوا لي .. اذْهَبُوا قُولُوا لِصَخْرٍ
يُقَـدِّمْ رَأْسَ عَنْتَـرَةٍ صَداقـا

أحدهم :

نَقولُ لَهُ انْتَزِعْ قُلَلَ الرَّواسِي (٥) ؟
نَقُولُ لَهُ اهْدِمِ السَّبْعَ (٦) الطِّباقـا ؟
نَقُولُ لَـهُ تُطالِبُـهُ بِمَهْـرٍ
تَضِيقُ بِـهِ القَبائِلُ أَنْ يُساقـا

آخر :

وَلِمْ لا ؟ ما هُنالِكَ مُسْتَحِيلٌ
هُنَـاكَ دَمٌ سُئِلْنـا أَنْ يُراقـا

(١ ، ٢) قُسّ بن ساعدة ، وسحبان بن وائل ، يضرب بهما المثل في الفصاحة والخطابة .

(٣) هجان الإبل : البيض الكرام . (٤) الخيل العِتاق : خيار الخيل . (٥) قلل الرَّواسي : القُلل جمع قُلة ، وهي القمة ، والرَّواسي : الجبال .

(٦) السَّبْع الطِّباق : السموات ، أي طبقة فوق طبقة .

أ لَيْسَ المَالُ يَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ
وَيَرْشُو السُّمْرَ (١) وَالبِيضَ (٢) الرِّقاقا ؟
وَلَوْ هَبَطَ الأباطحَ (٣) مالُ صَخْرٍ
لَغطَّى الشَّامَ ، أوْ غَمَرَ العِراقا
إذا أعْياهُ رَأْسُ العَبْدِ أغْرى
مَوَالِيَ بَيْتِهِ ، وَرَشا الرِّفاقا

مالك :

الآنَ فَهِمْتُمُو قَدْ ضِقْتُ ذَرْعًا
بِعَنْتَرَةٍ ، وَضِقْتُ بِهِ خِناقا
أُرِيدُ العَبْدَ مَيْتًا ، ما أبالي
قَضَى بِالسَّيْفِ أمْ ماتَ اخْتِناقا
أُرِيدُ فِراقَهُ ، وأُرِيدُ حُرًّا
مِنَ الأصْهارِ يُبْلِغُني الفِراقا
إذا ذَاقَ الهَلاكَ لَنا عَدُوٌّ
أ نَسْأَلُ عَنْهُ أيْنَ وَكَيْفَ ذاقا ؟

أحد الضُّيوف :

في غَدٍ نَحْرٌ وَقِدْرْ
في غَدٍ دُفٌّ وَزامِرْ
اِنْهَضوا بُورِكَ في الصِّهْـ
ـرِ لِعَبْسٍ وَلِعامِرْ

(يهمّون بالقيام)

مالك :

مَكانَكُمْ يا ضُيوفَ عَبْسٍ
هُنَيْهَةً تَطْعَمُوا المَجيعا
مَجيعُ البِيدِ مِنْ لَبَنٍ وَتَمْرٍ
وَلا تَلْقاهُ إلّا عِنْدَ عَبْسٍ
إذا الغِلْمانُ لِلأضْيافِ قامُوا
فَإنّي خادِمٌ ضَيْفي بِنَفْسي

(ثم يخرج ليأتيهم بالطّعام)

المشهد الثالث

أحدُهم لِلآخر :

لَقَدْ كَذَبْتَ كَثِيرًا
وَقُلْتَ وَاللّهِ زُورًا
قَدْ زِدْتَ لِلشّاةِ شَاةً
وَلِلْبَعيرِ بَعيرًا
وَقَدْ صَنَعْتَ لِصَخْرٍ
مَخالِبًا وَزَئِيرًا
وَرُبَّما طارَ صَخْرٌ
إذا رَأى عُصْفُورًا !

الآخر :

أجَلْ كَذَبْتُ وَما ضَرْ
رَ لَسْتُ أوّلَ كاذِبْ
وَكُلُّنا قَدْ كَذَبْنا
لِكَيْ نَقُومَ بِواجِبْ
لَقَدْ خَطَبْنا لِصَخْرٍ
وَالكِذْبُ فَنُّ الخَواطِبْ !

ثالث :

ومالكٌ كَيْفَ نَسِيـ
ـتُمْ كَلِماتٍ قالَها
مُباهِيًا بِبِنْتِهِ
وَمُظْهِرًا كَمالَها
سَمِعْناهُ يَقُولُ وَلا يُبالي
فَعَبْلَةُ تُبْغِضُ الرَّجُلَ الدَّميما
وَلَمْ نَرَ قَبْلَ عَبْلَةَ في البَوادِي
فَتاةً عُلِّقَتْ عَبْدًا زَنِيما (٤)
سَمِعْناهُ يَقُولُ وَلا يُبالي
فَعَبْلَةُ تُبْغِضُ الرَّجُلَ العَنيفا

(١) السُّمر : الرماح . (٢) البيض : السيوف .
(٣) الأباطح : الأماكن المتسعة .

(٤) الزّنيم : الدّعيُّ الملحق بقوم ، يعني عنترة .

وَلَمْ نَرَ قَبْلَ عَبْلَةَ في البَوادِي
فَتَاةً عُلِّقَتْ ذِئْباً مَخُوفَا

(يدخل مالك حاملاً قصعةً فيها طعام ومن ورائه غلمان يحملون مثلها . توضع القِصاعُ على الأرض، وينصرف الغلمان)

* * *

المشهد الرابع

مالك :

المَجِيعَ المَجِيعَ يا ضَيْفَ عَبْسٍ
اِطْعَمُوهُ ، اطْعَمُوا هَنيئاً مَرِيئَا

(يُقبِل الحاضرون كلُّهم على القصاع)

أحدهم :

أَلْبانُ عَبْسٍ تَفْضُلُ العُقارا [١]

آخر :

وَتَمْرُها كَحَلَمِ العَذارَى

آخر :

أَفْدِيهِما مِنْ لَبَنٍ وَتَمْرِ

آخر (هامساً) :

لا أَشْتَرِيهِمَا بِزِقِّ خَمْرِ

مالك :

الآنَ اسْتَعْمِلُوا الحَزْمَ
فَما نَعْلَمُ ما يَطْرا
بَنِي عامِرٍ لا تُجْرُوا
لِما كانَ هُنا ذِكْرا

أحدهم :

أبا عَبْلَةَ لا تَخْشَى
سَيَبْقَى ما جَرَى سِرًّا

آخر :

وَما ضَرَّ إذا نَحْنُ
أَذَعْنا الأَمْرَ ما ضَرَّا ؟
وَلَمْ لا نَذْكُرُ الخِطْبَـ
ـةَ أَوْ لا نُعْلِنُ البُشْرَى ؟
إِذَنْ أَنْتَ تَخافُ العَبْـ
ـدَ أَوْ تَخْشَى لَهُ شَرًّا ؟

مالك :

أَ لَيْسَ الحَزْمُ أَنْ نَأْخُـ
ـذَ مِنْ عَنْتَرَةَ الحِذْرا ؟
فَقَدْ يَقْتُلُني وَحْدِي
وَقَدْ يَقْتُلُنا طُرًّا [٢]
وَلا يُبْقِي لَنا شَاةً
عَلَى المَرْعَى وَلا بَكْرا [٣]

أحدهم :

أَبُو عَبْلَةَ بِالعَبْدِ
وَما يَفْعَلُهُ أَدْرَى
فَسِيرُوا بِالَّذي قالَ
وَلا تَعْصُوا لَهُ أَمْرا

(يقومون عن الطّعام ، ثم يحيّون مالك ويبدءون في الانصراف ؛ فإذا انصرفوا وقف مالك بباب الخباء)

أحدهم :

في ذِمَّةِ اللهِ وَفي حِفْظِهِ .. مَالِكُ

مالك :

مَحْرُوسِينَ بِاللهِ

* * *

(١) العُقار : الخمر .

(٢) طرًّا : جميعاً لا يترك أحداً .

(٣) البَكْر : الفتيُّ من الإبل .

المشهد الخامس

مالك :

عَبْلَ

عبلة (من وراء السِّتار) :

أبي ؟

مالك :

مِنْ أَيْنَ يا عَبْلَةُ ؟

* * *

المشهد السادس

(تدخل عبلة)

عبلة :

مِنْ خِبائيا

مالك :

وَأَيْنَ تَمْضِينَ ؟

عبلة :

أهيــ ـــبُ بِسُقَاةٍ شَائيا

مالك :

قِفي اسْمَعي لي سَاعةً

وَخَفِّفي عَنائِيا

عبلة :

قُلْ أبي مُرْ

مالك :

إِذَنْ تَعَالَيْ أُصيحِي

وَزُهَيْرٌ أخوكِ ، أَيْنَ زُهَيْرٌ ؟

عبلة :

مَع عَمْرٍو هُناكَ

مالك ينادي :

يا عمْرو

عمرو (من وراء الستار) :

لَبَّيْــ ـــكَ أبي

مالك :

جِئْ تَعالَ ، هَيَّ زُهَيْرٌ

(يدخل عمرو وزهير)

* * *

المشهد السابع

مالك :

عَبْلَ أَصْغِي ، في أَرْضِ نَجْدٍ شَبَابٌ

أَطْلَعُوا في سَمائِها أَقْمــارا

مِنْهُمُ الأُسْــدُ جُرْأَةً وَثَبَاتــا

والقَوارِينُ [1] نِعْمَةً وَيَسَارًا [2]

مِثْلُ صَخْرٍ

عبلة :

وَمَنْ يُرَبِّكَ صَخْرٌ ؟

عمرو :

عامِرِيٌّ مِنْ أَرْفَعِ البِيــدِ دَارا

زهير :

مِنْ بَنِي الأَشْتَرِ الكَثِيرِينَ مالاً

وَنَخِيلاً وَضَيْعــةً وَعَقــارا

عبلة :

قَدْ عَرَفْتُ الغُلامَ ، ذَاكَ الفَتَى النِّضْـ

ـوَ [3] الَّذِي لا يُطِيقُ يَقْتُلُ فَارا

كُلَّ يَوْمٍ مَعَ العَذارَى كَثِيرُ الْـ

ـعُجْبِ مُسْتَحْيِيًا كَإِحْدَى العَذارى

أ تَرَى يا أَبِي وَأَنْتَ أَخي يا

عَمْرُو كَيْفَ انْتَقَيْتُمَا الأَصْهارا ؟

---

(١) القوارين : جمع قارون ، رجل من قوم سيدنا موسى ، يضرب به المثل في الغنى والترف . جاء ذكره في القرآن الكريم (سورة القصص) .

(٢) اليسار : الغنى . (٣) النِّضْو : الفاسد .

زهير :

وأنـا لا أرَى عُبَيْلَـةَ خَيْـــراً
مِنْ أبِيها وَلا أخِيها اخْتِيارا
أنْتِ مفتُونَـةٌ بِأسْوَدَ عَبْـــدٍ
مِنْ بَني عَمِّنا تَسَرْبَلَ (١) قارا

عبلة :

أ و تَعْني الّذي حَمَى حَوْضَ عَبْسٍ
وكَسَا البِيدَ سُؤْدَداً وفَخـارا ؟
وَالّذِي قَلَّـدَ الوَقَائِـعَ وَالأيَّا
مَ عَبْسًـا ، وَخَلَّـدَ الأشْعـارا
يا زُهَيْرُ اتَّئِدْ ، مَتَى كانَتِ الألْـ
ـوَانُ تَبْنِي وَتَهْدِمُ الأحْـرارا ؟
لَمْ يَحُطَّ السَّوَادُ مِنْ أسَدِ القَفْـ
ـرِ ، وَلَمْ يَرْفَعِ البَيَاضُ الحِمارا
أ رَأيْتَ السَّوادَ قَدْ عَبَدَ اللَّيْلَ
كَما عَبَدَ البَياضُ النَّهـارا ؟

مالك :

زُهَيْرُ

زهير :

أبي

مالك :

أصْغِ عَمْرُو استَمِعْ
وَ يا عَبْلَ ، آنَ لَنا أنْ نَجِدّ

عبلة :

مَتَى كُنْتُ هازِلَةً يا أبي ؟

مالك :

هَزَلْتِ ابْنَتي ، وَأضَعْتِ الرَّشَدْ
وَما زِلْتِ بِالعَبْدِ مَفْتونَةً
وَهَيْهاتَ بِالعَبْدِ يَرْضَى أحَدْ

فَلا أنا أرْضَى ، وَلا أخَواكِ
وَلا مَنْ تَدانَى ، وَلا مَنْ بَعُدْ

عبلة :

أ عَنْتَرَةً يا أبي قَدْ عَنَيْتَ ؟

مالك :

أجَلْ

عبلة :

وَا لِعَنْتَـرَةَ المُضْطَهَـــدْ !
أبي قَدْ تَمَكَّنَ مِنْكَ الوُشاةُ
وَأثَّرَ فيــكَ كَلامُ الحَسَـــدْ
أ لَيْسَ ابْنَ عَمِّي ؟ أ لَيْسَ الجَوادَ ؟
أ لَيْسَ الشُّجاعَ ؟ أ لَيْسَ الأسَدْ ؟
أ مــا هُــوَ مِنِّي وَمِنْ إخْوَتـــي
نَمانا أبٌ في الأوالي وَجَدّ ؟
وَفي البِيــدِ رُدَّ لآبائِــــهِ
وَلَيْسَ إلى الأمَّهاتِ الوَلَدْ
أبـــي ، عَنْتَرَةُ لَيْس
بِزِنْجِـــيٍّ وَلا عَبْـــدِ
وَلَمْ يُجْلَبْ مِنَ النُّوبِ
وَلَمْ يُحْضَرْ مِــنَ السِّنْدِ
ولكنْ ميسمُ (٢) اللَّوْنِ
كَمِثْلِ الأسَدِ الوَرْدِ (٣)
فَتًى كالأسْمَرِ اللَّدْنِ
جَميلِ الشَّعَرِ الجَعْــدِ (٤)
شُجاعٌ ذائِعُ الصِّيتِ
جَوادٌ وَاسِــعُ الرِّفْــدِ (٥)

---

(١) تسربَل : لبِس .

(٢) الميسَم : الجمال ، أي جميل اللون .
(٣) الوَرْد : اللون الأحمر الضّارب إلى الصُّفرة .
(٤) الجَعْد : المُجتمع الملتوي .
(٥) الرِّفد : العطاء .

عمرو :

أبي سُدًى تُراجعُ المَفْتُونا
وَعَبَثًا تُخاطِبُ المَجْنُونا

زهير :

فَمُرْ يكُنْ ما شِئْتَ أنْ يكُونا

مالك :

الأمْرُ يا عَبْلَ ما تأمُرِينا
فالشَّأنُ يَعْنِيكِ لَيْسَ يَعْنِينا

عبلة :

ذَاكَ أمْرُ الرَّأيُ فيهِ لِعَمْرٍو
وَزُهَيْرٍ وَلَيْسَ لي الرَّأيُ فيهِ
يا أبي اعْقِدْ عَلى زُهَيْرٍ لِصَخْرٍ
أوْ فَزَوِّجْهُ يا أبي مِنْ أخِيهِ

مالك (في دهش) :

أزَوِّجُ الرِّجالَ بِالرِّجالِ ؟
ذَاكَ لَعَمْرِي مُنْتَهَى الخَبالِ [1]

زهير :

اِسْتَهْتَرَتْ أختي فَمَا تُبَالِي

مالك :

إذَنْ يا عَبْلَ أصْرَرْتِ ؟

عبلة :

أجَلْ وَلَيْتَ ما كانا
فَلَنْ أرْضَى سِوَى عَنْتَـ
ـرَةَ ابْنِ العَمِّ إنْسانا

(ثم تخرج غاضبة)

* * *

المشهد الثّامن

مالك :

إذَنْ فانْتَظِري يا عَبْـ
ـلَ لِلْعَبْدِ وَلي شانا

(يخرج في أثر ابنته ، ويُقبل صخر من ناحية الطريق من جهة اليسار ومعه الصُّرَّة التي كان يحملها في المنظر الأوّل)

* * *

المشهد التّاسع

صخر :

عَمرٌو زُهيرٌ ؟ عَجبُ الْـ
ـحظُّ صَدِيقايَ هُنَا !
يا طِيبَهَا لِقَاءَةً

عمرو :

لِلَّـهِ مَا أسْعَدَنَا
أهْلاً بِصَخْرٍ مَرْحَبَا
بِالقَمَرِ العَالي السَّنَا
ما هَذِهِ الحُلَّةُ ؟ ما
أظْرَفَها ! مَا أحْسَنَا !

زهير :

أ صَنْعَةُ الشَّامِ ؟

صخر :

وَلِمْ لا تَذْكُرانِ اليَمَنا ؟
صَنْعاءُ أعْلَى مِنْ دِمَشْـ
ـقَ سِلْعَةً وَثَمَنَا

عمرو :

تِلْكَ أمُورٌ يا أخِي
يَعْرِفُها أهْلُ الغِنَى

---

(١) الخَبال : النُّقصان .

زهير :

وَما ذَلِكَ ؟ ما المِنْديـ

ـلُ يا صَخْرُ وما فيهِ ؟

صخر :

ثِيابٌ مِثْلُ أثْوابي

مِنَ الوَشْيِ وَغالِيهِ

لِكُلٍّ مِنْكُما ثَوْبٌ

إلَيْهِ جِئْتُ أهْدِيهِ

(يُفرِد الصُّرة فيتناول كلٌّ منهما حُلّة)

زهير :

عَمْرو تَأمَّلْ ، يا لَهَا حُلَّةً !

لِلّهِ ما أبْهَى وَما أبْهَجا !

الحَقُّ ما قَالَ فَتَى عامِرٍ

صَنْعاءُ أعْلَى بَلَدٍ مَنْسِجا

(يرى في الصُّرة طرحةً من حرير فيتناولها)

وَتِلْكَ عَمْرو ؟

عمرو :

طَرْحَةٌ مِثْلُ ذُنابَى الطّاوُسِ

كَمِثْلِها ما لَمَسَتْ

في الوَشْيِ كَفُّ لامِسِ

عمرو (مبتسماً) :

هَدِيَّةٌ لِعَبْلَةٍ ؟

صخر :

مَجْلوبَةٌ مِنْ فارِسِ

زهير :

خَلِّنا صَخْرُ مِنْ هَدَاياكَ قُلْ لي

كَيْفَ أزْمَعْتَ أنْ تُلاقِيَ عَنْتَرْ ؟

صخر :

غَدًا عَلَى العَبْدِ أصُبُّ النَّحْسا

عَبْدَيْنِ مِنْ شَرِّ العَبِيدِ نَفْسا

وَمِنْ أشَدِّهِمْ قُوًى وَبَأسَا

إنْ صارَعا جُلْمودَ صخرٍ صُرِعا [1]

أوْ قارَعا ضَيْغَمَ غابٍ قُرِعا

أوْ رَمَيا الشَّمْسَ أصابا المَطْلَعا

غَضْبانُ وَهْوَ المَنِيَّهْ

وَمارِدٌ وَهْوَ حَيَّهْ

كِلاهُما جِنِّيَّهْ [2]

هَا هُمَا أقْبَلا ، تَأمَّلْهُما يا عَمْرو

(ينظرون إلى شَبَحيْن قادِمَيْن من ناحية اليمين)

عمرو :

مَاذَا أقُولُ ؟ جِنِّيانِ ؟

وَلِمَنْ يا تُرَى هُما ؟

صخر :

السَّابِقُ الأوَّلُ

عَبْدِي وَقَدْ شَرَيْتُ الثّاني

(يدخل العَبْدان : غضبانُ ومارِدٌ)

* * *

المشهد العاشر

تَعالَ غَضْبانُ قُلْ لِعَمْرِو

كَمْ أسَدًا صِدْتَ ؟

غضبان :

نَحْوَ ألْفِ

عمرو :

ألْفٌ ؟ أ في البِيدِ ألْفُ لَيْثٍ

لَوْ قُلْتَ لَيْثَيْنِ كَانَ يَكْفِي !

زهير :

وَكَمْ ذِئْبًا قَتَلْتَ ؟

(١) الألف في صُرعا وقُرعا للإطلاق وليست للتثنية .

(٢) جِنِّيّة : نسبة إلى الجنّ .

غضبان :

اثْنَيْنِ !

عمرو :

ماذا ؟

غضبان :

قَتَلْتُ عِدادَ ناصِيَتي ذِئابا !

زهير :

وَكُنْتَ إذا بَعَثْتَ لها سِهاماً
وَجِئْتَ تَجُسُّها وُجِدَتْ كِلابا !

وَأَنْتَ يا مــــارِدُ قُـــلْ
لي كَيْفَ صَيْدُكَ الأسَدْ ؟

مارد :

أَصيدُهُ إذا أَتَـــى
لِبَطْــنِ وَادٍ فَرَقَـــدْ
وَكُنْتُ فَوْقَ نَخْلَـــةٍ
يَزِلُّ عنْها مَنْ صَعِـدْ
وَالقَوْسُ في حِضْني كَما
تَحْتَضِنُ الأُمُّ الوَلَـــدْ
وَكانَتِ السِّهامُ في
كِنانَتي [1] بِلا عَـــدَدْ
هُناكَ أَرْمي فَأَسُــلُّ
الرُّوحَ مِنْ أَصْلِ الجَسَدْ
في حائِطِ التّامُورِ [2] إنْ
شِئْتُ ، وَفي رُكْنِ الكَبِدْ

عمرو :

غَضْبانُ

غضبان :

لَبَّيْكَ

عمرو :

أَجِبْني

غضبان :

سَلْ مُرِ

عمرو :

كَيْفَ لِقا عنْتَرَةَ الغَضَنْفَرِ ؟

غضبان :

وَجْهاً لِوَجْهٍ ؟

زهير :

لِمَ لا ؟

غضبان :

لا أَجْتَري

زهير :

كيف تَبيعُهُ إِذَنْ وتَشْتَري ؟

غضبان :

أَقْذِفُهُ مِنْ فَرْسَخٍ بِخَنْجَرِ
أَتْرُكُهُ كَالتَّيْتَلِ [3] المُعَفَّرِ [4]

صخر :

وَأَنْتَ يا مارِدُ لَسْتَ تَجْهَلُهْ

مارد :

مَنْ يَجْهَلُ اللَّيْثَ ؟

صخر :

فَكَيْفَ تَقْتُلُهْ ؟

مارد :

آتي لِرَأْسِ جَبَلٍ فَأَنْزِلُهْ وَثَمَّ

صخر :

ماذا ؟

مارد :

لِيَ سَهْمٌ أُرْسِلُهْ

---

(١) الكنانة : جعبة صغيرة من الجلد للنَّبْل .
(٢) التّامور : القلب .
(٣) التَّيْتَل : نوع من المعز البَرّيّ .
(٤) المُعفَّر : المختلط بالتراب .

يُوَدِّعُ الحَيَاةَ مَنْ يَسْتَقْبِلُهْ

(يتهامسُ الثَّلاثة لحظةً ثم يتَّجه عمرو وصخر ناحية اليمين لينصرفا)

عمرو :

الخَيْرُ فـي العَبْدَيْنِ
سِيـرا امْضِيـا راشِدَيْـنِ

(يخرج عمرو وصخر ، وينصرف العبدان من ناحية اليسار . وتُسمع ضجة تتعالى شيئاً فشيئاً ، وصياحٌ وعويلٌ ، فتظهر عبلةُ من الباب الذي في الصَّدر ، فزعةً مضطربة)

* * *

المشهد الحادي عشر

أصوات من الخارج :

وَا وَلَدا ! وَا كَبِدا ! وَا أَسَدا !

عبلة :

زُهيْرُ ما الضَّجَّـــهْ ؟
مــا هَذِهِ الرَّجَّـــهْ ؟

زهير :

أَحْسَبُهـــا قافِلَـــــةْ
مُدْبِـرَةً مُنْهزِمَـــــهْ
تَعَرَّضَتْ لِفَاتِـــــكٍ
فَرَدَّهــا مُحَطَّمَـــــهْ

(يُسمع صوتُ منادٍ ينادي)

الصوت :

يا مَعْشَرَ البِيدِ اسْمَعُوا
بُشْرَى لَكُمْ أَهْـلَ الخِيَمْ
بِظَهْرِ عَبْـــسٍ وَ وَرا
ءَ الحَيِّ إِبْلٌ وَغَنَـــمْ
أَلْفانِ أَوْ ما نَحْوُ ذا
كَ مِـــنْ كَرائِمِ النَّعَـــمْ [١]

كَانَتْ إلى كِسْرَى تُسَا
قُ وَإِلَـــى أَرْضِ العَجَـــمْ

(يُسمع صوتُ منادٍ آخر من ناحية أخرى)

الصوت :

وَراءَ الحَيِّ يا عَبْـــسُ
مِـــنَ الأنعَـــامِ أَلْفَـــانِ
جَنَى عَنْتَرَةُ الفَلْحـــا
ءِ [٢] مِـنْ أَسْلابِ سِرْحانِ
وَكَانَتْ في الفَلا تُزْجَى [٣]
إِلَى كِسْرَى [٤] بْنِ ساســانِ
ألا فَلْيَعْلَــمِ الْقاصـــي
مِنَ الخَيْماتِ وَالدَّانِـــي
بِأَنَّ اللَّيْثَ قَـدْ جـــادَ
عَلَى الحَـيِّ بِقُطْعـــانِ

زهير :

مَنِ اللَّيْثُ ؟

عبلة :

لَحاكَ اللّهُ
هَلْ في البِيدِ لَيْثـــانِ ؟

(يمرّ على الطريق رجالٌ ونساءٌ هم فلول القافلة المسلوبة في هيئة ذُعْرٍ واضطرابٍ داخلينَ من اليمين)

* * *

المشهد الثاني عشر

أحدهم :

وَذِراعي أَيْنَ مِنِّي ذِراعـــي ؟

آخر :

أَيْنَ ساقي قَدْ طَيَّرَ السَّيْفُ ساقي ؟

---

(١) النَّعَم : الإبل .

(٢) الفَلْحاء : لقب عنترة ، والفَلحة : شق في الشفة السفلى .

(٣) تُزجى : تُساق . (٤) كسرى : ملك الفرس .

امرأة :

نَعْلي . تَرَكْتُ في القِتالِ نَعْلي

أخرى :

أمّا أنا (١) خَلَفْتُ فِيهِ بَعْلي

آخر :

وَا فَرَسي ! ما حَالَ بَيْـــ

ــنَهُ وَبَيْنَ صاحِبِــهْ ؟

أيُّ جَبَــانٍ حَطَّنِــي

عَنْ سَرْجِهِ وَطارَ بِــهْ ؟

عجوز (باكية) :

لَهْفِي عَلى فَوارِسٍ مِنْ قَوْمي

ناموا عَلى العَراءِ شَرَّ نَوْمِ

يا لَيْتَني لَمْ يَتَأَخَّرْ يَوْمي

عبلة :

تِلْكَ العَجُوزُ ثاكِلَــهْ

تَبْكي ابْنَها فـي القافِلَــهْ

يا أُمُّ ماذا دَهــاكِ ؟

أَوْجَعَ قَلْبـي بُكـاكِ

العجوز :

عِشْرونَ مِنْ بَواسِلِ الفُرْسانِ

تَحْتَ لِواءِ وَلَدِي سِرْحانِ (٢)

عبلة :

سِرْحَانُ لَيْثُ الضَّرْبِ والطِّعَانِ ؟

العجوز :

أَجَلْ تَرَكْتُهُمْ علـى المكانِ

وَلِيمَةَ الحِداءِ وَالغِرْبانِ

عبلة :

إِذَنْ سِرْحَانُ في القَتْلَى

لَكِ الرَّحْمَنُ مِنْ ثَكْلَى

مَنِ المُغِيرُ ؟

العجوز :

عُصْبَةْ

عبلة :

مَنِ الزَّعِيمُ ؟

العجوز :

عَنْتَرَهْ

عبلة :

عَنْتَرَةُ يَفْعَلُ أَفْـــ

ــعالَ اللُّصُوصِ الفَجَرَهْ ؟

العجوز :

لا يا ابْنَتي ظَلَمْتِــهِ

عَنْتَرَةُ لَـمْ يَتَـدِي

عَنْتَرَةُ كَاللَّيْثِ عِنْـ

ـدَ شِبْعِهِ لا يَعْتَـدِي

عبلة :

مَنْ بَعَثَ الحَرْبَ إِذَنْ

وَمَـنْ جَناهــا ؟

العجوز :

وَلَـدِي

ثَكِلْتُ عَلى الدَّرْبِ خَيْرَ البَنِينَ

وَفَاجَأَنا في الطَّرِيقِ الهَبَلْ (٣)

وَكُنَّا ثَلاثِينَ غَيْرَ الرُّعـاةِ

مِنِ امْرَأَةٍ مَعَنا أَوْ رَجُلْ

وَكانَ السَّوامُ (٤) كَثِيراً ، يَضِيقُ

بِهِ السَّهْلُ ، أَوْ يَتَغَطَّى الجَبَلْ

وَكُنَّا نُيَمِّمُ أَرْضَ العِـراقِ

لِنَجْتازَهــا

عبلة :

نَحْوَ كِسْرَى ؟

---

(١) لم تذكر الفاء في جواب أمّا . (٢) سِرْحان : اسم من أسماء الذئب ، ولعلها بذلك تشير إلى شجاعة ابنها .

(٣) الهَبَل : الثُّكل . (٤) السَّوام : الماشية والإبل الراعية .

العجوز :

أجَـــلْ

عبلة (غاضبة) :

لِتُعطُوا الرِّشا ، وَتَنَالُوا المُنَـى
وَيُمْنَحَ سِرْحَانُ بَعْضَ العَمَـــــلْ
وَيَحْكُمَ في البِيدِ بِاسْمِ الهُمَامِ
وَتَحْتَ ظُبَى فَارِسَ والأَسَـــــلْ (١)
ذَلِيــلٌ بِبَــابِ أَنُوشِـــرْوَانَ
وَعِنْدَ الخِيــامِ العَزِيــزُ البَطَـــــلْ
إِلَى كَمْ تَهِيمُونَ تَحْتَ النُّجُومِ
وَتَفْتَرِقُــونَ افْتِــراقَ السُّبُـــلْ ؟
فَنِصْفٌ قِطاعٌ رَعَتْها الذِّئابُ
وَنِصْفٌ عَلَى البِيدِ فَوْضَى هَمَلْ (٢) ؟
وَلَيْسَ لَكُمْ دَوْلَةٌ في الوُجودِ
وَتَسْحَبُكُمْ كالذُّيُـولِ الـــدُّوَلْ
أَلَمْ عَلَى حَوْضِكُمْ قَيْصَـرٌ
وَكِسْرَى عَلَـى جَانِبَيْـهِ نَـــزَلْ
وَيَحْكُمُكُمْ تَحْتَ نِيرِ (٣) الغَرِيبِ
وَمِهْمَـازِهِ (٤) الأَدْعِيَـاءُ الدُّخَـــلْ (٥)
هُمُ الأُمَراءُ وَقَـدْ يَرْتَـــدونَ
بِبَـــابِ الأَعاجِـمِ ذُلَّ النُّـــدُلْ (٦)

أحدهم :

سَمِعْتَ ؟

آخر :

ما ذاكَ ؟

الأول :

سَمِعْتَ النَّاعِيَـــةْ ؟

فَهِمْتَ ؟

الثاني :

فارِقْني

تَزَحْـزَحْ ناحِيَـــــهْ

الأول (لعبلة) :

يَا لَكِ مِنْ مُكَابِرَهْ

تَطْعَنُ فِــي الأَكَاسِرَهْ

وَتَلْعَنُ المَنَاذِرَهْ !

الآخر :

عَبْلَةُ تَنْطِقُ الذَّهَبْ

لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ الخُطَبْ

الأوّل :

وَمَا الَّذي تَرْمي لَهُ ؟

عبلة :

أَرْمي لِتَحْرِيرِ العَـــرَبْ

الأوّل :

تَحْرِيرُهُمْ ؟ مِـمَّ ؟

عبلة :

مِنَ القَيْدِ

الأوّل :

وَكَيْــفَ قُيِّـــدُوا ؟

عبلة :

الفُرْسُ وَالرُّومُ اسْتَرَقُّوا

قَوْمَنَـــا وَاسْتَعْبَـــدوا

الثاني (لأخيه) :

مَا لي إِذَنْ ؟

الأوّل :

ماذَا ؟

---

(١) الأسَل : الرِّماح .
(٢) الهَمَل : المُهمَل المتروك بلا رعاية .
(٣) النِّير : الخشبة المعترضة فوق عنقي الثورين لجر المحراث .
(٤) المِهْماز : حديدة في مؤخر حذاء الفارس ينخس بها الفرس .
(٥) الدُّخَل : القوم الذين يدخلون في نسب قوم ليسوا منهم .
(٦) النُّدُل : جمع نادِل ، من يقوم على خدمة القوم في الأكل أو الشَّراب .

الثاني :

لا قَيْدَ في رِجْلـــي
وأنْــــتَ وَالنَّــــاسُ
جَميعُكُمْ مِثْلــــي !

عبلة :

أ لا بَطَلٌ نَلتقي حَوْلَهُ
كإسْرالَ (١) حَوْلَ لِواءِ الرُّسُلْ ؟
يَفُكُّ مِنَ الرِّقِّ أعْناقَنا
كَما فَكَّ مُوسى رِقابَ الأوَلْ

الأوّل :

وَجَدْناهُ !

صوت :

مَنْ ذاكَ مَنْ يا تُرى
يَكونُ ؟ تَكَلَّمْ لَكَ الوَيْلُ قُلْ

عبلة :

أ تنْسَوْنَ عَنْتَرَةَ العَبْقَرِيَّ ؟

صوت :

أ يحْكُمُنا العَبْدُ ؟ هَذا خَبَلْ !
لَبِئْسَ أميرُ الرِّجالِ الغُرابُ
وَبِئْسَ الدَّليلُ إذا ما حَجَلْ

الأوّل :

أ تَجْحَدُ عَنْتَرَةَ ؟

آخر :

خَلِّهِ
فَما جَدَّ في قَوْلِهِ ، بَلْ هَزَلْ

عبلة :

ما بالُكُمْ جُبِنْتُمُـــو
يا عَبْسُ قَوْماً وَنِسَـــا ؟

(١) تعني إسرائيل ، وهو يعقوب جد بني إسرائيل .

حتّى رَمَى هَذا الفَتَى
عَنْتَرَةَ بِمــا رَمَـــى
أ لَيْسَ في أرْجُلِكُمْ
نَعْلٌ ، وَفي الأيْدِي عَصا ؟

(يهجمون على مَنْ سَبَّ عنترة ويضربونه)

الأوّل :

ما لَكَ يا فَتى بَلَغْــ
ــتَ في الوَقاحَةِ المَدَى ؟

آخر :

ما ذا الّذي غَرَّكَ يا
كَلْبُ بِضِرْغامِ الشَّـرَى ؟

المضروب :

وَأنْتَ ما يَعْنيكَ مِنْ عَنْتَرَةٍ ؟
وَمَا الّذي يَعْنِيكَ مِنْ شَأني أنا ؟

عبلة :

صَدَقْتَ ، ما كُنْتَ لِتَعْني أحَداً
لَوْ لَمْ تَخُضْ في الفَرْقَدِ (٢) العَالي السَّنا
أمّا ابْنُ شَدّادٍ فَذُخْرُ قَوْمِهِ
يُهِمُّ مَنْ راحَ (٣) ، وَيَعْني مَنْ غَدا

(يُسمع صوت عنترة من وراء الستار
قادماً من ناحية اليسار)

عنترة :

يا بِيدُ ها أنــا ذا أنــا
حَامي حِماكِ وَرَبُّ غَابِكْ
إنْ كُنْتِ جاهِلَتي اخْرُجي
بِجَميعِ ظُفْرِكِ لــي وَنَابِكْ
هَاتي أُسُودَكِ كُلَّهـــا
هَاتِ الكَوَاسِرَ مِــنْ ذِئابِكْ

(٢) الفَرْقد : النجم القطبي .
(٣) راح : سار في العشي ، عكس غدا (وقد تستعمل أيّ منهما لمطلق السير) .

أحدهم :

يا رِجالُ الفِرارَ قَدْ طَلَعَ اللَّيْـ

ـثُ عَلَيْنا هَيُّوا الفِرارَ الفِرارا

(يفرّون جميعاً من ناحية اليمين وتبقى عبلة وحدها)

* * *

المشهد الثالث عشر

عنترة (من وراء السّتار) :

أيا عَبْلَ

عبلة :

مَنِ الطَّارِ

قُ مَنْ بِالخَيْمَةِ اسْتَذْرَى [1] ؟

مَنِ الهَاتِفُ مَنْ ؟

(يدخل عنترة)

* * *

المشهد الرابع عشر

عنترة :

عَنْتَـ ـرَةُ العَبْسِيُّ

عبلة :

يا بُشْرَى !

عنترة :

تَعَالَيْ ظَبْيَةَ القاعِ

أجِيري أسَدَ الصَّحْرَا

(ستار)

(١) استذْرى : استتر واستكنّ .

الفصل الثالث

المنظر الأول

(المنظر في وادي الصّفا على مقرَبة من حي بني عامر ، على سبيل مطروق . عيون ونخيل وأشجار ، عقَلتْ عبلة بعيرها تحت شجرة منها . على بُعدٍ قليل أناسٌ يغدون ويروحون على الطريق)

المشهد الأوّل

عبلة :

قُلْ لي بِرَبِّكَ مَنْ تُحِبُّ
وَمَنْ تُحِبُّكَ يا بَعيــرْ ؟
أيُّ النِّيَاقِ ؟ فَإِنَّهُــنَّ
عَلَى مَراعِينــا كَثِيــرْ
وَهَلِ اكْتَفَيْتَ بِنَاقَـــةٍ
أَمْ أَنْتَ كَالعَبْسِيِّ زِيرْ ؟
تَلْهُو بِما دَفَــعَ الرَّوا
حُ إِلَيْكَ ، أَوْ ساقَ البُكورْ
مُتَنَقِّلاً بَيْــنَ البُيــوتِ
عَلَى عَقَائِلِهــا [1] يَـدُورْ
ما حَقُّ عَنْتَرَ عِنْدَنـــا
إلا التَّجَنُّبُ وَالنُّفُــورْ
مَا لي تَمَلَّكَ مُهْجَتـي
عَبْدٌ عَلَى عَبْسٍ أَمِيـرْ ؟
لو يَجْمَعُ العَرَبَ السَّرِيرُ [2]
لَجَاءَهُ يَسْعَى السَّرِيــرْ
كاللَّيْلِ إلا أنَّـــــهُ
في عَيْنِيَ القَمَرُ المُنِيرْ

حَسَدَتْني الدُّنْيا عَلَيْـــ
ـــهِ وَكُلُّ مَحْسُودٍ خَطِيرْ

(تتسلّى عبلة بإطعام بعيرها ، بينما يمرّ في الطريق ثلاثة فتيان ، فيلمحون عبلة)

* * *

المشهد الثاني

قراد :

بُجَيْرٌ مَاذا ضَرَّ لَوْ
أَنَّا أَتَيْنَا الشَّجَـــرَهْ
هَلُمَّ نَلْهُو سَاعَــةً
بِالغَـــادَةِ المُنْتَظِـــرَهْ

بجير :

أ أنا مَجْنُونٌ ؟ أنـــا
أَلْهو بِرِيمِ القَسْــوَرَهْ [3] ؟
لا يا أخي لا أجْتَرِي
عَلَى لِبــاقِ عَنْتَـــرَهْ

الثالث :

صَهٍ صَهٍ بُجَيْرٌ حَسْـ
ـــبُ يــا قُرَادُ ثَرْثَرَهْ
دَعـا الفُضُـولَ وَابْعَثـا
تَحِيَّـــةً مُعَطَّـــرَهْ
ما تِلْكَ إلا عَبْلَـةٌ
ما عَبْلَـــةٌ بِنَكِـــرَهْ

(ينصرفون من الجانب الآخر ، ويُسمع صوت عنترة من وراء الستار)

* * *

(١) العقائل : جمع عقيلة ، السيدة الكريمة .
(٢) السَّرير : تعني سرير المُلك .
(٣) القَسْورة : الأسد ، والمراد : عنترة .

المشهد الثالث

عنترة :

يا عَبْلَ ..

عبلة (لنفسها) :

مَنْذا يُنادِي عَبْلَ ، عَنْتَرَةٌ ؟

عنترة :

يا عَبْلَ ..

عبلة (لنفسها) :

تِلْكَ لَعَمْري نَبْرَةُ الأسَدِ

هَذا هُوَ الحُبُّ ، هَذا اسْمي عَلى فَمِهِ
يَأتي مِنَ القَلْبِ ، أوْ يَأتي مِنَ الكَبِدِ
يُرَدِّدُ اسْمِيَ في البَيْداءِ مُنْفَـرِداً
وَرُبَّما نَسِيَ اسْمي غَيْرَ مُنفَرِدِ

عنترة :

يا عَبْلَ ، أيْنَ جَبِينَ لَسْتُ سالِيَهُ
طَلْقُ البَشاشَةِ حُلْوٌ كالصَّباحِ نَدِ
وَأيْنَ يا عَبْلَ فَرْعٌ [1] كان فاغيَتي [2]
وَكَانَ لَهْوِي إذا ضَفَّرْتُهُ وَ دَدي [3]
وَلي يَدٌ خَشْنَةُ الأظْفارِ أنْقُلُهـا
مِنَ الغَدائِرِ أحْياناً إلى اللِّبَدِ
تَعِيثُ مِنْ شَعَرِ الغاداتِ في خَمَلٍ [4]
حِيناً ، وَمِنْ شَعَرِ اللَّبُواتِ في زَرَدِ [5]

(يُقبِل عنترة وفي أثره داحسٌ ، فيختفي داحس وراء الشجر بعيداً عن المسرح)

* * *

(١) الشعر التام . (٢) الفاغية : الرائحة الطيبة .
(٣) الدَّد : اللعب . (٤) الخمل : القطيفة .
(٥) الزَّرد : حِلَق الدرع .

المشهد الرابع

عنترة :

مَنْ أرَى ؟ عَبْلَةُ ؟

عبلة :

مَنْ ؟ عَنْتَرَةٌ ؟

عنترة :

مُهْجَتي عَبْلَةُ ، ماذا تَصْنَعِينْ ؟

عبلة :

خَرَجْتُ لِلنُّزْهَـةْ
عَلَى الصَّفا وَحْـدِي
أقْضِي هُنا بُرْهَـةْ
أبُثُّ ما عِنْـدِي
خَمِيلَـةَ البـانِ
وَرَوْضَـةَ الرَّنْـدِ [6]

عنترة (مشيراً إلى البعير) :

وَذاكَ يا نُورَ عَبْسٍ ؟

عبلة :

هَذا بَعِيـري صَبـاحُ
رَبِّي مَعِي وَبَعِيـري
تَحْتي ، وَهَـذا السِّلاحُ

(وتُريه سلاحها على هَوْدج البعير)

عنترة :

أ مِثْلُكِ عَبْلَ تَخْشَى بَأسَ شَيْءٍ
وَتَتَّخِذُ الكَنائِنَ وَالرِّماحـا ؟
لَقَدْ قُرِنَ اسْمُكِ المَحْبُوبُ بِاسْمي
أ ما يَكْفي اسْمُ عَنْتَرَةٍ سِلاحا ؟

عبلة :

مِنْ أيْنَ يـا ابْنَ العَـمِّ ؟

(٦) الرَّنْد : شجر طيب الرائحة .

عنترة :

مِـنْ عالَـمِ البِيـدِ

عبلة :

كَمْ مِنْ فَتَاةٍ كَـمْ

مَـاذا مِـنَ الغِيـدِ ؟

يَقُولونَ : عَنْتَرَةُ لَمْ يَقِفْ

بِحَيٍّ مِنَ البِيدِ إلَّا خَطَبْ

فَقالَ لِهاتِيكَ ما تَشْتَهِي

وَغَازَلَ تِلْكَ ، وَأُخْرَى أَحَبّ

خَلائِلُهُ صِرْنَ مِثْلَ الحَصَى

عنترة :

وَأَنْتِ أَ صَدَّقْتِ هَذا الكَذِبْ ؟

أَحَادِيثُ لَفَّقَهـا حُسَّدِي

وَقَدْ يَخْلُقُ الحاسِدُونَ الرِّيَبْ

عبلة :

وَأُخْتُ سَعْدٍ ؟

عنترة :

مَا لَها ؟

عبلة :

أَ لَمْ تَقُدْ بَعِيرَهـا ؟

وَما نَسِيتَ في ظَلا

مِ اللَّيْـلِ أَنْ تَزُورَهـا ؟

(يُسمع حفيفٌ في أوراق الشجر ووطءُ أقدام فيقبل داحس مذعوراً)

* * *

المشهد الخامس

داحس :

سَيِّدي ، سَيِّدي ، خُذِ الحِذْرَ

عنترة :

ماذَا داحِ ؟

داحس :

أَحْسَسْتُ أَرْجُلاً وَدَبِيبا

عنترة :

لا تَخَفْ داحِ

داحس :

بَلْ أَخافُ وَأَخْشَى

خَطَرًا ماثِلاً ، وَشَرًّا قَرِيبا

(يعود داحسٌ من حيث أتى)

* * *

المشهد السادس

عبلة :

وَعَاتِكَةُ ؟

عنترة :

كَيْفَ صُنْعِي بِهَا ؟

عبلة :

بَعَثْتَ إِلَيْها بِجِلْدِ النَّمِرْ

عنترة :

وَكَيْفَ وَأَيْنَ ؟

عبلة :

لَقَدْ كَـانَ ذَاكَ

فَلا تَتَنَصَّلْ وَلا تَعْتَذِرْ

وَهِنْدُ بِنْتُ عَامِـرٍ

أَ لَمْ تَجِئْهَا في الخِبَـا ؟

وَابْنَـةُ بِسْطَـامٍ أَ لَـمْ

تَنْثُرْ عَلَيْهَا الذَّهَبَـا ؟

وَابْنَةُ شَيْبَانَ أَ لَـمْ

تَطِرْ بِهَـا مُشَبِّبـا ؟

عنترة :

قَدْ زَوَّرُوا وَاخْتَلَقُوا

وَحَدَّثُوكِ الكَذِبـا

رُحْماكِ يا عَبْلَ

عبلة :

دَعْني

وَامْضِ اشْتَغِلْ بِالخَلائِلْ (١)

عنترة :

مَنْ قَالَ ذاكَ ؟

عبلة :

كَثِيرٌ

هَـذا حَدِيـثُ القَبَائِـــلْ

عنترة :

لا وَعَيْنَيْكِ ، وَأَعْظِمْ بِالقَسَمْ
وَفَـــمٍ عَـنْ غُرَّةِ الصُّبْحِ ابْتَسَـــمْ
لَمْ أَنَمْ يا عَبْلَ عَنْ عَهْدِ الهَوَى
مَنْ رَعَى أَمْرًا عَظِيمًا لَمْ يَنَمْ
اُذْكُرِي يا عَبْلَ أَيَّامَ الصِّبَا
حِينَ أَسْقِي بَيْنَ عَيْنَيْكِ الغَنَمْ
وَشُوَيْهاتُكِ حَوْلِي أُنَـــسٌ
يَغْتَرِفْنَ الماءَ مِنْ راحِي السُّحُمْ (٢)
إِنْ حَضَرْتُ الماءَ حَامَتْ وَارْتَوَتْ
أَوْ تَوَلَّى الماءَ غَيْرِي لَمْ تَحُمْ
اُذْكُرِي إِذْ أَنْتِ طِفْلٌ حُلْوَةٌ
قَدْ كَساكِ الحُسْنُ فَرْعًا لِقَدَمْ
إِذْ تَجِيئِينَ بِصِبْيانِ الحِمَـــى
وَصَبايا الحَيِّ في ظِلِّ الخِيَمْ
فَتَقُصِّينَ عَلَيْهِـــمْ خَبَـــرِي
مَعَ ذِئْبِ القَفْرِ أَوْ لَيْثِ الأَجَمْ (٣)
أَنا يا عَبْلَةُ عَبْدٌ في الهَوَى
وَأَنا يا عَبْلَ في القُرْبَى ابْنُ عَمْ

(١) الخلائل : جمع خليلة ، أي الحبيبة .
(٢) السُّحم : السّود .
(٣) الأَجَم : جمع أَجَمة ، الشجر الكثير الملتف .

اُطْلُبي الإيوانَ أَحْمِلْهُ عَلى
رَاحَتَيْ كِسْرَى وَهاماتِ العَجَمْ
أَوْ سَلِيني الهَرَمَ المَشْهُورَ يا
عَبْلَ أَجْلِبْ لَكِ مِنْ مِصْرَ الهَرَمْ
أَوْ سَلِيني البِيدَ مَهْرًا ، أَوْ سَلي
ما وَراءَ البِيدِ مِنْ حُمْرِ النَّعَمْ
أَوْ تَعالَيْ فَخُذِي أَشْرَفَ ما
قُلِّدَ الإِنْسانُ : سَيْفي وَالقَلَـــمْ
رُبَّ خَيْلٍ قُدْتُ حَتَّى قادَني
وَحَوَى رِقِّي بَنانٌ كالعَنَـــمْ (٤)
وَلُيوثٍ صِدْتُ حَتَّى صادَني
رَشَأُ (٥) القاعِ وَرُعْبوبُ (٦) الأَكَمْ
قَدْ رَعَيْتُ النَّجْمَ حَتَّى مَلَّني
وَتَعَهَّدْتُ الدُّجَى حَتَّـــى سَئِمْ
أَشْتَهِي طَيْفَكِ في حُلْمِ الكَـرَى
فَيَقُولُ اللَّيْلُ لي أَيْنَ الحُلُـــمْ ؟

(في هذه الأثناء يظهر مارد وغضبان من وراء الشّجر وفي غير الناحية التي اختفى فيها داحس ، فيسدّد أحدهما سهمه إلى ظهر عنترة ، فتراه عبلة وتضطرب فيصيح عنترة بالرجل دون أن يتلفت إليه)

* * *

المشهد السابع

عنترة (ضاحكًا) :

حَذارِ يا وَغْدُ (٧) ، حَذارِ يا لُكَعْ (٨)
اللَّيْثُ لا يَقْتُلُهُ الكَلْبُ فَدَعْ

(٤) العَنَم : نبات يتخذ منه الخضاب .
(٥) الرشأ : ولد الظبية .
(٦) الرعبوب : من النساء البيضاء الحلوة الناعمة .
(٧) الوغد : الأحمق الدنيء . (٨) اللكع : اللئيم .

(يقع القوسُ من الرعب من يد مارد،
ثم يخرّ هو نفسه إلى الأرض ميتاً ،
ويفرّ غضبان)

قَدْ وَقَعَتْ مِنْ يَدِهِ وَقَدْ وَقعْ

* * *

المشهد الثامن

عنترة :

قَـدْ كـانَ لا بُــدَّ أنْ أرَاهُ
لِلَّيْثِ عَيْنانِ فــي قَفَــاهُ
سِيري انْظُري ، ماتَ وَ رَبِّ الكَعْبَهْ
زَمْجَرَةُ اللَّيْثِ الهَصُورِ [١] صَعْبَهْ
بَلِ اسْمَعي عَبْلَ ، اسْمَعي كلامي
لَوْلاكِ لَمْ أنْجُ مِنَ الحِمامِ [٢]
قَدْ كُنْتِ أنتِ صَنَمي قُدَّامي
لَكِ اتِّجاهي ، وَبِكِ اهْتِمامي
رَأَيْتُ في عَيْنَيْكِ قَوْسَ الرَّامي
وَيَدَهُ فــي جَعْبَةِ السِّهَـــامِ

عبلة :

وَمَا رَأَيْتَ ؟

عنترة :

رَأَيْـــتُ العَيْـــنَ حائِــــرَةً
وَالوَجْهَ لَوَّنَهُ الإشْفَاقُ ألْوانـا
وَ قَفَّ شَعْرُكِ ، وَانْسابَتْ غَدَائِرُهُ
كَما أثَرْتِ وَرَاءَ اللَّيْلِ ثُعْبانا
وَقَامَ صَدْرُكِ كالمِنْفاخِ مُجْتَهِداً
لا يُفْرِغُ الرِّيحَ إلا ارْتَدَّ مَلآنا

فَقُلْتُ شَرٌّ وَرائي لَسْتُ أبْصِرُهُ
في عِطْفِ [٣] عَبْلَةَ لَمَّا رُوِّعَتْ بانا
وَلاحَ لي الحُبُّ في عَيْنَيْكِ مُرْتَسِماً
لم تَستَطِيعي لَهُ ، يا عَبْلَ ، كِتْمانا

عبلة :

الحُبُّ ! كَيْفَ عَرَفْتَ الحُبَّ ؟

عنترة :

مِنْكِ وَمِنْ عَيْنَيْكِ

عبلة :

قَدْ تَكْذِبُ العَيْنانِ أحْيانا

عنترة :

لا ، عَبْلَ ، لا إنَّ عَيْنَ الحُبِّ صادِقَةٌ
وَما تَعَوَّدْتُ مِنْ عَيْنَيْكِ بُهتانا [٤]

عبلة :

أجَلْ وَلَكِنْ قَدِيماً كانَ ذَاكَ أجَلْ
هَذا السَّوادُ لِعَيْني كانَ إنْسانا

عنترة :

وَاليَوْمَ ؟

عبلة :

ما لَكَ في قَلْبي الجَريحِ هَوًى
اليَوْمَ ، عَنْتَرَ ، مَنْ أحْبَبْتُ قَدْ خانا

عنترة :

دَعي الوَساوِسَ وَالأوْهامَ عَنْكِ ، دَعي
يا عَبْلَ ، جُرِّي عَلَى ما قِيلَ نِسْيانا

(يسمع وطء أقدام)

عبلة :

عَنْتَرَ تِلْكَ ضَجَّــةْ
فَلْنَتَــوارَ ناحِيَـــهْ

---

(١) الهصور : يطلق على الأسد لأنه يهصر فريسته أي يميلها ويفترسها .
(٢) الحِمام : (بكسر الحاء) الموت .
(٣) العِطف : الجانب ، ومن الإنسان من لدن رأسه إلى وركيه .
(٤) البهتان : الكذب المفترى .

لا يَجِدُ الْواشِي إلَيْـــ
ـــنا سُبُــــلاً وَالواشِيَهْ

(يختفيان وراء الشَّجر ، ويُقبل من ناحية أخرى مالك وضرغام وزهير كأنهم مارُّون بالطريق . ويتشاغل زهيرٌ بالشرب من ماء عَيْنٍ أو بشيء من مثل هذا)

* * *

المشهد التاسع

ضرغام :

سَيِّدَ الحَيِّ

مالك :

أَلْفَ لَبَّيْكَ ، ضِرْغامُ
تَكَلَّمْ ، أَ ثَمَّ شَيْءٌ تَقولُ ؟

ضرغام :

سَيِّدَ الحَيِّ ، عَبْلَةُ اخْتارَها القَلْبُ
فَهَلْ لي إلى الزَّواجِ سَبيلُ ؟

مالك :

والمَهْرُ يا ضِرْغامُ

ضرغام :

مَهْـــــ ـــرُ عَبْلَةَ ؟ اِقْتَرِحْ تَرَهْ
قَـــدِّرْهُ ، أَوْ خَـلِّ إلـــى
عَبْلَـــــةَ أَنْ تُقَـــدِّرَهْ
وَغَالِيًـا مـــا شِئْتُمـــا
فِيــهِ وَظَنُّـــا المَقْـــدِرَهْ

مالك :

المَهْرُ يا ضِرْغامُ غَـــا
لٍ فَاجْتَهِدْ أَنْ تَحْـــزِرَهْ (١)

ضرغام :

سَلْ تاجَ كِسْرَى ، وَاقْتَرِحْ
عِمامَـــةَ المَنــــاذِرَهْ
سَلْ سُبْحَةَ القَيْصَرِ ، أَوْ
فاطْلُبْ صَلِيبَ القَيْصَرَهْ

مالك :

المَهْرُ فَوْقَ ذاكَ

ضرغام :

قُلْـــ ـــهُ لا تَخَفْ أَنْ تَذْكُرَهْ

مالك :

اِسْمَعْ إذَنْ ، أَصِخْ لَـهُ
المَهْــرُ رَأْسُ عَنْتَـــــرَهْ

ضرغام (لنفسه) **:**

لَهُ الوَيْلُ ، مَاذا قَالَ ؟

مالك :

قَدْ وَجِمَ (٢) الفَتَى

ضرغام :

أبا عَبْلَةَ اذْكُرْ هَوْلَ ما أَنْتَ سَائِلُ

مالك :

جُبُنْتَ !

ضرغام :

مَعاذَ اللَّهِ ! ما الجُبْنُ في دَمي

مالك :

فَلِمْ ضِقْتَ ذَرْعًا ؟

ضرغام :

مَهْرُ عَبْلَةَ هائِلُ
أَ أَمْشِي إلى الفَلْحاءِ أَخْطِفُ رَأْسَهُ ؟
فِداءُ الَّذي أَمْشي إلَيْهِ القَبَائِلُ

---

(١) تحزره : تقدِّره بالتخمين .

(٢) وَجِمَ : عبس وأطرق وسكت عن الكلام .

كَرِيمٌ لعَمْرِي ، وَالكِرامُ قَدِ انْقَضَوْا
شُجاعٌ ، وَشُجْعَانُ الرِّجالِ قَلائِلُ
إذا قالَ بَذَّ القائِلينَ رَنِينُهُ
وَما بَذَّهُ في أَيْكَةِ البِيدِ قائِلُ
هَزَارُ [1] البَوَادي طارَحَتْهُ بِشَجْوِهَا
رُباها ، وَغَنَّتْ في صَدَاهُ الخَمائِلُ
وَمَا بَيْنَنا ثَـأْرٌ ، وَلا بَيْنَ أَهْلِـهِ
وَأَهْلي عَداواتٌ خَلَتْ وَطَوائِلُ [2]

مالك :

وَعَبْلَةُ يا ضِرْغامُ ؟

ضرغام :

ما شَأْنُ عَبْلَةٍ ؟

مالك :

أَ لَيْسَ فِدَاها في الحِجازِ العَقائِلُ ؟

ضرغام :

أَجَلْ وَفِداها الشَّمْسُ ما التَفَتِ الضُّحَى
عَلَيْها ، وَما رَفَّتْ عَلَيْها الأَصائِلُ

مالك :

أَ أَنْتَ تَخافُ العَبْدَ ؟

ضرغام :

لِـمْ لا أَخافُـهُ ؟
تُخافُ وتُرجَى في الرِّجالِ الفَضَائِلُ
وَإِنَّ ابْنَ شَدَّادٍ ، وَإِنْ ذاعَ بَأْسُـهُ
فَتًى مِلءُ بُرْدَيْهِ [3] عَفَافٌ وَنائِلُ
مِنَ العُصْبَةِ المَسْطُورِ في البَيْتِ [4] شِعْرُهُمْ
قَصَائِدُهُمْ أَسْتارُهُ وَالوَصائِـلُ [5]

مالك :

فَمَا لَكَ مُصْفَرًّا كَأَنَّكَ هالِـكٌ
مِنَ الخوْفِ ، قَبْلَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، زَائِلُ ؟
تَعَالَ زُهَيْرُ اسْمَعْ : حَسِبْناهُ حائِطاً

(يقبل زهير)

زهير :

فَمَا هُوَ ؟

مالك :

رُكْنٌ في العَواصِفِ مائِلُ
وَأَمَّلْتُهُ سَيْفًا فَلَمَّا لَبِسْتُـهُ
إذَا هُـوَ عُـودٌ أَنْكَرَتْهُ الحَمَائِلُ
وَقُلْتُ غَمامٌ يُمْطِرُ الحَيَّ في غَدٍ
فَكانَ جَهاماً [6] ما لَنا فيهِ طائِلُ
وَقُلْتُ كُلَيْبٌ [7] نَسْتَطِيلُ بِصِهْرِهِ
إذا هُوَ كَلْبٌ

ضرغام :

ضَلَّ ما أَنْتَ قائِلُ
وَأُقْسِمُ لَوْلا ظَبْيَةٌ تَحْتَ خَيْمَةٍ
وَغُصْنٌ حَوَتْهُ في الحِجالِ الغَلائِلُ
لَمَا رُحْتَ إِلَّا جُثَّةً في الثَّرى لَقًى [8]
وَغَالَتْكَ مِنْ قَبْلِ المَغِيبِ الغَوائِلُ

مالك :

تَجَرَّأْتَ يا ضِرْغامُ

ضرغام :

ما تِلْكَ جُرْأَةٌ
وَلَكِنْ كَمَا قَدْ كِلْتَ لي أَنا كائِلُ

مالك :

كَفَى ، حَسْبُ يا ضِرْغامُ ، حَسْبُ وَقَاحَةً
فَمَا أَنْتَ إِلَّا مُكْثِرُ الزَّهْوِ خائِلُ

(١) الهزار : طائر حسن الصوت .
(٢) الطوائل : جمع طائلة ، الحقد والعداوة .
(٣) ملء بُرديه : البُرد : الثوب ، والجملة كناية عن نسبة العفة والجود إليه . (٤) يعني من أصحاب المعلّقات السبع أو العشر . (٥) الوصائل : جمع وصيلة ، ما يوصل به .
(٦) الجهام : السحاب لا ماء فيه .
(٧) يشير إلى كليب فارس بني شيبان وبطل حرب البسوس .
(٨) اللَّقى : ما طُرح وتُرك لِهَوانِهِ .

لَقَدْ قُلْتَ قَوْلاً شَفَّ عَمّا وَراءَهُ
وَقامَتْ عَلَى لُؤْمِ النِّجارِ (١) الدّلائِـلُ
وَلا يَرْفَعُ الأَبْطالَ أنَّكَ مِنْهُمُو
فَما هَـذِهِ لِلْباسِلِيـنَ شَمَائِـلُ
وَما لَكَ كَالأَبْطالِ سَيْفٌ تُجِيلُهُ
وَلَكِنْ لِسَانٌ بِالسَّفاهَةِ جَائِـلُ
أ يُذْكَرُ عَبْدُ السُّوءِ في كُلِّ قَفْرَةٍ
وَذِكْرُكَ يا ضِرْغامُ في البِيدِ خامِلُ ؟
أ مَا أَنْتَ كالفَلْحاءِ صِنْدِيدُ (٢) قَوْمِهِ ؟
أ مَا لَكَ كَالفَلْحاءِ سَيْفٌ وَعامِلُ (٣) ؟
أ لا حَسَدٌ لِلعَبْدِ ؟

ضرغام :

لا . لَسْتُ حاسِداً
وَلا أنا لِلنّـارِ (٤) الأَكُولَـةِ حامِـلُ
أ أَحْسِدُ مَنْ يَحْيَى العُفَاةُ (٥) بِمالِهِ
وَيَأْوِي اليَتامَى ظِلَّـهُ (٦) وَالأَرامِـلُ ؟
أ أَحْسِدُ مَنْ لا يَعْصِمُ البِيدَ غَيْرُهُ
إذا زَحَفَتْ مِنْ أَرْضِ كِسْرَى الجَحَافِلُ ؟
أ أَحْسِدُ مَنْ يُرْجَى لِتَأْلِيفِ قَوْمِهِ
إذَا افْتَرَقَتْ تَحْتَ المُلوكِ القَبائِلُ ؟

مالك :

يُؤَلِّفُنا عَبْدٌ ! أما ثَمَّ سَيِّـدٌ
عَنِ العَبْدِ يُغْنِينَا ؟ أمَا ثَمَّ عاهِلُ (٧) ؟
إذَنْ فَلْيَسُمْنا الخَسْفَ كِسْرَى وَقَوْمُهُ
وَقَيْصَـرُ والرُّومُ الجُفَـاةُ الأَراذِلُ

أ يَمْنَعُنا عَبْدٌ ؟ إِذَنْ نَحْنُ عُزَّلٌ
فَأَيْنَ عَوالِينا (٨) وَأَيْنَ المَنَاصِلُ (٩) ؟

ضرغام :

لَقَدْ عِيلَ (١٠) صَبْرِي لِلّذِي أنا سامِعٌ

مالك :

إذا الصَّبْرُ لَمْ يَنْفَدْ فَما أَنْتَ فاعِلُ ؟

ضرغام :

عِقابٌ يُنَسِّيكَ الوَقاحَةَ عَاجِـلٌ
وَآخَرُ مَتْروكٌ إِلى الغَدِ آجِـلُ

مالك :

رُوَيْدَكَ يا ضِرْغامُ ، ما لَكَ هاذِياً ؟
وَما لَكَ قَدْ ضاعَتْ لَدَيْكَ المَنازِلُ ؟
فَمَا العَبْدُ إِلّا كَالدُّخانِ وَإِنْ عَلا
إلى النَّجْمِ ، مُنْحَطٌّ إِلى الأَرْضِ سافِلُ

ضرغام :

تَعـالَ تَأَهَّـبْ

(يمسك بكتفيه فيهزه هزًّا)

مالك :

كاهِلِي خَلِّ كاهِلِي

ضرغام :

أ قَالَبُ زُبْدٍ ذاكَ أَمْ ذاكَ كاهِلُ ؟

زهير (صائحًا) :

هَلُمُّوا سَرَاةَ الحَيِّ ، هاتُوا رِجالَكُمْ

مالك :

إِلَيَّ ؛ فَعَبْسٌ فاجَأَتْها النَّوازِلُ !

مالك :

يا عَبْسُ

(ويَرَى عنترة قادماً فيجري نحو الحي هو وابنه زهير)

عَنْتَرَةُ ؟

(١) النِّجار : الأصل والحسب . (٢) الصِّنديد : الشريف الشجاع . (٣) العامل : أعلى الرمح مما يلي السنان .
(٤) النار الأكولة : يقصد الحسد .
(٥) العُفاة : جمع عافٍ ، طالب المعروف .
(٦) ظله منصوب على نزع الخافض .
(٧) العاهِل : الملك الأعظم .

(٨) العوالي : يعني الرماح . (٩) المناصل : جمع مُنْصل ، السيف . (١٠) عِيلَ : نفد .

المشهد العاشر

عنترة (من وراء الستّار) :

لَبَّيْكَ مَا بِكُم ؟

خَوْفٌ مِنَ السَّيْلِ ، أَمْ خَوْفٌ مِنَ النَّارِ ؟

أَللهُ أَمَّنَ بِالفَلْحاءِ سِرْبَكُمُو

أَفْعَى الصَّرِيمِ (١) وَلَيْثِ القَفْرَةِ الضَّارِي

(يظهر عنترة)

* * *

المشهد الحادي عشر

مَنِ الفَتَى مَنْ أَرَى ؟ ضِرْغامُ أَنْتَ هُنا

أَ غَارَةٌ ؟ أَيْنَ عَهْدُ الجارِ لِلْجارِ ؟

أَ جِئْتَ تَسْبِي مَهاتِي ؟

ضرغام :

جِئْتُ أَخْطُبُها

عنترة :

ما أَجْمَلَ الصِّدْقَ لَمْ يُلْبَسْ بِإِنْكارِ !

فَمَا جَرَى ؟

ضرغام :

نَالَ مِنَّا مَالِكٌ ، وَبَغَى

عَلَيْكَ بِالشَّتْمِ هَذَا العائِبُ الـزَّارِي (٢)

حَتَّى انْصَرَفْتُ إِلَيْهِ كَيْ أُؤَدِّبَهُ

عنترة :

يا لَيْتَ أَدَّبْتَهُ تَأْدِيبَ جَبَّارِ

ضِرْغَامُ

ضرغام :

عَنْتَرَةٌ

عنترة :

اِسْمَعْ بَيْنَنَا شَرَكٌ

في حُبِّ عَبْلَةَ قَدْ يَدْنُو مِنَ الثَّارِ

فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ أُنْثَى غَيْرَها أَرَبًا

فَإِنَّ عَبْلَةَ آرابي وَأَوْطَـارِي (٣)

ضرغام :

وَأَنْتَ فَاعْبُدْ سِوَاها ، إِنَّنِي رَجُلٌ

جَعَلْتُ عَبْلَةَ أَوْثاني وَأَحْجاري

تَعالَ نَذْهَبْ إِلى شَمْسِ (٤) النَّهارِ مَعًا

نَقُولُ : عَبْلَةُ قَدْ خُيِّرْتِ فاخْتاري

فَما تَرَى أَنْتَ ؟

عنترة :

رَأْيِـي أَنْ نَصِيـرَ إِلـى

جَمالِ تَضْحِيَةٍ أَوْ فَضْلِ إِيثَارِ

رَأْسِي وَرَأْسُكَ في المِيزانِ قَدْ وُضِعا

وَحُكْمُ سَيْفِكَ أَوْ سَيْفِي هُوَ الجارِي

مَنْ ماتَ مِنَّا قَضَى حَقَّ الهَوَى كَرَمًا

وَلَيْسَ بِالمَوْتِ دُونَ الحبِّ مِنْ عارِ

ضرغام :

رَأَيْتَ عَنْتَرَ رَأْيًا لَسْتُ أَتْبَعُهُ

يَأْباهُ حُبِّي وَإِعْجابِـي وَإِكْبارِي

وَاللَّـهِ لا جَمَعَتْنا سَاحَـةٌ

عنترة :

لِمَ لا ؟

الحَرْبُ تَجْمَعُ مِغْـوارًا (٥) بِمِغْـوارِ

ضرغام :

هَبْنِي قَتَلْتُكَ

عنترة :

ماذا ضَرَّ ؟

(١) الصَّريم : القطعة المنعزلة من الرمل .

(٢) الزّاري : المتهاون المقصِّر .

(٣) الأوطار : جمع وطر ، الحاجة والبُغية .

(٤) يعني عبلة .

(٥) المِغوار : المقاتل الكثير الغارات على أعدائه .

ضرغام :

كَيْــــــفَ إذَنْ

تَكُونُ في البيدِ أنْبائي وَأخْباري ؟

أ لَسْتُ شِبْلاً فَتِيًّا مِنْ شُبُولَتِها

فَهَلْ أجَرِّبُ في الرِّئْبالِ[1] أظْفاري ؟

وَكَيْفَ أفْلِقُ رَأساً مِلْؤُهُ شَرَفٌ

أحَقُّ مِـنْ جَبَهاتِ الرُّومِ بِالغـارِ ؟

وَكَيْفَ أضْرِبُ عُنْقاً في أمانَتِها

كَرَامَةُ القَوْمِ مِـنْ بَدْوٍ وَحُضَّارِ ؟

وَكَيْفَ أرْمي لِساناً طَالَمَا سُقِيَتْ

بِشَهْدِهِ البِيدُ مِنْ شَرْبٍ وَسُمَّارِ ؟

عنترة ينادي :

يا عَبْلَ

عبلة (من وراء الستار) **:**

لَبَّيْكَ يا ابْنَ العَمِّ

(تقبل عبلة)

* * *

المشهد الثاني عشر

ضرغام :

أنْتِ هُنا ؟

عبلة :

أجَلْ

ضرغام :

إذَنْ سَمِعَتْ ما قِيلَ أذْناكِ ؟

عبلة :

أجَلْ عَلِمْتُ بِما قَدْ دارَ بَيْنَكُما

(١) الرِّئْبال : الأسد .

عنترة :

فَمَا تَرَيْنَ ؟ لَعَلَّ القَوْلَ أرْضاكِ

يا عَبْلَ ، حُبُّكِ في لَحْمِي جَرى وَدَمي

وَقَدْ يُحِبُّكِ ضِرْغامٌ وَيَهْواكِ

ضرغام :

أحِبُّها حُبِّيَ العُزّى وَأعْبُدُهـــا

عِبادَةَ اللاتِ[2]

عنترة :

بِنْتَ العَمِّ بُشْراكِ

ضرغام :

وَلَوْ يُطافُ بِغَيْرِ البَيْتِ في زَمَني

ما طُفْتُ ، يا عَبْلَ ، إلا حَوْلَ مَغْناكِ[3]

عبلة :

ماذا تَقُولُ ابْنَ عَمِّي ؟ بِمَ تُبَشِّرُني ؟

بُشْرَى بِماذَا ؟

عنترة :

بِهَذا العَاشِقِ الباكي

عبلة (لنفسها) **:**

يُحِبُّنـــي ؟ رَبَّ أشْقَيْتَ الفَـــوارِسَ بـــي

فَلا أتَيِّمُ إلا المُعْلَمَ الشّاكي[4]

عنترة :

عَبْلَ اسْمَعِي ، عَبْلَ هَذا الحُبُّ كَيْفَ أتَى ؟

هَلْ كَانَ في فَتَراتِ الدَّهْرِ يَلْقاكِ ؟

عَساهُ جاءَكِ يَشْكُو الحُبَّ مِنْ زَمَـــنٍ

لَعَلَّهُ بِالهَوَى مِنْ قَبْلُ ناجـــاكِ

ضِرْغامُ هاتِ تَكَلَّمْ

ضرغام :

أنْـــتَ تَظْلِمُنـــي

فَما نَصَبْتُ لِعَبْسٍ قَطُّ أشْراكي

(٢) اللات : صنم كان في الجاهلية لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة . (٣) المَغْنى : المنزل غني به أهله .

(٤) الشاكي : الكامل السلاح ، التام الاستعداد .

قُولي لِعَنْتَرةٍ يا عَبْلُ ، ما خُلُقـــي
كَما يَقُولُ ، وَلا في شِيمَتي [١] ذَاكِ
هَلِ الْتَقَيْنا عَلى ذاتِ الإصادِ ضُحًى ؟
وَهَلْ لَقِيتُكِ إِلّا في عَـــذاراكِ ؟
وَهَلْ نَظَرْتُكِ إِلّا خاشِعاً خَفِـــراً
كَما نَظَرْتِ وَراءَ السِّتْرِ عُـزّاكِ ؟

عنترة :

الآنَ يا عَبْـلَ ، تَخْتارِينَ راضِيَـــةً
هاكِ الخَطِيبَيْنِ قَدْ مَدَّا يَداً ، هاكِ

عبلة :

إِنِّي قَدِ اخْتَرْتُ يا ابْنَ العَمِّ مِنْ زَمَنٍ

عنترة :

مَنْ ؟

عبلة :

سَيِّدي !

(تندفع إليه)

عنترة :

عَبْدُكِ الْوافِي وَمَوْلاكِ !

(تُسمع ضجة وقعقعة سلاح وأصوات استغاثة من الحي كأنها من بعيد)

عبلة :

يا وَيْحَ أُذْنـــي ، صَيْحَةٌ وَفَـــوارِسٌ
ما ذاكَ عَنْتَرَ ؟

عنترة :

غَارَةٌ وَصِياحُ

عبلة :

ضِرْغامُ عَنْتَرَ ما مُقامُكُما هُنـــا
وَالحَيُّ ثَمَّ مُرَوَّعٌ يُجْتاحُ ؟

(يقبل داحس مضطرباً)

المشهد الثالث عشر

عنترة :

ماذا وَراءَكَ داحِ ؟ ما دَهَمَ الحِمَى ؟

داحس :

فِئَةٌ عَلَيْهِمْ شِكَّةٌ [٢] وَسِلاحُ
وَطِئَتْ تُرابَ المَهْدِ أَرْجُلُ خَيْلِهِمْ
وَلَها عَلَيْهِ نَشْوَةٌ وَمِـــراحُ [٣]

عنترة :

أَ مِنَ البَوادِي ؟

داحس :

بَلْ غَساسِنَةٌ [٤] عَلَى
قَسَماتِهِمْ أَثَـرُ النَّعيمِ صِبـــاحُ
في ظِلِّ دِجْلَةَ وَالفُراتِ تَرَعْرَعوا
وَغَدَوْا عَلى وَشْيِ الرِّياضِ وَرَاحُوا
أَوْلادُ لَخْمٍ وَالّذيـنَ رَمَـــى بِهِـــمْ
أَرْضَ العِراقِ تَطَلُّعٌ وَطِمـــاحُ
جَاءَ الحِجازَ بِهِمْ وَمَكَّةَ ، وَالْتَقَتْ
فِيهِمْ جِبالٌ حَوْلَها وَبِطـــاحُ
نُشِئوا هُناكَ ؛ فَمَا تَصَلَّبَ مَنْسِرٌ [٥]
لَهُمُو ، وَلا بَلَغَ التَّمامَ جَناحُ [٦]

عنترة :

ما يَبْتَغُونَ ؟

---

(١) الشِّيمة : الطبيعة .

(٢) الشِّكَّة : ما يحمل أو يلبس من السلاح .

(٣) المِراح : العُجْب والاختيال .

(٤) المقصود المناذرة : وهم بنو لخم ، وهي قبيلة عربية من قبائل اليمن التي تفرقت بعد انهيار سد مأرب ، وأسسوا دولة الحيرة في العراق في ظِلال الفرس ، وكانوا في حرب دائمة مع الغساسنة الموالين للروم .

(٥) المنسر : هو للطير الجارح مثل المنقار لغير الجارح . وتَصلُّبه : شدته وقوته .

(٦) الجناح : ما يطير به الطائر ، والجملة كناية عن النعومة والعجز .

داحس :

أظنُّ رأسَكَ سؤلَهمْ

هَتَفُوا بِهِ حَوْلَ البُيوتِ ، وَصَاحُوا

أ نَسِيتَ سِرْحاناً وَكَيْفَ قَتَلْتَهُمْ

وَفَوَارِساً بُهْماً (١) بِسَيْفِكَ طَاحُوا ؟

ضرغام :

ما القَوْمُ ؟

عنترة :

عَسْكَرُ رُسْتُمٍ

ضرغام :

مَنْ رُسْتُمُ ؟

عنترة :

بَطَلٌ لَهُ شَرَفٌ ، وَفيهِ سَماحُ

وَفَتًى يُعَظِّمُهُ العِراقُ وَصَاحِبٌ

كِسْرَى إِلَيْهِ بِأُنْسِهِ يَرْتاحُ

عنترة (لداحس) :

ما شَكْلُهُ ؟ ما لَوْنُهُ ؟ ما وَجْهُهُ ؟

داحس :

رَيَّانُ أَبْلَجُ ناعِمٌ وَضَّـاحُ

ضرغام :

هَذَا الجَمَالُ ، فَمَا شَجَاعَةُ رُسْتُمٍ ؟

داحس :

مَوْتٌ لِمَنْ يَمْشِي إِلَيْهِ مُتاحُ

عنترة :

وَثِيَابُهُ ؟

داحس :

زَرَدُ الحَدِيدِ ، وَبُرْنُسٌ

ضَافٍ عَلَى أَعْطافِهِ ، وَ وِشاحُ

(١) البُهْم : جمع أبهم ، وهو الأعجم .

قَدْ حَفَّ سَاعِدَهُ السِّوارُ ، وَرَفَّ في

أُذُنَيْهِ قُرْطُ اللُّؤْلُؤِ اللَّمَّاحُ

(تزداد الضَّجة وتقترب الأصوات)

ضرغام :

اِسْمَعْ لِواءَ (٢) البِيدِ ، أَصْغِ لِصَوْتِهِمْ

هَذَا النِّدَاءُ يَزِيدُ وَالإِلحاحُ

(يُسمع صوتُ رستم)

الصوت :

العَبْدُ ! رَأْسُ العَبْدِ

عنترة (لداحس) :

اِمْضِ فَقُلْ لَهُمْ

رَأْسِي لَهُمْ في مَنْكِبَيَّ مُباحُ

(ثم يُواجِه الأشباحَ القادمةَ من بعيد)

يا قَوْمُ لَمْ أَفْهَمْ نِداءَكُمُ اعْزُبُوا (٣)

إِذْ لَيْسَ في لُغَةِ الأُسُودِ نُباحُ

وَيْحٌ لِرَأْسِي ، قَدْ غَدا كُرَةً لَهُمْ

رَاحٌ (٤) تَجِيءُ بِهِ ، وتَرْجِعُ راحُ

كَثُرُوا عَلَيْهِ في الطِّلابِ وَدُونَهُ

تَتَقَطَّعُ الأَسْيافُ وَالأَرْمَـاحُ

(يُقبِل جماعةٌ من الحي هاربين وينصرف عنترة وضرغام للقاء المهاجمين)

* * *

المشهد الرابع عشر

عنترة (من وراء الستار) :

لَبَّيْكَ يا أَسْوارُ (٥) تَعْلَمُ أَيُّنا

يُبْكَى عَلَيْهِ في غَدٍ وَيُنَـاحُ

(٢) اللواء : العلَم ، يعني عنترة . (٣) عَزَبَ : بَعُدَ .

(٤) الرّاح : الكفّ .

(٥) الأسوار : (بضم الهمزة وكسرها) قائد الفُرس .

عبلة (للقادمين) :

حُيِّيتُمو عَبْسُ ، عِمُوا مَساءَ
عَبْسُ ، اسْمَعُوا الزَّئِيرَ والعُواءَ
قُومُوا انْظُرُوا عَنْتَرَةَ اللِّواءَ

(يُشرف الكلُّ على المعركة الدائرة من وراء الستار)

أحدهم :

على قَدَمْ حَيُّوا العلَمْ لَيْثَ الأَجَمْ

عنترة (من وراء السِّتار) :

عَبْلَ عَبْلَ

عبلة :

لَبَّيْكَ أَلْفَ لَبْ

أحدهم :

ذَاكَ عَبْـدُ شَـدَّادٍ انْقَلَـبْ

عبلة :

بَلْ لِوَاءُ عَبْسٍ فَتَـى العَـرَبْ
أَنْصِتُوا ، اسْمَعُوا الرَّعْدَ في السُّحُبْ
تِلْكَ صَرْخَةُ اللَّيْثِ في القَصَبْ (١)

أحدهم :

وَآخَرُ لَيْسَ دُونَ أَخِيه بَأْسًا

عبلة :

أَجَلْ

الأوّل :

ضِرْغامُ العَضْبُ (٢) الحُسامُ (٣)
مُبِيدُ الضَّيْغَمَيْنِ بِشِعْبِ خَبْتِ

آخر :

أَجَلْ ضِرْغامُ المَوْتُ الـزُّؤامُ

* * *

(١) القَصب : كل نبات تكون ساقه كُعوبًا .
(٢) العَضْب : القاطع .
(٣) الحُسام : السيف .

المنظر الثّاني

(نَفْسُ المنظر بعد زمن قصيرٍ ، لا تزال عبلةُ ومَنْ معها مِنْ بني عبس يُشرفون على المعركة ، وإن كان يبدو أنهم قد تأخروا في المسرح إلى مكان أبعَدَ مِنْ مكانهم في المنظر الأوّل قليلاً . في مقدّمة المسرح مِنْ ناحية أخرى جماعةٌ قليلةٌ من بني لخْم أنصار الفرس وَبِيَدِ أحدهم صندوقٌ وحديثُهم يكاد يكون هَمْسًا)

المشهد الأوّل

واحدٌ من بني لخم :

ما ذاكَ ؟ ما الصُّنْدوقُ ؟ ما بِأَكُفِّكُمْ ؟

حامل الصُّندوق :

السِّلْمُ يا إِخْوانُ وَالإِصْـلاحُ
العَبْدُ ، رأسُ العَبْدِ ، بُشْرَى فـارِسٍ
اليَوْمَ كُلُّ مَحَلَّةٍ أَفْـراحُ

(يَفتح الصُّندوق فتُرى فيه رأسُ قتيلٍ مُغَطاة)

آخر :

أَ بِرَأْسِ عَنْتَرَةٍ أَتَيْتُمْ ؟ مَا لَهُ
يَنْزُو (٤) ؟ وَما لِلسِّتْرِ عَنْهُ يُزاحُ ؟

آخر :

أَ تراهُ حَيًّا ؟

آخر :

هَلْ جُنِنْتَ ؟

الأوّل :

إِذَنْ قَضَى
وَتَخَلَّصَتْ مِنْ غُولِها (٥) الأَرْواحُ

آخر :

مَنْ ذَا الَّذي ذَبَحَ الغَضَنْفَرَ ؟

(٤) ينزو : يثِبُ (٥) الغول : كل ما أخذ الإنسان من حيث لا يدري فأهلكه ، والمراد عنترة .

الجماعة :

رُسْتُمْ فَحْلُ العِراقِ وَكَبْشُهُ النَّطَّاحُ

آخر :

خُطُوهُ تَنْظُرْ ، يا إلَهي مَا أَرَى !

(يكشفُ القائلُ الرأسَ)

وَيْلٌ لَهُمْ أيَّ الرُّءُوسِ أطاحُوا ؟

ما ذَاكَ عَنْتَرَةٌ وَلَكِنْ رُسْتُمُ

مَنْ يا تُرى الجَاني ؟ مَنِ السَّفَّاحُ ؟

آخر :

مَنْ غَيْرُ عَنْتَرَةٍ يُجَدِّلُ [١] رُسْتُماً ؟

قَدْ كانَ بَيْنَ الضَّيْغَمَيْنِ كفاحُ

ما تَنْظُرونَ الرَّأْسَ في الدَّمِ غارِقًا

وَعَلَيْهِ مِنْ كُلِّ الجِهاتِ جِراحُ ؟

لَهْفِي عَلَى قَسَماتِهِ وَجَبينِهِ

عَفَتِ [٢] البَشاشَةُ وَانْطَفا المِصْباحُ

آخر (صائحًا) :

يا لِكِسْرَى وَنَوَاحِي فَارِسِ

لِقَتِيلٍ حَوْلَ عَبْسٍ دَارِسِ

قَتَلَ العَبْدُ بِحُرٍّ فارِسِيٍّ

قَائِدِ الجَحْفَلِ أَسْوارِ العِراقْ

يا بَني المُنْذِرِ آلِ الأَشْهَبِ

شَرَفَ الفُرْسِ وَمَجْدَ العَرَبِ

قَدْ صَحِبْتُم رُسْتُماً في المَوْكِبِ

فَارْكَبُوا في ثارِهِ الخَيْلَ العِتاقْ

بَيْنَنَا يا عَبْسُ يَوْمٌ ذُو نَبَا [٣]

(تتّجه الجماعتان بنو عبس وبنو لخم بعضُهما إلى بعض)

بنو عبس :

مَرْحَبًا بِاليَوْمِ أَهْلاً مَرْحَبَا

أحدهم :

هَذِهِ السُّمْرُ أُعِدَّتْ ، وَالظُّبَى [٤]

أُرْهِفَتْ ، وَانْتَظَرَتْ يَوْمَ التَّلاقْ

عبلة :

أَوْلادَ لَخْمٍ

آخر :

مَنِ المُنادِي ؟

آخر :

عَبْلَةُ

الأوّل :

مَنْ تِلْكَ ؟

الآخر :

بِنْتُ مالِكْ

عَنْتَرَةٌ جُنَّ في هَوَاهَا

وَالبِنْتُ جُنَّتْ بِهِ كَذَلِكْ

آخر :

لَبَّيْكِ ، لَبَّيْكِ أُخْتَ عَبْسِ

عبلة :

أَ لا أُنَبِّيكُمُو [٥] بِأَمْسِ ؟

ما نَحْنُ إِلَّا أَبْنَاءُ جِنْسِ

نَحْنُ بَنُو الشَّمْسِ وَالصَّحارَى

لا تَحْفِلُوا رُسْتَماً ، دَعُوهُ

خَلُّوهُ لِلْفُرْسِ يَثْأَرُوهُ

وَلا يُقَاتِلْ أَخًا أَخُوهُ

مِنْكُمْ ، وَلا تَخْذُلُوا الدِّيارا

حُشِرْتُمُو تَحْتَ كُلِّ رَايَهْ

وَأَسَرَجُوكُمْ لِكُلِّ غَايَهْ

---

(١) يجدّل : يصرع . (٢) عفا : زال وامّحى .

(٣) ذو نبأ : ذو خبر ، أي سيكون يومًا عظيمًا يطير خبره في كل مكان .

(٤) الظّبى : جمع ظُبة ، حد السيف وما أشبه .

(٥) أنبّيكم : أخبركم .

وَسْعتُمو المُلْكَ وَالوِلايَةْ
لِكُلِّ كِسْرَى ، وَكُلِّ دارا [١]
قَبِيلَةٌ تَحْتَ حُكْمِ كِسْرَى
وَقَيْصَرُ الرُّومِ دَانَ أُخْرَى
أصبَحتُمو لِلْغَرِيبِ جِسْرا
يَرْكَبُهُ كُلَّما أغارا

أحدهم :

مَاذَا تَقُولِينَ يا فَتاةُ ؟
أ يَتْرُكُ القائِدَ الغُزاةُ
كَأَنَّهُ في الطَّرِيقِ شاةُ
وَذابِحُ الشَّاةِ قَدْ تَوارَى ؟

عبلة :

يا لَخْمُ يا بَنِي العَرَبْ
يا لَخْمُ حُرْمَةَ النَّسَبْ !

(ضجيج)

رُوَيْدَ ما هَذَا الجَلَبْ ؟ [٢]

بنو لخم :

نُرِيدُ رَأسَ عَنْتَرَهْ

عبلة :

قَدْ رُمْتُمُو ما لَمْ يُرَمْ
ما أَنْتُمُو وَلا العَجَمْ
بِبَالِغِي لَيْثِ الأجَمْ

بنو لخم :

نُرِيدُ رَأسَ عَنْتَرَهْ

أحدهم :

يا عَبْلَ أحْيِي رُسْتُمَا
- إنْ شِئْتِ - نَحْقِنِ الدِّما
أوْ نَاوِلِينا المُجْرِما

الجميع :

نُرِيدُ رَأسَ عَنْتَرَهْ

(يُسمع صوتُ عنترة مقبلاً من بعيد،
فيلتفت إلى ناحيته الجميع)

الصّوت :

أَراكِ يا عَبْلَ تَغْضَبِينا
يا عَبْلَ مَنْ ذا تُخاطِبِينا ؟
مَنْ ذا الَّذي يَرْفَعُ الجَبِينا
مُخاطِبًا مَلِكَةَ العَذارَى ؟

عبلة :

عَنْتَرَةَ البَأسِ ، خَلِّ سَيْفَكْ
وَعُدَّ لَخْماً في الحَيِّ ضَيْفَكْ
وَلا يَرَ [٣] الأقْرَبُونَ حَيْفَكْ [٤]
وَلا يَقُولُوا العَبْسِيُّ جَارا
مَا أنْتَ مَنْ ظَلَمَ القَرِيبَ وَهَذِهِ
لَخْمٌ قَرَابَتُنا الأداني فَاعْدِلِ
بِالأمْسِ تَبْني رُكْنَ قَوْمِكَ باذِخاً [٥]
وَاليَوْمَ تَفْعَلُ فيهِ فِعْلَ المِعْوَلِ
بِالبَيْتِ ، بِالعُزَّى ، بِعَبْلَةَ ، بِالهَوَى
بِالحَقِّ إلا سِرْتَ سِيرَةَ مُجْمِلِ [٦]

(يظهر عنترة)

* * *

المشهد الثاني

عنترة :

ما لَكِ عَبْلَ ثَائِرَهْ ؟
ما يَبْتَغِي المُنَاذِرَهْ ؟
صَنائِعُ الأكاسِرَهْ

---

(١) كسرى ودارا : من ألقاب ملوك الفرس .
(٢) الجلب : جمع جَلَبة ، الصّخب والصّياح .

(٣) في الأصل : يرى ، بإثبات الألف . (٤) الحَيْف : الظلم .
(٥) الباذخ : العالي . (٦) المُجمِل : المعتدل المتّئد .

بنو لخم :

نُرِيدُ رَأسَ عَنْتَـــرَهْ

عنترة :

رَأسِي أنا ؟

واحد من بني لخم :

لِمْ لا ؟ أجَلْ

عنترة :

هَلْ لكُمو بِهِ قِبَلْ ؟

الكُلّ :

أجَلْ أجَلْ أجَلْ أجَلْ

عنترة :

يا بُعْدَ رَأسِ عَنْتَرَهْ !

يا لَخْمُ هَاتُوا جَمْعَكُمْ ، هَاتُوا القَنا
وَامْضُوا لِكِسْرَى ، وَارْجِعُوا في جَحْفَلِ
جِيئُوا بِفُرْسانِ العِـــرَاقِ وَفَارِسٍ
مِنْ رَاكِبٍ فيلاً ، وَمِنْ مُتَرَجِّلِ (١)
وَتَقَلَّدوا أمْضَى المَناصِلِ (٢) ، وَاطْلُبوا
رَأسِي بِما قُلِّدْتُمُو مِـنْ مُنْصُـــلِ
هَلُمُّوا يا بَنِي لَخْمٍ
خُذُوا رَأسِيَ مِـنْ جِسْمِي
بِمَا شِئْتُمْ ، فَبِالسَّيْفِ
وَبِالرُّمْـــحِ ، وَبِالسَّهْـــمِ

(يُنازلهم ويقتلُ منهم مَقْتَلةً عظيمة ، فيفرون صائحين)

أحدهم :

خَلِّني أنْجُ بِنَفْسِي

آخر :

أنْجُ مِنْ جَبَّارِ عَبْسِ
ذاكَ جِنِّيٌّ وَلا يَبْرُ
زُ لِلْجِنِّيِّ إنْسِـــي

عبلة :

رُحْماكَ عَنْتَرَ

عنترة :

أنْتِ عَبْلَةُ ذي ؟

عبلة :

أجَلْ

عنترة :

ما تَأمُرينَ ، سَلي الخَوَارِقَ أفْعَلِ

عبلة :

رُحْماكَ عَنْتَرَ ، لا تَشِمْ (٣) سَيْفاً ولا
تَطْعَنْ بِرُمْحٍ ، وَاتَّئِدْ وَتَمَهَّلِ

(يُلقي عنترة سلاحه ، ثم يُقبل عليها)

لَمْ أنْسَ ذِكْرَكِ وَالجِرَاحُ تَسيلُ مِنْ
دِرْعي ، وَتَصْبُغُ أشْقَرِي بِالعَنْدَمِ (٤)
(وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّماحُ نَواهِلٌ (٥)
مِنِّي ، وَبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِن دَمي)
فَمَضَيْتُ أعْتَنِقُ الرِّماحَ ؛ لأنَّها
خَطَرَتْ كَأسْمَرِ قَدِّكِ (٦) المُتَقَوِّمِ (٧)
(وَ وَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ ، لأنَّها
لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ) (٨)

(ستار)

---

(١) المترجِّل : الماشي على رجليه .
(٢) المناصل : جمع مُنْصُل ، أي السيف .
(٣) لا تَشِمْ : لا تَسُلَّ ، وهو المراد لأن شام بمعنى سلّ وأغمد .
(٤) العَنْدم : خشب نبات يُقال له دم الأخوَيْن .
(٥) النَّواهل : جمع ناهلة ، المتردِّدة على مواضع الشُّرب .
(٦) القدّ : القامة أو القَوام .
(٧) المتقوِّم : المعتدل . (٨) ما بين القوسين من شعر عنترة .

الفصل الرابع

(في حي بني عامر وفي مضارب بني الأشتر وفي خيام صخر . سرادق فخم وسامرٌ حافل فيه جماعة من سَراة عبس وأخرى من وجوه عامر . خَدَم يروحون ويجيئون بِقِصاع الطَّعام وأواني الشَّراب . جماعة يزمّرون ، وآخرون يضربون على الدفوف والمزاهر...)

المشهد الأوّل

أحدهم :

عَبْلَةٌ فــي الوَشْــي
زُفّتْ إلى عَامِــرْ
يا زامِــرَ الحَــيّ
هَاتِ اشْدُ يا زامِــرْ
هَيّ ارْتَجِلْ ، هَــيّ
وَأَطْـرِبِ السَّامِــرْ

شيخ من عامر :

الطَّعامَ الطَّعامَ ، يا عَبْسُ قُومُوا
الطَّعامَ الطَّعامَ ضيفانَ عامِـرْ

آخر :

الشَّرابَ الشَّرابَ ، تِلْكَ بواطِيهِ (١)
وَهَذِي أَقْداحُهُ يـا حُسـاةُ
دُونَكُمْ تَمْرَ عامِرٍ ما اكْتَسَـتْ
أَطْيَبَ مِنْهُ وَلا أَلَذَّ النَّواةُ
دُونَكُم مِنْ زَبِيبِ جِلِّقَ (٢) والطّا
ئِفِ ما لَمْ يَسْقِ المُلوكَ السُّقَاةُ

آخر :

هَذَا شَرَابُ الرُّعـاةِ دَعْنــي
مِنْهُ وَهاتِ اسْقِني الكُرومــا

آخر :

هَيٍّ جَوارِيَ الحِمَــى
هَـيٍّ صَبايـــا عامِـــرِ
قُمْنَ إِلَى الدُّفُوفِ وَاضْـ
ــرِبْـنَ علَــى المَزاهِرِ
زِدْنَ جَمالَ العُرْسِ أَوْ
زِدْنَ جَمـــالَ السَّامِــرِ
قَدْ كَمَـلَ الأُنْــسُ
قَــدْ جَـرَتِ الكَـــأسُ
قُومُوا اطْرَبُوا عَبْسُ
قَـدْ كَمَـلَ السَّامِـرْ
وَرَنَّـــمَ الزَّامِـــرْ
قُومُوا اطْرَبُوا عامِرْ

غناء :

يا عَبْــلَ ، حَيِّينَـــا
إِنَّـــا مُحِبُّـــوكِ
هَـــاكِ الرَّياحِينَـــا
يَنْفَحْنَ (٣) عَنْ فِيكِ (٤)
يا عَبْلَ ، يـا حُـرَّةْ
يـا مَلْكَةَ الغِيـــدِ
أَصْبَحْـتِ كَالـدُّرَّةْ
فـي مَفْرِقِ البِيـــدِ

ضيف :

لا تَسْقِني التَّمْرَ وَلا
بِنْتَ الشَّعِيـرِ وَالـذُّرَةْ
وَعَاطِني ما يَشْرَبُ الرْ
ــرُومُ وَراءَ أَنْقَـــرَهْ
إذا شَرِبْتُ أَرْبَعـــا
مِنْهـا انْقَلَبْتُ عَنْتَـرَهْ !

(١) البواطي : جمع باطية ، إناء عظيم يُتّخذ للشراب .
(٢) جِلّق : اسم لدمشق .
(٣) نفح : انتشرت رائحته .
(٤) فيك : فمك .

(يُسمع صوتُ عنترةَ من بعيد يخاطِب رجالاً مِنْ وراء السِّتار)

صوت عنترة :

مَنِ الرِّجالُ ؟

صوتُ أحد الرِّجال :

وَمَنْ أنـ ...ـتَ ؟

صوتُ عنترة :

فاتِـــلكَ وَمُغيـــرُ
مَنْ آثَـرَ العَيْـــشَ
فَلْيَنْـــجُ بِالنَّفْـــسِ
لا جَـــرَّدَ اللّـــهُ
سَيْفي عَلَى عَبْـــسِ

واحد من بني عامر :

عَنْتَرَةُ ؟

آخر :

ماذَا ؟

الأوّل :

عَنْتَـــرَةُ جَـــاءَ

آخر :

بَـــلْ ذاكَ سَكْرانُ
يَقُــولُ مَـــا شــاءَ

آخر :

مـــاذا تَرُدُّ الجِـــواءُ ؟ (١)

آخر (ثَمِلاً) :

مَـــا ذَاكَ إِلّا ثُغـــاءُ
شُوَيْهَـــةٍ جاوَبَتْهـــا
مِـــنَ المَراعِـــي الشّـــاءُ

صوتُ عنترة :

وَقَفْتُمْ يا رِجالُ ؟

صوت أحدِ الرِّجال :

أجَلْ وَقَفْنا

صوت عنترة :

نَزالِ (٢) إذَنْ ، نَزالِ إذَنْ ، نَزالِ

صوتُ أحدِ الرجال :

تَأهَّبْ يا فَتى

صوت عنترة :

أبْناءُ عَمّي ؟
إلَهي كَيْفَ أصْنَعُ بِالرِّجالِ ؟

صوتُ أحدِ الرِّجال :

تَأهَّبْ يا فَتَى لِلِقَاءِ عبْسِ

صوتُ عنترة :

وَأنْتُمْ فَاسْتَعِـــدُّوا لِلْقِتـــالِ

(تُسمع قَعقعة سِلاح)

واحد من بني عامر :

أ ما تَبَيَّنْتَ الفَتَى ؟
أ مَا عَرَفْتَ الزَّمْجَرَهْ ؟

واحد من بني عامر (ثَمِلاً) :

عامِرُ

آخرون :

ماذا ؟

الأوّل :

ظَفِرَتْ أيْديكُمُو بِالجَوْهَرَهْ (٣)
فُزْتُمْ مِنَ البِيدِ وَمِنْ
سَمائِهَـــا بِالنَّيِّـــرَهْ

آخر :

وَبَعْدُ ؟

(١) الجِواء : جمع جوّ ، الفضاء بين السماء والأرض .

(٢) نَزالِ : اسم فعل أمر ، والنِّزال : القتال وجهًا لوجه .

(٣) الجوهرة : يعني عبلة وكذلك النَّيِّرة بمعنى الحسنة اللون المشرقة .

آخر :

ماذا تَبْتَغِي ؟

فِيمَ تَكُدُّ الحَنْجَرَهْ ؟

الأوّل :

أُرِيدُ أنْ أعْلَمَ أيـــ

ـنَ اليَوْمَ ، أيْنَ عَنْتَرَهْ ؟

عَبْسٌ عَلَى سِلاحِها

وَعَامِــرٌ مُنْتَظِــرَهْ

وَذاكَ سَيْفِي فِي يَدِي

فَلْيَجِئِ العَبْدُ يَرَهْ !

أحدهم :

أعُــوذُ بِالعُــزّى

أعُــوذُ بِالــلّاتِ

آخر :

نَعــوذُ بِالبَيْــتِ

مِــنَ الفُجــاءاتِ

صوت عنترة :

أنــا الّذي لَقّبَنــي

أبي وَأمّــي القَسْوَرَهْ

ضَجّتْ ضَراغِمُ الفَلا

مِنْ حَمَلاتي المُنْكَرَهْ

واحد من بني عامر (لآخر من بني عبس) :

أ وَ لَمْ تَقُلْ لي إنّ رَأ

سَ العَبْدِ كَانَ صَداقَ عَبْلَهْ ؟

الآخر :

قَدْ قِيلَ ذَاكَ أجَــلْ

الأوّل :

فَكَيْــ ــفَ إذَنْ نَراهُ ؟

ثالث (من عبس) :

أنْــتَ أبْلَــهْ !

مُنْذَ الّذي يَقْوَى عَلَى

رَأسِ الغَضَنْفَرِ عَنْتَــرَهْ ؟

قَدْ مَاتَ رُسْتُمُ دُونَهُ

وَهَوَى أسَيْـدُ القَسْــوَرَهْ

وَجَنَى شُيوخُ الحَيِّ مِنْ

مَهْرِ الفَتَــاةِ الثَّرْثَــرَهْ

فَرَضُوا صَداقَ فَتاتِهِمْ

نَعَماً تُسَــاقُ وَأبْعِــرَهْ !

(يدخلُ عنترة ومعه رجال آخرون من عبس وفتاة مقنَّعة فينهض السامرون ، ويُشهرون سيوفهم ، ويفرّ من بني عامر غيرُ قليل ، ويبرز لعنترة واحدٌ من بني عبس)

* * *

المشهد الثاني

المتقدّم :

أنا الّذِي تَعْلَمُ عَبْسٌ أنّي

أذُودُ عَنْها ، وَتَذودُ عَنّي

خُذْ يا ابْنَ عَمّيَ الحِذارَ مِنّي

عنترة :

مَرْحَبًا بِكْ ، مَرْحَبًا بِكْ

عِشْ تَمَتّعْ بِشَبابِــكْ

(يَحمِلُ عليه عنترة فَيُطير السَّيفَ من يده ، ولا يؤذيه)

تَعالَ سَيْفُكَ طَــارا

لا تَخْشَ بِالأسْرِ عــارا

إنّيَ أرْعَى الأسارَى

(يأخذه رجالُ عنترة أسيراً)

عنترة :

خُذُوا الأسِيرَ ناحِيَــهْ

وَلا تَجُزّوا النّاصِيَــهْ [1]

---

(١) النّاصية : مقدم الرأس ، وجزّها : قطع شعرها ، كناية عن الإذلال .

(يبرز له آخر من بني عبس)

المتقدّم :

إنّي أنا الغَضَنْفَرُ العَبْسِيُّ

تَعْرِفُني الرِّماحُ وَالقِسِيُّ [١]

وَالوَحْشُ في الفَلاةِ والإنْسِيُّ

عنترة (حاملاً عليه) :

أنـا المَنايـا المَاثِلَـــةْ

أنـا القَضايـا النَّازِلَـــةْ

غَضَنْفَرٌ في قافِلَهْ

(يُحطِّم سيفَه)

سَيْفُكَ يـا هَذا كُسِرْ

وَصاحِبُ السَّيْفِ أسِـــرْ

(إلى رجاله) :

خُذوهُ

(إلى مُنازِله) :

هَيَّ اِمْضِ سِرْ

(يأخذه رجالُ عنترةَ فيبرز له شابٌّ ثالثٌ)

المتقدّم :

أنـا أخُـــو الأشْبالِ

مِثْــلُ أبِـــي الرِّئْبالِ

بِالقِرْنِ [٢] لا أبالي

عنترة :

وَأنْتَ أيْضاً يا حَدَثْ

ما الحَرْبُ ، يا طِفْلُ ، عَبَثْ

قِفْ لا تَسِرْ إلى الجَدَثْ [٣]

(يحملُ عليه عنترة فيُطير السيفَ من يده)

الشاب :

أيْنَ مَضَى سَيْفِـــي ؟

قَدْ كانَ في كَفِّـــي

عنترة :

لا تَغْتَمِمْ ، وَلا تَسَلْ

سَيْفُكَ في سَيْفِي دَخَلْ !

سِرْ قِفْ هُناكَ يا بَطَلْ !

الآنَ أنْتَ لُعْبَتِـــي

الْحَـــقْ بِصاحِبَيْكَـــا

اِمْضِ انْضَمِمْ إلَيْهِما

(وفي هذه الأثناء يكون قد رَفَع بيده من الأرض مبارزاً آخر كان قد خرج إليه ، فيقذفه بجانب الشّابّ)

وَضُـــمَّ ذَا إلَيْكَـــا

(ثم يخاطب الجماعة)

سُدًى [٤] حَرْبُكُمْ ، يَا قَوْمُ ألْقُوا سِلاحَكُمْ

ولا تُرْكِبُوني في دِمَائِكُمو وِزْرا [٥]

رَأيْتُمْ يدِي ؟

أحد بني عامر :

ما كانَ أعْظَمَ بَطْشَها !

عنترة :

وَسَيْفِي ؟

آخر :

كَسَيْفِ المَوْتِ يَفْرِي [٦] وَلا يُفْرَى

(يقترب عنترة من الفتاة المقنّعة التي دخلت معه)

اِنْهَضِي الآنَ يا عَرُوسُ تَعالي

لا تَخافي مِنّي وَلا مِنْ رِجالي

بَطَلٌ كُلُّهُمْ ، فَلا خَوْفَ مِنْهُمْ .

كَيْفَ تَشْقَى النِّساءُ بِالأبْطالِ ؟

(يَرفعُ عن وجهها القناعَ فإذا هي عبلة)

صخر (في ذهول) :

مَنْ هَذِهِ ؟

---

(١) القسي : جمع قوس ، الآلة التي تُرمى بها السّهام .

(٢) القِرْن : المماثل في الشجاعة والقتال . (٣) الجدَث : القبر .

(٤) السُّدى : العبث . (٥) الوِزْر : الذّنب . (٦) يفري : يشقّ .

عبلة :

عَبْلَةُ !

صخر :

مَنْ ؟ بِمَنْ تَزَوَّجْتُ إِذَنْ ؟

مَنِ الَّتي تَرَكْتُ في الخِباءِ ؟

وَمَنْ تُرى تَكُونُ في النِّساءِ ؟

رجلٌ لآخر :

لكِنْ أَجِبْني أَ لَسْنَا

في دَارِ صَخْرٍ وعُرْسِهْ ؟

الآخر :

نَعَمْ ، وَأَحْسَبُ صخراً

جَرَتْ أُمُورٌ بِنَحْسِهْ

عنترة :

قِياماً عامِرٌ ، انْتَظِروا قَضائي

فَإِنّي المَوْتُ ما مِنْهُ فِرارُ

وَأَنْتُمْ عَبْسُ لِلأَوْطانِ عُودُوا

فَما في عامِرٍ لَكُمُ قَرارُ

نَسِيتُ لَكُمْ وَأَنْسَى ما جَنَيْتُمْ

تُحَبُّ ، وَإِنْ تَنَكَّرَتِ ، الدِّيارُ

الجماعة (كلُّ جملةٍ يقولُها رجلٌ) :

العَفْوَ عَنْتَرَهْ

الصَّفْحَ يا بَطَلْ

مُرْنا بِمَا تَشا

أَمْرُكَ مُمْتَثَلْ

عنترة :

رَأَيْتُمُو يا قَوْمُ عَبْلَةَ مَعِي

وَكُنْتُمُو حَسِبْتُمُوها في الخِبا

نِيطَ [1] بِعَبْسٍ وَشَبابِ عَامِرٍ

أَنْ يَنْقُلوها مِنْ حِمًى إِلى حِمَى

ساقُوا بَعِيرَها ، وَكانُوا حَوْلَها

عِشْرِينَ ، فِتْيانًا ، أَشِدَّاءَ القُوى

أَدْرَكْتُهُمْ عَلى الطَّرِيقِ ، فَنَجا

مِنَ المَنُونِ بِالفِرارِ مَنْ نَجا

وَمَاتَ دُونَ الرَّحْلِ نَحْوُ عَشْرَةٍ

قَدْ غُودِروا مُجَدَّلِينَ في الفَلا

وَهَؤُلاءِ هُمْ بَنو العَمِّ أَبَوْا

إِلا المَسِيرَ مَعْنا إِلى هُنا

كانَتْ مَعِيَ نَاجِيَةٌ فَرَكِبَتْ

بَعِيرَ عَبْلَةٍ ، وَحَثَّتِ الخُطا

في وَشْيِ عَبْلَةٍ ، وَفي خِمارِها

وَانْطَلَقَتْ تُحْدَى بِأَتْباعِي أَنا

رَجلٌ :

حَدِيثُ عَبْلَةٍ عَجَبْ

لَيُؤْثَرَنَّ في العَرَبْ

لَتَرْوِيَنَّهُ الحِقَبْ

صخر :

وا شِقْوَتِي ، وا بَلائِي

فَقَدْتُ إِبْلِي وَشائِي !

عبلة :

يا صَخْرُ ، إِنَّ في الخِباءِ جارِيَهْ

تَهْواكَ في السِّرِّ وَفي العَلانِيَهْ

صخر :

جارِيةٌ تُحِبُّني ! مَنْ ؟

عبلة :

ناجِيَهْ

صخر :

ناجِيةٌ ؟ وَمَنْ أَرادَها لِيَهْ ؟

عبلة :

أَنا الَّتي جَعَلْتُها مَكانِيَهْ

---

(١) نيط : عُهِدَ .

عنترة :

ناجِيَةٌ يـــا فَتَـــى
جارِيَـــةٌ كَالرَّشـــــا
وَأَنْتَ بـــانٍ بِهـــا
إنْ شِئْتَ أَوْ لَمْ تَشا

صخر :

قَبِلْـــتُ بِالحُكْـــمِ
إنْ قَبِلَـــتْ عامِـــرْ
مُرْهُمْ بِمـــا شِئْـــتَ
أَنْـــتَ هُنـــا الآمِـــرْ

عنترة :

مَنْ يُخالِفْ إرادَتـي
مِنْكُمـو يَمْضِ ناجِيَـــهْ
(لا يتحرّكُ أحدٌ)
قَدْ قَبِلْتُمْ مَشيئَتـــي
وَرَضيتُـــمْ قَضائِيَـــهْ
اِشْهَدُوا عُرْسَ عَبْلَـــةِ
وَاشْهَدُوا عُرْسَ ناجِيَـــهْ

عبلة :

إنِّي أخافُ

عنترة :

عَجَبًا
يَخافُ جـارُ الأسَـــدِ !

عبلة :

غَدًا يُقالُ : صِدْتَني
وَكُنْتَ لـــي بِمَرْصَدِ
غَدًا يُقالُ : قَدْ تَآمَرْ
نـــا عَلَـــى التَّمَـرُّدِ
يُقالُ : خَانَ عَمَّـــهُ

عنترة :

وَأَنْـــــتِ

عبلة :

خُنْـــتُ وَالِـــــدي

عنترة :

لِيَقُلِ السَّامِرُ مَـــــا
قَدْ شاءَ وَلْيَهْذِ النَّدِي [1]
وَلْتَقُمِ البيـــدُ لِمـــا
نَأْتـي بِـــهِ وَتَقْعُـــدِ
ماذا يَهُمُّ بَعْدَ مـــا
قَدْ صارَ كَنْزي في يَدِي
وَبَعْدَ أَنْ نِلْتِ مُنـــا
كِ ، وَبَلَغْتُ مَقْصِـــدِي

عبلة :

وَالنَّاسُ مِنْ كُلِّ فَضو
لِيٍّ وَكُلِّ مُعْتَـــــدِ ؟

عنترة :

النَّاسُ ؟ خَلِّي لِقَنـــا
تِي النَّاسَ ، أَوْ مُهَنَّدِي
أَنْـــتِ إذَا أَطْعَمْتِهِمْ
مُخَّ الرَّشَا لَمْ تُحْمَدِي
غَدًا يَخُصُّونَكِ بِالتَّـــ
ـــتَمْليـــقِ وَالتَّـــــوَدُّدِ
البِيدُ مَعْبَـــدٌ ، وَأَنْـــ
ـــتِ دُمْيَةٌ في المَعْبَدِ

واحد من عبس :

عَنْتَرَ اسْلَمْ لِعَبْسِ نَحْنُ فِداؤُكْ
لَقِيَ الذُّلَّ وَالرَّدَى أعْداؤُكْ
لَقَدْ أَبَى عَمُّـكَ أَنْ
يُهْدي إلَيْكَ الجَوْهَـــرَهْ
عَمُّكَ نَحْنُ قَوْمُـــهُ
نَحْنُ لَنـــا أَنْ نَأْمُـــرَهْ

---

(١) النَّديّ : مجلس القوم ومجتمعهم .

عَنْتَرَ هاكَ عَبْلَـــــةْ
عَبْلَةٌ هَاكِ عَنْتَـــــرَهْ

عنترة :

الآنَ صَخْرٌ امْضِ إلى الـــ
ــخِباءِ جِـــئْ بِناجِيَهْ
عَامِرٌ ، عَبْسُ ، أَقْبِلُوا
زُفُّوا العَـرُوسَ الغالِيَــــهْ
مَـا هِـيَ بِالخَادِمِ فِـي
عَبْـسٍ ، وَلا بِالرَّاعِيَــــهْ
لَكِنْ فَتَـاةٌ حُــــرَّةٌ
مِـــنَ البُيُوتِ العَالِيَــــهْ
تَزَوَّجَتْ بِوَافِرِ الـــــ
ـــــمَالِ كَثيرِ الماشِيَهْ

صخر :

عَنْتَرَ

عنترة :

صَخْرٌ ، هاتِ قُلْ

صخر :

وَإِبِلـــي وَشائِيَـــــهْ ؟

عنترة :

تُرَدُّ فـي غَـدٍ إِلَيْـــ
ـــكَ وَهْيَ مَهْـرُ ناجِيَــهْ
يا عَبْلَ ، سَامَحَني في قُرْبِكُم زَمَني
وَشاءَ رَيْبُ اللَّيالي أنْ نَعيشَ مَعا
يا بِيدُ ، هَيَّ اشْهَدِي أعْرَاسَ عَنْتَرَةٍ
وَيا سِباعُ ، تَعَالَيْ هَنِّئي السَّبُعا

عبلة :

اِلْتامَ [1] في عامِرٍ شَمْلي بِعَنْتَـرَةٍ
وَكَانَ ظَنِّي في شَمْلي بِهِ انْصَدَعا
قَدِ اجْتَمَعْنا عَلَى عُرْسٍ وَفي فَرَحٍ
كَمْ مِنْ شَتِيتَيْنِ بَعْدَ الفُرْقَةِ اجْتَمَعا
إنِّي وَضَعْتُ بَناني في يَدَيْ أَسَـدٍ
لَوْ مَرَّ مِخْلَبُهُ فَوْقَ الصَّفا خَشَعا
سامَ [2] القَبَائِلَ إجْلالي وَمَلَّكَني
عَقَائِلَ البِيدِ حَتَّى صِرْنَ لي تَبَعا

(ستار الختام)

---

(١) اِلْتام : اجتمع . (٢) سام : كلّف وألزم .

مَجْنُونُ لَيْلَى

تمهيد

زمن الرواية :

صدر الدولة الأموية .

مكان الرواية :

بادية نجد .

أشخاص الرواية :

قيس : مجنون ليلى .
ليلى
المهدي : أبو ليلى .
ورد : زوج ليلى .
ابن عوف : أمير الصدقات في الحجاز ، وعامل من عمّال بني أمية .
زياد : راوية قيس وصديقه .
مُنازل : غريم قيس في حب ليلى .
بشر : رجل من بني عامر .
ابن ذَريح : شاعر من شعراء الحجاز .
نُصَيب : كاتب ابن عوف .
سعد : رجل من بني عامر .
الغريض : مُغَنٍّ مشهور .
ابن سعيد : شاعر .
أمية : رفيق ابن سعيد .
الأموي : شيطان قيس .
عضرفوت
هبيد
عسر
عاصف
} شياطين
بلهاء : جارية قيس .
عفراء : جارية ليلى .
سلمى
هند
عبلة
} فتيات من بني عامر .
رجال – قوافل – حُداة – صِبْية – فتيات

الفصل الأول

(ساحةٌ أمام خيام المهديّ في حيّ بني عامر – مجلسٌ من مجالسِ السَّمر في هذه السّاحة – فتيةٌ وفتياتٌ من الحي يسمرون في أوائل الليل ؛ وفي أيدي الفتيات صوفٌ ومغازلُ يلهون بها وهم يتحدّثون – تخرُج ليلى من خيام أبيها عندَ ارتفاع السّتار ويدُها في يد ابن ذريح)

ليلى :

دَعي الغَزْلَ سَلْمَى ، وَحَيِّي مَعي
مَنارَ الحِجازِ ، فَتى يَثْرِبِ [1]

(تصافحه سلمى)

وَ يا هِنْدُ ، هَذا أديبُ الحِجازِ
هَلُمّي بِمَقْدَمِهِ رَحِّبي

(تُصافحه هند ويحتفي به السّامرون)

سعد :

أ مِنْ يَثْرِبٍ أنْتَ آتٍ ؟

ابن ذريح :

أجَلْ
مِنَ البَلَدِ القُدُسِ الطَّيِّبِ

ليلى :

أ يا بْنَ ذَريحٍ ، لَقينا الغَمامَ

هند :

وَطافَتْ بنَا نَفَحاتُ النَّبِي

عبلة (هامسةً إلى سعد) :

مَنِ ابنُ ذَريحٍ ؟

لسعد :

فَتًى ذِكْرُهُ
عَلى مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَالمَغْرِبِ

(١) يثرب : المدينة المنورة .

رَضيعُ الحُسَيْنِ عليهِ السَّلامُ
وتِرْبُ [2] الحُسَيْنِ مِنَ المَكْتَبِ

عبلة (إلى بِشْر ومشيرةً إلى ابن ذَريح) :

أ تَسْمَعُ بِشْرُ ؟ رَضيعُ الحُسَيْنِ
فَدَيْتُ الرَّضيعَيْنِ وَالمُرْضِعَهْ
وَأَنْتَ إذا ما ذَكَرْنا الحُسَيْنَ
تَصامَمْتَ !

بشر (هامساً وملتفتاً كأنما يخشى أن يسمعَه أحد) :

لا جاهلاً مَوْضِعَهْ
وَلَكِنْ أخافُ امْرأً أنْ يَرى
عَلَيَّ التَّشَيُّعَ [3] أوْ يَسْمَعَهْ
أحِبُّ الحُسَيْنَ ، وَلَكِنَّما
لِساني عَلَيْهِ ، وَقَلْبي مَعَهْ
حَبَسْتُ لِسانِيَ عَنْ مَدْحِهِ
حِذارَ أُمَيَّةَ أنْ تَقْطَعَهْ
إذا الفِتْنَةُ اضْطَرَمَتْ [4] في البِلادِ
وَرُمْتَ [5] النَّجاةَ فَكُنْ إمَّعَهْ

ليلى :

ابْنَ ذَريحٍ ، نَحْنُ في عُزْلَةٍ
فَهَلْ عَلى مُسْتَفْهِمٍ مِنْكَ بَاسْ ؟
دارُ النَّبِيِّ كَيْفَ خَلَّفْتَها ؟
كَيْفَ تَرَكْتَ الأمْرَ فيها يُساسْ ؟

ابن ذريح :

تَرَكْتُها يا لَيْلَ مَضْبوطَةً
يَحْكُمُها والٍ شَديدُ المِراسْ [6]

(٢) التِّرب : المماثل في السن (وأكثر ما يستعمل في المؤنث) .
(٣) التشيُّع : انتحال مذهب الشيعة ، وهم الذين اجتمعوا على حب علي وآله وأحقيتهم بالإمامة .
(٤) اضطرمت : اشتعلت وانتشرت . (٥) رامَ : طلب .
(٦) المِراس : الجلد والقوة وممارسة الأمور .

إنَّ حَديثَ النَّاسِ فـي يَثْرِبٍ
هَمْسٌ ، وَخَطْوَ النَّاسِ فيها احْتِراسْ

ليلى :

ابْنَ ذَريحٍ ، لا تَجُرْ وَ اقْتَصِدْ
أَحْلامُ (١) مَرْوانَ جِبالٌ رَواسْ
يُؤَسِّسُونَ المُلْكَ في بَيْتِهِمْ
وَالعُنْفُ وَالشِّدَّةُ عِنْدَ الأَساسْ

(تتضاحكُ الفتياتُ وتقول إحداهنَّ لأخرى)

فتاة :

لَيْلى عَلى دِينِ قَيْـسٍ
فَحَيْـثُ مَـالَ تَميـلُ
وَكُلُّ ما سَـرَّ قَيْسًـا
فَعِنْـدَ لَيْلـى جَميـلُ

ابن ذريح :

ما الَّذي أَضْحَكَ مِنِّي الظَّـ
ـظَبَيـاتِ العامِرِيَّـهْ
أ لأَنِّـي أنـا شِيـ
ـعِيٌّ وَلَيْلـى أُمَوِيَّـهْ ؟
إخْتِلافُ الـرَّأْيِ لا يُفْـ
ـسِدُ لِلْـوُدِّ قَضِيَّـهْ

ليلى :

أَعِرْني سَماعَكَ يا بْنَ ذَريحٍ
وَلا تَسْمَعِ الطِّفْلَةَ الهاذِيَهْ
أَتَيْتَ لَنا اليَوْمَ مِـنْ يَثْرِبٍ
فَكَيْفَ تَرى عالَمَ البادِيَهْ ؟
أ كُنْتَ مِنَ الدُّورِ أَوْ في القُصورِ
تَرى هَذِهِ القُبَّةَ الصَّافِيَهْ ؟
كَأَنَّ النُّجُومَ عَلى صَدْرِها
قَلائِدُ ماسٍ عَلـى غانِيَـهْ

هند :

كَفَى يا بْنَةَ الخالِ ! هَذا الحَريرُ
كَثيرٌ عَلى الرِّمَّـةِ البالِيَـهْ
تَأَمَّلْ تَرَ البيدَ يا بْنَ ذَريحٍ
كَمَقْبَرةٍ وَحْشَـةٍ خاوِيَـهْ
سَئِمْنا مِنَ البيدِ يا بْنَ ذَريحٍ
وَمِنْ هَـذِهِ العيشَةِ الجافِيَـهْ
وَمِنْ مُوقِدِ النارِ في مَوْضِعٍ
وَمِنْ حالِبِ الشَّاةِ في ناحِيَهْ
وَراغِيَةٍ (٢) مِنْ وَراءِ الخِيـامِ
تُجيبُ مِنَ الكَلأ الثَّاغِيَهْ (٣)
وَأَنْتُمْ بِيَثْرِبَ أَوْ بِالعِـراقِ
أَوِ الشَّـامِ فـي الغُـرَفِ العالِيَـهْ
مُغَنِّيكُم مَعْبَـدٌ وَالغَريضُ
وَقَيْنَتُنا (٤) الضَّبُعُ العاوِيَـهْ
وَقَدْ تَأْكُلونَ فُنونَ الطُّهـاةِ
وَنَأْكُلُ ما طَهَتِ الماشِيَـهْ

ليلى :

قَدِ اعْتَسَفَتْ (٥) هِنْدُ يا بْنَ ذَريحٍ
وَكانَتْ عَلى مَهْدِها قاسِيَهْ
فَما البيدُ إلّا دِيارُ الكِرامِ
وَمَنْزِلَـةُ الذِّمَـمِ الوافِيَـهْ
لها قُبْلَةُ الشَّمْسِ عِنْدَ البُزُوغِ
وَلِلْحَضَرِ القُبْلَـةُ الثَّانِيَـهْ
وَنَحْنُ الرَّياحينُ مِلْءَ الفضاءِ
وَهُنَّ الرَّياحينُ فـي الآنِيَهْ
وَيَقْتُلُنا العِشْقُ ، وَالحاضِـراتُ
يَقُمْنَ مِنَ العِشْقِ في عافِيَهْ

---

(١) الأحلام : جمع حِلم ، وهو العقل .

(٢) الراغية : الناقة (٣) الثاغية : الشاة .
(٤) القَيْنة : المغنّية . (٥) اعتسفت : ظلمت .

وَلَمْ نَصْطَدِمْ بِهُمُوم الحَيـــاةِ
وَلَمْ نَدْرِ – لَوْلا الهَوى – مَا هِيَهْ
وَآنَا نَخِفُّ لِصَيْدِ الظِّبـــاءِ
وَآنَا إلى الأُسْدِ الضَّارِيَـــهْ (١)

هند (ساخرةً) :

وَفي كُلِّ ناحِيَةٍ شاعِـــرٌ
يُغَنِّي بِلَيْلاهُ أَوْ راوِيَـــهْ

(تحاولُ ليلى أن تمدّ رِجْلَها فتتألّم وتستغيث)

ليلى :

قَيْسُ ، إِليَّ قَيْسُ

هند :

مـــا
دَهَاكِ لَيْلى ؟ ما الخَبَرْ ؟

ليلى :

أَحِسُّ رِجْلي خَـــدِرَتْ (٢)
حَتّى كَأَنَّهـا الحَجَـــرْ

هند :

قَدْ صِحْتِ : قَيْسُ ، مَرّتَيْـ
ـــنِ

ليلى :

أَوْ ثَلاثًا ! ما الضَّـــرَرْ ؟

هند (متهكمةً) :

اِسْمُ الحَبيبِ عِنْدَنــا
نَذْكُرُهُ عِنْـــدَ الخَـــدَرْ

ليلى :

هِنْدُ ، كَفَى دُعابَةً
إِنْ هُوَ إِلّا اسْمٌ حَضَرْ

(لنفسها) :

يا قَيْسُ ، ناجَى بِاسْمِكَ الْـــ
ـــقَلْبُ اللِّسانَ فَعَثَرْ

عبلة (ضَجِرة) :

أما سِوَى هَذا الحَديثِ شاغِلٌ ؟
كَيْفَ ظَلِلْتَ اليَوْمَ يا مُنازِلُ ؟

منازل (ضاحِكًا) :

مُنازِلُ اليَـوْمَ كَأَمْسِ هـــازِلُ
يَشْرَبُ ، أَوْ يَطْعَمُ ، أَو يُغازِلُ !

هند : بَخٍ (٣) ! كَذا فَلْتَكُنِ الحَياةُ
مُتْ يا بَعِيرُ ، وانْفُقِي يا شاةُ
اِنْغَمَسَتْ في التَّرَفِ الرُّعاةُ !

ليلى :

وَكَيْفَ ظَلِلْتَ اليَوْمَ سَعْدُ ؟ أَ هَازِلٌ
كَتِرْبِكَ أَمْ في صالحٍ وَرَشادِ ؟

سعد :

بَلِ الجِدُّ يا ليلى سَبِيلي وَدَيْدَني (٤)
حَياتي بِوادٍ ، وَالْمُجُونُ بِوادِي
صَحِبْتُ زِيادًا طولَ يَوْمي تَلَقُّفًا (٥)
لأَشْعارِ قَيْسٍ مِنْ لِسانِ زِيادِ
وَإِنَّ زِيادًا – مُنْذُ كانَ – لَرائِحٌ
عَلَيْنا بِشِعْرِ العامِرِيِّ وَغادِي
وَلَوْلا زِيادٌ مـــا تَمَثَّلَ حاضِـــرٌ
بِأَشْعارِ قَيْسٍ أَوْ تَرَنَّمَ بادِي

(يبدو على ليلى شيء من الزّهو فتتهامسُ الفتيات)

سلمى :

اُنْظُري هِنْـــدُ تَـــرَيْ لَيْـــ
ـــلَى اكْتَسَتْ زَهْوًا وَكِبْرًا
وَتَعالَـــتْ كَابْنَـــةِ النُّعْـــ
ـــمانِ أَوْ كابْنَةِ كِسْرَى !

---

(١) الضارية : المفترسة المولعة بأكل اللحوم .
(٢) خدرت : نملت .

(٣) بخ : كلمة تقال عند الرضا والإعجاب .
(٤) ديدني : عادتي . (٥) التَّلقُّف : التلقي والحفظ بسرعة .

هند :

لِمَ لا سَلْمى ، أ لَمْ يَرْ
فَعْ لَها المَجْنونُ ذِكْرا ؟

عبلة :

لِمْ إذَنْ يا هِنْدُ مِن قَيْـ
ـسٍ وَمِمَّا قالَ تَبْرا ؟

هند :

عَبَثُ النَّشْوَةِ ، إنّا
نَحْنُ بالنَّشْوَةِ أدْرَى !

سلمى :

سَلوا الآنَ بِشْرًا فِيمَ أنْفَقَ يَوْمَهُ ؟

أصوات :

سَلُوهُ

هند :

سَلي يا لَيْلَ عَنْ يَوْمِهِ بِشْرا

ليلى :

وَهَلْ يَوْمُهُ إلّا شُؤونٌ كَأمْسِهِ
مِنَ الصَّيْدِ ؟

هند :

إنَّ الصَّيْدَ لَذَّتُهُ الكُبْرَى

بشر :

نَعَمْ هُوَ مَلْهايَ الَّذِي لا أمَلُّهُ
وَلا النَّفْسُ تُعْطَى عَنْ تَناوُلِهِ صَبْرا
وَلَوْ كانَ عَيْشي في قُصورِ أمَيَّةٍ
لَعَلَّمْتُ فَنَّ الصَّيْدِ فِتْيانَها الزُّهْرا [1]
وَما أنا صَيّادُ الأرانِبِ مِثْلَهُمْ
وَلَكِنْ على حَيّاتِهِ ألِجُ [2] القَفْرا

ليلى :

إذَنْ هاتِ وَاصْدُقْ بِشْرُ في القَوْلِ مَرَّةً
وَلا تَخْتَرِعْ ، أوْ تَبْنِ مِنْ حَجَرٍ قَصْرا

بشر :

دَعي عَنْكِ هَذا السُّخْرَ يا لَيلَ واسْمَعي

ليلى :

تَحَدَّثْ ، فَلا وَاللهِ لَمْ أضْمِرِ السُّخْرا

بشر :

بَكَرْتُ كَدَأبي اليَوْمَ أبْغي قَنيصَةً
وَمَنْ يَتَصَيَّدْ يَحْسُبِ [3] الغُنْمَ والخُسْرا
(رَأيْتُ غَزالاً يَرْتَعي وَسْطَ رَوْضَةٍ
فَقُلْتُ أرى لَيْلى تَراءَتْ لَنا ظُهْرا) [4]

هند (مشيرةً إلى ليلى) :

وَأيُّ اللَّيالي بِشْرُ آنَسْتَ ؟ هَذِهِ ؟

بشر :

إذا شِئْتَ – أوْ هاتيكِ – أوْ حُرَّةً أخْرى
فَقُلْتُ لَه يا ظَبْيُ ، لا تَخْشَ حادِثا
(فإنَّكَ لي جارٌ وَلا تَرْهَبِ الدَّهْرا)
(فَما راعَني [5] إلا وَذِئْبٌ قَدِ انْتَحى
فَأعْلَقَ [6] في أحْشائِهِ النّابَ والظُّفْرا)
(فَفَوَّقْتُ [7] سَهْمِي في كَتُومٍ [8] غَمَسْتُها
فَخالَطَ سَهْمي مُهْجَةَ الذِّئْبِ والنَّحْرا)

ليلى (ضاحكة) :

أخي بِشْرُ لا شُلَّتْ يَمينُكَ مِنْ يَدٍ
وَلا فَضَّ فاكَ [9] الصُّبْحُ وَاللَّيْلُ ما كَرّا
سَمِعْنا بِإقْدامِ اللُّصوصِ وَفَتْكِهِمْ
فَلَمْ نَرَ أدْهَى [10] مِنْكَ فَتْكاً وَلا أجْرا [11]
وَ وَاللهِ لَمْ تَغْضَبْ لِظَبْيٍ ؛ وَلَمْ تَثِبْ
بِذِئْبٍ ، وَلَمْ تُعْمِلْ خَيالاً وَلا فِكْرا

(١) الزُّهر : جمع أزهر ، وهو اللون الأبيض الصافي المشرق .
(٢) ألِجُ : أدخُل .

(٣) يحسُب : يقدِّر . (٤) الأبيات التي بين الأقواس من شعر قيس . (٥) راعني : أفزعني . (٦) أعلق : أنشب .
(٧) فوّقت سهمي : أعددته للرمي . (٨) الكتوم : القوس لا شَقّ فيها ؛ أيْ لا ترِنُّ . (٩) لا فَضّ فاك : لا تَنْثر أسنانك ولا كَسرها (دعاء يقال لمن أجاد الحديث) . (١٠) أدهى : أشد احتيالا . (١١) أجرا : أجرأ (سهلت الهمزة) .

أخذْتَ ، فلَمْ تَتْرُكْ لِقَيْسٍ بِضاعَةً
سَرَقْتَ لَعَمْري الظَّبْيَ والذِّئْبَ والشِّعْرا !

(ضَحِكٌ من الجميع)

حَديثُ الظَّبْيِ وَالذِّئْبِ
وَقَيْسٍ لَسْتُ أَنْساهُ
زِيادٌ عَنْهُ نَبَّأني
وَلا يُنْبِيكَ إِلّاهُ
رَأى قَيْسٌ عَلى رابِـ
ـيَةٍ ظَبْيًا فَناداهُ
فَأَلْقى الظَّبْيُ أُذْنَيْهِ
وَمَسَّ الأَرْضَ قَرْناهُ

(ثم تقول في لوعةٍ وصوتٍ مخفوضٍ وكأنما تحدّثُ نفسَها)

يُروحي قَيْسُ ، هَلْ راحَتْ
ظِباءُ القاعِ تَهْواهُ ؟
وَهَلْ يَرْثي لَهُ الرِّيمُ
وَلا أَرْثي لِبَلْواهُ ؟

(تسترسِل في حديثها الأوّل)

عَلى فيهِ مِنَ العُشْبِ
بَقايا صَبَغَتْ فاهُ
رَأى في جيدِهِ قَيْسٌ
وَفي عَيْنَيْهِ لَيْلاهُ
فَبَيْنا هُوَ في الشَّوْقِ
وَفي نَشْوَةِ ذِكْراهُ
حَبا [1] الذِّئْبُ مِنَ الوادي
إِلى الظَّبْيِ فَأَرْداهُ [2]
تَغَدّى بِحَشا الظَّبْيِ
غَداءً ما تَهَنّاهُ

رَماهُ قَيْسُ في المَقْتَـ
ـلِ بِالسَّهْمِ فَأَصْماهُ [3]

بشر (مندفعًا بحماسة) :

أَجَلْ يا لَيْلَ ! ما قُلْتِ
سِوى شَيْءٍ شَهِدْناهُ
وَإِنْ لَمْ تَذْكُري القَبْرَ
وَلا كَيْفَ خَطَطْناهُ
حَفَرْنا القَبْرَ لِلظَّبْيِ
وَقُمْنا فَدَفَنّاهُ
وَصَلَّينا عَلى المَيْتِ [4]
وَبِالدَّمْعِ سَقَيْناهُ
فَقولوا وَلْتَقُلْ لَيْلى
مَعي : يَرْحَمُهُ اللهُ !

(أصوات ، بين الضّحك والسُّخرية) :

أَجَلْ بِشْرٌ !
أَجَلْ بِشْرٌ !
أَجَلْ يَرْحَمُهُ اللّهُ !

ابن ذَريح :

بِشْرٌ ، كَفى هَزْلاً وَتَخْليطًا كَفى
وَيابْنَةَ العَمِّ ، مَضى اللَّيْلُ سُدَى
أَرْسَلَني قَيْسُ ، فَلَوْ أَخْبَرْتِني
مَتى مَتى بِأَمْرِ قَيْسٍ يُعْتَنى ؟
بِتْنا نَخافُ أَنْ يَجِلَّ خَطْبُهُ [5]
وَتَبْلُغَ البَلْوى بِقَيْسٍ المَدى
وَقَيْسُ يا لَيْلى وَإِنْ لَمْ تَجْهَلي
زَيْنُ الشَّبابِ ، وَابْنُ سَيِّدِ الحِمَى

(١) حبا : زحف .
(٢) أردى : أهلك .

(٣) أصمى : أصابه فوقع بين يديه .
(٤) الميْت : الذي فارق الحياة (بخلاف المشددة فإنها تطلق عليه وعلى من في حكم ذلك ولبس به) .
(٥) الخطب : الأمر المكروه .

لَمْ نَدْرِ في حَيِّكِ أَوْ في حَيِّهِ
فَتًى حَكاهُ نَسَبًا وَلا غِنَى
وَلا جَمالاً ، وَهُنا (يا لَيْلَ) ما
تَرَيْنَ أَنْتِ لا الَّذِي نَحْنُ نرى

بشر (ساخراً) :

بَخٍ بَخٍ ! ابْنُ ذَرِيحٍ خاطِبٌ

ابن ذريح :

اُسْكُتْ ، فَلَسْتَ لِلْمُروءاتِ أَخا

ليلى (غاضبة) :

فِيمَ هذا الكَلامُ يا بْنَ ذَرِيحٍ ؟

ابن ذريح :

اِتَّقِي اللهَ وَاقْصِدِي في التَّجَنِّي

ليلى :

ما تَجَنَّيْتُ

ابن ذريح :

بَلْ ظَلَمْتِ ، دَعِينِي
أَحْسِنِ الذَّوْدَ عَنْ صَدِيقِي وَخِدْنِي

ليلى :

أَنا أَوْلَى بِهِ وَأَحْنَى عَلَيْهِ
لَوْ يُداوَى بِرَحْمَتِي وَالتَّحَنِّي
يَعْلَمُ اللهُ وَحْدَهُ ما لِقَيْسٍ
مِنْ هَوًى في جَوانِحِي مُسْتَكِنِّ
إِنَّنِي في الهَوَى وَقَيْساً سَواءٌ
دَنُّ [١] قَيْسٍ مِنَ الصَّبابَةِ دَنِّي
أَنا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ كِلْتاهُما النْـ
ـنارُ فَلا تَلْحَنِي [٢] وَلَكِنْ أَعِنِّي
بَيْنَ حِرْصِي عَلَى قَداسَةِ عِرْضِي
وَاحْتِفاظِي بِمَنْ أُحِبُّ وَضَنِّي
صُنْتُ مُنْذُ الحَداثَةِ الحُبَّ جَهْدِي
وَهُوَ مُسْتَهْتِرُ الهَوَى لَمْ يَصُنِّي
قَدْ تَغَنَّى بِلَيْلَةِ الغَيْلِ ، ماذا
كانَ بِالغيلِ بَيْنَ قَيْسٍ وَبَيْنِي ؟
كُلُّ ما بَيْنَنا سَلامٌ وَ رَدٌّ
بَيْنَ عَيْنٍ مِنَ الرِّفاقِ وَأُذْنِ
وَتَبَسَّمْتُ في الطَّرِيقِ إِلَيْهِ
وَمَضَى شَأْنَهُ وَسِرْتُ لِشَأْنِي

(تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه)

أَوْغَلَ اللَّيْلُ فَلْنَقُمْ

ابن ذريح (متوسلاً) :

بَلْ رُوَيْداً وَاسْمَعِي لَيْلَ

ليلى :

خَلِّ عَنِّي دَعْنِي !

(تدخل خباءها بينما ينفضُّ السّامرون فلا يتثاقلُ منهم في القيام إلا مُنازِل — الهرجُ والأسفُ يسودان الجميع)

بشر :

اِنْفَضَّ سامِرُ لَيْلَى
وَكانَ حَفْلاً كَرِيما

سعد :

قَدْ فَضَّهُ ابنُ ذَرِيحٍ
فَفَضَّ عِقْداً نَظِيما [٣]
أَثارَ لَيْلَى فَهاجَتْ
كَما تُنَفَّرُ رِيما [٤]
تُرَى أ تُبغِضُ قَيْساً ؟

ابن ذريح :

لا تَقْلِبُوا الحُبَّ بُغْضا
لَيْلَى العَشِيَّةَ غَضْبَى
وَتُصْبِحُ الصُّبْحَ تَرْضَى

---

(١) الدَّنّ : وعاء ضخم للخمر ونحوها .
(٢) لحاهُ : لامه وعذله .
(٣) العقد النظيم : منظوم في سلك واحد .
(٤) الرِّيم : الظبي الخالص البياض .

سعد :

أنْعِمْ (مُنازِ) مَســـاءَ

منازل :

نَعِمْتَ سَعْـدُ مَساءَ

هند :

بِشْرُ مُسِّيتَ بِخَيْـــرِ

بشر :

أَنْعِمِي هِنْدُ مَســـاءَ

هند :

نَحْنُ يَحْوِينـــا طَرِيقٌ

فَامْضِ بَلِّغْنِي الخِباءَ

سعد (ضاحكاً) :

إحْذَرِي يا هِنْدُ مِنْهُ !

هند :

أنا لا أَخْشَى اعْتِداءَ

قَدْ عَرَفْتُمْ وَعَرَفْنـــا

كَيْفَ يَصْطادُ الظِّباءَ

(تسمع ضحكاتُهم من أقصى الطريق بينما يظهر قيسٌ وزيادٌ من جانب المسرح الآخَر)

قيس :

سَجا [1] اللَّيْلُ حَتَّى هاجَ لِي الشِّعْرَ والهَوَى
وَما البِيدُ إلّا اللَّيْلُ والشِّعْرُ والحُبُّ

مَلأْتَ سمـاءَ البِيدِ عِشْقاً وَأَرْضَهـا
وَحُمِّلْتُ وَحْدِي ذَلِكَ العِشْقَ يارَبُّ

أَلَمَّ عَلَى أَبْياتِ لَيْلَى بِيَ الهَوَى
وَما غَيْرُ أَشْواقِي دَلِيلٌ وَلا رَكْبُ

وَباتَتْ خِيامِي خُطْوَةً مِـنْ خِيامِهـــا
فَلَمْ يَشْفِنِي مِنْها جِوارٌ ولا قُرْبُ

إذا طافَ قَلْبِي حَوْلَها جُنَّ شَوْقُهُ
كَذَلِكَ يُطْفِي الغُلَّةَ [2] المَنْهَلُ العَذْبُ

يَحِنُّ إذا شَطَّـتْ وَيَصْبُـو إذا دَنَـتْ
فَياوَيْحَ قَلْبِي كَمْ يَحِنُّ وَكَمْ يَصْبُو !

وَأَرْسَلَنِي أَهْلِي وَقالُوا امْضِ فَالْتَمِسْ
لَنا قَبَساً مِنْ أَهْلِ لَيْلَى وَما شَبُّوا [3]

عَفَـا اللهُ عَـنْ لَيْلَـى لَقَـدْ تُـوِّتُ بِالَّـــذِي
تَحَمَّلَ مِنْ لَيْلَى وَمِنْ نارِها القَلْبُ

منازل (وقد سمع هَمْهَمَةَ الصَّوت ورأى شبحيهما في الظلام) :

أَرَى شَبَحاً مُقْبِلاً في الظَّلامِ
أَسْمَعُ هَمْهَمَةً فـي الدُّجـــى

هُوَ ابْنُ المُلَوَّحِ دَلَّ الهُزالُ
عَلَيْهِ وَنَمَّ اضْطِرابُ الخُطـــا

عَدُوِّي المُبِينُ ومـا بَيْنَنـــا
وَمـا بَيْنَ صاغِيَتَيْنـا [4] جَفـــا

رَوَى شِعْرَهُ البَدْوُ والحاضِرُونَ
وَشِعْرِيَ لَيْسَ لَـهُ مَـنْ رَوَى

وَهامَ بِلَيْلَى وَهامَتْ بِـهِ
لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى بِهَذا الهَوَى

تَشَرَّدَ مُسْتَعْظَماً فـي البِلادِ
وَجُنَّ فَمـا ازْدادَ إلّا نُهـى

وَإنّي لأُبْدِي إلَيـهِ الـوِدادَ
وَأُخْفِي لَهُ في الضُّلُوعِ القِلَـى [5]

وَأَحْسُدُهُ حَسَداً مـا عَلِمْتُ
أَ قَيْسُ الشَّقِيُّ بِـهِ أَمْ أَنـا ؟

(يتقدّم منهما خطوات)

مَنِ الرّاكِبُ اللَّيْلَ ؟ قَيْسٌ أَخِي ؟

---

(١) سجا : سكن .

(٢) الغلة : شدة العطش . (٣) شبَّ : توقد .

(٤) صاغية الرجل : قومه . (٥) القلي : البغض .

قيس :

مُنازِلُ ؟ ما أَعْجَبَ الْمُلتَقى !

منازل :

أَ قَيْساً أرى في ظِلالِ البُيوتِ
وَعَهْدي بِقَيْسٍ حَليفَ الفَلا [1]

قيس :

مُنازِلُ ؟ مِنْ أَيْنَ ؟

منازل :

مِنْ عِنْدِها
مِنَ السَّمَرِ المُمْتِعِ المُشْتَهى

قيس (حنقاً) :

أَ مِنْ عِنْدِ لَيْلى تَجُرُّ الذُّيولَ ؟
حَديثٌ لَعَمْرُ أَبي مُفْتَرى

منازل :

بَلِ الصِّدْقُ ما قُلْتُ يا بْنَ المُلوَّحِ

قيس :

اِخْسَأْ مَتى قُلْتَ صِدْقاً مَتى ؟
وَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟

منازل (ساخراً) :

ما يَصْنَعونَ
لَهَوْتُ لَعَمْرِيَ فِيمَنْ لَهـا
وَسامِـرُ لَيْلـى كَثِيـرُ الزِّحـامِ
فَلَسْتَ تَعُـدُّ شَبابَ الحِمـى
وَلَيْلى تُفيضُ عَلى مَنْ تَشاءُ
رِضاها ، وَتَحْرِمُهُ مَنْ تَشـا

زياد (مغضباً) :

مُنازِلُ ، قَيْسُ ، سَبيلَكَ قَيْسُ !
وَكِلْ لِيَ تَأْديبَ هَذا الفَتى

منازل (وقد أخذ بتلابيبه) :

تُؤَدِّبُني زِيادُ ، وَأَنْتَ ظِـلٌّ
لِمَجْنونٍ ، وَراوِيَةٌ لِهـاذي
وَتَزْعُمُ أَنَّني نِـدٌّ لِقَيْـسٍ
رَضيتُ مِنَ المَصائِبِ غَيْرَ هَذي !

زياد :

مَنْ قالَ ذا ؟ أَنْتَ لِقَيْسٍ نِدٌّ ؟
لَمْ يَبْقَ فيكَ يا حَياةُ جِـدُّ
اِمْضِ بِنا ناحِيَةً يا وَغْدُ

(يجرّه إلى حيث تُسمع أصواتُهما من بعيد ثم تختفي فيقبلُ قيسٌ على خباء ليلى وينادي)

قيس :

لَيْلى !

(المهديّ خارجاً من الخباء) :

مَنِ الهاتِفُ الدّاعي ؟ أَ قَيْسٌ أَرى ؟
ماذا وُقوفُكَ والفِتْيانُ قَدْ سارُوا ؟

قيس (خجلاً) :

ما كُنْتُ يا عَمُّ فيهِمْ

المهدي (دهشاً) :

أَيْنَ كُنْتَ إِذَنْ ؟

قيس :

في الدّارِ حَتّى خَلَتْ مِنْ نارِنا الدّارُ
ما كانَ مِنْ حَطَبٍ جَزْلٍ [2] بِساحَتِها
أَوْدَى [3] الرِّياحُ بِهِ والضَّيْفُ وَالجارُ

المهدي (منادياً ليلى) :

اِنْتَظِرْ قَيْسُ – لَيْلى

ليلى (من أقصى الخباء) :

ما وَراءَ أَبي ؟

المهدي :

هَذا ابْنُ عَمِّكِ ما في بَيْتِهِمْ نارُ

(١) الفلا : جمع فلاة ، وهي الأرض الواسعة المقفرة أو الصحراء.

(٢) الجزل : الكثير اليابس . (٣) أودى به : ذهب به .

(تظهرُ ليلى على باب الخباء)

ليلى :

قَيْسُ ابنُ عَمّي عِنْدَنا
يا مَرْحَبا يا مَرْحَبا

قيس :

مُتِّعْتِ لَيْلى بالحَيا
ةِ وَبَلَغْتِ الأَرَبا

ليلى (تنادي جاريتَها بينما يختفي أبوها فى الخباء) :

عَفْـــراءُ

عفراء (ملبيةً نداءَ مولاتها) :

مَوْلاتي

ليلى :

تَعا
لَيْ نَقْضِ حَقًّا وَجَبا
خُذي وِعاءً وامْلَئِيـ
ـهِ لابنِ عَمّي حَطَبا

(تخرج عفراءُ وتتبعها ليلى)

قيس :

بِالرُّوحِ لَيْلى قَضَتْ لي حاجَةً عَرَضَتْ
ما ضَرَّها لَوْ قَضَتْ لِلْقَلْبِ حاجاتِ
مَضَتْ لأَبْياتِها تَرْتادُ لي قَبَساً
والنَّارُ يا رُوحَ قَيْسٍ مِلْءُ أَبْياتي
كَمْ جِئْتُ لَيْلى بِأَسْبابٍ مُلَفَّقَةٍ
ما كانَ أَكْثَرَ أَسْبابي وَعِلّاتي !

(تدخل ليلى)

ليلى :

قَيْسُ

قيس :

لَيْلـى بِجانِبـي
كُلُّ شَيْءٍ إِذَنْ حَضَرْ

ليلى :

جَمَعَتْنا فَأَحْسَنَتْ
ساعَةٌ تَفْضُلُ العُمُرْ

قيس :

أَتَجِدِّينَ ؟

ليلى :

ما فُؤَا
دي حَديدٌ وَلا حَجَرْ
لَكَ قَلْبٌ فَسَلْهُ يا
قَيْسُ يُنْبِئْكَ بالخَبَرْ
قَدْ تَحَمَّلْتُ في الهَوى
فَوْقَ ما يَحْمِلُ البَشَرْ

قيس :

لَسْتُ لَيْلايَ دارِيًا
كَيْفَ أَشْكو وَأَنْفَجِرْ ؟
أَشْرَحُ الشَّوْقَ كُلَّهُ
أَمْ مِنَ الشَّوْقِ أَخْتَصِرْ ؟

ليلى :

نَبِّني قَيْسُ مـا الَّذي
لَكَ في البيدِ مِنْ وَطَرْ [١]
لَكَ فيها قَصائِدُ
جاوَزَتْها إِلـى الحَضَـرْ
كُلُّ ظَبْـيٍ لَقِيتَـهُ
صُغْتَ فـي جيدِهِ الدُّرَرْ
أَ تُرى قَـدْ سَلَوْتَنـا
وَعَشِقْتَ المَها [١] الأُخَـرْ ؟

قيس :

غِرْتِ لَيْلى مِنَ المَهـا
والمَها مِنْكِ لَمْ تَغَـرْ

---

(١) الوطر : المأرب والبُغية .

حَبَّبَ البِيــدَ أنَّهـــا
بِكِ مَصْبوغَةُ الصُّــوَرْ
لَسْتِ كالغيدِ ، لا ، ولا
قَمَــرُ البيــدِ كالقَمَرْ

ليلى (وقد رأتِ النار تكاد تصلُ إلى كُم قيس) :

وَيْحَ عَيْنَيَّ ما أرى
قَيْسُ !

قيس :

لَيْلى !

ليلى (مشفقةً) :

خُذِ الحَذَرْ !

قيس (غيرَ آبهٍ إلا لما كان فيه من نجوى) :

رُبَّ فَجْرٍ سَأَلْتُـــهُ
هَلْ تَنَفَّسْتِ في السَّحَرْ
وَرِيــاحٍ حَسِبْتُهـــا
جَرَّرَتْ ذَيْلَكِ العَطِــرْ
وَغَــزالٍ جُفُونُـــهُ
سَرَقَتْ عَيْنَكِ الحَــوَرْ (٢)

ليلى :

إطْرَحِ النَّارَ يا فَتى
أَنْتَ غادٍ عَلــى خَطَرْ
لَهَبُ النَّارِ قَيْسُ في
كُمِّكَ الأَيْمَنِ انْتَشَــرْ

قيس (مستمرًا بعد أن رمى النار من يده) :

وَذِئـــابٍ أَرَقُّ يــا
لَيْلَ مِنْ أهْلِكِ الغُيُرْ (٣)

أَنِسَتْ بـي وَمَرَّغَتْ
في يَدَيَّ النَّابَ والظُّفُرْ

ليلى :

وَيْحَ قَيْسٍ تَحَرَّقَـــتْ
راحَتاهُ وَمــا شَعَــرْ

قيس :

أَنْتِ أجَّجْتِ في الحَشا
لاعِجَ (٤) الشَّوْقِ فاسْتَعَرْ (٥)
ثُمَّ تَخْشَيْنَ جَمْــرَةً
تَأْكُلُ الجِلْـدَ والشَّعَــرْ

(يترنح قيس في موقفه وتظهر عليه بوادرُ الإغماء)

ليلى :

فِداكَ أبي قَيْسُ ، ماذا دَهاكَ ؟
تَكَلَّمْ ، أَبِنْ قَيْسُ ، ماذا تَجِدْ ؟

قيس :

أُحِسُّ بِعَيْنَيَّ قَـدْ غامَتــا
وَساقَيَّ لا تَحْمِلانِ الجَسَدْ

(يخرُّ صريعًا إلى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة)

ليلى :

يا لأبي لِلْجارِ قَيْسٌ صَريــ
ــعُ النَّارِ مُلْقًى بِصَحْنِ الدَّارِ !

(يخرج أبوها من الخباء على صوت استغاثتها)

أبي ها أَنْتَ ذا جِئْتَ
أَغِثْنــا ، أَبَــتِ أدْرِكْ
لَقَدْ حُــرِّقَ بِالنَّـــارِ
فَما يَصْحــو إذا حُــرِّكْ

المهدي :

يَرانــا النَّاسُ يا لَيْلــى

(١) المها : جمع مهاة ، وهي نوع من البقر الوحشي تُشبَّه به المرأة في جمالها وحسن عينيها .
(٢) الحور : شدة البياض في بياض العين مع شدة السواد في سوادها .

(٣) الغُيُر : جمع غيور ، وهو من تثور نفسه لعرضه .
(٤) لاعج الشوق : الشوق المحرق . (٥) استعر : توقّد .

ليلى :

أبي انفِ النَّاسَ مِنْ فِكْرِكْ
هُنا لا تَقَعُ العَيْنُ
عَلى غَيْري وَلا غَيْرِكْ
وَلا يَطْلُعُ إنْسانٌ
عَلى سِرّي وَلا سِرِّكْ
وَلا أجْدَرُ مِنْ قَيْسٍ
بِإشْفاقِكَ أوْ بِرِّكْ
أبي صَدْرِيَ لا يَقْوَى
فَأسْنِدْهُ إلى صَدْرِكْ

المهدي (وهو يتلقّى عنها جسد قيس ويحاول إنعاشه) :

رَعاكِ اللهُ يا لَيْلى
وَكافاكِ عَلى صَبْرِكْ
أخافُ النّاسَ في أمْري
وَأخْشى القَلْبَ في أمْرِكْ
وَكَمْ دارَيْتُ [1] يا لَيْلى
وَكَمْ مَهَّدْتُ مِنْ عُذْرِكْ
وَلَسْتُ الوالِدَ القاسي
وَلا الطّامِعَ في مَهْرِكْ

(يناجي قيساً في غيبوبته) :

أبا المَهْدِيِّ عُوفيتَ
وَيا بُورِكَ في عُمْرِكْ
أراني شِعْرُكَ الوَيْلَ
وَما أرْوي سوى شِعْرِكْ
كَما لَذَّ على الكُرْهِ
كَلامُ اللهِ لِلْمُشْرِكْ

(يتحرّك قيسٌ ويبدو عليه كأنما يفيق فيناديه)

المهدي :

قيس

قيس (يحاول الوقوف فتسنده ليلى) :

لَبَّيْكَ عَمٌّ

المهدي :

حَسْبُكَ ، فاذْهَبْ
لا تَطَأْ لي بَعْدَ العَشِيَّةِ دارا

ليلى :

أبَتي لا تَجُزْ عَلى قَيْسٍ

المهدي :

لِمْ لا ؟
إنَّ قَيْساً على القَرابَةِ جارا

ليلى :

أبَتي ، ما تَراهُ كالفَنَنِ [2] الذّا
وي [3] نُحُولا ، وَكالمَغيبِ اصْفِرارا ؟
وَتَأمَّلْ رِداءَهُ وَيَدَيْهِ
تَجِدِ النّارَ ، أوْ تَرَ الآثارا
أبَتي ، دَعْهُ يَسْتَرِحْ

المهدي :

بَلْ دَعينا
لا تريدي يَا لَيْلَ سُخْطي انْفِجارا

قيس :

حَسْبُ يا لَيْلَ ، حَسْبُ ذُلًّا لِعَمّي
وَكَفَى حِلْفَةً لَهُ واعْتِذارا
عَمٌّ ماذا جَنَيْتُ ؟

ليلى :

ماذا جَنَى قَيْسٌ ؟

المهدي :

نَسيتِ الرُّواةَ وَالأخْبارا !

---

(١) داراه : لاطفه ولاينه واتّقاه .

(٢) الفنن : الغصن .

(٣) الذاوي : اليابس الضعيف .

قيس :

إنَّهُـمْ يَأفِكُـونَ [١] يـا عَـمُّ

المهدي :

والغَيْلُ [٢] أ لَيْلاً غَشِيتَهُ أمْ نَهارا ؟
ما الّذي كانَ لَيْلَةَ الغَيْلِ حتَّى
قُلْتَ فيها النَّسيبَ وَالأشْعـارا ؟

قيس :

لَمْ تَكُنْ وَحْدَها وَلا كُنْتُ وَحْدي
إنَّما نَحْـنُ فِتْيَـةٌ وَعَـذارى
جَمَعَتْنا خَمائِـلُ الغَيْـلِ باللَّيْـ
ـلِ كَما يَجْمَعُ الحِمَى السُّمّارا [٣]
لَيْسَ غَيْرَ السَّلامِ ثُمَّ افْتَرَقْنـا
ذَهَبَتْ يَمْنَـةً وَسِرْتُ يَسـارا

المهدي :

اِمْضِ يا قَيْسُ ، اِمْضِ ، لا تَكْسُ لَيلى
كُلَّ حينٍ فَضيحَةً وَشَنـارا [٤]
فَكَأنّي بِقِصَّـةِ النّـارِ تُـرْوَى
وَكَأنّي بِذَلِكَ الشِّعْـرِ سـارا
وَكَأنّي ارْتَدَيْتُ في الحَيِّ ذُلًّا
وَتَجَلَّلْتُ [٥] فـي القَبائِـلِ عـارا
اِمْضِ قَيْسُ ، امْضِ ،

قيس :

عَمُّ رِفْقًا بِلَيْلى
وَبِقَيْـسٍ ، وَلا تَكُـنْ جَبّـارا
الحِذارَ الحِذارَ مِنْ غَضَبِ اللّـ
ـهِ وَمِنْ سُخْطِهِ ، الحِذارَ الحِذارا

المهدي :

اِمْضِ قَيْسُ امْضِ ، جِئْتَ تَطْلُبُ نارًا
أمْ تُرَى جِئْتَ تُشْعِلُ البَيْتَ نارًا ؟

(يخرج قيس)

(ستـار)

---

(١) يأفكون : يكذبون .

٢) الغَيْل : الوادي به ماء ، أو الشجر الكثير الملتف يستتر به .

(٣) السُّمار جمع سامر ، وهم المتسامرون ليلا .

(٤) الشنار : الأمر المشهور بالشُّنعة والقبح .

(٥) تجللت : تغطيت .

الفصل الثاني

(طريقٌ من طرق القوافل بين نجد ويثرب ، على مقربة من حي بني عامر حيث تبدو مضاربُ هذا الحي على مدى البصر ، وعلى سفح جبل توباد – قيسٌ و زياد جلوسٌ إلى جذع نخلة ، يستشرفان شبحاً يسير نحوهما)

قيس :

زيادُ ما تِلْكَ ؟ مَنِ الجُوَيْرِيَهْ ؟
أ تِلْكَ (بَلْهاءُ) ؟

زياد :

أجَلْ قَيْسُ هِيَهْ

(تظهرُ بلهاء وعلى رأسها قَصعة)

قيس :

بَلْهاءُ كَيْفَ الحَيُّ ؟ كَيْفَ أمَيَهْ ؟

بلهاء (وهي تضع القَصْعة) :

تَسْألُ عَنْكَ كَما سَألْتَ

(تبدو على قيسٍ كراهةٌ للطعام وعزوفٌ عنه)

باللهِ قَيْسُ إلّا أكَلْتَ

(يشتدُّ ميلُ قيسٍ عن الطعام)

بلهاء (هامسةً لزياد) :

زِيَادُ ، ما ذاقَ قَيْسٌ وَلا هَمَّا

زياد :

طَبْخُ يَدِ الأمِّ يا قَيْسُ ذُقْ مِمَّا
الأمُّ يا قَيْسُ لا تَطْبَخُ السُّمَّا

(ينزع عن القصعة غطاءها)

تَعالَ تأمَّلْ قَيْسُ ، تِلْكَ ذَبِيحَةٌ

قيس :

عَسى اليَوْمَ نَحْرٌ

زياد :

أيْنَ نَحْنُ مِنَ الأضْحَى ؟

قيس :

أرى صُنْعَ أمِّي يا زِيادُ ، فَدَيْتُها
بِرُوحي وَإنْ حَمَّلْتُها الهَمَّ والبَرْحا (١)
سَتُخْبِرُنا البَلْهاءُ

زياد :

بَلْهاءُ بَيِّني
وَلا تَكْتُمي عَنَّا الحَديثَ وَلا الشَّرْحا

بلهاء :

لَقَدْ مَرَّ عَرَّافُ اليَمامَةِ بِالحِمَى
فَما راعَنا إلّا زِيارَتُهُ صُبْحا
طَوى الحَيَّ حَتَّى جاءَ عَنْ قَيْسٍ سائِلاً
وَأظْهَرَ ما شاءَ المَوَدَّةَ والنُّصْحا
وَلاحَتْ لَهُ شاةٌ جَثُومٌ (٢) بِمَوْضِعٍ
تَخَيَّلَها ظِلّاً مِنَ اللَّيْلِ أوْ جُنْحا
فَقالَ اذْبَحوا هاتيكَ فالخَيْرُ عِنْدَها
فَقامَ إلَيْها يافِعٌ (٣) يُحْسِنُ الذَّبْحا
فَقالَ انْزِعوا مِنْ جُثَّةِ الشّاةِ قَلْبَها
فَلَمْ نَألُ قَلْبَ الشّاةِ نَزْعاً وَلا طَرْحا
فَلَمّا شَوَيْناها رَقَى (٤) بِعَزائِمٍ
عَلَيْها وَألْقَى في جَوانِبِها المِلْحا
وَقالَ اطْلُبوا قَيْساً فَهذا دَواؤُهُ
كَأنّي بِهِ لَمّا تَناوَلَهُ صَحّا

زياد :

تَعَلَّلْ قَيْسُ بِالشّاةِ
عَساها تُذْهِبُ الحُبّا
فَما العَرّافُ بالمَجْهُو
لِ ، لا عِلْماً وَلا طِبّا

(١) البَرْح : الشدة والعذاب .
(٢) الجُثوم : التي لزمت مكانها لا تبرحه .
(٣) اليافع : الذي ناهز البلوغ . (٤) رَقَى : عوَّذ .

وَلَمْ تَعْلَمْ عَلَيْهِ البيـــ
ـــدُ تَدْجيلاً [١] وَلا كِذْبا
طَبيبٌ جَـرَّبَ اليابِـــ
ـــسَ في الصَّحْراءِ والرَّطْبا
فَذُقْ قَيْسُ ، وَلا تَرْتَـبْ
بِمـا قالَ ، وَمـا نَبّـا
وَتِلْكَ الأُمُّ يـا قَيْـسُ
أطِعْهـا تُطِـعِ الرَّبّـا

قيس :

زِيادُ اسْمَعْ وَكُنْ عَوْني
وَخَلِّ اللَّوْمَ وَالعَتْبـا
إذا مـا لَمْ يَكُنْ بُـدٌّ
فَإنّي آكُـلُ القَلْبـا

زياد :

قَيْسُ يَبْغِي القَلْبَ يا بَلْـ
ـهاءُ ، أيْنَ القَلْبُ أيْنا ؟

بلهاء :

هُـوَ عِنْدي ، وَيَسيـرٌ
ما اشْتَهَى قَيْسٌ عَلَيْنا
هُـوَ فـي الشّـاةِ

زياد :

هَلُمِّـي
أخْرِجي القَلْـبَ إلَيْنـا

بلهاء :

القَلْبُ ! أيْنَ القَلْبُ ؟ أيْـ
ـنَ يا تُرى وَضَعْتُهُ ؟
يا وَيْحَ لي ! نَسيتُ أنّي بِيَدِي نَزَعْتُهُ !

قيس :

وَشَاةٍ بِلا قَلْبٍ يُداوونَني بِها
وَكَيْفَ يُداوِي القَلْبَ مَنْ لا لَهُ قَلْبُ ؟

(١) التدجيل : الكذب والادّعاء .

(تسير بلهاء إلى الحي ، ويظهر صِغارٌ من ناحية الحي يلهون في طائفتين ، وإذ تقع أبصارهم على قيس وزياد تتغنى كل طائفة بغناء)

الطائفة الأولى :

قَيْسُ ، عُصْفورَ البَوادِي
وَهَـــزارَ الرَّبَـــواتْ
طِرْتَ مِنْ وَادٍ لِوادِي
وَغَمَرْتَ الفَلَـــواتْ
إيهِ يا شاعِرَ نَجْـدِ
وَنَجِـيَّ الظَّبْيَـــاتْ
أضْمِـرِ الحُبَّ وَأبْدِ
لأعَــفَّ الفَتَيـــاتْ

الطائفة الثانية :

قَيْسُ ، كَشَّفْتَ العَذارَى
وَانْتَهَكْتَ الحُرُمـاتْ
وَدَمَغْتَ [٢] الحَيَّ عـارا
في السِّنينَ الغابِراتْ
قَدْ ذَكَرْتَ الغَيْلَ دَعْوَى
وَاصْطَنَعْتَ الخَلَـواتْ
صَلِيَتْ [٣] لَيْلى بِبَلْـوَى
مِنْكَ دُونَ الفَتَيـاتْ

(يلتقط قيسٌ بضع حصواتٍ من الأرض ويهمُّ أن يحصب بها الصغار ثم يتردّد فينثر الحصى من يديه ، بينما يظهرُ من جانب الطريق الآخر ابنُ عوف وكاتبُه نُصيب)

قيس (مناجيًا نفسَه) :

قَيْسُ لا ، سامِحْ صِغـاراً
لا يُحِسّونَ الخَطيئَــهْ
إنَّهُــمْ فيمــا أتَــوْهُ
بَبَّغـــاواتٌ بَريئَــهْ

(٢) دمَغ : وسَم وطبَع .

(٣) صليَت : عانت الشدة والتعب .

لَقِّنوها كَلِمــاتٍ
نَزِهــاتٍ أَوْ بَذِيئَــةْ

زياد (وهو يَصرِف الصغار) :

اِذْهَبوا عُودوا إلى آبائِكُمْ
اذْكُروا قَيْساً بِخَيْرٍ يا خُبُثْ (١)
اِذْهَبوا أَوْحُوا إلى أَتْرابِكُمْ
وَلْيُبَلِّغْ حَدَثًا مِنْكُمْ حَدَثْ (٢)
سَيْطَرَ الحُبُّ عَلى دُنْياكُمُ
كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا الحُبَّ عَبَثْ

(يجري الصغار أمام زياد مضطربين ، ثم يختفون عن الأنظار ، بينما يستلقي قيس على الأرض في شبه إغماء)

ابن عوف إلى نُصيب ، وزيادٌ يطارد الصِّغار :

أُنْظُرْ نُصَيْبُ ، ضَجَّةٌ وَصِبْيَةٌ
وَرَجُلٌ يَرْمي الصِّغارَ بِالحَصَى

نصيب :

أَرَى أَميرِي نَشَأً (٣) تَعَلَّقوا
بِابْنِ سَبيلٍ مُتْعَبٍ واهِي القُوَى

ابن عوف :

بَلِ امْضِ سَلْ

نُصيب (معترضاً زياداً) :

مَنِ الفَتَى ؟

زياد (لنفسه وقد رأى ابن عوف) :

ماذا أَرَى ؟
هَذا أَميرُ الصَّدَقاتِ ها هُنا

(ثم يردّ على نُصيب) :

قَيْسٌ إِمامُ العاشِقِينَ

ابن عوف :

أَيُّهُـــمْ
فَهُمْ كَثيرٌ ، كُلُّ قَيْسٍ بِهَوَى

زياد :

أَجَلْ وَلَكِنَّ الَّذي تُبْصِرُهُ
أَرْفَعُهُمْ ذِكْراً وَأَعْلاهُمْ سَنَى (٤)

ابن عوف :

لَعَلَّهُ قَيْسُ الَّذي نَعْرِفُــهُ
لَقَدْ رَوَيْتُ شِعْرَهُ فيمَنْ رَوَى
فَأَيْنَ ظِلُّهُ زِيادُ ؟

زياد :

أَنـا ذا
أَنا الَّذي يَتْبَعُهُ حَيْثُ مَشَى

ابن عوف :

أَنْتَ الَّذي تُهْدي لِكُلِّ قَرْيَةٍ
مُجاجَةَ (٥) النَّحْلِ وَنَفْحَةَ الرُّبــا
ما بالُهُ يَطَـا التُّرابَ حافِيًــا
وَيَقْطَعُ البيدَ مُمَزَّقَ الرِّدا ؟
خُذْ يا نُصَيْبُ بُرْدَتي فَغَطِّهِ
لا يَلْحَقَنْهُ مِنَ العُرْيِ أَذَى

زياد :

اِحْفَظْ عَلَيْكَ البُرْدَ يا أَميرُ ، لا
فَقْرَ إِلَيْهِ (٦) بِابْنِ سَيِّدِ الحِمَى
إِنَّ لِقَيْسٍ مِنْ ثِيابِ الوَشْيِ ما
يُفْني بِهِ العُمْرَ ، وَما يُعْيِي البِلَى

ابن عوف (مناجياً نفسه) :

يا وَيْحَ قَلْبي ما خَلا مِنْ قَسْوَةٍ
ما بالُهُ رَقَّ لِقَيْسٍ وَرَثَـى !

---

(١) الخُبُث : جمع خبيث ، وهو الفاسد المكروه .
(٢) الحدث : الصغير السن .
(٣) النَّشأ : جمع ناشئ ، وهو الغلام جاوز حد الصغر وشب .
(٤) السَّنى : من سَنِي ، الرفعة والقدر .
(٥) مجاجة النحل : عسلها .
(٦) لا فقر إليه : لا حاجة .

(يقبل على قيس)

قَيْسُ بُنَيَّ

زياد :

هُوَ في إغْماءَةٍ

مِنْ وَجْدِهِ ، وَما أَظُنُّهُ صَحا

(يُسمع صوت حادٍ من ناحية نجد .
ويتعالى الصوت قليلاً قليلاً حتى يظهر الحادي
ومن ورائه قافلة تسير إلى المدينة ، ثم يذوب
الصوت قليلاً قليلاً حتى ينقطع)

أنشودة الحادي :

يا نَجْدُ خُـذْ بِالزِّمـامْ
وَرَحِّـــبِ
سِرْ في رِكابِ الغَمـامْ
لِيَثْـــرِبِ
هَـذا الحُسَيْنُ الإمـامْ
اِبْنُ النَّبـي
النُّورُ فـي البيـدِ زادْ
حَتّـى غَمَـرْ
أُحْدُ [1] الحَيا [2] في الوِهادْ
أُحْـدُ القَمَـرْ
أُحْدُ جَمـالَ البَـوادْ
زَيْنَ الحَضَـرْ
اِبْنَ النَّبـي

ابن عوف :

سَمِعْتُمْ ؟ يا لَكِ مِن
رَنَّةِ حـادٍ مُطْـرِبِ !

زياد :

يَا لَيْتَ شِعْرِي ما الرِّكا
بُ ؟ مَنْ لِواءُ المَوْكِبِ ؟

نصيب :

قَدْ بَيَّنَ الحادي فَقُلْ
أَصَمٌّ أَنْتَ أَمْ غَبِـي ؟
هَذا إمـامُ العَـرَبِ
هَذا الحُسَيْنُ ابنُ النَّبي
هَذا الزَّكِيُّ ابْنُ الزَّكِيْـ
ـيِ ، الطَّيِّبُ ابْنُ الطَّيِّبِ
عارَضَنا الحُسَيْنُ فـي
طَريقِـهِ لِيَثْـرِبِ
هَـذا سَنـا جَبينِـهِ
مِلْءَ الوِهـادِ والرُّبـي [3]
قَدْ جَلَّ حادِيهِ جَـلا
لَ القـارِئِ المُطَـرِّبِ

ابن عوف (هامساً إلى نُصيب) :

نُصَيْبُ ، صَه لا تَسْلُكَنْ
بِنـا مَسالِـكَ التُّهَـمْ
وَلا تَظـاهَرْ بِالهَـوَى
لِـوارِثِ البَيْـتِ العَلَـمْ
اِحْذَرْ جَواسِيسَ ابْنِ هِنْـ
ـدٍ ، وَعُيونَ ابْنِ الحَكَمْ [4]
نَحْـنُ رِجـالُ دَوْلَـةٍ
قَوّامَـةٍ عَلـى الأُمَمْ
لَيْسَ بِعَيْنِهـا عَمًـى
وَلا بِأُذْنِهـا صَمَـمْ
تَسْمَعُ في ظِلِّ القُصو
رِ هَمْسَ رُعْيانِ الغَنَمْ

---

(١) أُحْدُ : فعل أمر من حدا ، والحُداء الغناء للإبل .
(٢) الحيا : الخِصب ، المطر .
(٣) الرُّبى : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض .
(٤) ابن هند : معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية . ابن الحكم : مروان بن الحكم ، والي مكة وما حولها من قِبَل معاوية .

(إلى زياد مشيراً إلى قيس) :

زيادُ ، انْظُرْ فَما انْفَكَّ
صَريعَ الوَجْدِ وَالذِّكْرَى
كَما مَرَّ بِنا الرَّكْبُ الـ
ـحُسَيْنِيُّ بِهِ مَرًّا
فَلَمْ يَشْغَلْ لَهُ بالاً
وَلَمْ يوقِظْ لَهُ فِكْرا

زياد :

رُوَيْدًا سَيِّدي ، مَهْلاً
وَلا تَسْتَغْرِبِ الأَمْرا
لَقَدْ سُقْناهُ بِالأَمْسِ
فَحَجَّ الكَعْبَةَ الغَرَّا
فَلَمَّا لَمَسَ الرُّكْنَ
وَمَسَّتْ يَدُهُ السِّتْرا
وَقُلْنا الآنَ مِنْ لَيْلى
وَمِنْ فِتْنَتِها يَبْرا
سَمِعْناهُ يُنادِي اللَّـ
ـهَ مِنْ ساحَتِهِ الكُبْرَى

ابن عوف :

وَماذا قالَ ؟

زياد :

ما تابَ
مِنَ العِشْقِ وَلا اسْتَبْرا
وَلكِنْ قالَ يا رَبِّ
مَلَكْتَ الخَيْرَ وَالشَّرَّا
فَهاتِ الضُّرَّ إنْ كانَ
هَوَى لَيْلى هُوَ الضُّرَّا
وَإِنْ كانَ هُوَ السِّحْرَ
فَلا تُبْطِلْ لَها سِحْرا
وَيا رَبِّ هَبِ السَّلْوَى
لِغَيْري وَ هَبِ الصَّبْرا
وَ هَبْ لي مَوْتَةَ المُضْنَى (١)
بِها لا مِيتَةً أُخْرَى

(يُقبل على قيس ويميلُ عليه بحنان) :

حَنانَيْكَ (٢) قَيْسُ ، إلامَ الذُّهولُ ؟
أَفِقْ ساعَةً من غَواشي الخَبَلْ (٣)
صَليلُ البِغالِ ، وَرَجْعُ الحُداءِ
وَضَجَّةُ رَكْبٍ وَراءَ الجَبَلْ
وَحادٍ يَسوقُ رِكابَ الحُسَيْنِ
يَهُزُّ الجِبالَ إذا ما ارْتَجَلْ
فَلَمْ يَبْقَ ماشٍ وَلا راكِبٌ
على نَجْدَ إلّا دَعا وابْتَهَلْ
فَقُمْ قَيْسُ وَاضْرَعْ مَعَ الضّارِعينَ
وَأَنْزِلْ بِجَدِّ الحُسَيْنِ الأَمَلْ

(يُسمع صوتُ حادٍ آخر قادماً إلى نجد من ناحية يثرب، على رأس قافلة أخرى ، وتمرّ هذه القافلة كما مرّت الأولى)

أنشودة الحادي :

هَلا هَلا هَيّا * اِطْوِي الفَلا طَيًّا *
وَقَرِّبي الحَيّا * لِلنّازِحِ الصَّبِّ *
جَلاجِلٌ في البِيدْ * شَجِيَّةُ التَّرْديدْ *
كَرَنَّةِ الغِرِّيدْ * في الفَنَنِ الرَّطْبِ *
أ ناحَ أَمْ غَنَّى * أَمْ لِلْحِمَى حَنَّا *
جُلَيْجِلٌ رَنّا * في شُعَبِ القَلْبِ *
هَلّا هَلا سيري * وَامْضي بِتَيْسيرِ *
طيري بِنا طيري * لِلْماءِ وَالعُشْبِ *
طيري اسْبِقي اللَّيْلا * وَأَدْرِكي الغَيْلا *
العَهْدَ مِنْ ليلى * وَمَنْزِلَ الحُبِّ *
بِاللهِ يا حادِي * فَتِّشْ بِتَوْبادِ *

(١) المُضنى : المريض الذي طال مرضه . (٢) حنانيك : رحمةً منك موصولة برحمة . (٣) غواشي الخبل : نوازل الجنون .

فَالقَلْبُ في الوَادِي * وَالعَقْلُ في الشِّعْبِ *

يا قَمَراً يَبْدُو * مَطْلَعُهُ نَجْدُ *

قَدْ صَنَعَ الوَجْدُ * ما شاءَ بِالرَّكْبِ

(يفيق قيس ثم يتلفت مصغياً إلى الحُداء)

قيس :

لَيْلى ، مُنادٍ دَعا لَيْلى فَخَفَّ لَهُ
نَشْوانُ في جَنَباتِ الصَّدْرِ عِرْبيدُ
لَيْلى ، انْظُري البيدَ هَلْ مادَتْ بِآهِلِها ؟
وَهَلْ تَرَنَّمَ في المِزْمارِ داوُدُ ؟
لَيْلى ، نِداءٌ بِلَيْلى رَنَّ في أُذُني
سِحْرٌ لَعَمْري لَهُ في السَّمْعِ تَرْديدُ
لَيْلى تَرَدَّدُ في سَمْعي وَفي خَلَدي
كَما تَرَدَّدُ في الأَيْكِ الأَغاريدُ
هَلِ المُنادونَ أَهْلوها وَإِخْوَتُها
أَمِ المُنادونَ عُشّاقٌ مَعاميدُ ؟ (١)
إِنْ يَشْرَكوني في لَيْلى فَلا رَجَعَتْ (٢)
جِبالُ نَجْدٍ لَهُمْ صَوْتاً وَلا البيدُ
أَ غَيْرَ لَيْلايَ نادَوْا أَمْ بِها هَتَفوا ؟
فِداءُ لَيْلى اللَّيالي الخُرَّدُ (٣) الغيدُ (٤)
إِذا سَمِعْتُ اسْمَ لَيْلى ثُبْتُ مِنْ خَبَلي
وَثابَ ما صَرَعَتْ مِنِّي العَناقيدُ
كَسا النِّداءَ اسْمُها حُسْناً وَحَبَّبَهُ
حَتَّى كَأَنَّ اسْمَها البُشْرى أَوِ العيدُ
لَيْلى ! لَعَلِّي مَجْنونٌ يُخَيَّلُ لي ؟
لا الحَيُّ نادَوْا عَلى لَيْلى وَلا نُودُوا

ابن عوف :

لا تَكْتَئِبْ وَتَعالَ يا قَيْسُ اسْتَرِحْ
مِمَّا تُكابِدُ في الهَوى وَتُلاقي

قيس :

هَلْ أَنْتَ آسٍ يا أَميرُ جِراحَتي
أَمْ أَنْتَ مِنْ سِحْرِ الصَّبابَةِ راقي ؟

ابن عوف :

بَلْ مِنْ رُواتِكَ قَيْسُ مِنْ زَمَنٍ مَضى
لَمْ أَخْلُ قَيْسُ عَلَيْكَ مِنْ إِشْفاقِ

قيس :

قُلْ لِلْخَليفَةِ يا بْنَ عَوْفٍ في غَدٍ
مَنْ ذا أَباحَ لَهُ دَمَ العُشّاقِ ؟
هَدَرَتْ حُكومَتُهُ دَمي فَتَحَرَّشَتْ (٥)
بِدَمٍ عَلى سَيْفِ الجُفُونِ مُراقِ

ابن عوف :

أَ رَضيتَني عِنْدَ الخَليفَةِ شافِعاً
يا قَيْسُ

قيس (في أنفة) :

لا وَالواحِدِ الخَلّاقِ
بَلْ عِنْدَ لَيْلى ، فَامْضِ فَاشْفَعْ لي لَدى
لَيْلى ، وَناشِدْ قَلْبَها أَشْواقي
جِئْها فَذَكِّرْها العُهودَ وَحِفْظَها
وَاذْكُرْ لَها عَهْدي ، وَصِفْ ميثاقي
لَيْلى إِذا هِيَ أَقْبَلَتْ حَقَنَتْ دَمي (٦)
كَرَماً ، وَفَكَّتْ يا أَميرُ وَثاقي

ابن عوف :

الآنَ قَيْسُ اذْهَبْ فَبَدِّلْ حُلَّةً
وَتَرَدَّ غَيْرَ ثِيابِكَ الأَخْلاقِ

---

(١) المعاميد : جمع معمود ، وهو الذي هده العشق .
(٢) رجعت : ردّدت الصوت .
(٣) الخرّد : جمع خرود ، وهي العذراء الحيية .
(٤) الغيد : جمع غيداء ، وهي الفتاة الناعمة .
(٥) حرّشت : أغرت . (٦) حقنت دمي : منعته أن يُسفك .

فالصُّبْحَ تَدْخُلُ حَيَّ ليلى قَيْسُ في
رَكْبي ، وَبَيْنَ بِطانَتي وَرِفاقـــي

قيس (إلى زياد) :

أ سَمِعْتَ ما قالَ الأميرُ ؟ زيادُ ، طِرْ
نَحْوَ الحِمَى بِجَناحَـي المُشْتاقِ

اِذْهَبْ وَسَلْ أمّي أعَزَّ مَلابِسي
مِنْ كُلِّ شامِيٍّ وَكُلِّ عِراقِي

واذْكُرْ لَها فَضْلَ الأميرِ ، وَلَمْ تَزَلْ
نِعَمُ الأميرِ قَلائِـدَ الأعْنــاقِ

(يسير زياد نحو الحي بينما يتمسّح قيس بابن عوف كالطفل)

شُكْرًا لِصُنْعِكَ يا أميـ
ـرُ ودُمْتَ مَقْصودَ الرِّحــابْ

عَجِّلْ أميـرُ

ابن عوف (ضاحكا) :

بَـلِ انْتَظِـرْ ،
أ نَسيتَ يا قَيْسُ الثِّيابْ ؟

قيس :

مَنْ مُبْلِغٌ أمّي الحَزيـ
ـنَةَ أنَّ عَقْلِي اليَوْمَ ثـابْ ؟

وَمَن البَشيـرُ إلَيْـكِ يـا
لَيْلى بِقَيْسٍ فـي الرِّكـابْ ؟

اليَـوْمَ أهْـلاً بِالحَيـا
ةِ وَمَرْحَبًا بِكَ يـا شَبــابْ !

(ستار)

الفصل الثالث

(قطعةٌ من الصحراء تبدو في يسارها طائفةٌ من مضارب بني عامر ممتدة إلى ما وراءَ اليسار على سفح جبل توباد – خِباء مضروبٌ إلى يمين هذه الطائفة من المضارب كأنه نهاية خيام الحي – على اليمين أشجارُ بان يقف في ظلها ابنُ عوف وحاشيته وقيسٌ وزياد)

ابن عوف :

تَراءَى الحَيُّ لِلرَّكْـبِ
وَأَشْرَفْنا عَلَـى الشِّعْـبِ
أَفِقْ قَيْسُ ، أ ما في رُؤْ
يَةِ الخَيْماتِ ما يُصْبِـي ؟ [1]
أ لا تَهْتِفُ بِالشَّكْـوى
إلَـى لَيْلَـى وَبِالعَتْـبِ ؟

قيس :

دِيارَ الحَيِّ مِنْ لَيْلَـى
سَلامٌ مِـنْ شَجٍ صَـبِّ
عَلى الحَيِّ ، عَلى الدارِ
عَلى لَيْلى ، عَلى الحُـبِّ
غَدا الرَّكْبُ عَلى طِيبٍ
كَريحِ المَنْـدَلِ [2] الرَّطْـبِ
فَيا لَيْلى عَسَى اليَـوْمَ
أَبُلُّ الشَّـوْقَ بِالقُـرْبِ
عَسى الخِطْبَةُ لا تَنْـزِ
لُ في ناديكِ كالخَطْـبِ
عَساهُـمْ لا يَقولُـونَ
فَتًى مُشْتَـرَكُ اللُّـبِّ [3]
وَلا يَذْهَبُ إحْسانِـي
وَلا يَبْقَى سِـوَى ذَنْبِـي
يَقولونَ بِهـا غَنَّـى
لَقَدْ غَنَّيْتُ مِنْ كَرْبِـي
سَلِي تُرْبَكِ كَمْ مَرَّغْـ
ـتُ خَدَّيَّ عَلـى التُّرْبِ
وَكَمْ جُدْتُ عَلى الرَّمْلِ
وَلَمْ أَبْخَلْ عَلـى العُشْبِ
بِدَمْعٍ مِثْلِ دَمْعِ الثُّكْـ
ـلِ مَغْروفٍ مِـنَ القَلْـبِ

(يتطلع ابن عوف إلى ناحية الحي)

ابن عوف :

قَيْسُ ، انْتَبِهْ قَيْسُ ،

قيس :

مَنِ المُنادِي ؟

ابن عوف :

الحَيُّ في السِّلاحِ سَدَّ الوادِي
وَأَنْتَ قَيْسُ بَعْدَ حينٍ غادِي
عَلـى خُصـومٍ لُـدٍ [4] شِـدادِ
فَالْقَ الرِّجالَ صاحِيَ الفُؤادِ
لا تَلْقَهُمْ مُضَيَّعَ الرَّشـادِ

قيس (متطلِّعًا كذلك) :

أ تُبصِرُ يا بْنَ عَوْفٍ حَيَّ لَيْلى
تَدَجَّجَ في السِّلاحِ وَلا تَراها ؟
فَما لي لا أُحَقِّقُ غَيْرَ لَيْلى
وَإنْ كَثُرَ السَّوادُ [5] لَدَى حِماها
لَقَدْ أَلْقَى هَوَى لَيْلى حِجابًا
عَلى عَيْني فَلَسْتُ أرى سِواها

---

(١) يُصبي : يهيج الشوق ويميل . (٢) المندَل : العود الطيب الرائحة . (٣) مشترك اللب : مختلط العقل .

(٤) اللُّد : جمع لديد ، وهو الشديد الخصومة . (٥) السَّواد : الناس الكثيرون .

وَبَغَّضتِ النَّصيحَ إليَّ لَيْلى
وَسَدَّ مَسامِعي عَنْهُ هَواها

(يُسمع من بعيد ومن ناحية الحي لجبٌ وقعقعةُ سلاحٍ، ويقترب الصوتُ ويتعالى شيئاً فشيئاً)

أرى حَيَّ لَيْلى في السِّلاحِ وَلا أرى
سِلاحاً كَهَجْرِ العامِرِيَّةِ ماضِيا
دَمي اليَوْمَ مَهْدورٌ لِلَيْلى وَأَهْلِها
فِداءً لِلَيْلى مُهْدَراتٌ دِمائِيا
لِيَ اللهُ ! ماذا مِنْكِ يا لَيْلَ طافَ بي ؟
وَما ذَلِكَ السّاقي ؟ وماذا سَقانِيا ؟
دَعوني ، وَما عِنْدي لِلَيْلى أَقولُهُ
لِلَيْلى ، وَأَسْتَنْشي الَّذي عِنْدَها لِيا
أهيمُ فَأَسْتَعْدي نَهاري عَلى الجَوَى
وَأَقْبَعُ [1] لَيْلي أَسْتَجيرُ القَوافِيا
(فَما أَشْرفُ الأَيْفاعَ [2] إلّا صَبابَةً
وَلا أُنْشِدُ الأَشْعارَ إلّا تَداوِيا)
إذا النّاسُ شَطْرَ البَيْتِ وَلَّوْا وجُوهَهُمْ
تَلَمَّسْتُ رُكْنَيْ بَيْتِها في صَلاتِيا
(أُصَلّي فَما أَدْري إذا ما ذَكَرْتُها
أَ ثِنْتَيْنِ صَلَّيْتُ الضُّحى أَمْ ثَمانِيا ؟)
تَوارَتْ وَراءَ الجَمْعِ لَيْلى فَخانَها
فَمٌ كابْتِسامِ الصُّبْحِ يَأْبى التَّوارِيا
وَطِيبٌ بِهِ خُصَّتْ حَوَى الطِّيبَ كُلَّهُ
فَقُلْهُ الأَقاحي [3] أَوْ فَقُلْهُ الفَواغِيا [4]
فَأَحْسَسْتُ مِنْ فَرْعي لِساقَيَّ هِزَّةً
كَأَنَّ عِياناً مِنْكِ لاقى عِيانِيا

دَعونا وَما يَبْقى إذا ما فَنيتُمُ
فَوَ اللهِ ما شَيْءٌ خَلا الحُبَّ باقِيا
مَشَى الحُبُّ في لَيْلى وَفِيَّ مِنَ الصِّبا
وَدَبَّ الهَوَى في شاءِ لَيْلى وَشائِيا
وَإِنّي وَلَيْلى لِلأَواخِرِ في غَدٍ
لَنُشْغِلُ كَما كُنّا شَغَلْنا الأَوالِيا

(يبدو على وجهه الاصفرارُ والجهدُ ثم يترنّح فيتلقاه زياد تُسمع أصواتُ الحيّ من قريب)

ابن عوف :

زِيادُ أَدْرِكْهُ ، أَدْرِكْ
إِنّي أَرى الدّاءَ عادَهْ
لَقَدْ تَضاءَلَ قَيْسٌ
وَاصْفَرَّ مِثْلَ الجَرادَهْ
وَلَيْسَ قَيْسٌ بِمُلْقٍ
إلّا إِلَيْكَ قِيادَهْ
الآنَ أَسْعى لِقَيْسٍ
سَعْياً أَخافُ فَسادَهْ
فَمِلْ بِنا وَبِقَيْسٍ
حَتّى يُصيبَ رَشادَهْ

(يحملون قيساً ، ويختفون به وراء شجر البان ، وتظهرُ طلائع الحيِّ من اليسار وعلى رأسها المهديّ ومُنازل ، وكلُّهم شاكي السِّلاح)

المهدي :

يا قَوْمُ إِنَّ البَغْيَ شَرُّ مَرْكَبَهْ
وَالخَيْرُ في جانِبِ مَنْ يُجَنِّبُهْ
هَذا ابْنُ عَوْفٍ قَدْ أَظَلَّ مَوْكِبُهْ
وَإِنَّ قَيْساً في الرِّكابِ يَصْحَبُهْ
جاءَ يَرومُ صِهْرَكُمْ وَيَخْطُبُهْ
وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَيْفَ ساءَ مَذْهَبُهْ
وَكَيْفَ طالَ بِابْنَتي تَشَبُّبُهْ [5]

(١) أقبع : أختفي وأنقطع .
(٢) الأيفاع : جمع يَفَع ، وهو المرتفع من كل شيء .
(٣) الأقاحيّ : جمع أقحوان، نبت ذو زهر أصفر أو أبيض .
(٤) الفواغي : جمع فاغية ، وهي الرائحة المُسكرة (النفاذة) .
(٥) التّشبُّب : الغزَل .

صوت :

كِلْهُ (١) إلى سُيوفِنا تُؤَدِّبْهُ

لَقَدْ وَجَدْناهُ وَكُنّا نَرقُبُهْ

المهدي :

لا ، دَمُ قَيْسٍ دَمُنا لا نَقْرَبُهْ

يَكْفيهِ مِنّا أَنّنا نُخَيِّبُهْ

وَنَصْرِفُ الأميرَ عَمّا يَطْلُبُهْ

صوت آخر :

شَيْخَ الحِمَى لا تَضْعُفِ

وَلا تَــرَدَّدْ وَ قِــفِ

ذُدْ عَنْ عَقيلَةِ (٢) الحِمَى

وامْنَعْ حِياضَ الشَّــرَفِ

لا تُصْغِ لِلشّافِعِ فــي

قَيْــسٍ وَلا المُسْتَعْطِــفِ

لَيْسَ ابْنُ عَوْفٍ في الّذي

سَعَى لَــهُ بِالْمُنصِــفِ

أَ بِالأميرِ بَعْــدَ مــا

أجارَ قَيْساً تَحْتَفِــي ؟

لا تَخْشَ بَأْسَــهُ وَمِــنْ

رِجالِــهِ لا تَخَــفِ

نَحْنُ كَعُثْمــانَ وَلَيْـــ

ــلى بَيْنَنــا كالمُصْحَفِ

(يظهر ابن عوف وحاشيتُه مِنْ وراء الشجرة ومعهم زياد)

ابن عوف :

عِمْ أَبــا لَيْلى صَباحَــا

المهدي :

عِمْ صَباحاً يا بْنَ عَوْفْ

ابن عوف :

قُلْ لَهُمْ يُلْقُوا السِّلاحا

لَيْسَ ذا مَوْطِنَ خَــوْفْ

صوت من الحي :

يــا بْنَ عَوْفٍ يا أَميــرْ

لَيْسَ ذا شَأْنَ الــوُلاةِ

كَيْفَ تَحْمي وَتُجيــرْ

مُسْتَبيــحَ الحُرُمــاتِ ؟

ابن عوف :

عامِرٌ ، يا أَجاوِدَ البِطاحِ (٣)

وَأَسْمَحَ النّاسِ بُطونَ راحِ (٤)

ما لي وَلِلسُّيوفِ وَالرِّماحِ

ضَيْفٌ أنا ، وَما مِنَ السَّماحِ

رَدُّكَ وَجْهَ الضَّيْفِ بِالسِّلاحِ

ما جِئْتُكُمْ يا قَوْمُ لِلْكِفاحِ

بَلْ جِئْتُ لِلتَّوفيقِ وَالإِصْلاحِ

(تحدُث ضجّة في جانب الحيّ وتصايُح وتهامسٌ ثم يُلقي كثير منهم السِّلاح ويُغمد السُّيوف)

صوت من الحي :

يا أَبا لَيْلى ، بِلَيْلى

جُدْ لِقَيْسٍ ، بِالحَيــاةِ

إِنَّهُ شاعِــرُ نَجْــدٍ

وَنَجِـــيُّ الظَّبَـــياتِ

صوت آخر :

قَيْسٌ أَخٌ وَابْنُ عَمٍّ

وَلَيْسَ أَهْــلاً لِــذَمٍّ

نَجْمٌ أَضاءَ بِنَجْــدٍ

سَما عَلى كُلِّ نَجْــمِ

---

(١) كِلْه : (من وكل يكل) سلِّمه أو فوِّضه أو دَعْه .

(٢) العقيلة : السيدة المخدَّرة (الكريمة) .

(٣) البطاح : جمع أبطح أو بطحاء ، المكان المتسع يمر به السيل.

(٤) الراح : جمع راحة ، وهي الكف .

هَبوهُ جُنَّ بِلَيْلَـى
لَيْـسَ الغَـرامُ بِجُـرْمِ

مُنازل (حيث يستقبل الجمعَيْنِ خطيباً) :

إنَّ قَيْساً مَعْشَرَ الحَيِّ أخٌ
وَابْنُ عَمٍّ ، أ فَمِنْهُ تَبْرَأونْ ؟

أصوات :

لا وَرَبِّ البَيْتِ

منازل :

أصْغُـوا لِـي إذَنْ
ثُمَّ ظُنّوا كَيْفَ شِئْتُمْ بي الظُّنونْ

أصوات :

لا وَرَبِّ البَيْتِ

منازل :

أصْغُـوا لِـي إذَنْ
ثُمَّ ظُنّوا كَيْفَ شِئْتُمْ بي الظُّنونْ
أنا لَمْ أعْدِلْ بِقَيْسٍ شاعِراً
لا ، وَلا أنْتُمْ بِقَيْسٍ تَعْدِلونْ

أصوات :

لا وَرَبِّ البَيْتِ

منازل :

أصْغُـوا لِـي إذَنْ
ثُمَّ ظُنّوا كَيْفَ شِئْتُمْ بي الظُّنونْ

أصوات :

لا وَرَبِّ البَيْتِ

منازل :

أصْغُـوا لِـي إذَنْ
ثُمَّ ظُنّوا كَيْفَ شِئْتُمْ بي الظُّنونْ

أصوات :

لا وَرَبِّ البَيْتِ

منازل :

أصْغُـوا لِـي إذَنْ
ثُمَّ ظُنّوا كَيْفَ شِئْتُمْ بي الظُّنونْ

إنَّ قَيْساً شاعِرُ البيدِ الّذي
لا يُجارَى ، أ فَأنْتُمْ مُنْكِرونْ ؟

أصوات :

لا وَرَبِّ البَيْتِ

منازل :

أصْغُـوا لِـي إذَنْ
ثُمَّ ظُنّوا كَيْفَ شِئْتُمْ بي الظُّنونْ

إنَّ قَيْساً سَيِّدٌ مِنْ عامِرٍ
وَابْنُ ساداتٍ ، أ فيهِ تَمْتَرونْ ؟

أصوات :

لا وَرَبِّ البَيْتِ

منازل :

أصْغُـوا لِـي . إذَنْ
ثُمَّ ظُنّوا كَيْفَ شِئْتُمْ بي الظُّنونْ

إنَّ قَيْساً قَدْ بَنى المَجْدَ لَكُمْ
وَلِنَجْدٍ ، أ بِقَيْسٍ تَكْفُرونْ ؟

أصوات :

لا وَرَبِّ البَيْتِ

منازل :

أصْغُـوا لِـي إذَنْ
ثُمَّ ظُنّوا كَيْفَ شِئْتُمْ بي الظُّنونْ

إنَّ قَيْساً كامِلٌ في عَقْلِهِ
أ وَ آنَسْتُمْ عَلى قَيسٍ الجُنونْ ؟

أصوات :

لا وَرَبِّ البَيْتِ

منازل :

أصْغُـوا لِـي إذَنْ
ثُمَّ ظُنّوا كَيْفَ شِئْتُمْ بي الظُّنونْ

أنا في وُدّي وَإعْجابي بِهِ
لا يُدانيني الرُّواةُ المُعْجَبونْ
شِعْرُهُ يَبْقَى وَيَفْنَى غَيْرُهُ
لَيسَ كُلُّ الشِّعْرِ تَرْويهِ القُرونْ
شِعْرُ قَيْسٍ عَبْقَرِيٌّ (١) خالِدٌ
لَيْتَـهُ لَـمْ يَتَخَلَّلْـهُ المُجـونْ
وَلَوَ انَّ المُتَجَنّي شاعِـرٌ
غَيْرُ قَيْسٍ أوْشَكَ الخَطْبُ يَهُونْ
رُبَّ شِعْرٍ قالَ في لَيْلى ، بِهِ
هَتَفَ البَدْوُ ، وَضَجَّ الحاضِرونْ (٢)
إنّني أخْشَى عَلَيْكُمْ عارَهُ
رُبَّ عارٍ لَيْسَ تَمْحُوهُ السِّنونْ
ضَجِرَتْ لَيْلى وَضَجَّتْ أمُّها
وَأبوهـا ، وَتَأذّى الأقْرَبـونْ

---

(١) العبقري : لا يفوقه شعر .

(٢) الحاضرون : سكان الحواضر ، وهي المدن والقرى خلاف البادية .

وَغَدا كُلُّ فَتًى مِنْ عامِرٍ
حِينَ يَلْقَى النَّاسَ ، مَحْنِيَّ الجَبِينْ

أصوات كثيرة :

هُوَ ما قُلْتَ

منازل :

إِذَنْ ما بالُكُمْ
لَمْ تَثُورُوا ، ما لَكُمْ لا تَغْضَبُونْ ؟
هُوَ ذا قَيْسٌ مَعَ الوالي أَتَى
يَطَأُ الحَيَّ ، وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونْ
وَأَبو لَيْلَى امْرُؤٌ أَدْرِي لَهُ
رِقَّةَ القَلْبِ ، وَأَخْشَى أَنْ يَلِينْ
بَعْدَ حِينٍ يَعْبَثُ القَوْمُ بِكُمْ
وَمِنَ الحَيِّ بِلَيْلَى يَخْرُجُونْ
آنَ يا قَوْمُ لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا
أَنَّ قَيْساً هَتَكَ (١) الخِدْرَ المَصُونْ
قَيْسُ لَمْ يَتْرُكْ لِلَيْلَى حُرْمَةً
ما الَّذِي أَنْتُمْ بِقَيْسٍ فاعِلُونْ ؟

صوت :

ماجِنٌ لا بُدَّ مِنْ تَأْدِيبِهِ

صوت آخر :

إِنَّ بِالسَّوْطِ يُرَبَّى الماجِنُونْ

صوت :

نَأْخُذُ الحَيَّ عَلَيْهِ

آخر :

وَلْنَقِفْ
دُونَ لَيْلَى وَحِماها كَالحُصُونْ

منازل :

حَلَّلَ السُّلْطانُ بِالأَمْسِ لَكُمْ
دَمَ قَيْسٍ ، ما الَّذِي تَنْتَظِرُونْ ؟

صوت :

حَلَّلَ السُّلْطانُ بِالأَمْسِ لَنا
دَمَهُ ؟

أصوات أخرى :

إِنَّا بِقَيْسٍ فاتِكُونْ

(ضجيج واندفاع)

صوت :

مُنازِ يا بْنَ العَمِّ ما هَذا الخَبَرْ ؟
رَفَعْتَ قَيْساً فَجَعَلْتَهُ القَمَرْ
وَالآنَ أَغْرَيْتَ بِقَتْلِهِ الزُّمَرْ
كَفِعْلِ جَزَّارِ اليَهودِ بِالبَقَرْ (٢)
بَرَّأَها مِنَ العُيوبِ وَعَقَرْ !

(يصعد بشر منبراً للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس)

قائل :

اِرْجِعُوا يا قَوْمُ هَذا مِنْبَرٌ
وَخَطِيبٌ

(يسأل أحدهم) :

لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَكُونْ ؟

آخر :

أَ وَ أَعْمَى أَنْتَ ؟ هَذا بِشْرٌ

آخر :

هَلْ
يُحْسِنُ الخُطْبَةَ بِشْرٌ وَيُبِينْ ؟

(يحاول منازل أن يَتَسَلَّلَ من الجماهير)

بشر :

قِفْ مُنازِ اسْمَعْ سَمِعْتَ الرَّعْدَ مِنْ
جانِبَيْ صاعِقَةٍ فيها المَنُونْ

---

(١) هتك الخدر : شقه فبدا ما وراءه .

(٢) إشارة إلى حادث البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها ليعرفوا من القاتل ؟ وجاء ذكرها في سورة البقرة من القرآن الكريم ، الآيات (٦٧-٧٣) .

وَسَمِعْتَ الذِّئْبَ في جَوْزِ[1] الفَلا
وَسَمِعْتَ اللَّيْثَ في جَوفِ العرينْ
أ خَطِيبٌ أَنْتَ أَمْ خَطْبٌ ؟ وَإِنْ
لَمْ تَهُنْ والخَطْبُ أَحْيانًا يَهُونْ

منازل (صائحًا) :

بِشْـرُ

بشر :

قِـفْ !

منازل :

ما لَكَ يا بِشْرُ ولي ؟
إنَّ حَرْبَ الأَهْلِ والصَّحْبِ جُنُونْ

بشر :

لِمْ إِذَنْ حارَبْتَ قَيْسًا لَمْ تَصُنْ
حُرْمَةَ ابْنِ العَمِّ أَوْ حَقَّ الخَدينْ ؟ [2]

منازل :

قُلْتَ بِشْرُ الحَقَّ

بشر :

خَلِّ الحَقَّ ، ما
أَنْتَ وَاللهِ عَلى الحَقِّ أَمينْ
إنَّما أَنْتَ لِقَيْسٍ حاسِدٌ
مُنْطَوِي الصَّدْرِ عَلى الحِقْدِ المَهينْ
كُلَّما حَدَّثْتَ عَنْهُ عامِرًا
قَرَأَتْ في وَجْهِكَ الدَّاءَ الدَّفينْ
تُرْسِلُ الزَّفْرَةَ تَتْلو أُخْتَها
وَتَفُشُّ الصَّدْرَ مِنْ حِينٍ لِحِينْ
يا مُنازِ يا بْنَ عَمِّي أَصْغِ لي
أَنْتَ دُونٌ ، أَنْتَ دُونٌ ، أَنْتَ دُونْ !

منازل :

دَعوني

بشر (من المنبر) :

دَعوني فَلا بُدَّ لي

رجل :

أناتَكَ

بشر :

لا بُدَّ أنْ أَقْتُلَهْ

منازل :

دَعوني

بشر :

دَعوني

رجل :

دَعوهُ اتْرُكُوهُ

آخر :

وَمَنْ كَتَّفَ النَّذْلَ أَوْ كَبَّلَهْ ؟

منازل :

دَعوني

رجل :

دَعوهُ

آخر :

كِلا البَطَلَيْنِ
يَقُولُ الوَعيدَ وَلَنْ يَفْعَلَهْ

بشر :

دَعوني

رجل :

تَقَدَّمْ

منازل :

دَعوني

رجل :

انْطَلِقْ

بشر :

دَعونيَ

---

(١) جوز الفلا : وسط الفلا . (٢) الخدين : الصديق .

رجل :

جِئْــهُ

منازل :

دَعونــي

رجل :

امْشِ لَهْ

آخر :

تَنَحَّوْا وَخَلُّوا سَبيلَيْهِمـــا
وَلا تَخْشَوُا الوَقْعَةَ المُقْبِلَهْ

بشر :

مُنازِلُ في عَقْلِهِ كامِــلٌ

منازل :

وَعَقْلُكَ يا بَشْرُ ما أكْمَلَهْ !

بشر :

أ تَنْزو عَلى الحَيِّ نَزْوَ الدُّيوكِ
وَتَقْفِزُ كالأكْبُشِ المُرْسَلَهْ ؟
وَتَفْلِقُ رَأْســي كَرُمّانــةٍ
وَأفْلِقُ رَأْسَكَ كَالحَنْظَلَهْ ؟
فَماذا يَرُدُّ عَلَيْكَ العَويلُ
وَماذا انْتِفاعِيَ بِالوَلْوَلَهْ ؟

زياد :

مُنازِلُ كُنْتَ كَثيرَ الكَلامِ
وَ وَاللهِ ما قُلْتَ إلّا الكَذِبْ

صوت :

أ تَزْعُمُهُ كاذِبًا يــا زِيــادُ
وَقَدْ ذادَ عَنْ حُرُماتِ العَرَبْ ؟

زياد :

رُوَيْدَكَ لا تَنْخَدِعْ يا فَتى
وَلا تَأْخُذِ الأمْرَ دُونَ السَّبَبْ
فَلَمْ يَبْغِ إلّا خِداعَ الجُموعِ
وَجَلْبَ الظُّنونِ وَخَلْقَ الرِّيَبْ
وَأثَّرَ فيكُمْ وَفي آخَرينَ
وَأفْرَغَ فيكُمْ سُمُومَ الرُّقُبْ (١)

صوت :

مُنازِلُ دافَعَ عَنْ سُنَّــةٍ
مُعَظَّمَةٍ مِــنْ قَديـمِ الحِقَبْ

زياد :

تَأمَّلْ مُنازِلُ سُخْطَ الجُموعِ
وَجَهْلَكَ ماذا عَلَيْهِمْ جَلَبْ !
أجَلْ قَدْ غَضِبْتَ وَلكِنَّما
لِنَفْسِكَ لَيْسَ لِلَيْلى الغَضَبْ
تَحُضُّ على قَتْلِ قَيْسِ الرِّجالَ
لِتَحْظَى بِلَيْلى إذا ما ذَهَبْ

أصوات :

يُريدُ لِيَحْظَى بِلَيْلى ؟

زياد :

نَعَــمْ !

صوت :

تَكَلَّــمْ

صوت آخر :

أبِــنْ

ثالث :

إنَّ هَذا عَجَبْ !

زياد :

سَلُوهُ أ لَمْ يَكُ يَغْشَى النَّدِيَّ
وَيَطْلُبُ لَيْلى أشَدَّ الطَّلَبْ ؟

صوت يخاطب المهدي :

إذَنْ كانَ يَخْطُبُ لَيْلى ؟

المهدي :

نَعَمْ !

---

(١) الرُّقُب : جمع رقيب ، وهي الحية الخبيثة .

صوت :

إذَنْ قَدْ تَجَنّى

صوت آخر :

إذَنْ قَدْ كَذَبْ !

زياد :

مُنازِلُ قُلْ لَهُمْ كَمْ ضَرَعْـ

ـتَ لِلَيْلى وَكَمْ أعْرَضَتْ لم تُجِبْ

صوت :

مُنازِلُ اخْدَعْ وَغُشَّ غَيْري

آخر :

قَدْ جازَ إلّا عَلَيَّ كِذْبُكْ !

ثالث :

ما أنْتَ إلّا جَوٍ شَقِيٌّ

تُحِبُّ لَيْلى وَلا تُحِبُّكْ !

(تحدثُ ضجّةٌ حول مُنازل ويقف ثلاثةُ رجال في ركن قصيٍّ من أركان المسرح يتحدّثون)

الأوّل :

قَدِ اخْتَلَفَ الحَيُّ في أمْرِ قَيْسٍ

وَلَيْلى فَكُلٌّ لَهُ مَذْهَبُ

وأنْتَ إلى أيِّ رَأْيٍ تَميلُ ؟

وَأيَّ الفَريقَيْنِ تَسْتَصْوِبُ ؟

الثاني :

إذا صَدَقَتْ نَظْرَتي في الأمور

وَلي نَظْرَةٌ قَلّما تَكْذِبُ

مُنازِلُ غـادٍ علـى خَيْبَـةٍ

وَقَيْسٌ عَلى فَضْلِهِ أخْيَبُ

وَقَدْ يُخفِقانِ وَيَلْقى النَّجاحَ

غَريبٌ لـهُ فيكُمْ مـأرَبُ

الأوّل :

غَريبٌ !

الثاني :

أجَلْ مِنْ نواحي ثَقيفٍ

الأوّل :

وَمَنْ ذاكَ ؟

الثاني :

وَرْدٌ

الأوّل :

وما يَطْلُبُ ؟

الثالث :

رَأيْناهُ في الحَيِّ يَمْشي الحَياءَ

وَقيلَ أتى عامِـراً يَخْطُـبُ

الأوّل :

وَلَيْلى ابْنَةُ الشَّيْخِ ما رَأْيُها ؟

أ ما مِنْ حِسابٍ لَها يُحسَبُ ؟

الثاني :

أراها وَإنْ لَم تَخَطَّ الشَّبابَ

عَجوزاً عَلى الرَّأْيِ لا تُغْلَبُ

تَصُونُ القَديمَ ، وَتَرْعَى الرَّميمَ [1]

وَتُعْطِي التَّقاليدَ ما تُوجِبُ

وَبِالجاهِلِيَّـةِ إعْجابُهـا

إذا قَلَّ بِالسَّلَفِ المُعْجَبُ

وَمِنْ سُنَّةِ البيدِ نَفْضُ الأكُفِّ

مِـنَ العاشِقينَ إذا شَبَّبـوا

فَلا تَعْجَبوا إنْ جَرى حـادِثٌ

يُحَدِّثُ عَنْـهُ ، وَيُسْتَغْـرَبُ

وَإنْ رَضِيَتْ وَرْدَ بَعْـلاً لهـا

وَقَيْسُ الأحَبُّ لَها الأقْرَبُ

فَيـا طالَمـا التَمَسَتْ مَهْرَبـاً

وَأرْضُ ثَقيفٍ هِيَ المَهْـرَبُ

---

(١) الرَّميم : البالي .

منازل :

بَني عامرٍ لا تُضيعُوا الحُلومَ [(١)]
فَإِنَّ الأناةَ بِكُمْ أجْمَـــلُ
هَبُوا لِيَ آذانَكُمْ ، إنَّنـــي
أجِدُّ ، وَصاحِبُكُمْ يَهْـــزِلُ
خَطَبْتُ ، وَأخْطُبُ لَيْلى غَداً
وَما لِيَ يا قَوْمُ لا أفْعَلُ ؟
وَقَدْ تُعْرِضُ اليَوْمَ لَيْلى فَلا
أضيقُ ، عَسَى في غَدٍ تُقْبِلُ
فَما قَيْسُ أجْدَرَ مِنّي بها
وَلا هُـوَ خَيْرٌ وَلا أفْضَـــلُ

زياد :

إلَيْكَ مُنـــازِلُ ! لا تَتَّـــزِنْ
بِقَيْسٍ ، قَدِ اخْتَلَفَ المَنْزِلُ !
وَلا يَسْتَوي الشّاعِرُ العَبْقَرِيُّ
وَمَنْ هُوَ مِنْ باقِلٍ [(٢)] أبْقَلُ !

منازل :

وَما أنْتَ ؟ بَيِّنْ لنا يا زيادُ

زياد (ممسكاً بذراع مُنازل) :

سَتَعْلَمُ مِنِّيَ مـــا تَجْهَـــلُ
هَلُمَّ مُنازِ ، هَلُمَّ الصِّراعْ !
وَ وَدِّعْ ضُلُوعَكَ ، وَانْعَ الذِّراعْ

منازل :

خَلِّ زِيادُ ، خَلِّ عَنْ ذِراعي

زياد :

سَأَلْتَ ما أنْتَ ؟ فَأَصْغِ ، راعِ
إنّي أنا مُمَزِّقُ الأضْلاعِ !

(ثمَّ يجرُّه من ذِراعهِ ويَمْضي به إلى خارجِ المسرَحِ)

صوت :

ماذا يَكونُ يا تُرَى ؟

آخر :

هَيّوْا نـرى هَيّوْا نَـرَى

آخر (وهم يتدافعون) :

زِيادُ غَيْـرُ هـازِلِ

آخر :

نُوحـوا عَلـى مُنازِلِ

آخر :

حَمامَـةٌ وَبــازِي !

آخر :

هَلَكْتَ يـا مُنــازِ !

آخر (من بعيد) :

اُهْـرُبْ مِـنَ البِـرازِ

(يخلو المسرحُ الآنَ إلا من المهدي وابن عوف ونُصيب ، ثم تُسمع صرخةٌ من وراءِ الشَّجر)

المهدي :

ما بِقَيْسٍ يا بْنَ عَوْفٍ ؟

ابن عوف :

إنَّـهُ مُغْمًى عَلَيْـــهِ

المهدي :

قَيْسُ ، لا بَأْسَ عَلَيْكَ
كَبِّروا فـي أُذُنَيْـــهِ

(صوت من وراء الشجر) :

اللهُ أكْبَرْ اللهُ أكْبَرْ

ابن عوف (لنفسه) :

سُدًى كَبَّروا ما أُذْنُ قَيْسٍ مُفيقَةً
وَإنْ سَكَبوا فيها أذانَ بِلالِ
وَلكِنْ عَلى لَيْلى يُفيقُ وَشِبْهِها
إذا ما بَدَتْ لَيْلى بِشَكْلِ غَزالِ

---

(١) الحلوم : جمع حِلْم ، وهو العقل .

(٢) باقل : رجل من بني ربيعة ، يُضرب به المثل في العِيِّ . يقال : « أعيا من باقل » .

وَيَصْحُو عَلَى لَيْلى إذا رُدِّدَ اسْمُها
وَراءَ بُيوتٍ أَوْ وَراءَ رِجالِ

المهدي :

دَمُ الوُدِّ والقُرْبَى وإنْ كانَ ظالِماً
عَزيزٌ عَلَيْنا أنْ نَراهُ يَسيلُ
وَإنّي لإنْسانٌ وَإنّي لِوالِـدٌ
وَلِيَ مَذْهَبٌ في الوالِدينَ جَميلُ
فَرِفْقاً بِقَيْسٍ يا أميرُ ، وَنَحِّهِ
بَعيداً ، لَعَلَّ الشَرَّ عَنْهُ يَزولُ

ابن عوف :

أناةً أبا لَيْلى وَحِلْماً وَلا يَكُنْ
عَلَيْكَ لِطُغْيانِ الظُّنونِ سَبيلُ
رَدَدْتُمْ رِكابي ، وَاتَّهَمْتُمْ زِيارَتي
وَأَجْلَبَ (١) فِتْيانٌ ، وَضَجَّ كُهولُ
تَأَمَّلْ تَجِدْ جَمْعاً مَغيظاً ، وَكَثْرَةً
تَصُولُ ، وَما تَدْري عَلامَ تَصولُ
رُءوسٌ تَنَزَّى (٢) الشَّرُّ فيها ، وَراءَها
نُفُوسُ ذِئابٍ ، ما لَهُنَّ عُقولُ
تَطَلَّبُ أنْ يُلْقَى إلَيْها بِجُثَّةٍ
عَلى غَيْرِ جُوعٍ ، أوْ يُساقَ قَتيلُ
نَواظِرُ ما يَأْتي بِهِ اليَوْمُ مِنْ دَمٍ
وَإنْ لَمْ يُساوِرْها (٣) صَدًى وَغَليلُ
نَزَلْتُ فَلَمْ أُكْرَمْ ، فَهَلْ أَنْتَ مُتْبِعي
وَقَوْمُكَ نارَ الطَّرْدِ (٤) حينَ أميلُ ؟
أَبَيْتُمْ عَلَيَّ القَوْلَ قَبْلَ اسْتِماعِهِ
فَلَمْ تُنْصِفُوا ، والمُنْصِفونَ قَليلُ

فَهَلْ لي أبا لَيْلى بِناديكَ وَقْفَةٌ
فَإنَّ الَّذي قَدْ جِئْتُ فيهِ جَليلُ ؟
وَما أنا مَرْءُ السُّوءِ أوْ رَجُلُ الأذَى
وَلَكِنْ سَفيرٌ خَيِّرٌ وَرَسولُ
وَلَمْ أَتَّخِذْ جاهَ الأُمورِ ذَريعَةً
ألا إنَّما جاهُ الأُمورِ يَزولُ

المهدي :

بَقِيتُمْ بِخَيْرٍ يا وُلاةَ أُمَيَّةٍ
وَلا زالَ يَقْوَى رُكْنُكُمْ وَيَطولُ

(مشيراً إلى باب الخباء) :

هُنا مَجْلِسٌ نَأْوي إلَيْهِ لَعَلَّني
أَقُولُ صَواباً أوْ عَساكَ تَقولُ
وَثَمَّ تَرى لَيْلى وَتَسْمَعُ قَوْلَها
وَلَيْلى لَها رَأْيٌ يُساقُ جَميلُ
فَسَلْها عَسَى أنْ نَهْتَدي ما جَوابُها
إباءٌ وَرَدٌّ أوْ رِضًى وَقَبولُ ؟

(يهم ابن عوف بِخَلع نَعليْه)

المهدي :

أ تَخْلَعُ نَعْلَيْكَ ؟ لا يا بْنَ عَوْفٍ
نَشَدْتُكَ بِاللهِ لا تَفْعَلِ
أ تَمْشي إلى مَنْزِلي حافِيًا
فَدَيْتُكَ ، مَنْ أنا ؟ ما مَنْزِلي ؟

ابن عوف :

خَلَعْتُهُما ، وانْتَعَلْتُ التُّرابَ
إلى خَيْمَةِ السَّيِّدِ المُفْضِلِ

نصيب (متدخلا) :

دَعْهُ يا مَهْدِيُّ يَفْعَلْ
إنَّما يَرْمي لِمَعْنَى .
كالحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ
هُوَ بالعُشّاقِ يُعْنَى

---

(١) أجلبَ : اجتمع ، وتألّب .
(٢) تنزّى : ثار وتحرك .
(٣) ساوَر : خالط ، واثب ، صارَع .
(٤) نار الطرد : من عادة العرب إيقاد النار خلف الضيف الثقيل .

الحُسَيْنُ انْتَعَلَ الشُّرْ
بَ إلى وَالِدِ لُبْنَى
فَرَآهُ حافِيًا في
ساحَةِ الدَّارِ فَجُنَّا
قَالَ لا أَمْلِكُ يا بْنَ الْـ
ـمُصْطَفَى بِنْتًا وَلا ابْنَا
أَنْتَ في الدَّارِ أميرٌ
فِيما شِئْتَ فَمُرْنَا

لنفسه :

يا دَهْرُ دُرْ بِما تَشا
وَ يا حَوادِثُ اهْزِلي
وَيا وَظِيفَةُ اعْزُبي
وَيا جِرايَةُ ارْحَلي
يَبْغِي ابْنُ عَوْفٍ أَنْ يكو
نَ كالحُسَيْنِ بْنِ عَلي

(يدخلان وينادي المهدي) :

هُوَ الضَّيْفُ يا لَيْلَ ، هاتِ الرُّطَبْ
وَهاتِي الشِّواءَ ، وَهاتي الحَلَبْ
وَهاتي مِنَ الشَّهْدِ ما يُشْتَهى
وَمِنْ سَمْنَةِ الحَيِّ ما يُطْلَبْ
فَما هُوَ ضَيْفٌ كَكُلِّ الضُّيوفِ
وَلكِنْ أَميرٌ كَريمُ الحَسَبْ

ليلى (وراء حجاب) :

أبي أَلْفَ لَبَّيْكَ !

ابن عوف :

لا بَلْ قِفي
فما بي ظَماءٌ وَلا بي سَغَبْ [١]

وَأَعْلَمُ أَنَّ القِرى [٢] دِينُكُمْ
وَأَنَّ أَباكِ جَوادُ العَرَبْ
وَلكِنْ طَعامِيَ

المهدي :

ماذا ؟ اقْتَرِحْ

ابن عوف :

طَعامُ الرَّسولِ بُلوغُ الأَرَبْ [٣]

المهدي :

إذَنْ قِفي لَيْلى اقْرُبي

(تظهر ليلى من وراء الستر) :

تَقَدَّمِي وَرَحِّبي
حَلَّ ابْنُ عَوْفٍ دارَنا

ليلى :

أَكْرِمْ بِهِ وَأَحْبِبِ
قَدْ زارَنا الغَيْثُ فَأَهْـ
ـلاً بِالغَمامِ الصَّيِّبِ [٤]

ابن عوف :

أَهْلاً بِلَيْلى بِالجَما
لِ بِالحِجَى بِالأَدَبِ
عِشْتِ وَقَيْسًا فَلَقَدْ
نَوَّهْتُما بِالعَرَبِ

ليلى (بَيْنَ الخجلِ والغضب) :

أَ تَقْرِنُ قَيْسًا بِنا يا أَميرُ ؟

ابن عوف :

وَلِمْ لا ؟ وَقَدْ جِئْتُ مِنْ أَجْلِهِ
وَمَنْ أَنا حَتَّى أَضُمَّ القُلوبَ
وَأَعْطِفَ شَكْلاً عَلى شَكْلِهِ
لَقَدْ جَمَعَ الحُبُّ رُوحَيْكُما
وَما زالَ يَجْمَعُ في حَبْلِهِ

(١) السغب : الجوع مع التعب .

(٢) القِرى : ما يُقدم إلى الضيف . (٣) الأَرَب : البُغية والأمنية .
(٤) الصَّيِّب : المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي .

ليلى (في استحياء) :

أجَلْ يا أميرُ عَرَفْتُ الهَوى

ابن عوف :

فَهَلا عَطَفْتِ عَلى أهْلِـه ؟

(يلتفت إلى المهدي) :

أبا العامِريَّةِ قَلْبُ الفَتـاةِ

يَقـولُ ، وَيَنْطِقُ عَنْ نُبْلِـهِ

فَأصْغِ لَهُ ، وَتَرَفَّقْ بِـهِ

وَلا يَسْعَ ظُلْمُكَ في قَتْلِهِ

المهدي :

أ أظْلِمُ لَيْلى ؟ مَعاذَ الحَنانِ !

مَتى جارَ شَيْخٌ عَلى طِفْلِهِ ؟

هُوَ الحُكْمُ يا لَيْلَ ما تَحْكُمينَ

خُذِي في الخِطابِ وَفي فَصْلِهِ

ليلى :

أ قَيْساً تُريدُ ؟

ابن عوف :

نَعَـمْ !

ليلى :

إنَّـهُ

مُنَى القَلْبِ أوْ مُنْتَهَى شُغْلِهِ

وَلكِنْ أ تَرْضَى حِجابي يُزالُ

وَتَمْشي الظُّنونُ على سِدْلِهِ [1]

وَيَمْشي أبي ؛ فَيَغُضُّ الجَبينَ

وَيَنْظُرُ في الأرْضِ مِن ذُلِّـهِ

يُداري لأجْلي فُضولَ [2] الشُّيوخِ

وَيَقْتُلُني الغَمُّ مِنْ أجْلِـهِ ؟

يَميناً لَقيتُ الأمَرَّيْـنِ مِـنْ

حَماقَةِ قَيْسٍ ، وَمِـنْ جَهْلِـهِ

فُضِحْتُ به في شِعابِ الحِجازِ

وَفي حَزْنِ [3] نَجْدٍ وَفي سَهْلِهِ

فَخَلِّ قَيْسَ يا سَيِّدي في حِماكَ

(في حَياءٍ وإباءٍ) :

وَألْقِ الأمانَ عَلى رَحْلِهِ

وَلا يَفْتَكِرْ ساعَةً بِالزَّواجِ

وَلَوْ كانَ مَرْوانُ مِنْ رُسْلِهِ

ابن عوف :

إذَنْ لَنْ تَقْبَلي قَيْسـا

وَلَنْ تَرْضَيْ بِـهِ بَعْلا

إذَنْ أخْفَقَ مَسْعـايَ

وَخابَ القَصْدُ يـا لَيْلَى

ليلى :

عَلـى أنَّـكَ مَشْكُـورٌ

وَلا أنْسَى لَـكَ الفَضْلا

وَأوصيكَ بِقَيْسِ الخَيْـ

ـرَ ، لا زِلْتَ لَهُ أهْلا

لَقَـدْ يَعْـوِزُهُ حـامٍ

فَكُنْـهُ أيُّهـا المَوْلَـى

(تلتفت إلى أبيها وكأنما تحاولُ أن تحبسَ في عينيها دموعاً)

أبي كانَ وَرْدٌ ها هُنا مُنْذُ ساعَةٍ

فَفيمَ أتَى ؟ ما يَبْتَغي ؟

المهدي :

جاء يَخْطُبُ

ابن عوف :

وَمَنْ وَرْدٌ يا لَيْلى وَهَلْ تَعْرِفينَهُ ؟

ليلى :

فَتًى مِنْ ثَقيفٍ خالِصُ القَلْبِ طَيِّبُ

أتى خاطِباً بَعْدَ افْتِضاحي بِغَيْرِهِ

وَعاري ، أ هذا يا بْنَ عَوْفٍ يُخَيَّبُ ؟

---

(١) السِّدْل : السِّتْر .

(٢) الفضول : ما لا فائدة فيه ، أو اشتغال المرء بما لا يعنيه .

(٣) الحَزْن : ما غَلُظ من الأرض خلاف السهل .

أبي ، أَيْنَ وَرْدٌ الآنَ ؟

المهدي :

عِنْدَ قَرابَـــةٍ

مِنَ الحَيِّ ضَمُّوهُ إِلَيْهِمْ وَرَحَّبُوا

فَإِنْ شِئْتِ أَرْسَلْنا إِلَيْهِ

ليلى :

اِبْعَثِ ادْعُهُ

وَجِئْنا بِقاضي نَجْدِ اليَوْمَ يَكْتُبُ

ابن عوف :

تَجاوَزْتِ لَيْلى غايَةَ السُّخْطِ فاذْكُري

عَواقِبَ رَأْيٍ قَدْ رَأَيْتِ سَخيفِ

ليلى (متهكمة) :

أَ كُنْتَ ابْنَ عَوْفٍ غَيْرَ أُنْثَى ضَعيفَةٍ

تَناهَتْ لِرَأْيٍ في الأمورِ ضَعيفِ ؟

ابن عوف :

أرى وَقْفَتي يا لَيْلَ كانَتْ شَريفَـــةً

وَلَكِنْ جَزائي كانَ غَيْرَ شَريـفِ

ليلى :

أَنَظِّفُ ثَوْبي يا أَميرُ ، فَطالَما

ظَهَرْتُ بِهِ في الحَيِّ غَيْرَ نَظيفِ

ابن عوف :

لَئِنْ كُنْتِ يا لَيْلى بِوَرْدٍ قَريرَةً (١)

فَإِنِّي عَلى قَيْسٍ لَجِدُّ أَسِيفِ (٢)

(ثم يخاطب أباها)

أَلانَ يَحفَظِ اللهُ يا سَيِّدَ الحِمَى

لَقَدْ طالَ لُبْثي عِنْدَكُمْ وَ وُقوفي

وَ وُفِّقْتِ يا لَيْلى

ليلى :

لَقَدْ كُنْتَ سَيِّدي

حَليفاً لِقَيْسٍ ، هَلْ تَكُونُ حَليفي ؟

ابن عوف :

سَأَلْتِ مُحالاً ، إِنَّما جِئْتُ خاطِباً

لِوَرْدِ القَوافي لا لِوَرْدِ ثَقيفِ !

(يخرجُ من باب الخباء ويُشيِّعه المهديّ إلى ما وراء شجر البان)

ليلى :

رَبَّاهُ ماذا قُلْتُ ؟ ماذا كانَ مِنْ

شَأْنِ الأَميرِ الأَرْيَحِيِّ وَشاني ؟

في مَوْقِفٍ كانَ ابنُ عَوْفٍ مُحسِناً

فيـــهِ ، وكُنْتُ قَليلَةَ الإِحْسانِ

فَزَعَمْتُ قَيْساً نالَني بِمَســـاءَةٍ

وَرَمَى حِجابي ، أَوْ أَزالَ صِياني

وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنَّ قَيْساً قَدْ بَنى

مَجْدي ، وَقَيْسٌ لِلْمَكارِمِ بانـــي

لَوْلا قَصائِدُهُ الَّتي نَوَّهْنَ بـــي

في البيدِ ما عَلِمَ الزَّمانُ مَكاني

نَجْدٌ غَداً يُطْوَى ، وَيَفْنَى أَهْلُـــهُ

وَقَصيدُ قَيْسٍ فِيَّ لَيْسَ بِفاني

ما لي غَضِبْتُ ، فَضاعَ أَمْرِي مِنْ يَدِي

وَالأَمْرُ يَخْرُجُ مِنْ يَدِ الغَضْبانِ

قالُوا انْظُري ما تَحْكُمينَ ، فَلَيْتَني

أَبْصَرْتُ رُشْدي ، أَوْ مَلَكْتُ عِناني (٣)

ما زِلْتُ أَهْذي بالوَساوِسِ ساعَـــةً

حَتَّى قَتَلْتُ اثْنَيْنِ بِالهَذَيـــانِ

وَكَأَنَّنـــي مَأْمُـــورَةٌ ، وَكَأَنَّمـــا

قَـــدْ كـانَ شَيْطانٌ يَقُودُ لِساني

قَدَّرْتُ أَشْيـــاءً ، وَقَـــدَّرَ غَيْرَهـــا

حَـظٌّ يَخُـطُّ مَصايِـــرَ الإِنْســـانِ

(ستار)

(١) قريرة : راضية . (٢) أسيف : حزين متألم .

(٣) العِنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة ، والمراد ملكت نفسي .

الفصل الرابع

المنظر الأول

(حولَ ديار بني ثقيفٍ ، في قَرية من قُرى الجن ، حيثُ اجتمعت طائفةٌ منهم للحفاوة بقيسٍ وَهو يَهيمُ على وجهه ضالا في الفلوات ، وَبينهم شابٌ منهم في شكل إنسيٍّ جميلِ الثياب يتردّى الحرير مِن فَرعِهِ إلى قدمه ، وعلى رأسه عِقالان من الحرير المُحلّى بالذهب ، هو الأمويُّ شيطانُ قيس – الجميعُ يُنشِدون ويَرقُصون)

نشيدُ الجنِّ :

هَذا الأَصيلُ كالذَّهَبْ
يَسيلُ بِالمَرأى العَجَبْ
عَلى الوِهادِ والكُثُبْ
الرَّقصُ يَبْعَثُ الطَّرَبْ
هَلُمَّ يا جِنَّ العَرَبْ
هَلُمَّ رَقصَةَ اللَّهَبْ
إذا مَشى عَلى الحَطَبْ
نَحنُ بَنو جَهَنَّما
نَغْلي كَما تَغْلِي دَما
نَثُورُ في الأَرْضِ كَما
ثارَ أَبونا في السَّما
نَحْنُ بَنُو الجَبَّارِ
العَلَمِ المَنارِ
إِبْليسَ بِكْرِ النَّارِ
يا عِزَّ مَنْ لَهُ انْتَمَى
نَحْنُ الرُّعُودُ القاصِفَهْ
نَحْنُ الرِّياحُ العاصِفَهْ
وَالظُّلُماتُ الزَّاحِفَهْ
عَرَمْرَمَا عَرَمْرَمَا [1]

لنا وَما لَنا صُوَرْ
نَرى وَنَسْمَعُ البَشَرْ
وَلا يَروْنَ مَنْ حَضَرْ
مِنَّا وَمَنْ تَكَلَّما
نَقُولُ حِينَ نَصْطَدِمْ
بِسادَةٍ أَوْ بِخَدَمْ
صَمَمْ صَمَمْ صَمَمْ صَمَمْ
عَمًى عَمًى عَمًى عَمَى

هبيد :

فِيمَ اجْتَمَعْنا ها هُنا ؟
يا عَضْرَفُوتُ ما الخَبَرْ ؟

عضرفوت :

لا أَدْرِ [2] ، تِلْكَ ضَجَّةٌ
حَضَرْتُها فِيمَنْ حَضَرْ
فَسَلْ أَخاكَ عَسَراً

هبيد :

ماذا هُناكَ يا عَسَرْ ؟

عسر :

نَحْنُ مَسوقونَ إِلى
ما لَيسَ نَدْري كَالبَقَرْ

الأموي :

بَني الجِنِّ في أَرْضِكُمْ عابِرٌ
مِنَ الإِنْسِ يَرْسُفُ [3] في ضُرِّه
فَغالُوا [4] بِهِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ
فَتَى نَبَهَ الشِّعْرِ مِنْ قَدْرِه

هبيد :

وَأَيْنَ تُرَى هُوَ ؟

---

(١) العرمرم : الكثير الشديد .

(٢) لا أدرِ .. : حذفت الياء من الفعل لاستقامة الوزن .

(٣) يرسُف : يمشي مشي المقيَّد .

(٤) غالوا به : بالغوا في الاحتفاء به .

آخر :

ماذا يكونُ ؟

الأموي :

وَماذا يَهمُّكَ مِـنْ أمْـرِهِ ؟
أ لَمْ تَعْلَموا أنَّ لي صاحِبًا
مِنَ الإنْسِ أحْكُمُ في شِعْرِهِ

هبيد :

أجَلْ أنْتَ تُوحي لَهُ ما يَقُولُ
وَتَقْذِفُ ما شِئْتَ في فِكْرِهِ

الأموي :

إذَنْ فاعْلَموا أنَّهُ عاشِقٌ
تَمَلَّأتِ (١) البِيـدُ مِـنْ ذِكْـرِهِ

عاصف :

وَأعْلَمُ أنَّ الهَوَى واحِدٌ
حَوَى المُسْتَهامِيْنِ (٢) في أسْرِهِ
وَأنَّ الّتي سَحَـرَتْ قَلْبَـهُ
مُدَلَّهَةُ القَلْبِ مِـنْ سِحْـرِهِ

الأموي :

وَإنّي لأكْفُلُ لَيْلَى له
وَأصْرِفُها عَـنْ هَـوَى غَيْـرِهِ
سَهِرْتُ عَلى طُهْرِ لَيْلى الزَّمانَ
وَلَمْ أغْمِضِ العَيْنَ عَنْ طُهْرِهِ
صَرَفْتُ عَنِ الحُبِّ حتّى الزَّواجَ
وَما قَدَّسَ اللّهُ مِـنْ سِـرِّهِ
وَلَوْ أنَّ عَيْني تَشُقُّ القُبُـورَ
سَهِرْتُ عَلى الحُبِّ في قَبْرِهِ

عضرفوت :

وَمَنْ يكونُ ؟

(١) تملأ : امتلأ . (٢) المستهام : المشغوف حبًا .

الأموي :

قَيْسُ

عضرفوت :

مَنْ قَيْسٌ ؟

عاصف :

وَهَلْ يَخْفَى القَمَـــرْ !
الشّاعِرُ الّذي سَحَرْ
والسّاحِرُ الّذي شَعَـــرْ
حَنْجَرَةٌ لَنا وَتَـــرْ
مِنْهـــا ، وَللإنْسِ وَتَـــرْ

هبيد :

وَما لَنا يا عَضْرَفُـــو
تُ وَلِفتْيانِ البَشَـــرْ ؟
وَما لَقِينا مِنْهُـــمُ
وَمِنْ أبِيهِمْ غَيْرَ شَـرّ ؟

عضرفوت :

بَني الجِنِّ ، اسْمَعوا أ بِكُمْ زُكامٌ ؟

جني :

وَلِـــمْ ؟

عضرفوت :

نَتَنَتْ لَعَمْرُكُمُ الجِواءُ (٣)

آخر :

وَما في الجَوِّ ؟

عضرفوت :

رِيــحٌ آدَمِـيٌّ
فَفِيهِ نَتانَةٌ وَلَهُ ذَكـاءُ (٤)
إذا البَشَرِيُّ مَرَّ عَلَيَّ يَوْمًا
فَقَدْ مَرّتْ عَلَيَّ الخُنْفُساءُ (٥)

(٣) الجواء : جمع جوّ ، وهو الفضاء بين السماء والأرض .
(٤) ذكاء : من ذكت الرائحة ؛ فاحت وانتشرت .
(٥) الخنفساء : (بفتح الفاء وضمها) يضرب بها المثل في نتانة الرائحة .

جني :

أجَلْ بِعَداوَةِ البَشَرِ ابْتُلينا
وَطالَ بِها التَّبرُّمُ وَالعَناءُ
مَضَى بِالكِبْرِ إِبْليسَ أبونا
وَكُلُّ تُراثِ آدَمَ كِبْريـــاءُ
يَعيبُ رِجالُهُمْ فَيُقالُ عِنْا
وَتَدْفِنُ عارَهــا فِينا النِّســاءُ
وَإِنْ عَجَزَ المُطَبِّبُ قالَ داءٌ
مِنَ الجِنِّيِّ لَيْسَ لَهُ دَواءُ
وَإِنْ فَقَزَتْ صِغارُهُمُ فَزَلَّتْ
فَمِنَّا مَعْشَرَ الجِنِّ البَـــلاءُ
وَخِفْنا مِنْ أذاهُمْ فاحْتَجَبْنا
فَما عَصَمَ الحِجابُ وَلا الخَفاءُ
وَكَمْ مُتَعَوِّذٍ بِاللهِ مِنّـــا
تَعوذُ الأرْضُ مِنْهُ وَالسَّمـــاءُ

عضرفوت :

وَقَدْ نَشْكو مِنَ النّاسِ التَّجَنّي
وَنَنْسَى مــا جَناهُ الأنْبِيـــاءُ

جني :

أرُسْلُ اللهِ أيْضاً مِنْ عِدانا ؟

عضرفوت :

أجَلْ هُمْ في عَداوَتِنا سَواءُ
بَنَى فَخْماً سُلَيْمانٌ وَضَخْماً
وَلَوْلا الجِنُّ ما نَهَضَ البِناءُ
بَنَيْنا تَدْمُرَ الكُبْرَى بِأَيْدٍ
فَهَلْ تَدْرونَ ما كانَ الجَزاءُ ؟

جني :

وَما كانَ الجَزاءُ ؟

آخرون :

أيـــنْ !

عضرفوت :

عَذابٌ وَسَجْنٌ ما لِمُدَّتِهِ انْقِضاءُ
فَتَحْتَ الماءِ

جني :

تَحْتَ الماءِ ؟

عضرفوت :

عـــانٍ(١)
عَلَيْهِ طَلاسِمٌ(٢) وَعَلَيْهِ ماءُ
وَفي جَوْفِ القَماقِمِ لَوْ عَلِمْتُمْ

آخرون :

وَماذا فــي القَماقِــمِ ؟

عضرفوت :

أبْرِيـــاءُ !

جني :

وَمَنْ ذا زَجَّهُمْ فيهــا ؟

عضرفوت :

أميــــرٌ
عَلَيْنا لا يُــرَدُّ لَــهُ قَضـــاءُ
نَبِيٌّ فَهْوَ عَدْلٌ حَيْثُ يَقْضِي
وَمَلْكٌ فَهْوَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ !

عاصف :

قَيْسُ يا قَوْمُ مِنْكُمُــو
لَيْسَ قَيْسٌ مِــنَ البَشَــرْ

جني :

قَيْسُ مِنّــا ، وَإِنَّمـــا
في بَني عامِــرٍ ظَهَــرْ

---

(١) العاني : الأسير .

(٢) الطلاسم : جمع طِلَسْم أو طِلِسْمّ وهو لفظ يوناني لكل ما هو مبهم غامض .

آخر :

إنّني قَـــدْ رَأَيْتُـــهُ
يَتفلّى (١) عَلـى الشَّجَـــرْ

ثالث :

وَسَمِعْناهُ قَــدْ عَـوَى
عَوّةَ الجِـنِّ وَاسْتَتَـــرْ

رابع :

أنـا – أيْضـا – رَأيْتُـهُ
رَكِبَ الظّبْيَ في السَّفَـرْ

عاصف (متطلّعًا) :

تَعالَوْا فانْظُروا

(يتطلّع الجميع حيثُ ينظر)

جني :

مـــاذا ؟

آخر :

عَجِيـــبٌ

عضرفوت :

نَرَى شَبَحًا يُدَحْرِجُـهُ الفَضـاءُ
أ قَيْسٌ ذا ؟

عاصف :

نَعَمْ هُــوَ فاسْتَعِدُّوا
فَقَدْ وَجَبَ التَّحَفُّزُ واللّقـــاءُ

هبيد (لجني آخر) :

تَأَمَّلْ قَيْسًا المُضْنَى تَجِدْهُ
مِنَ الذَّوَبانِ (٢) أصْبَحَ كالخَيالِ

الآخر :

لَقَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ أ ما تَراهُ
يُصَفِّقُ بِاليَمينِ وَبِالشِّمـــالِ ؟
وَقَدْ قَلَبَ الثِّيابَ عَلَيْهِ نَهْجًا
عَلى عاداتِهِمْ عِنْدَ الضَّلالِ

(يظهر قيسٌ فيلتفّون حوله ويُنشدون) :

سَلامٌ مَلِكَ الحُـــبِّ
وَسُلْطـــانَ المُحِبِّينـــــا
وَأَهْلاً وَعَلى الرَّحْبِ
لَقَـدْ شُـرِّفَ وادِينـــا
أتى الجِنُّ مِنَ الوادي
يُحَيُّونَـــــكَ بِالـــوَرْدِ
حَدا رَكْبَهُمُ الحادِي
إلى نَاديكَ مِـنْ بُعْـدِ

(يتلفّت قيسٌ ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال) :

رَبِّ إلى أيْنَ انْتَهَتْ بِيَ السُّرَى ؟
وَأيَّ وادٍ أنْزَلَتْني يا تُـــرَى ؟
عَسايَ في الشّامِ ، لَعَلّـي جُزْتُـهُ
أوْ أنا بِالطّائِفِ ، أوْ أيْنَ أنا ؟
وَهَذِهِ المُسُوخُ (٣) حَوْلـي جِنَّـةٌ
أمْ عَمَلُ الوَهْمِ وَتَهْوِيلُ الكَرَى (٤) ؟
لا ، أنا صاحٍ

(يتحسّسُ جسمه) :

هَذِهِ رِجْلي ، وَذِي
يَدِي ، وَتِلْكَ مُقْلَتي يَقْظَى تَرَى
وَلِمِ لا أومِنُ بِالجِـنِّ ، وَأنْ
تَكُونَ لِلْجِنَّةِ كالنّاسِ قُرَى ؟
لا أدَّعـي مَعْرِفَـةً بِعالَـــمٍ
ظاهِرُهُ أكْثَرُ مِنْهُ ما اخْتَفَى

(يمسحُ جبينَه ويعيدُ النّظر والتطلّع) :

تِلْكَ مِنَ الجِنِّ لَعَمْرِي شِرْذِمَةْ
وَهَـــذِهِ خَيْلُهُـــمُ المُسوَّمَـــةْ

(١) يتفلّى : يُنقي شعره ونحوه من القمل ونحوه .
(٢) الذوبان : الهزال .
(٣) المسوخ : جمع مِسخ ؛ المشوه الخلقة .
(٤) تهويل الكرى : ما يُفزّع به النائم من أحلام .

نَعامَةٌ كالفَرَسِ المُطَهَّمَهْ [1]
وأرْنَبٌ مُسَرَّجَـةٌ وَمُلْجَمَـهْ
وَقُنْفُذٌ وظَبْيَةٌ وشَيْهَمَهْ [2]
يا عَجَبًا كُلَّ العَجَبْ !
الجِنُّ مِنِّي عَـنْ كَثَـبْ
سُودٌ دِقاقٌ فـي العُيـو
نِ كالدُّخانِ فـي الحَطَبْ
يَخرُجُ مِـنْ أفواهِهـا
وَمِـنْ عُيونِهـا اللَّهَـبْ
مِنْ كُلِّ مَنْ جالَ بِقَر
نَيْـهِ و صـالَ بِالذَّنَـبْ

الجان :

نَبِيُّ الحُبِّ لا تَخْـشَ
أذَى أوْ شِـرَّةً مِنّـا
عَطَفْتَ الطَّيْرَ والوَحْشا
فَلِمْ لا تَعْطِفُ الجِنّـا ؟
وَ سَلْ حَسّانَ والأعْشَـى
وَشَيْطانَيْهِمـا عَنّـا

الأموي :

تَرَكْتُ وَرائِي الشّامَ لَمْ أنْتَفِعْ بِهِ
وَلا هُوَ مِنْ شَوْقِي القَديمِ شَفاني
وَعُدْتُ إلى نَجْدٍ أقاسِي صَبابَتي
وَ وَجْدِي كَأنِّيَ ما بَرِحْتُ مَكاني
تَرَكْتُكِ لَيْلى فانْفَجَرْتِ لَيالِيًا
مُؤَلَّفَةَ الأشْكالِ جِدَّ حِسـانِ
فَلَمْ يَخْلُ سَيْري مِنْكِ يَوْمًا وَلا السُّرَى
وَلَمْ يَخْلُ مِنْ تِمْثالِكِ القَمَرانِ

عَلى كُلِّ أرْضٍ مِنْ هَواكِ سَوارِحٌ
مَلأْنَ سَبيلي أوْ مَلَكْنَ عِناني
(وَأجْهَشْتُ لِلتَّوْبادِ حِينَ رَأيْتُهُ
وَكَبَّرَ لِلرَّحْمنِ حِينَ رَآني) [3]
(وَأذْرَيْتُ دَمْعَ العَيْنِ لـمَّا عَرَفْتُهُ
وَنادَى بِأعْلَى صَوْتِهِ فَدَعاني) [4]

(يدنو منه قيس ويتأمله)

قيس (لنفسه) :

يا وَيْحَ عَيْني ما تَرَى !
وَ وَيْحَ أذْني ما تَعي !
وَأيْنَ عَقْلي ؟ غابَ عَنْـ
ـني اليَوْمَ أوْ عَقْلي مَعي ؟
الشِّعْرُ لي مُـذْ قُلْتُـهُ
مِنْ شَفَتي لَمْ يُسْمَـعِ
مَنْ ذا الَّذي أوْحَى بِهِ
لِـذا الغُـلامِ المُدَّعـي ؟

(يقتربُ مِنَ الشّاب وَيأخذُ في انتقادِه) :

عِقـالانِ يَمانِيَّـا
نِ مِـنْ وَشْـيٍ وَعِقْيـانِ
يُضيئانِ كَلَمْحِ الشَّمْـ
ـسِ في جِلْـدَةِ ثُعْبـانِ
وَأيْنَ الشَّفَقُ الأحْـ
ـمَرُ مِنْ مِطْرَفِكَ القانـي ؟ [5]
وَقَدْ تَقْرُبُ في الرَّوْ
عَـةِ مِـنْ أمْلاكِ غَسّـانِ
وَقَدْ تَبْلُغُ في الشِّعْرِ
إلـى رِقَّـةِ حَسّـانِ

---

(١) المطهَّمة : المتناهية الحسن .
(٢) الشَّيهمة : حيوان من القوارض له شوك طويل ، من فصيلة القنافذ .
(٣) أجهش : همَّ بالبكاء . (٤) أذرى : أسال .
(٥) المُطرف القاني : رداء أو ثوب من الحرير الشديد الحمرة .

فَما شَأْنُكَ يا هَذا ؟

الأموي :

وَما يَعْنيكَ مِنْ شاني ؟

قيس :

أرى سارِقَ أشْعارٍ
جَريئًا ما لَهُ ثاني
فَقَدْ يُسْطى عَلى بَيْتٍ
وَقَدْ يُسرَقُ بَيْتانِ
ولا يَنْتَحِلُ الإنْسا
نُ أبْياتًا لإنْسانِ
وَما أنْشَدْتَ مِنْ شِعْرٍ
فَمِنْ صُنْعي وَإحْساني
وَلَمْ أهْتِفْ بِهِ بَعْدُ
وَلَمْ تَسْمَعْهُ أذْنانِ
فَمَنْ أنْتَ ؟ وَمِنْ أيْنَ
أتَتْ أذْنَيْكَ ألحاني ؟

الأموي :

أنا المُلْقي عَلَيْكَ الشِّعْـ
ـرَ مِن آنٍ إلى آنِ
أنا الهاجِسُ وَالشَّيْطا
نُ

قيس :

لا ، لا ، لَسْتَ شَيْطاني

(ثم يناجي نفسه) :

أجَلْ سَمِعْتُ بِاسْمِ شَيْـ
ـطاني وَلكِنْ لَمْ أرَهْ
أبـي وَأمّـي حَدَّثا
ني في اللّيالي خَبَرَهْ

(يعود إلى خطاب الأمويّ متردّدًا) :

أ لَسْتَ أنْتَ الأمَويَّ ؟

الأموي :

لا تَخَفْ ، أنْ تَذْكُرَهْ

قيس :

ما أنْتَ إلّا صُورَةٌ
في عَصَبي مُصَوَّرَهْ
أوْ عَبَثٌ لَوْ كانَ عَقْـ
ـلي حاضِرًا لأنْكَرَهْ

قيس (وهو يَنكتُ الأرضَ بِعودِه) :

وَيْحي أ قَيْسٌ واحِدٌ
أمْ نَحْنُ قَيْسانِ هُنَا ؟
وَأيُّنا الشّاعِرُ هَـ
ـذا الأمَويُّ أمْ أنا ؟
أم الّذي بي وَبِهِ
مِنْ عَبَثِ السِّحْرِ بِنا ؟
أمْ أنا مَجْنونٌ عَلـ
ـيَ حُبُّ لَيْلى قَدْ جَنَى ؟

الأموي :

قَيْسُ

قيس :

لَبَّيْكَ قَيْسُ

الأموي :

ما أنا قَيْسٌ

قيس :

مَنْ إذَنْ ؟

الأموي :

قُلْتُ إنّني شَيْطانُهْ

قيس :

قَيْسُ مِنْ آدمٍ فَما أنْتَ مِنْهُ

الأموي :

أنا مِنْ قَيْسِ عامِرٍ وِجْدانُهْ

قيس :

أنْتَ وِجْداني ؟ اسْتَعَذْتُ بِرَبّي
مِنْكَ

الأموي :

لا تَسْتَعِذْ بِهِ جَلَّ شَأْنُهْ !

هَكَذا شاءَ : كُلُّ شاعِرِ قَوْمٍ

عَبْقَرِيُّ اللِّسانِ نَحْنُ لِسانُهْ

قيس (مُشيحًا بوجهه ومطرقًا) :

يا عَجَبًا أَصْبَحَ بالْـ
ـجِنِّ لِساني يَعْمُرُ !

وَصِرْتُ يَنْهَى مارِدٌ
عَلى فَمِي وَيَأْمُرُ

ما لِلِساني لا يَطُو
لُ ؟ ما لَهُ لا يَقْصُرُ ؟

يا لَيْتَ شِعْري كَيْفَ لا
يَخْرُجُ مِنْهُ الشَّرَرُ ؟

الأموي (واضعًا يده على كتفِ قيسٍ) :

عَلامَ قَيْسُ فِيمَ أَنْـ
ـتَ مُطْرِقٌ مُفَكِّرُ ؟

في خَبَري ؟

قيس :

أَجَلْ ، وَما
صَدَقْتَ فيما تُخْبِرُ

لَيْسَ لِساني مارِدًا
إِنَّ لِساني بَشَرُ

الأموي :

قُلْ وَحْدَكَ الشِّعْرَ إِذَنْ !

قيس :

تَظُنُّني لا أَقْدِرُ ؟

الأموي :

جَرِّبْ إِذَنْ ، قُلْ أَرِنا
يا قَيْسُ ، كَيْفَ تَشْعُرُ !

قيس :

وما تُحِبُّ ؟

الأموي :

قَرْيَةُ الْـ
ـجِنِّ ، وَهَذا المَنْظَرُ

أَ لَيْسَ فيما أَنْتَ را
ءٍ قَيْسُ ما يُؤَثِّرُ ؟

قيس :

اِسْمَعْ إِذَنْ يا أَمَوِيُّ !

الأموي :

إِنَّني أَنْتَظِرُ

قيس :

وُجوهٌ تُصَوَّرُ ، وَفَضاءٌ يُزْهِرُ ، وَرِمالٌ في مَطارِحِ البَصَرِ تَزْخَرُ ! وَقَرْيَةٌ تَموجُ بِالجِنِّ كَأَنَّها عَبْقَرُ !

الأموي (ضاحكًا) :

قَهْ قَهْ ! تَعالَوْا واضْحَكُوا !

(تضحكُ جماعةٌ من الجنِّ)

قيس [في غضبٍ] :

قَهْ قَه .. أَ مِنِّي تَسْخَرُ ؟

الأموي :

ما هَكَذا يا شاعِرَ الْـ
ـبِيدِ البُيوتُ تُكْسَرُ

جني آخر :

إِنَّكَ لا تَنْظِمُ يا
قَيْسُ ، وَلَكِنْ تَنْثُرُ !

الأموي :

ما لَكَ قَيْسُ مُفْحَمًا [1]
هَذا لَعَمْري الحَصَرُ [2]

لا يُفْحَمُ الشّاعِرُ لَـ
ـكِنْ يُفْحَمُ الشُّوَيْعِرُ

---

(١) المفحَم : العاجز أمام الحجة . (٢) الحَصَر : العجز .

ما لكَ كالعُودِ الَّذي
أدْبَرَ عَنْهُ الوَتَرُ ؟
ما لِلْقوافي الآنِسا
تِ مِنْكَ - قَيْسُ - تَنْفُرُ ؟
كَيْفَ تَرَى لِسانَكَ الآنَ ؟

قيس :
عَلَيْهِ حَجَرٌ !
أَنْتَ عَلى مَشاعِري
وَشِعْرِيَ المُسَيْطِرُ !
إنْ غِبْتَ غابَ خاطِري
وَإنْ حَضَرْتَ يَحْضُرُ

الأموي :
الآنَ لا تُنْكِرُني
قَيْسُ ، وَكُنْتَ تُنْكِرُ !
عَجِبْتَ كَيْفَ تَخْتَفي الـ
ـجِنُّ وَكَيْفَ تَظْهَرُ ؟
يا قَيْسُ هَذا عالَمٌ
طينَتُهُ التَّجَبُّرُ
تَطْغَى عَلى رائِدِها
صَحْراؤُه وَتَغْمُرُ
وَغايَةُ المُمْعِنِ في
نِظامِهِ التَّحَيُّرُ
مَهْما عَلِمْتَ عَنْهُ فالَّـ
ـذي جَهِلْتَ أَكْثَرُ !

قيس :
يا أخا الجِنِّ لَئِنْ كُنْـ
ـتَ أخاً لي وَخَليلا
أنا في أَعْماءِ (١) أَرْضٍ
لا أرى فيها السَّبيلا

الأموي :
أَيْنَ تَبْغي قَيْسُ ؟

قيس :
لَيْلى

كُنْ إلى لَيْلى الدَّليلا

الأموي :
مِلْ يَميناً يا أبا المَهْـ
ـدِيِّ ثُمَّ امْشِ قَليلا
تَجِدِ المَنْزِلَ وَالما
ءَ الَّذي يَشْفي العَليلا

(ينطلق قيسٌ آخذاً يمينه مهرولا)

المنظر الثاني

(في حي بني ثقيف بالطائف حيثُ تُرى دارٌ وَرْدٍ على بُعدٍ قليل - وَرْدٌ مضطجع على الرمل ، وبجانبه يجلس رفيقٌ من رفاقه - يقترب قيسٌ من الخباء مناجياً نفسه)

قيس :
إنَّ قَلْبي لَمُخْبِري
أنَّ هاتيكَ دارُها
أنا بِالطّائِفِ الَّذي
قَرَّ فيهِ قَرارُها
في ثَقيفٍ تَنَقُّلي
وَثَقيفٌ دِيارُها
ما لِساقِي جَرَرْتُها
فَتَعايَى انْجِرارُها ؟
وَلِقَلْبي يَقولُ لي
قَدْ تَدانَى مَزارُها ؟
كَيْفَ لا أَهْتَدي لِلَيْـ
ـلَى وَفي القَلْبِ نارُها ؟
لَيْتَ لَيْلايَ نُبِّئَتْ
أنَّني اليَوْمَ جارُها

(١) أعماء الأرض : المجاهل التي لا أثر للعمارة فيها .

(يتبيّن ورداً وصاحبه)

عَجَبٌ ! هُدِيتُ الدّارَ بَعْدَ ضَلالَةٍ
ما كانَ شَيْطاني عَلَيَّ كَذُوبا
هَذِي مَنازِلُها وَذَلِكَ بَعْلُها
بَعَثَتْ إِلَيَّ دِيارُ لَيْلى الطِّيبا
هَذا غَرِيمي وَرْدٌ ، أَشْقَرُ[1] كاسْمِهِ
أَ تُراهُ أَلبِسَ جِلْدَهُ مَقْلُوبا ؟
ما بالُهُ افْتَرَشَ الأديمَ[2] كَأَنَّهُ
بَغْلٌ يُعَفِّرُ في التُّرابِ جُنُوبا ؟

رفيقُ ورد :

وَرْدُ ، أَرَى مِنَ المَدَى القَرِيبِ
شَخْصاً يَدِبُّ نَحْوَنا كالذِّيبِ
على خُطاهُ خَشْيَةُ المُرِيبِ[3]

ورد :

لِمْ لا تَقُولُ حَيْرَةُ الغَرِيبِ ؟
لَعَلَّهُ ابْنُ سَبِيلٍ
يَمُرُّ بِالحَيِّ مَرّا
إِنِّي أَراهُ سَقِيماً
يَجُرُّ ساقَيْهِ جَرّا

(ينهضُ من رقدته قلِقاً)

الرفيق :

عَرَفْتَ مَنْ هُوَ ؟

ورد :

قَيْسٌ بِهِ الغَرامُ أَضَرّا

الرفيق :

قَيْسٌ ؟

ورد :

أَجَلْ

الرفيق :

كَيْفَ أَفْضَى
إِلَيْكَ ؟ كَيْفَ تَجَرّا ؟

ورد :

دَعْني وَقَيْساً وَشَأْني
لَعَلَّ في الأَمْرِ سِرّا

(ينصرفُ الرجلُ ويتلاقى وردٌ وقيسٌ)

قيس :

أ هَذا أَنْتَ وَرْدُ بني ثَقِيفٍ ؟

ورد :

نَعَمْ ، والوَرْدُ يَنْبُتُ في رُباها

قيس :

وَلِمْ سُمِّيتَ وَرْداً ؟ لِمْ تُلَقَّبْ
بِقُلّامِ[4] العَشِيرَةِ أَوْ غَضاها[5] !

ورد (في سكون وحِلْم) :

وَما ضَرَّ الوُرُودَ وَما عَلَيْها
إِذا المَزْكُومُ لَمْ يَطْعَمْ شَذاها ؟

قيس :

(بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلى
قُبَيْلَ الصُّبحِ ، أَوْ قَبَّلْتَ فاها ؟)
(وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلى
رَفِيفَ الأُقْحُوانَةِ في نَداها ؟)

ورد (بعد فترة سكون) :

نَعَمْ وَلا يا قَيْسُ

قيس :

بَلْ لا بُدَّ مِنْ لا أَوْ نَعَمْ

---

(١) الأشقر : الذي أشرب بياضُه حمرة .
(٢) الأديم : سطح الأرض . (٣) المريب : الشاكُّ المسيء الظن .

(٤) القُلّام : نبت حامض أو مالح .
(٥) الغَضى : واحدته غضاة ، شجر خشبه أصلب الخشب ، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ .

ورد :

هَبْها نَعَمْ يا قَيْسُ ، هَلْ
مَعَ الحَلالِ مِنْ تُهَــمْ ؟
المَرْءُ لا يُسْأَلُ : هَــلْ
قَبَّلَ أَهْلَــهُ ؟ وَكَــمْ ؟
أَجَلْ لَقَــدْ قَبَّلْتُهـــا
مِنْ رَأْسِها إلى القَـــدَمْ

قيس (غاضباً) :

تِلْكَ لَعَمْري قُبْلَةُ الْـ
ـحُمَّى بَـلاءٌ وَسَقَــمْ
أَوْ قُبْلَةُ الذِّئْبِ إذا الذْ
ـذِئْبُ عَلى الشّاةِ جَثَـمْ

(يتراجع قليلاً وكأنما يحدّث نفسه) :

قَلْبي يَقُولُ لــي : لا
يا صِدْقَهُ فيمـا زَعَـمْ !

ورد :

إِذَنْ تعالَ قَيْسُ وَاسْـ
ـمَعْ فـي أناةٍ وَكَرَمْ
لا تَجْعَلَنَّ الغَضَبَ الْـ
ـجائِـرَ بَيْننا الحَكَـمْ
اِسْمَعْ حَدِيثي ، إِنَّــهُ
ما خَطَّ مِثْلَـهُ القَلَـمْ
وَسِرُّهُ لا الأَهْلُ يَدْ
رونَ بِـهِ وَلا الخَـدَمْ
أنا الَّذي ظَلَمْتُ قَيْـ
ـسُ ما أنا الَّذي ظَلَم
أَلِيَّةً (١) وَمـا عَلَـيْ
ـيَ لَكَ يا قَيْسُ قَسَمْ
كَمْ مَرَّتِ اللَّيْلَةُ بي
واللَّيْلَتانِ لَـمْ أَنَـمْ
مُنْذُ حَوَتْ دارِيَ لَيْـ
ـلى مـا خَلَوْتُ مِنْ نَدَمْ
كانَتْ إطافَتِي بِهـــا
كالوَثَنِـيِّ بِالصَّنَـــمْ
وَرُبَّما جِئْتُ فِـرا
شَها فَخانَتْني القَـدَمْ
كَأَنَّها لِيَ مَحْـرَمٌ
وَلَيْسَ بَيْنَنـا رَحِـمْ
شِعْرُكَ يا قَيْسُ جَنَى
عَلَيَّ هَـذا وَاجْتَـرَمْ
هَيَّبَهـا فامْتَنَعَـتْ
كَأَنَّها صَيْـدُ الحَـرَمْ
وَهَبْتُها لِلْحُبِّ وَالشْـ
ـشِعْرِ وَقَيْـسٍ وَالأَلَـمْ

قيس :

وَلَكِنْ تَعالَ سَرِيٌّ (٢) ثَقِيفٍ
أَبِنْ لِيَ ما لَمْ تُبَيِّنْ تَعالَ
تَقُولُ لَقِيتَ بِشِعْرِي الشَّقاءَ
وَجَرَّ عَلَيْكَ بَيانِي الوَبالا (٣)
لَقَدْ قُلْتَ قَوْلاً فَأَوْجَزْتَهُ
فَبِاللهِ إِلَّا شَرَحْتَ المَقالا

ورد :

إِذَنْ أَصْغِ قَيْسُ ،

قيس :

قُلِ الصِّدْقَ وَرْدُ

ورد :

وَهَلْ كانَ لي الصِّدْقُ إِلَّا خِلالا ؟

---

(١) الأَلِيَّة : اليمين .

(٢) السَّرِيّ : الشريف . (٣) الوبال : الشدة وسوء العاقبة .

فَلَوْلاكَ ما اخْتَرْتُ إلّا ثَقِيفًا

وَلَمْ أَلْقِ لِلْعامِرِيّاتِ بالا

ذَهَبْتُ بِشِعْرِكَ مُنْذُ الشَّبابِ

أُغَنّي القِصارَ وَأَرْوي الطِّوالا

أَرى بَيْنَ أَلْفاظِهِ ظِلَّ لَيْلى

وَأَلْمَحُ بَيْنَ القَوافي الخَيالا

فَلَمّا رُدِدْتَ وَقِيلَ القَصائِـ

ـدُ وَالعِشْقُ بَيْنَ المُحِبَّيْنِ حالا

خَرَجْتُ إلى حَيِّها خاطِبًا

وَلَمْ أَدَّخِرْ دُونَ مَسْعايَ مالا

بَنَيْتُ بِها فَتَهَيَّبْتُها

وَأَيُّ امْرِئٍ هابَ قَبْلي الحَلالا (١) ؟

فَشِعْرُكَ يا قَيْسُ أَصْلُ البَلاءِ

لَقِيتُ بِهِ وَبِلَيْلى الضَّلالا

كَساها جَمالاً فَعَلَّقْتُها

فَلَمّا الْتَقَيْنا كَساها جَلالا

إذا جِئْتُها لأنالَ الحُقُوقَ

نَهَتْني قَداسَتُها أَنْ أَنالا

أَمْسِكْ أَبا المَهْدِيِّ !

(يستحيلُ كلامه إلى همسٍ ، إذْ تبدو ليلى على بابِ الخِباء)

أُنْظُرْ هَذِهِ

لَيْلى عَلَيْنا طَلَعَتْ مِنَ الخِبا

(ثم ينادي بصوت متهدج) :

لَيْلى تَعالَيْ أَسْرِعي قَيْسٌ أَتى

لَيْلى هُناكِ ، مَنْ تُحِبِّينَ هُنا

قيس :

أَ مازِحٌ – يا وَرْدُ ، قُلْ لي – أَنْتَ أَمْ

تَسْخَرُ مِنّي أَمْ تُرى تَهزأ بِنا ؟

ورد :

بَلْ قُلْتُ جِدًّا ، لَمْ أَقُلْ مُهازِلاً

قيس (هامًّا بِالذَّهابِ إليها) :

إِذَنْ فَدَعْها لا تُجَشِّمْها (٢) الخُطا

ورد (وليلى تقترب) :

اِسْمَعْ أَبا المَهْدِيِّ هَمْسَ خَطْوِها

كَأَنَّهُ وَطْءُ الغَزالِ في الحَصا

دَعَوْتُ فاهْتَمَّتْ وَلَوْ لَمْ أَدْعُها

لَوَجَدَتْ ريحَكَ مِنْ أَقْصَى مَدى

قَيْسُ تَثَبَّتْ وَاسْتَعِدَّ ، هِيَ ذي

أَتَتْ ، فَلا يَذْهَبْ بِلُبِّكَ اللِّقا

الآنَ أَمْضِي لِسَبيلي ،

قيس :

بَلْ أَقِمْ

اِلْبَثْ أَعِنّي ، إِنَّني خُرْتُ قُوى

ورد :

قَيْسُ أَرى المَوْقِفَ لا يَجْمَعُنا

أَنْتَ حَبيبُ القَلْبِ ، وَالزَّوْجُ أَنا

يا لَكُما مِنّي ، وَيا لي مِنْكُما !

نَحْنُ الثَّلاثَةَ ارْتَطَمْنا بِالقَضا

(ينصرف وتقبل ليلى على قيس)

قيس :

لَيْلايَ ، لَيْلى القَلْبِ

ليلى :

قَيْسُ – ما لي ؟

دارَتْ بِيَ الأَرْضُ وَساءَ حالي !

قيس :

فِداكِ لَيْلى مُهْجَتي وَما لي

مِنَ السَّقامِ وَمِنَ الهُزالِ

---

(١) بَنى بها : دخل بها .

(٢) تجشّم الأمر : تكلفه على مشقة .

تعالَي ابكِي لي النّوى تعالي
ألْقي ذِراعَيْكِ على خيـالِ

(تصافحه بشوق)

ليلى :

أ حقٌّ حبيبَ القَلْبِ أنتَ بِجانِبي ؟
أ حُلْمٌ سَرَى أمْ نَحْنُ مُنْتَبِهانِ ؟
أ بَعْدَ تُرابِ المَهْدِ مِنْ أرْضِ عامِرٍ
بِأرْضِ ثَقيفٍ نَحْنُ مُغْتَرِبـانِ ؟

قيس :

حَنانَيْكِ لَيْلى ، ما لِخِلٍّ وَخِلِّهِ
مِنَ الأرْضِ إلّا حَيْثُ يَجْتَمِعانِ
فَكُلُّ بِلادٍ قَرَّبَتْ مِنْكِ مَنْزِلي
وَكُلُّ مَكانٍ أنْتِ فِيهِ مَكاني

ليلى :

فَما لي أرَى خَدَّيْكَ بالدَّمْعِ بُلَّلا
أ مِـنْ فَرَحٍ عَيْناكَ تَبْتَـدِرانِ (١) ؟

قيس :

فِداؤكِ لَيْلى الرُّوحُ مِنْ شَرِّ حادِثٍ
رَمـاكِ بِهـذا السُّقْمِ وَالذَّوَبـانِ

ليلى :

تَراني إذَنْ مَهْزولَةً قَيْسُ ؟ حَبَّذا
هُزالي وَمَنْ كانَ الهُزالَ كَساني

قيس :

هُوَ الفِكْرُ لَيلى ، فِيمَنِ الفِكْرُ ؟

ليلى :

في الّذي تَجَنَّى

قيس :

كَفاني ما لَقِيتُ كَفاني

ليلى :

أ أدرَكْتَ أنَّ السَّهْمَ يا قَيْسُ واحِدٌ
وَأنّا كِلَيْنا لِلْهَوَى هَدَفانِ ؟

كِلانا قَيْسُ مَذْبوحٌ
قَتِيـــلُ الأبِ وَالأمِّ
طَعينـــانِ بِسِكِّيــنٍ
مِـنَ العـادَةِ والوَهْـمِ
لَقَدْ زُوِّجْتُ مِمَّنْ لَـمْ
يَكُنْ ذَوْقِي وَلا طَعْمـي
وَمَنْ يَكْبُـرُ عَـنْ سِنِّي
وَمَنْ يَصْغُرُ عَـنْ عِلْمي
غَريـبٌ ، لا مِـنَ الحَـيِّ
وَلا مِـنْ وَلَدِ العَـمِّ
لا ثَرْوَتُــهُ تُرْبـــي (٢)
عَلى مالِ أبي الجَمِّ (٣)
فَنَحْنُ اليَوْمَ في بَيْـتٍ
عَلى ضِـدَّيْنِ مُنضَـمِّ
هُوَ السِّجْنُ ، وَقَدْ لا يَنْـ
ـطَوِي السِّجْنُ عَلى ظُلْمِ
هُوَ القَبْرُ ، حَوَى مَيْتَيْـ
ـنِ جارَيْنِ عَلـى الرَّغْمِ
شَتِيتَيْنِ ، وَإنْ لَمْ يَبْـ
ـعُدِ العَظْمُ مِـنَ العَظْمِ
فَـإنَّ القُـرْبَ بِالـرُّوحِ
وَلَيْسَ القُـرْبُ بِالجِسْـمِ

قيس :

تَعالَيْ نَعِشْ يا لَيْلَ في ظِلِّ قَفْرَةٍ
مِنَ البيدِ لَمْ تُنْقَلْ بِها قَدَمانِ

---

(١) تبتدر العين : تسيل دموعها .

(٢) تُربي : تزيد .
(٣) الجمّ : الكثير .

تعاليْ إلى وادٍ خَلِيٍّ ، وَجَدْوَلٍ
وَرَنّةِ عُصْفورٍ ، وأَيْكَةِ بانِ
تَعاليْ إلى ذِكْرى الصِّبا وَجُنونِهِ
وَأَحْلامِ عَيْشٍ مِنْ دَدٍ (١) وَأَمانِ
فَكَمْ قُبْلَةٍ يا لَيْلَ في مَيْعَةِ الصِّبا (٢)
وَقَبْلَ الهَوى لَيْسَتْ بِذاتِ مَعاني
أخَذْنا وأعْطَيْنا إذِ البَهْمُ (٣) تَرْتَعي
وَإذْ نَحْنُ خَلْفَ البَهْمِ مُسْتَتِرانِ
وَلَمْ نَكُ نَدْري يَوْمَ ذَلِكَ ما الهَوَى
وَلا ما يَعُودُ القَلْبَ مِنْ خَفَقانِ
مُنَى النَّفْسِ لَيْلى قَرِّبي فاكِ مِنْ فَمِي
كَما لَفَّ مِنْقارَيْهِما غَرِدانِ
نَذُقْ قُبْلَةً لا يَعْرِفُ البُؤْسَ بَعْدَها
وَلا السُّقْمَ رُوحانا ولا الجَسَدانِ
فَكُلُّ نَعيمٍ في الحَياةِ وَغِبْطَةٍ
عَلى شَفَتَيْنا حِينَ تَلْتَقِيانِ
وَيَخْفُقُ صَدْرانا خُفُوقاً كَأنَّما
مَعَ القَلْبِ قَلْبٌ في الجَوانِحِ ثاني

(تنفر ليلى)

ليلى :

وَكَيْفَ ؟

قيس :

وَلِمْ لا ؟

ليلى :

لَسْتَ يا قَيْسُ فاعِلاً
وَلا لي بِما تَدْعُو إلَيْهِ يَدانِ

قيس :

أَتَعْصِينَني يا لَيْلَ ؟

ليلى :

لَمْ أَعْصِ آمِرِي
وَلَكِنَّ صَوْتاً في الضَّمِيرِ نَهاني

وَ وَرْدُ يا قَيْسُ ؟ وَرْدٌ ما حَفَلْتَ بِهِ ؟
لَقَدْ ذَهَلْتَ (٤) فَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ شانا

قيس (غاضباً) :

تَعْنِينَ زَوْجَكِ يا لَيْلى ؟

ليلى (منكّسة رأسها) :

نَعَمْ !

قيس :

وَمَتى
أَحْبَبْتِ وَرْداً ؟ تُرَى أَحْبَبْتِهِ الآنا !

ليلى :

فِيمَ انْفِجارُكَ ؟

قيس :

مِنْ كَيْدٍ فُجِعْتُ بِهِ

ليلى :

إنّي أراكَ أبا المَهْدِيِّ غَيْرانا
وَرْدٌ هُوَ الزَّوْجُ ، فاعْلَمْ قَيْسُ أَنَّ لَهُ
حَقًّا عَلَيَّ ، أُؤَدِّيهِ وَسُلْطانا

قيس :

إذَنْ تَحابَبْتُما ؟

ليلى :

بَلْ أَنْتَ تَظْلِمُني
فَما أَحَبَّ سِواكَ القَلْبُ إنْسانا
وَلَسْتُ بارِحَةً مِنْ دارِهِ أَبَداً
حَتّى يُسَرِّحَني (٥) فَضْلاً وَإحْسانا

(١) الدَّد : اللهو واللعب . (٢) ميعة الصِّبا : أوّله .
(٣) البَهْم : جمع بَهمة ؛ أولاد الضأن والمعز .
(٤) حفَل : عُني وبالى . ذَهَلَ : غفل ونسي .
(٥) يسرّحني : يطلقني .

نَحْنُ – الحَرائرَ – إنْ مالَ الزَّمانُ بِنا
لَمْ نَشْكُ إلّا إلى الرَّحْمنِ بَلْوانا

قيس :

بَلْ تَذْهَبينَ مَعِي

ليلى :

لا ، لا أخُونُ لَهُ
عَهْدًا ، فَما حادَ عَنْ عَهْدي وَلا خانا
فَتًى كَنَبْعِ الصَّفا لَمْ يَخْتَلِفْ خُلُقًا
وَلا تَلَوَّنَ كالفِتْيانِ أَلْوانا

قيس (متهكمًا) :

أراكِ في حُبِّ وَرْدٍ جِدَّ صادِقَةٍ
وَكانَ حُبُّكِ لي زُورًا وَبُهْتانا

ليلى :

قَيْسُ

قيس (صارخًا) :

أتُرْكِيني بِلادُ اللهِ واسِعَةٌ
غَدًا أُبَدِّلُ أحْبابًا وَأوْطانا

(يحاول أن يتركها فتمسك به ليلى)

ليلى :

العَقْلَ يا قَيْسُ !

قيس :

لا خَلِّي الرِّداءَ دَعِي

(ثم يُفلت منها ويندفعُ إلى سبيله تاركًا إياها باكيةً في هيئةِ استعطافٍ)

ليلى :

وا رَحْمَتاهُ لِقَيْسٍ عادَ ما كانا !
واهًا لِقَيْسٍ ! وَآهٍ ما صَنَعا ؟
أكْثَرَ قَيْسٌ بَلْوايَ وَالوَجَعا

(تدخل عفراء)

عَفْراءُ عِنْدِي

عفراء :

لَبَّيْكِ سَيِّدَتي
الصَّبْرَ وَاسْتَدْفِعي بِهِ الجَزَعا

ليلى :

لَقَدْ سَمِعْتِ الحَدِيثَ ، كَيفَ إذَنْ
صَبْري عَلى ما جَرَى ، وَما وَقَعا ؟
قُلْتُ لِقَيْسٍ مَقالَ مُشْفِقَةٍ
لَمْ يُلْقِ بالاً لَهُ ، وَلا سَمِعا
وَقَيْسُ ذُو جِنَّةٍ ، وَإنْ زَعَمُوا
جُنونَهُ مُدَّعًى وَمُصْطَنَعا
تَحَيَّرَ النَّاسُ في جُنونِ فَتًى
لا عَقْلَ إلا بِشِعْرِهِ وَلِعا
وَاللهِ لَوْ جاءَ في مُحاسَنَةٍ
يَسْأَلُ وَرْدَ الطَّلاقَ ما مَنَعا
فَوَرْدُ يا عَفْرَ لا كِفاءَ [1] لَهُ
مُرُوءَةً في الرِّجالِ أوْ وَرَعا
آهٍ مِنَ السُّقْمِ !

عفراء :

أَلْفَ عافِيَةٍ

ليلى :

آهٍ مِنَ الحادِثاتِ !

عفراء :

أَلْفَ لَعًا [2]

ليلى :

أنا عُذْرِيَّةُ الهَوَى أحْمِلُ العِبْ
ءَ وَإنْ ناءَ بِالصَّبابَةِ جَهْدِي [3]
المُحِبَّاتُ ما بَكَيْنَ كَدَمْعِي
في اللَّيالي وَلا أرِقْنَ كَسُهْدِي

(١) لا كفاء له : لا مماثل له .
(٢) لعًا : صوت معناه الدعاء للعاثر أن يرتفع من عثرته .
(٣) الجهد : (بفتح الجيم وضمها) الوسع والطاقة .

وَيْحَ قَيْسٍ ، وَ وَيْحَ لي ، أيُّ ثأرٍ
لِلْمَقاديرِ عِنْدَ قَيْسٍ وَعِنْــدي ؟
أتْعَبَ الحَيَّ داءُ قَيْسٍ وَدائي
وَتَعايَى الدَّواءُ كُهَّانَ نَجْدِ
لا الحَواميمُ (١) تَصْرِفُ الجِنَّ عَنّا
حِينَ تُتْلى وَلا رُقَى السِّحْرِ تُجْدي
أ بِقَيْسٍ وَبي هَوًى عَبْقَرِيٌّ
يَسْلُبُ العَقْلَ مِنْ ذَوِيهِ وَيُرْدي ؟
عِلَّةُ البيــدِ مِــنْ قَديــمٍ ، وَداءٌ
ضاعَ فيهِ الرُّقى وَحــارَ المُفَدِّي
مــا سِلاحــاهُ حِيــنَ يَقْتَــلُ إلّا
مِنْ عَفافٍ وَمِــنْ وَفــاءٍ بِعَهْــدِ
لَمْ تُعَذَّبْ بِالحُبِّ عَذْراءُ قَبْلي
كَعَذابي وَلَنْ تُعَــذَّبَ بَعْــدي

عفراء :

هِيَ عَذْراءُ ؟ رَبِّيَ اشْهَدْ

ليلى :

أجَــــلْ عَــذْ
راءُ حَتَّى يَضُمَّني رُكْنُ لَحْدي

عفراء :

والّذي أنْتِ تَحْتَهُ ؟

ليلى :

تَحْــتَ بَعْــلٍ
غَيْرِ ذي جَفْوَةٍ وَلا مُسْتَبِــدُّ
راعَني اللَّوْمُ مِنْ جَميعِ النَّواحي
فَتَوارَيْتُ فــي مُــروءَةِ وَرْدِ

(يُقبل ورد وقد سَمع آخر ما كانت تقول)

ورد :

رَبِّ ماذا سَمِعْتُ ؟ ليلى شَكُورٌ
لَكِ نَفْسي الفِداءُ يا بِنْتَ مَهْدي

ليلى :

وَرْدُ

ورد :

لَيْلــى

ليلى :

رُحْمــاكَ وَرْدُ وَعَفْــواً
كُنْتُ أُخْفي الجَوَى فَأصْبَحْتُ أُبْدي

ورد :

ما بِلَيْلى ؟ ماذا أثارَكِ لَيْلــى ؟
هَدِّئــي رَوْعَكِ المُفَزَّعَ هَــدِّي

ليلى :

الدَّاءُ يا وَرْدُ فِــيَّ مُجْتَهِــدٌ
مُلْتَهِمٌ هَيْكَلي وَمــا شَبِعــا
أصْبَحْتُ لا أشْتَهي الطَّعامَ ، وَلا
يَحْمَدُ جَنْبي إلَيَّ مُضْطَجَعــا
قَلْبي مِنَ اليَأسِ – حِينَ حَلَّ بِهِ –
أحِسُّ يا وَرْدُ أنَّهُ انْصَدَعــا
لَمْ يَحْمِلِ اليَأسَ ساعَةً ، وَلَقَدْ
كانَ بِمــا حَمَّلوهُ مُضْطَلِعــا
المُتَمَنِّــي بِالعَيْــشِ مُنْتَفِــعٌ
وَلَنْ تَرَى يائِساً بِــهِ انْتَفَعــا
القَدَرُ اليَوْمَ وَالقَضــاءُ عَلَــى
حَرْبِكَ قَيْسُ وَحَرْبِيَ اجْتَمَعــا

(ستار)

---

(١) الحواميم : السور القرآنية المبدوءة بـ « حم » .

الفصل الخامس

(مقابرُ على سفح جبل التَّوباد في طريق عام على مقربة من حي بنى عامر ، يبدو من بينها قبرٌ جديد ما زال أشخاص من الحي يُهيلون عليه التراب ، ويضعون الأحجار . ومن حوله كثير من رجال الحي وفتيانه وصغاره . يُرى بينهم المهديُّ و وردٌ ، وكلهم باكٍ أو حزين ... يبدأ المُشيِّعون في الانصراف وهم يُعزّون المهدي ، ويصافحونه واحداً بعد واحد ، ويمرّون على ورد مروراً)

مُعَزٍّ :

إنّا لِلّهِ أبا لَيْلى

آخر :

صَبْرٌ أبا لَيْلى جَمِيلْ

(في أثناء انصرافهم يمرُّ رجل في الطريق فيسأل صبيًّا من صبيان الحي في ناحية)

المارُّ :

قَبْرُ مَنْ يا صَبِي ؟

الصبي :

قَبْرُهـا يـا أبـي

المار :

اِمْرَأَةٌ ؟

الصبي :

نَعَـمْ

المار :

وَمَـنْ تَكُونُ ؟

الصبي (مشيراً إلى المهديّ) :

بِنْتُ ذَا الرَّجُـلْ

لَيْلى ابْنَةُ المَهْدِي

أَ لَسْتَ مِنْ نَجْـدِ ؟

صبي آخر :

أَجَلْ قَدْ دُفِنَتْ لَيْلى

وَما جَفَّ لَها لَحْـدُ

وَذا الشَّيْخُ أبو لَيْلى

وَذا صاحِبُهـا وَرْدُ

هُنا الوالِدُ والـزَّوْج

المارّ :

وَقَيْسٌ ؟

الصبيّ :

لَمْ يَجِئْ بَعْدُ

(يقترب الرجل من المهدي فيعزيه)

المار :

مَهْدِيُّ أَجْمِلْ جَزَعا

معزٍّ :

يا أبا لَيْلى جَمالَكْ

آخر :

عَـزاءً أبـا لَيْلـى

آخر :

عَـزاءً أبـا لَيْلـى

آخر :

صَبْرٌ أبا لَيْلى جَمِيلْ

صديق من أصدقاء ورد (هامساً إليه) :

لَقَدْ أَحْسَنْتَ يا وَرْدُ

وَمـا لِلنّـاسِ إحْسـانُ

يُعَـزُّونَ أبـا لَيْلـى

وَمـا عَـزّاكَ إنسـانُ

بَلِ انْظُرْ تَرَهُمْ أَقْسَى

عَلَيْكَ اليَوْمَ ما كـانُوا

عَلَى الأَوْجُهِ بَغْضـاءٌ

وَفي الأَعْيُـنِ عُـدْوانُ

ورد :

مَهْلاً أخِي وَانْظُرْ إلى النْــ
ــناسِ بِعَيْــنٍ مُنصِــفِ
هُمْ يَأخُذُونَ مـا بَـدا
وَيتركُـونَ مـــا خَفــي
ظَنُّ الجَماعاتِ فِيَّ سَوْءٌ
وَرَأْيُهُمْ فِيَّ مـا أصابا
يَرَوْنَ أنّي عَدُوُّ قَيْسٍ
أخَذْتُ لَيْلى مِنْهُ اغْتِصابا
وَزِدْتُ نَفْسَيْهِمـا شَقاءً
وَزِدْتُ قَلْبَيْهِمـا عَذابـا
لِيَسْألِ النّاسُ قَبْرَ لَيْلى
فَإنّ فـي قَبْرِها الجَوابـا

(يلتفتُ إلى المهديّ بعد أن يعزيه آخِرُ مُعزٍّ) :

تَجمَّلْ أبا لَيْلى

المهدي (مصافحاً إياه) :

تَجمَّلْـــتُ (١) طاقَتِـــي
وَلَسْتُ بِخَـوّارٍ قَليــلِ التَّجَلُّــدِ
حَمَلْتُ فُضولَ النّاسِ يا وَرْدُ حِقْبَةً
إذا قُمْتُ مِنْ باغٍ عَثَرْتُ بِمُعْتَدِي
يَعِيثُونَ (٢) في عِرْضِي فَمِنْ كُلِّ مِعْوَلٍ
وَمِنْ كُلِّ مِقْراضٍ ، وَمِنْ كُلِّ مِبْرَدِ
وَهَـذا يُحَيِّينـي ، وَيَقْطَعُ فَرْوَتـي (٣)
وَهَذا يُفَدِّيني ، وَيَهْدِمُ سُؤْدَدي (٤)
وَ يا وَرْدُ لَوْ لَمْ تُرْخِ سِتْراً عَلى ابْنَتي
لَظَلَّتْ بِعِرْضٍ فِيَ البَوادي مُبَدَّدِ
حَفِظْتَ ابْنَتي حِفْظَ الشَّقيقِ ، ومَرَّضْتَ
بِبَيْتِكَ تَمْرِيضَ الصَّغيرِ المُمَهَّدِ
وَصَيَّرْتَ لَيْلى في حِماكَ وَخِدْرِها
كَعَذْراءِ دَيْرٍ ، أوْ كَدُمْيَةِ مَعْبَدِ
لَقَدْ صُنْتَها يا وَرْدُ ، فاذْهَبْ فَما أنا
بِناسٍ لَكَ المَعْروفَ أوْ جاحِدِ اليَدِ
وَلَيْلى فَتاةٌ حُـرَّةٌ بِنْتُ حُـرَّةٍ
أحَبَّتْ غُلاماً سَيِّداً وَابْنَ سَيِّدِ
وَأعْلَمُ أنّي كُنْتُ حَرْبَ هَواهُما
وَكُنْتُ مَعَ الواشِي وَعَوْنَ المُفَنِّدِ (٥)

(يلتفتُ إلى القبرِ باكياً)

ورد :

بِظِلِّ اللهِ يا لَيْلى
وَفي بُحْبوحَةِ الخُلْدِ
وَهَذا نَجْدُ يا لَيْلى
فَنامي في ثَرَى نَجْدِ

(يدخلُ دائرةَ المسرح من جانِب الطَّريق الآخر الغريضُ المُغنّي والشاعرُ ابنُ سعيد وأميةُ وسعدٌ)

الغريض :

دَنا الحَيُّ يا بْنَ سَعيدٍ ، وَثَمّ

ابن سعيد :

وَما ثَمّ ؟

الغريض :

أنْظُرْ يُجِبْكَ النَّظَرْ

ابن سعيد :

قُبورٌ ؟

الغريض :

أجَلْ عارَضَتْنا القُبورُ
وَعَمّا قَليلٍ نُجيزُ (٦) الحُفَرْ

---

(١) تَجمَّلَ : ظهر بما يجمُل . (٢) يعيث : يُفسد .

(٣) يقطع فروتي : الفروة : الجلدة ذات الشعر ، والقطع : الشقّ والتفريق ، فالجملة كناية عن ذكره بما يسوء .

(٤) السُّؤدد : المجد والشرف .

(٥) المفنِّد : الكاذب . (٦) نُجيز : نقطعها ونتعداها .

ابن سعيد :

وَهَلْ نَحْنُ إلّا على حُفْرَةٍ
هِيَ الأرْضُ ، أوْ هِيَ قَبْرُ البَشَرْ
مُحَجَّبَةٌ بِغُرورِ الحَياةِ
يَراها إذا غَرْغَرَ المُحْتَضَرْ
غريضُ ، بَصُرتُ بِقَبْرٍ جَديدٍ

الغريض :

وَماذا سِوَى المَوْتِ في ذَا العَفَرْ[1] ؟

ابن سعيد :

أخٌ كانَ يَمْلأُ أمْسِ الهَواءَ
وَيَحْيا الحَياةَ ، وَيَجْري العُمُرْ
نَزيلٌ لَعَمْري غَريبُ الغِطاءِ
غَريبُ الوِطاءِ[2] ، غَريبُ الحَجَرْ
لَدَى مَنْزِلٍ كَبُيوتِ الكِراءِ[3]
مِراراً خَلا ، ومِراراً عَمَرْ
يُزارُ كَثيراً ، فَدُونَ الكَثيرِ
فَغِبًّا[4] ، فَيُنْسَى كَأنْ لَمْ يُزَرْ
وَلَيْسَ بِنافِعِهِ الواصِلُونَ
وَلَيْسَ بِضائِرِهِ مَنْ هَجَرْ
فَيا مَيْتَ أمْسِ ، عَدَتْكَ الرِّياحُ
وَحَيَّاكَ فِي الفَتَراتِ المَطَرْ
وَأمْسِ كَعادٍ وَإنْ كانَ مِنْكَ
مُطيفَ الخَيالِ ، قَريبَ الصُّوَرْ
لَقَدْ نَفَضَ اللَّيْلُ مِنْكَ اليَدَيْنِ
وَأدْرَكَ فِيكَ النَّهارُ الوَطَرْ
وَأمْسَيْتَ تَحْتَ لِواءِ التُّرابِ
قَهَرْتَ القَضاءَ ، ودِنْتَ القَدَرْ
تَلَفَّتْ وَراءَكَ أيْنَ الغُرورُ ؟
وَأيْنَ السُّرورُ ؟ وَأيْنَ الأشَرْ ؟[5]
وَأيْنَ مَعالِمُ عُرْسِ الحَياةِ ؟
وَأيْنَ سَنا لَيْلِهِ المُزْدَهِرْ ؟
وَأيْنَ شَبابٌ كَحُلْمِ العَروسِ
ضَحُوكُ العَشِيّاتِ طَلْقُ البُكَرْ ؟
وَأيْنَ العَداواتُ مِنْ سافِرٍ
مُبينٍ وَمِنْ كاشِحٍ[6] مُسْتَتِرْ ؟
وَأيْنَ المَوَدّاتُ مِنْ صُحْبَةٍ
كَنَحْلٍ يَحُمْنَ وَأنْتَ الزَّهَرْ ؟
قَليلونَ عِنْدَ امْتِناعِ القِطافِ
كَثيرونَ عِنْدَ رَجاءِ الثَّمَرْ
وَكَمْ مَنْ سَقَيْتَ بِشَهْدِ الوِدادِ
فَلَمْ يَجْزِ إلا بِصابِ[7] الإبَرْ
فَذُقْ سِنَةً[8] لا كَكُلِّ السِّنَاتِ
وَنَمْ لَيْلَةً ما لَها مِنْ سَحَرْ
وَقُلْ لِلصَّديقِ : طَوَيْنا الحَديثَ
وَقُلْ لِلْعَدُوِّ : دَفَنّا الخَبَرْ
وَهَيِّئْ مَكانَيْهِما في التُّرابِ
فَإنَّ رِكابَهُما مُنْتَظَرْ

سعد :

أمَيَّةُ ، ماذا تَرى في الغَريضِ ؟

أمية :

وَماذا أرَى في أميرِ الطَّرَبْ ؟

سعد :

لَقَدْ عَلِمَ النّاسُ أنَّ الغَريضَ
مُغَنِّي الحِجازِ وَشادي العَرَبْ
وَلَكِنْ ... ...

أمية :

وَماذا وَراءَ « وَلَكِنْ »؟
فَمِنْ شَأْنِها أنْ تُثيرَ الرِّيَبْ

(١) العَفر : التراب . (٢) الوطاء : المهاد الوطيء .
(٣) بيوت الكِراء : التي تؤجَّر . (٤) غِبًّا : حيناً بعد حين .
(٥) الأشَر : المرح من أشِر يأشَر .
(٦) الكاشح : العدو المبغض . (٧) الصّاب : شجر له عصارة بالغة المرارة . (٨) السِّنة : النعاس ، وهو مبدأ النوم .

سعد :

أَميّ اخْفِضِ الصَّوْتَ لا يَسْمَعنْ
فَيَغْضَبَ فَهْوَ قَريبُ الغَضَبْ
وَأُذْنُ المُغَنِّي تُحِسُّ النَّسِيمَ
وتَسْمَعُ في الكَأسِ جَرْسَ الحَبَبْ (١)
أَمَيَّةُ إِنّي أَخافُ الغَرِيضَ
وَإِنَّ التَّطَيُّرَ (٢) بي قَدْ ذَهَبْ

أمية :

وَأَيْنَ تَرى الشُّؤْمَ حَوْلَ الغريضِ
وَكَيْفَ ؟

سعد :

رُوَيْدَكَ (٣) تَدْرِ السَّبَبْ
أَ لَيْسَ الغَرِيضُ يَهيجُ البُكاءَ
فَلَوْ رامَ دَمْعَ العَروسِ انْسَكَبْ
تَرَعْرَعَ في بِيئَةِ النّائِحاتِ
وَعلَّمْنَهُ النَّدْبَ حتّى نَدَبْ
يَنُوحُ بِيَثْرِبَ آلَ الرَّسُولِ
وَيُذكِي (٤) مَآتِمَ أَهْلِ الحَسَبْ

أمية :

وَأَيْنَ يَدُ الشُّؤْمِ مِمَّا ذَكَرْتَ ؟
وَأَيُّ بَلاءٍ عَلَيْنا جَلَبْ ؟
وَما هُوَ إِلَّا مُغَنّي الحَياةِ
بِناحِيَتَيْها : الأَسى وَالطَّرَبْ

سعد :

وَلكِنَّنا قاصِدُو عامِرٍ
لِنَقْضِيَ حَقًّا لِقَيْسٍ وَجَبْ

وَنسْأَلَ عَنْ عاشِقٍ في الدِّيارِ
طَويلِ البَلاءِ ، ثَقيلِ الوَصَبْ (٥)
وَمَنْ زارَ بِالنّائِحاتِ المَريضَ
وَأَهْلَ المَريضِ أَضاعَ الأَدَبْ

(يتهيأ الغريض للغناء)

هُوَ ذا هاجَ شَجْوُهُ
هُوَ ذا يُرسِلُ النَّغَمْ
هاتِفٌ مِنْ نُواحِهِ
رَنَّ في القاعِ وَالأَكَمْ (٦)
هُوَ في كُلِّ خاطِرٍ
وَفُؤادٍ صَدَى الأَلَمْ

(أنشودة الغريض) :

وادِيَ المَوْتِ سَلامُ
وَسَقَى القاعَ الغَمامُ
السَّماءُ القُدْسُ مِحْرا
بُكَ وَالأَرْضُ الحَرامُ
أَنْتَ في الصَّمْتِ مُبِينٌ
وَمِنَ الصَّمْتِ كَلامُ
لَمْ يَمُتْ أَهْلُكَ ؛ لكِنْ
غَشِيَ اللَّيْلُ فَنامُوا
غُيَّبٌ لَمْ نَدْرِ ما صا
روا ، ولا أَيْنَ أَقامُوا

(يخرجون إلى ناحية الحيّ من حيثُ يُسمع آخرُ الأنشودة ثم يدخلُ من الجانب الآخر على أثرِ اختفائهم قيسٌ وزيادٌ)

قيس :

جَبَلَ التَّوْبادِ حَيّاكَ الحَيا
وَسَقَى اللهُ صِبانا وَرَعَى
فِيكَ ناغَيْنا (٧) الهَوَى في مَهْدِهِ
وَرَضَعْناهُ فَكُنْتَ المُرْضِعا

---

(١) جرس الحبب : الجرس : الخفي من الصوت . والحبب : الفقاقيع على وجه الماء .
(٢) التطيّر : التفاؤل أو التشاؤم ، وهو المقصود هنا .
(٣) رُوَيدك : اسم فعل أمر بمعنى مَهْلاً .
(٤) يُذكي : يُشعل .

(٥) الوصَب : الوجع والمرض . (٦) الأكم : جمع أكمة : وهي التلّ . (٧) ناغيناه : لاطفناه بالمحادثة والملاعبة .

وَحَدَوْنا الشَّمْسَ في مَغْرِبِها
وَبَكَرْنا فَسَبَقْنا المَطْلَعا
وَعَلى سَفْحِكَ عِشْنا زَمَنًا
وَرَعَيْنا غَنَمَ الأَهْلِ معا
هَذِهِ الرَّبْوَةُ كانَتْ مَلْعَبًا
لِشَبابَيْنا ، وَكانَتْ مَرْتَعا [١]
كَمْ بَنَيْنا مِنْ حَصاها أَرْبُعًا [٢]
وانْثَنَيْنا فَمَحَوْنا الأَرْبُعا
وَخَطَطْنا في نَقا [٣] الرملِ ؛ فَلَمْ
تَحْفَظِ الرِّيحُ ، وَلا الرَّمْلُ وَعى
لَمْ تَزَلْ لَيْلى بِعَيْني طِفْلَةً
لَمْ تَزِدْ عَنْ أَمْسِ إِلّا إِصْبَعا
ما لأَحْجارِكَ صُمًّا ؟ كُلَّما
هاجَ بي الشَّوْقُ أَبَتْ أَنْ تَسْمَعا
كُلَّما جِئْتُكَ راجَعْتُ الصِّبا
فَأَبَتْ أَيّامُهُ أَنْ تَرْجِعا
قَدْ يَهُونُ العُمْرُ إِلّا ساعَةً
وَتَهُونُ الأَرْضُ إِلّا مَوْضِعا

(يظهر بشر قادماً إلى المقبرة من ناحية الحي)

بشر :
عَزاءَ قَيْسُ ؟

قيس :
مَنْ ؟ بِشْرُ ؟

بشر :
أَجَلْ

قيس :
فِيمَنْ تُعَزِّيني ؟

أنا المَيْتُ يا بِشْرُ
وَإِنْ أَخَّرَ تَكْفِيني

(يضطربُ بِشْر وقد أدرك جهلَ قيسٍ وحَرَجَ الموقف ، ثم يميل هامساً إلى زياد)

بشر :
يَجْهَلُ قَيْسُ مَوْتَها
وَلَمْ أَخَلْ أَنْ يَجْهَلَهْ
وَيْحَ لَهُ وَ وَيْحَ لي !
ماذا عَسَى أَقُولُ لَهْ ؟
إِنَّ الحَبِيبَ نَعْيُهُ
إِلى المُحِبِّ مُعْضِلَهْ
إِنِّي أَخافُ إِنْ أَنا
خَبَّرْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهْ

قيس :
بِشْرُ

بشر :
لَبَّيْكَ قَيْسُ

قيس :
مِنْ أَيْنَ يا بِشْرُ ؟

بشر :
مِنَ الحَيِّ

قيس :
ما حَوادِثُ عامِرْ ؟
كَيْفَ أُمِّي يا بِشْرُ ؟

بشر :
بَرَّحَها الشَّوْقُ

قيس :
وَأَهْلِي ؟

بشر :
جَنِينُهُمْ مُتَكاثِرْ

---
(١) المرتع : الموضع الذي ترعى فيه الماشية .
(٢) الأَرْبُع : جمع رَبْع ، وهو المنزل .
(٣) نقا الرمل : كثيب الرمل .

قيس :

وَلِداتي [١] مِنْ فِتْيَةٍ وَعَذارَى ؟

بشر :

كُلُّهُمْ شَيِّقٌ [٢] لِعَهْدِكَ ذاكِرْ

قيس :

كَيْفَ بَيْتٌ لَنا بِمَدْرَجَةِ الرِّيـ

ـحِ وَنادٍ عَلى النُّجومِ وَسامِرْ ؟

وَالنُّخَيْلاتُ كَيْفَ خَلَّفْتَها بِشْرُ ؟

بشر :

كَما هُنَّ باسِقاتٌ نَواضِرْ

قيس :

وَمِهاري الَّتي تَرَكْتُ صِغاراً ؟

بشر :

كَبِرَتْ قَيْسُ ؛ فَهْيَ جُرْدٌ ضَوامِرْ [٣]

قيس :

عَزَّتِ البيدُ ، تُنْبِتُ السّابِقَ الفَذَّ

وَتَأْتي بِفارِسٍ وَبِشاعِرْ

(يضطربُ بِشْر)

وَيْحَ بِشْرٍ ماذا بِهِ ؟

بشر :

قَيْسُ !

قيس :

بِشْرُ !

أَنْتَ في نَفْسِكَ الخَفِيَّةِ ثائِرْ

تُشْبِهُ الحُزْنَ والبُكى نَبَراتٌ

لَكَ كانَتْ كَضاحِكاتِ المَزاهِرْ [٤]

بشر (إلى نفسه ثم إلى قيس) :

رَبِّ ماذا أُجيبُ ؟ لاشَيْءَ يا قَيْسُ ؟

قيس :

بَلِ الحُزْنُ في مُحَيّاكَ ظاهِرْ

وَلَقَدْ راعَني لَكَ اليَوْمَ جِدٌّ

مِنْ خَليعِ العِذارِ [٥] بِالأَمْسِ سادِرْ [٦]

(تغرورقُ عينا بِشر بالدُّموع)

ما جَرى ؟ ما الَّذي أَثارَكَ يا بْنَ الـ

ـعَمِّ ؟ ما هَذِهِ الدُّموعُ البَوادِرْ ؟

بشر :

قَيْسُ ، لا شَيْءَ

قيس :

بَلْ كَتَمْتَ جَليلاً

هَذِهِ وِجْمَةُ [٧] النَّعِيِّ المُحاذِرْ

بشر :

قَيْسُ ...

قيس :

لا تَجِمْ ، ولا تُخْفِ شَيْئاً

أَنا يا بِشْرُ بِالفَجيعَةِ شاعِرْ

خُلِجَتْ قَبْلَ نَلْتَقي عَيْنِيَ اليُسْـ

ـرَى ، وَريعَ الفُؤادُ رَوْعَةَ طائِرْ

بشر :

أَعْفِني ! أَعْفِني ! بِرَبِّكَ ما أَنْـ

ـتَ عَلى ما أَقولُهُ لَكَ قادِرْ !

قيس :

أَوَ ماتَتْ ؟

بشر :

أَجَلْ قَضَتْ أَمْسِ ...

(١) اللِّدة : هو الذي ولد يوم ولادتك . (٢) شيِّق : مُشتاق .

(٣) الجُرد الضوامر : الخيل قصيرة الشعر ، قليلة اللحم .

(٤) المزاهر : جمع مِزْهر ، وهو العود الذي يُضرب به .

(٥) خليع العذار : من ترك الحياء وركب هواه .

(٦) سادر : تائه في الغي .

(٧) الوجْمة : الإطراق والسكوت في حزن . النعيّ : الناعي ؛ وهو الذي يأتي بخبر الموت .

قيس (وهو يُغمى عليه) :

وَا لَيْــــلاهُ !

لِلّهِ – ما أشَدَّ المَقادِرْ !

(يمضي بشر في سبيله)

زياد (مقتربًا من قيس) :

هُوَ مُغْمًى عَلَيْهِ ، رَبِّ أيَصْحُو ؟

هَلْ لِهَذا العَذابِ يا رَبِّ آخِرْ ؟

(يصحو قيس)

زياد :

تَبارَكْتَ يا رَبُّ ، قَيْسٌ أفاقَ

صَحَتْ عَيْنُهُ ، وَصَحا المَسْمَعُ

رَجَعْتَ لَنا قَيْسُ

قيس :

هَيْهاتَ هَيْهــا

تَ ! مَنْ كانَ في النَّزْعِ لا يَرْجِعُ

لَقَدْ بَقِيَتْ خَفْقَةٌ في السِّراجِ

سَيَلْفِظُها ثُمَّ لا يَسْطَــعُ

زِيادُ ، غَداً يَلْتَقِي الموجَعونَ

وَمَوْعِدُنا ذَلِكَ البَلْقَــعُ [1]

(يشيرُ إلى المقابر)

عَرَفْتُ القُبورَ بِعَـرْفِ [2] الرِّيـاحِ

وَدَلَّ عَلى نَفْسِهِ المَوْضِعُ

كَثَكْلَى تَلَمَّسُ قَبْـرَ ابنِهـا

إلى القَبْرِ مِنْ نَفْسِها تُدْفَعُ

هَداها خَيالُ ابْنِها فاهْتَدَتْ

وَلَيْلى الخَيالُ الَّذي أتْبَــعُ

لَنا اللّهُ يا قَلْبُ ! لَيْلاكَ لا

تُجيبُ ، وَلَيْلايَ لا تَسْمَعُ !

فُجِعْنا بِلَيْلَ وَلَمْ نَكُ نَحْسَـ

ـبُ يا قَلْبُ أنّا بِها نُفْجَعُ

(يقترب إلى القبر باكيًا فيكبُّ بوجهه على حجرٍ من أحجاره)

أ عَيْنَيَّ هَذا مَكانُ البُكاءِ

وَهَذا مَسيلُـكِ يـا أدْمُـعُ

هُنا جِسْمُ لَيْلَى ، هُنا رَسْمُها

هُنا رَمَقي [3] في الثَّرَى المُودَعُ

هُنا فَمُ لَيْلى الزَّكِيُّ الضَّحُو

كُ ، يَكادُ وَراءَ البِلَى يَلْمَعُ

هُنا سِحْرُ جَفْنٍ عَفاهُ [4] التُّرابُ

وَكانَ الرُّقى فِيـهِ لا تَنْفَعُ

هُنا مِنْ شَبابِي كِتابٌ طَواهُ

وَلَيْـسَ بِناشِـرِهِ البَلْقَـعُ

هُنا الحادِثاتُ ، هُنا الأمَلُ الحُلْـ

ـوُ يا لَيْلَ ، والأَلَمُ المُمْتِعُ

طَرِيدَ المَقادِيرِ ، هَلْ مَنْ يُجيرُ

كَ مِنْها سِوَى المَوْتِ أوْ يَمْنَعُ ؟

تَزِلُّ الحَيـاةُ لِسُلْطانِهـا

وَلِلْمَوْتِ سُلْطانُهـا يَخْضَعُ

طَرِيدَ الحَيـاةِ ، أ لا تَسْتَقِـرُّ

أ لا تَسْتَرِيحُ ، أ لا تَهْجَعُ ؟

بَلى ! قَدْ بَلَغْتَ إلى مَفْزَعٍ

وَهَذا التُّرابُ هُـوَ المَفْـزَعُ [5]

(يظهر الأمويُّ شيطانُه من بعيدٍ ويناديه)

الأموي :

قَيْسُ

---

(١) البلقع : المكان الخالي من كل شيء .

(٢) العَرْف : الرائحة الطيبة .

(٣) الرَّمق : بقية الروح .

(٤) عفا : محا وأزال .

(٥) المَفْزَع : الملجأ .

قيس :

مَـــنِ الهَاتِـفُ ؟ مَـــنْ
نادَى الشَّرِيدَ المُطَّرَحْ ؟

الأموي :

أنا الَّذِي أَوْحَى إِلَيْـــ
ـــكَ حُبَّ لَيْلَى وَاقْتَرَحْ

قيس :

اِذْهَبْ ، وَإِنْ لَمْ أَدْرِ رُو
حٌ أَنْتَ أَمْ أَنْتَ شَبَـــحْ ؟
اِذْهَبْ ، فَلَسْتَ صالِحًـا
وَأَيُّ شَيْطـانٍ صَلَـــحْ ؟
كُنْتَ قَرِينَ السُّوءِ لـي
وَكُنْتَ شَرَّ مَـــنْ نَصَـحْ
لَوْلاكَ مـا بُحْـتُ بِمـا
خَدَّشَ لَيْلَـــى وَجَـرَحْ
كَأَنَّـهُ فـــي عِرْضِهـا
زَيْتٌ عَلـى الثَّـوبِ سَـرَحْ

الأموي :

أَفِقْ قَيْسُ ،

قيس :

سِـرْ خَلِّنِي يـا خَيـالُ
وَمَنْ بِالخَيالِ لِمَنْ لَمْ يَنَمْ ؟

الأموي :

حَنانَيْكَ قَيْسُ ، أَقِلِّ العِتابَ
وَلا تَسْكُبَنَّ دُموعَ النَّـــدَمْ
تَفَرَّدْتَ بِالأَلَـمِ العَبْقَـــرِيِّ
وَأَنْبَغُ ما في الحَياةِ الأَلَمْ
مُرِيبُكَ يا قَيْسُ فَوْقَ التُّرابِ
وَأَنْتَ مَعَ النَّجْمِ فَوْقَ التُّهَـمْ
أَخَذْتَ سَبِيلَكَ نَحْـوَ الخُلودِ
وَلَيْسَ الخُلودُ سَبِيلَ الأُمَـمْ

قُمِ اهْتِفْ بِلَيْلَى ، وَشَبِّبْ بِها
وَخَلِّ التَّقالِيدَ ، وَانْسَ الحُرَمْ (١)
وَطِرْ فِي الهَواءِ طَلِيقَ الجَناحِ
وَسِـرْ فـي الأَدِيـمِ طَلِيـقَ القَــدَمْ
فَلَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ خَلَّوْكُمـا
كَتَرْكِ الوُفودِ حَمامَ الحَـرَمْ (٢)
قُمِ ابْسُطْ جَناحَكَ فَوْقَ القِفارِ
وَطِرْ في الوِهادِ ، وَ قَعْ في الأَكَمْ
وَأَتْرِعْ (٣) مِنَ الوَتَرِ العَبْقَـرِيِّ
سَمـاءَ القُصـورِ ، وَأَرْضَ الخِيَـمْ
وَأَلِّفْ عَلَى الحُبِّ شَتَّى القُلوبِ
وَأَرْسِلْ بِسِـرِّ الجَمـالِ النَّغَـمْ
تَغَنَّ بِلَيْلَى ، وَبُحْ بِالغَـرامِ
وَبُثَّ الصَّبابَةَ ، وَاشْكُ السَّقَمْ
فَلا خَيْرَ في الحُبِّ حَتَّى يَذِيعَ
وَلا خَيْرَ في الزَّهْرِ حَتَّى يَنِمّ (٤)

قيس :

أَقُومُ ؟ ... ... هاتِ قَدَما
أَقُولُ ؟ ... ... أَعْطِنِي فَما
أَ ما تَرانِي هَيْكَلاً مُحَطَّماً مُهَدَّما ؟

(يختفي الشيطان ، ويستمرّ قيس)

يا رَبِّ قَيْسٍ ، هَلْ نُعِيتُ وَهَلْ جَرَتْ
كَأْسٌ تَدورُ على النُّفوسِ مَشاعُ ؟
أَوْ لا ، فَما بالي أَنُوءُ بِهَيْكَلٍ
لِلْمَوْتِ فِيهِ وَلِلْحَياةِ صِـــراعُ
اليَوْمَ آذَنَنا القَضاءُ بِحُكْمِـهِ
ما لي وَلا لَكِ يا حَياةُ دِفاعُ

---

(١) الحُرَم : جمع حُرمة وهي ما لا يحلّ انتهاكه .

(٢) إشارة إلى ترك وفود الحجاج والمعتمرين للحمام في المسجد الحرام آمنًا .

(٣) أَترِع : اِملأ .

(٤) ينمّ : تنتشر رائحته .

راجعْتُ في المَوْتِ الحَياةَ وَعادَني (١)
في النَّزْعِ (٢) يا لَيْلى إلَيْكِ نِزاعُ (٣)
كَيْفَ الوَداعُ مِنَ الحَياةِ وَلَمْ يُتَحْ
لِيَ مِنْكِ يا لَيْلى الغَداةَ وَداعُ ؟
هَيْهاتَ لَمْ تَعْدَمْ شَذاكِ قَرارَةٌ (٤)
حَوْلي وَلَمْ يَعْدَمْ سَناكِ يَفاعُ
وَعَلى سَماءِ البيدِ مِنْكِ بَشاشَةٌ
وَعَلى رِمالِ البيدِ مِنْكِ شُعاعُ
وَكَأَنَّ كُلَّ ضَبابَةٍ دُونَ الضُّحَى
قَسَماتُ وَجْهِكِ دُونَهُنَّ قِناعُ

(يمرّ به ظبي سارح فيتأمله قليلاً ويناجيه)

يا ظَبْيُ بَكَّ مَنِ افْتَداكَ بِمالِهِ
إذْ أَنْتَ عانٍ تُشْتَرى وَتُباعُ
وَأَباحَ طِفْلَكَ ماءَهُ وَطَعامَهُ
إذْ هُنَّ عَطْشَى بِالفَلاةِ جِياعُ
يا قاعُ كُنْ نَعْشِي ، وَكُنْ كَفَني ، وَكُنْ
قَبْري ، وَقُمْ في مَأْتَمي يا قاعُ (٥)
وَاجْمَعْ لِتَشْيِيعي الظِّباءَ ، وَمَنْ رَأى
مَيْتاً بِأَسْرابِ الظِّباءِ يُشاعُ ؟
أَ تُرَى أَمُوتُ – كما حَيِيتُ – مُشَرَّداً
لا الأَهْلُ مِنْ حَوْلي وَلا الأَتْباعُ
وَأَبِيتُ وَحْدي ، لا الوُحُوشُ أَوانِسٌ (٦)
حَوْلي هُناكَ ، وَلا الظِّباءُ رِتاعُ (٧) ؟

(تَتَخاذلُ سيقان قيس فيتلقّاه زياد ، ويظهر ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعاً باكياً)

زياد :

قَيْسُ ، لا بَأْسَ عَلَيْكْ
أنا ذا بَيْنَ يَدَيْكْ

قيس :

نَفْسُ اطْمَئنّي ، الآنَ لَسْتُ وَحْدي
قَدْ حَضَرَ الّذي يَخُطُّ لَحْدي
وَيُرْشِدُ الحَيَّ إليَّ بَعْدي
زِيادُ أَنْتَ المُشْفِقُ المُفَدّي
لَمْ أَنْفَرِدْ إلّا رُئِيتَ عِنْدي

(يتبينُ شبحَ ابن ذَريح)

زِيادُ ما ذاكَ مَنْ ذا
يَبْكي وَراءَ الضَّريحِ
إنّي أَغارُ عَلَى القَبْـ
ـرِ مِنْ غَريبِ الجُروحِ

زياد :

لا تَخْشَ يا قَيْسُ مِنْهُ
فَإِنَّهُ ابْنُ ذَريحِ

ابن ذريح :

يا لَيْلَ ، قَبْرُكِ رَبْوَةُ الخُلْدِ
نَفَحَ النَّعيمُ بِها ثَرَى نَجْدِ
في كُلِّ ناحِيَةٍ أَرَى مَلَكاً
يَتَنَفَّسُونَ تَنَفُّسَ الوَرْدِ
لَبِسُوا الجُمانَ (٧) الرَّطْبَ أَجْنِحَةً
وَتَناثَرُوا كَتَناثُرِ العِقْدِ
وَتَقابَلُوا ، فَعَلى تَحِيَّتِهِمْ
مِسْكُ السَّلامِ وَعَنْبَرُ الرَّدِّ
وَكَأَنَّ نَجْواهُمْ وَسُبْحَتَهُمْ (٨)
صَوْبُ الغَمامَةِ ، أَوْ صَدَى الرَّعْدِ
نَفَحاتُ طِيبٍ ها هُنا وَهُنا
ما لِلرِّياضِ بِهِنَّ مِنْ عَهْدِ

---

(١) عادني : أصابني . (٢) النَّزع : احتضار المريض .
(٣) نِزاع : اشتياق . (٤) القرارة : الروضة المنخفضة .
(٥) القاع : الأرض المستوية عما يحيط بها من جبال ، تنصبُّ عليها الأمطار وتنبت . (٦) أوانس : جمع آنسة ، وهي التي تزيل الوحشة . (٧) رِتاع : لاهية ناعمة .

(٨) الجُمان : اللؤلؤ ، واحدته جُمانة . (٩) السُّبحة : الدعاء .

يا قَيْسُ ، صَبْرًا ها هُنا مَلَكٌ
ذِبْحُ (١) الصَّبابَةِ مُشْهَدُ الوَجْدِ (٢)
أَصْخِ ، انْتَبِهْ ، وَاطْرَحْ بِعَيْنِكَ في
بَهَجِ السَّماءِ وحُسْنِ ما تُبْدِي

قيس :

أَيْنَ السَّماءُ وَأَيْنَ مُحْتَضَرٌ
طَلَعَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ بِاللَّحْدِ ؟
السُّهْدُ عَذَّبني ، وَذِي سِنَةٌ
أَجِدُ الشِّفاءَ بِها مِنَ السُّهْدِ
وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُبَشِّرُني
بِالخُلْدِ : ما أَنا داخِلٌ وَحْدِي
لَوْ أَنَّ لَيْلَى في النَّعيمِ مَعِي
أَوْ في الجَحيمِ تَساوَيا عِنْدِي
لَيْلَى النَّعيمُ ، وَقَدْ ظَفِرْتُ بِها
فَاليَوْمَ نَرْقُدُ في ثَرَى نَجْدِ
إِنِّي أُحِبُّ – وَإِنْ شَقِيتُ بِهِ –
وَطَنِي ، وَأُوثِرُهُ عَلَى الخُلْدِ

(يَسمع صوتًا ضئيلاً كأنما هو خارجٌ من القبر)

الصوت :

قَيْسُ

قيس :

مَنِ الصَّوْتُ
وَيْحِي أ بي سِحْرٌ ؟

الصوت :

قَيْسُ

قيس :

زِيادُ اسْمَعْ
وَأَصْغِ يا بِشْرُ

الصوت :

قَيْسُ

قيس :

سَمِعْتُ اسْمِي
يَلْفِظُهُ القَبْرُ

الصوت :

قَيْسُ

قيس :

تُنادِيني
مِنْ قَبْرِها بِاسْمِي
لَبَّيْكِ يا لَيْلَى
بِالرُّوحِ وَالجِسْمِ

(يدخلُ في دَوْرِ الاحْتِضار الأخير)

هَلْ آسَى المَوْتُ جِراحَنا ، وَهَلْ
قَرَّبَ الدّارَ ، وَهَلْ لَمَّ الشَّتاتْ ؟

أصوات :

قَيْسُ ، لَيْلَى

قيس :

رَنَّةٌ في أُذُني
رَدَّدَتْ قَيْسَ وَلَيْلَى الفَلَواتْ
نَحْنُ في الدُّنْيا وَإِنْ لَمْ تَرَنا
لَمْ تَمُتْ لَيْلَى ، وَلا المَجْنُونُ ماتْ

(ستار الختام)

(١) الذبح : ما أُعِدّ للذبح .
(٢) مُشهَد الوجد : قتيل الوَجْد .

سلسلة المُؤلَّفات الكاملة

توفيق يوسف عوّاد • في مُجلَّد واحد (صَدَرَ)

نجيب محفوظ • في خمسة مُجلَّدات

• صدر أربعة

• الخامس تحت الطَّبع

حافظ إبراهيم • في مُجلَّد واحد ـ ديوانه (صَدَرَ)

عزيز أباظة • في مُجلَّد واحد (صَدَرَ)

ثروت أباظة • في مُجلَّدين (صَدَرا)

توفيق الحكيم • في أربعة مُجلَّدات

• المُجلَّد الأوَّل (تحت الطَّبع)

سلسلة صفوة المُؤلَّفات الكاملة

مصطفى المنفلوطي • في مُجلَّدين (صَدَرا)

ثروت أباظة • في مُجلَّد واحد (صَدَرَ)

جبران خليل جبران • في مُجلَّد واحد (صَدَرَ)


01R160452